King Saud University 1957

Copyright © King Saud University

٤٧٠٠

٢١٢

ج ٠ز الجواهر الحسان فى تفسير القرآن ،تاليف
أبى زيد الثعالبى ، عبد الرحمن بن محمد،
- ٨٧٥ هـ ٠ كتب فى القرن الثانى عشر الهجرى
تقديرا ٠
١٧٨ ق ٢٥ س ٣ر٢١×٥ر٣٠ سم
٤٦٠٠ نسخة جيدة ، خطها مغربى ، أوراقها
منفرطة ٠ طبع
الاعلام ٤ : ١٠٧ هدية العارفين ١ : ٥٣٢
١ - التفسير ، القرآن الكريم وعلومه
أ - المؤلف ب - تاريخ النسخ

مكتبة جامعة الرياض - قسم المخطوطات
الرقم ٤٦٠٠ ف ١/٩٢٤
العنوان الجواهر الحسان في تفسير القرآن
المؤلف عبد الرحمن بن محمد الثعالبي
تاريخ النسخ الثاني عشر الهجري
اسم الناسخ
عدد الأوراق ٥٠١ص ٢٠ر١٢×١٥سم
ملاحظات ٢١٢
ز ٢-

بسم الله الرحمن الرحيم — صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

قال الشيخ الإمام العالم العلامة الزاهد أبو زيد
عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي نفعنا الله تعالى
به وبين كاتبه وقاريه وبكل من حضره آمين آمين آمين

يقول العبد الفقير إلى الله تعالى المعترف بذنبه الراجي رحمة ربه عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف
الثعالبي لطف الله تعالى به في الدارين وبجميع المؤمنين الحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على سيدنا
محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه السادات المهتدين والحمد لله الذي من علينا بالإيمان وشرح به صدورنا ونور به
القلوب الى ما شي فمن علينا بحمد الله النور وبين لنا من المعارف عند التلاوة ما به الهدى وما هو من العارفين
عند التدبر والتأمل لمعاني فسبحان من أنزل على عبده الكتاب وجعله تبيانا لكل شيء منتظما من أحكم
الأسباب كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب. أما بعد فإني لما كان الشيء في
الله قليلا وقلبه بأنوار اليقين وجعلنا من أوليائه المتقين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وأوحشهم
من الخليقة بأنسه وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حرمة
وولها غرقوا في عظمته سرا فجعلوا همهم به واشتغلوا به في الدارين عنهم وهم فيما هم كما لهم وجلاله
يتنعمون وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون وبما تعلق إليه والتوكل عليه يتعززون ملجؤهم
بما دون قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فإني جمعت لنفسي في هذا المختصر ما رجوت أن ينفع الله به
غيري وعندي في الدارين فقد ضمنته بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية وزدته فوائد جمة من غيره
من كتب الأئمة وثقات أعلام هذه الأمة حسبما رأيته أو رويته عن الأثبات وذلك قريب من مائة تأليف وما
منها تأليف إلا وهو منسوب لإمام مشهور بالدين ومعدود في المحققين وكل من نقلت عنه شيئا من التفسير
فمن تأليفه نقلت وعلى لفظ صاحبه عولت ولم أنقل شيئا من ذلك بالمعنى خوف الوقوع في الزلل وإنما هي عبارات
وألفاظ لمن أعزوها إليه وما انفرد به نقلته عن الطبري من اختصار الشيخ أبي محمد عبد الله محمد بن عمر الله بن
الخطيب نجم الدين التيمي لتفسير الطبري نقلت لأنه اعتنى بتهذيبه وقال الخطيب أبو بكر بن الخطيب في حسن كتابه على
الطبري ومرح تفسيره وأنا عليه عارية نسأل الله أن يعاملنا وإياهم برحمته وكل ما فيه اخي فاه فليس
هو من كلام ابن عطية بل ذلك مما زدته مما نقلته عن غيره ومن أشكل عليه لفظ في هذا المختصر فليراجع
الأمهات المنقول منها فليصلحه منها ولا يصلحه برأيه وبديهة عقله فيقع في الزلل من حيث لا يشعر وجعلت

علامة

علامة التاء لنفسي بدلا من قلت ومن شاء كتب قلت وإنما العين لابن عطية وما نقلته من سائر الأئمة من
غير ابن عطية من التفاسير مختص أبي حيان غالب وجعلت الصاد علامة عليه وربما نقلت عن غيره معربا
لغيره نقلته وكل ما نقلته عن أبي حيان فإنما نقلته بواسطة الصفاقسي غالبا قال الصفاقسي وجعلت علامة
ما زدته على أبي حيان م وما يتفق لي إن شاء الله من غير نقل فأقول منه قلت وبالجملة فحيث أطلق في الكلام أبي حيان ومتى
نقلته من أحاديث الصحاح والحسان عن غير البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي في الأذكار والدعوات
فأكثره من النووي وسلاح المؤمن وفي الترغيب والترهيب وأحوال الآخرة فمعظمه من التذكرة للقرطبي
والعاقبة لعبد الحق وربما زدت زيادة كثيرة من مصابيح البغوي وغيره كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى
كل ذلك معزو وبالجملة فكتابي هذا محشو بنفائس الحكم وجواهر السنن الصحيحة والحسان المأثورة
عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال محمد بن عبد الله في كتاب النفس وأولى الأمور أن تبع نفسه وأنهم رشد
معرفة السنن التي هي البيان لمجمل القرآن بها يوصل إلى مراد الله من عباده فيما تعبدهم به من شرائع
دينه الذي به الابتلاء وعليه الجزاء في دار الخلود والبقاء التي يسعى لها العقلاء والعلماء الحكماء فمن الله
عليه بحفظ السنن والقرآن فقد جعل بيده لواء الإيمان فإن فقه وفهم واستعمل ما علم دعي في ملكوت السموات
عظيما ونال فضلا جسيما انتهى والله أسأل أن يجعل هذا السعي خالصا لوجهه وعملا صالحا يقربنا إلى مرضاته
وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وسميته بالجواهر الحسان في تفسير القرآن
الذي أسأل الله أن ينفع به كل من حصله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما
كثيرا عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله
قال الشيخ في المقصود والتقط من كلام ابن عطية رحمه الله ما ستقف عليه من النكت الحسنة المختارة
ما أتي به التفسير وإذا نقلت شيئا من غيره عزوته لصاحبه ثم تقدم قال ابن عطية رحمه الله بعد كلام في الثناء
ذكرته ولما أردت أن أختار العلم وأنظر في علم من أنواعه لم يحصر بين العلوم بالتنويع والتقسيم
وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم فوجدت أمتنها حبلا وأرسخها جبلا وأجملها آثارا وأسطعها
أنوارا علم كتاب الله جلت قدرته وتقدست أسماؤه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد الذي استقل بالسنة والفرض ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض وأيقنت أنه أعظم العلوم
تقربا إلى الله تعالى وتخليصا للنيات ونهيا عن الباطل وحضا على الصالحات إذ ليس من علوم الدنيا فيختل حامله
من منازله صبرا وتنشيع التعلق لها بل هو والحمد لله تعالى يحمل على الطاعة ويحكم عنه الكثير من عميق معانيه
ونغا منه في لغته وضعفه ومبانيه ثم قال قال الله تعالى إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا قال المفسرون أي

على معانيه والعمل به وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قيدوا العلم بالكتاب ويعني الى تعلموا ما يتحمل لي في المنام
من علم الله فيه قال وتقدم بين يدي العلوم التي تعين السلف وقد قدم الكتاب الجمع وفي والاشياء ينبغي ان تكون
الاهمية في حفظ القاطع في هذا العلم مجتمعة لا تعد باب في فضل القرآن قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انها ستكون فتن كقطع الليل المظلم قيل فما النجاة منها يا رسول الله قال كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ
من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره
اضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس
به الالسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد من علم علمه سبق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن اعتصم
به فقد هدي الى صراط مستقيم وقال صلى الله عليه وسلم من اراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن وقال صلى الله عليه
وسلم ان الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به والذي يقرأه وهو عليه شاق مع السفرة الكرام البررة وقال
صلى الله عليه وسلم اتلوا هذا القرآن فان الله يأجركم بالحرف منه عشر حسنات اما اني لا اقول الم حرف ولكن الالف
حرف واللام حرف والميم حرف وقال صلى الله عليه وسلم ما من شفيع افضل عند الله من القرآن لا نبي ولا ملك وقال صلى الله
عليه وسلم افضل عبادة امتي القرآن وحديث انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ
مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يكتب من الغافلين ومن قرأ ثلاثمائة آية لم يحاججه القرآن
قال الشيخ يحيى بن شرف النووي اعلم ان قراءة القرآن آكد الاذكار وافضلها فينبغي المداومة عليها فلا
يخلو عنها يوما وليلة ويحصل له اصل القراءة بقراءة الآيات القليلة والمطلوب القراءة بالترتيل والخشوع
والخضوع وقد روينا في كتاب ابن السني عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ خمسين آية لم يكتب من
الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاججه القرآن يوم القيامة ومن
قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر وفي رواية عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ عشر
آيات لم يكتب من الغافلين وجاء في الباب احاديث كثيرة نحو هذا من الجملة وروى ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اشراف امتي حملة القرآن وروى انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
القرآن شافع مشفع وماحل مصدق من شفع له القرآن نجا ومن محل به القرآن يوم القيامة كبه الله
بوجهه في النار واحق من شفع له القرآن اهله وحملته واولى من محل به من عدل عنه وضيعه وقال
قوم من الانصار للنبي صلى الله عليه وسلم الم تر يا رسول الله ثابت بن قيس لم تزل داره البارحة تزهر مصابيح
وحولها امثال المصابيح فقال لهم فلعله قرأ سورة البقرة فسئل ثابت بن قيس فقال نعم قرأت سورة
البقرة وفي هذا المعنى حديث عن اسيد بن حضير في نزول الملائكة في الظلة لصوته بقراءة البقرة

وفي روايته

وفي رواية سورة الكهف وهذه القصة خرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي اهـ وقال عقبة
ابن عامر خطبنا رسول الله في حجة الوداع فقال عليكم بالقرآن وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ان من
اشراط الساعة ان يبسط القول ويخزن الفعل ويرفع الاشرار ويوضع الاخيار وان تقرأ المثناة على رؤوس
الناس لا تغير قيل وما المثناة قال ما استكتب من غير كتاب الله قيل له فكيف بما جاء من حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما اخذتموه عمن تأمنونه على نفسه ودينه فاعقلوه وعليكم بالقرآن فتعلموه وعلموه
ابناءكم فانكم عنه تسألون وبه تجزون وكفى به واعظا لمن عقل وقال رجل لعبد الله بن مسعود
اوصني فقال اذا سمعت الله يقول يا ايها الذين آمنوا فارعها سمعك فانه خير يأمر به او شر ينهى عنه
وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن احسن الناس قراءة او صوتا بالقرآن فقال الذي
اذا سمعته رأيته يخشى الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اقرؤوا القرآن قبل ان يأتي قوم يقيمونه كما يقام
القدح ويضيعون معانيه يتعجلونه ولا يتأجلونه وروي ان اهل اليمن قدموا ايام ابي بكر الصديق رضي
الله تعالى عنه فسمعوا القرآن فجعلوا يبكون فقال ابو بكر هكذا كنا ثم قست القلوب وروي ان عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه في اثناء عمله ربما مر بآية من ورده فيسقط حتى يعاد منها اياما كما يعاد المريض
في القراءة وما تقرب المتقربون الى الله تعالى بمثل القرآن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرب
تبارك وتعالى من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين رواه الترمذي وقال
الترمذي حديث حسن غريب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله جل وعز من شغله القرآن عن دعائي
ومسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه وقال
بعض العلماء حسن صحيح وعماد الامر الترتيل والتفهم فقليل القرآن مع التفهم افضل من كثيره من غير
تفهم وهذا الذي عليه المحققون وهو الذي تدل عليه الآثار ولولا ذلك لما كان ثمة من
ذلك به الضرر وقد ذكر بعض شراح الرسالة في الذي يقرأ القرآن من غير فهم ولا تفهم
هل ما جاء من الثواب وهذا الخلاف والشاعر في غير المتعلم والقول بعدم الاجر على صعبه هو كلام
ذكره عياض في المدارك عن ابي شبل في قصته مع الامام المغيرة وبالجملة فالترتيل والتفهم هو الذي يحصل
معه الانابة والخشوع والخشية ونقل ابو حي في سنن الصالحين عن محمد بن كعب القرظي قال لان اقرأ
في ليلتي حتى اصبح اذا زلزلت والقارعة لا ازيد عليهما واتردد فيهما واتفكر احب الي من ان اهذ القرآن
ليلتي هذه او قال انثره نثرا او نحوه عن مجاهد وغيره وعن ابن عباس قال ركعتان مقتصدتان في تفكر
خير من قيام ليلة والقلب ساه اهـ قال ابو حمزة قلت لابن عباس اني سريع القراءة واني اقرأ القرآن في ثلاث قال لان اقرأ البقرة في ليلة فاتدبرها وارتلها احب الي من ان اقرأ كما تقول وان كنت لا بد فاعلا فاقرأه قراءة تسمع اذنيك ويعيه قلبك وان قلت هو جيد من

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم
من تعلم القرآن وعلمه وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه

كتبه ثم القرآن اي بلا ترتيل وقارئين اثنين هوان نعي معنى ما نتلو من سائر اهـ وقال الحسن بن ابي الحسن انكم
اتخذتم قراءة القرآن اي مراحل وجعلتم الليل جملا اي كمركوب فتقطعون به المراحل وان من كان قبلكم راوه
رسائل اليهم من ربهم وكانوا يتدبرونه بالليل وينفذونه بالنهار وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول
انزل عليهم القرآن اي ليعملوا به فاتخذوا درسه عملا اي احرصهم لتلاوة القرآن اي من قد تقدم الى خاتمته ما يسقط
منه حرفا وقد اسقط العمل به وقال ع قال الله عز وجل ولقد يسرنا القرآن اي للذكر وقال تعالى انا سنلقي
عليك قولا ثقيلا اي على معانيه والعمل به والقيام بحقوقه ثقيل الا على سائر الحبس وذكروا الثقيل
وهو المطلوب منهم وقيل ليوسف بن اسباط اي شيء تدعو اذا ختمت القرآن اي فقال الشعبي والسلف
من قبله وفي كتابي اذا ختمته ثم تذكرت ما فيه من الاعمال خشيت المقت فاعدل الى الاستغفار والتسبيح
وفي ادخل القرآن على بعض العلماء فالتمسه ان يختمه اراد الرجوع من ازواره فقال له اتقن القرآن اي عملا اذ هو
فاني اني على الله تعالى يوم ليلة وانظر ماذا يعلمه منه قال القرآن اي بين لنا الشيخ واما طريق الحكم الذي نطلبه
به العلوم الذي يتم الاخذ احوال المحمودة او التي عن صفات مذمومة فلا يجري فيه انفع من القرآن اهـ
بالشيخ بانه جامع لجميع المقامات والاحوال وفيه شفاء للعالمين وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر
والمحبة والشوق وسائر الاحوال المحمودة وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة فينبغي ان يقرأ العبد بعد
سائر الذي هو محتاج الى الشيخ فيه شيء بعد اهي ولو ليلة كاملة فهي اذا اراد نعتكي وفهم خير من ختم
من غير تدبر وفهم فان تحت كل كلمة منه اسرارا لا تحصى ولا يوقف عليها الا بدقيق الفكر عن صفاء القلب
بعد صدق المعاملة وكذا الاحاديث خطابة رحمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اوتي عليه السلام
جوامع الكلم فكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة لو تامله العالم حق تامله لم ينقطع فيه نظره طول عمره
ولا شرح احاد الايات والاخبار يطول وانظر قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب
من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فان هذه الكلمات جامعة
لحكم الاولين والاخرين وهي كافية للمتاملين ولو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين
لاستغرقتهم ولحالت بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية اهـ من الاحياء. باب في فضل تفسير القرآن
واعرابه قال النبي صلى الله عليه وسلم اعربوا القرآن اي والتمسوا غرائبه فان الله تعالى يحب ان يعرب قال ابو العالية في
تفسير قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا قال الحكمة الفهم في القرآن اي وقال قتادة الحكمة القرآن اي
والتفقه فيه وقال غيره الحكمة تفسير القرآن اي وقال الشعبي رحل مسروق الى البصرة في تفسير اية فقيل
له ان الذي يفسرها رحل الى الشام فتجهز ورحل اليه حتى علم تفسيرها وذكر علي بن ابي طالب رضي

الله تعالى عنه

الله تعالى عنه جابر بن عبد الله فوصفه بالعلم فقال له رجل جعلت فداك تصف جابرا وانت انت فقال انه
كان يعرف تفسير قوله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن اي لرادك الى معاد وقال اياس بن معاوية مثل الذين
يقرؤون القرآن اي وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلا وليس عندهم مصباح فتداخلتهم
روعة ولا يدرون ما في الكتاب ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرأوا ما في الكتاب وقال
ابن عباس الذي يقرأ ولا يفسر كالاعرابي الذي يهذ الشعر وقال مجاهد احب الخلق الى الله اعلمهم بما انزل
وقال الحسن والله ما انزل الله اية الا احب ان يعلم فيما انزلت وما يعني بها وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن اي وجوها كثيرة فصل فيما قيل في الكلام في القرآن اي بالرأي والجرأة
عليه ومراتب المفسرين روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفسر من كتاب الله الا ايات بعدد علمهن اياه جبريل عليه السلام قال ع ومعنى هذا الحديث في مغيبات
القرآن اي وتفسير مجمله ونحو هذا مما لا سبيل اليه الا بتوقيف من الله تعالى ومن جملة مغيباته
ما لم يعلم الله به عباده كوقت قيام الساعة ونحوها مما يستقرأ من الفاظه كعدد النفخات في الصور وكرتبة
خلق السماوات والارض وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تكلم في القرآن اي برأيه فاصاب فقد اخطأ
ومعنى هذا ان يسأل الرجل عن معنى في كتاب الله فيتسور عليه برأيه دون نظر فيما قال العلماء واقتضته
قوانين العلوم كالنحو والاصول وليس يدخل في هذا الحديث ان يفسر اللغويون لغته والنحويون نحوه والفقهاء
معانيه ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر فان هذا القائل على هذه الصفة ليس قائلا
بمجرد رأيه وكان جماعة من السلف كسعيد بن المسيب وعامر الشعبي وغيرهما يعظمون تفسير القرآن اي
ويتوقفون عنه تورعا واحتياطا لانفسهم مع ادراكهم وتقدمهم وكان جماعة من السلف كثير عددهم
يفسرونه وهم ابقوا على المسلمين في ذلك رضي الله تعالى عن جميعهم فصل وخرج ابو عيسى الترمذي
في جامعه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن اي
بغير علم فليتبوأ مقعده من النار قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب وخرج ايضا عن ابن عباس رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الحديث عني الا ما علمتم فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار
ومن قال في القرآن اي برأيه فليتبوأ مقعده من النار قال ابو عيسى هذا حديث حسن ع وخرج عن جندب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن اي برأيه فاصاب فقد اخطأ قال ابو عيسى هكذا روي عن بعض
اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم انهم شددوا في هذا في ان يفسر القرآن بغير
علم واما الذي روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من اهل العلم انهم فسروا القرآن فليس الظن بهم

انهم قالوا في الآية اي وفيه وجه يعني علماء من قبلهم وقد روي عنهم ما يدل على ما قلنا انهم يقولوا من قبل انفسهم يعني نا الحسين بن محمد البجلي نا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال ما في القرآن آية الا وقد سمعت فيها بشيء. ونا ابن ابي عمر نا سفيان بن عيينة عن الاعمش قال قال مجاهد لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم احتج الى ان اسال ابن عباس عن كثير من القرآن اي مما سالته عنه ما نقلته عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ع واما صدر المفسرين والموثوق بهم فعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه ويتلوه عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما وهو تجرد للامر وكمله وتتبعه العلماء عليه كمجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما والمحفوظ عنه في ذلك اكثر من المحفوظ عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وقال ابن عباس ما اخذت من تفسير القرآن فعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكان علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه يثني على تفسير ابن عباس ويحض على الاخذ عنه وكان عبد الله بن مسعود يقول نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وحسبك بهذه الدعوة ويتلوه عبد الله بن مسعود وابي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو بن العاص وكلما اخذ عن الصحابة فحسن متقدم ومن المبرزين في التابعين الحسن البصري ومجاهد وسعيد بن جبير وعلقمة في المجالس على ابن عباس قراءة تفهم ووقفا عند كل آية ويتلوهم عكرمة والضحاك بن مزاحم وان كان لم يلق ابن عباس وانما اخذ عن ابن جبير واما السدي رحمه الله فكان عامر الشعبي يطعن عليه وعلى ابي صالح لانه كان يراهما مقصرين في النظر ثم حمل تفسير كتاب الله عدول كل خلف والف الناس فيه كعبد الرزاق والمفضل وعلي ابن ابي طلحة والبخاري وغيرهم ثم ان محمد بن جرير الطبري رحمه الله جمع على الناس اشتات التفسير وقرب البعيد وشفى في الاسناد ومن المبرزين في المتاخرين ابو اسحاق الزجاج وابو علي الفارسي فان كلامهما منخول واما ابو بكر النقاش وابو جعفر النحاس رحمهم الله فكثيرا ما استدرك الناس عليهما وعلى سننهما مكي ابن ابي طالب رحمه الله وابو العباس المهدوي رحمه الله متقن التاليف وكلهم متقن مجتهد ماجور رحمهم الله تعالى ونضر وجوههم **فصل** اختلف الناس في معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان القرآن انزل على سبعة احرف فاقرءوا ما تيسر منه قال ابن ع بعد كلام والذي مال اليه كثير من اهل العلم كابي عبيد وغيره ان معنى الحديث انه انزل على سبع لغات لسبع قبائل ثم اختلفوا في تعيينهم واصح ما يقتضيه الامر حديث عمر رضي الله عنه وقوله فاصل ذلك وقاعدته في قريش ثم بنو سعد ابن بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم قرشي واسترضع في بني سعد ونشا فيهم ثم ترعرع وشب وهو يخالط في اللسان كنانة وهذيلا وثقيفا وخزاعة واسدا وضبة والفافهم لقربهم من مكة وتكرر دخولهم عليها ثم بعد هذا كله

بينها

تيما وقيسا ومن انضاف اليهم وسط جزيرة العرب فلما بعثه الله تعالى ويسر عليه امر الاحرف انزل عليه القرآن اي بلغة هذه الجملة المذكورة وهي التي قسمها على سبعة احرف وهي اختلافها في العبارات قال ع فان قال قايل لو قلت من هذه الاحرف لقريش ومنها لكنانة ومنها لاسد ومنها لهذيل ومنها لتميم ومنها لضبة والفافها ومنها لقيس لكان قد اتى على قبايل مضر في مراتب سبعة تستوعب اللغات التي نزل بها القرآن اي وهذا نحو ما ذكرناه وهذه الجملة هي التي انتهت اليها الفصاحة وسلمت لغاتها من الدخل ويسرها الله لذلك ليظهر اية نبيه بعجزها عن معارضة ما انزل عليه وسبب سلامتها انها في وسط جزيرة العرب في الحجاز ونجد وتهامة فلم تطرقها الامم واما اليمن وهو جنوبي الجزيرة فافسدت كلام عربه خلطة الحبشة والهنود على ان ابا عبيد القاسم بن سلام وابا العباس المبرد قد ذكرا اي في جملة اليمن من القبائل التي نزل القرآن اي بلغاتها قال ع وذلك عندي انما هو فيما استعملته عرب الحجاز من لغة اليمن كالعرم والفتاح فاما ما انفردوا به كالزخيخ والقلوب فليس في كتاب الله منه شيء واما ما والى العراق من جزيرة العرب وهي بلاد ربيعة ومضر فان افسدت لغاتها مخالطة الفرس والنبط ونصارى الحيرة وغير ذلك واما الذي يلي الشام وهو شمال الجزيرة وهي بلاد آل جفنة وغيرهم فافسدتها مخالطة الروم وكثير من بني اسرائيل واما غربي الجزيرة فهي جبال يسكن بعضها هذيل وغيرهم واكثرها غير معمور فبقيت القبائل المذكورة سليمة اللغات لم تكدر صفو كلامها امة من العجم ويقوي هذا المنزع انه لما اتسع نطاق الاسلام وداخلت الامم العرب وتجرد اهل المصرين البصرة والكوفة لحفظ لسان العرب وكتبوا لغاتها لم ياخذوا الا من هذه القبائل الوسطى المذكورة ومن كان معها وتجنبوا اليمن والعراق والشام فلم يكتب عنهم حرف واحد وكذلك تجنبوا حواضر الحجاز مكة والمدينة والطائف لان السبي والتجار من الامم كثروا فيها فافسدوا اللغات وكانت هذه الحواضر في مدة النبي صلى الله عليه وسلم سليمة لقلة المخالطة فمعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم انزل القرآن على سبعة احرف اي فيه عبارة سبع قبائل بلغة جملتها نزل القرآن اي فيعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة قريش ومرة بعبارة هذيل ومرة بغير ذلك بحسب الافصح والاوجز في اللفظة الا ترى ان فطر معناه عند غير قريش ابتدا خلق الشيء وعمله فجاءت في القرآن فلم تتجه لابن عباس حتى اختصم اليه اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها قال ابن عباس ففهمت حينئذ موضع قوله سبحانه فاطر السموات والارض وقال ايضا ما كنت ادري معنى قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق حتى سمعت بنت ذي جدن تقول لزوجها تعال افاتحك اي احاكمك

وكذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وكان لا يدري معنى قوله تعالى او يأخذهم على تخوّف
موقفا به حتى فقال انّ التخوّف فينا التنقّص فقال عمر الشعر كمي او يأخذهم على تخوّف اي على تنقّص لهم
وكذلك الخبر في عطية بن مالك اذ سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الصلاة ق والنخل باسقات لها طلع
مسلم في حديث انه في صلاة الصبح الى غير ذلك من الالفاظ التي جاء الله لنبيه عليه الصلاة و
والسلام وهذه الاحاديث والسبعة وعارضها جمهور في غ خلافه على الوجه الذي فيه لا مجاز وجوه
الوصف ولم يقع دما جا خفي في قوله فاقى . واما تفسير هذه باي يكون من واحد من الصحابة اذا اراد ان
يبين المعنى من بعض هذه اللغات جعلها من خلفا . نعبيه ولو كان لهذه الذين اعجاز القرآن وكان
معرضا ان يبين لهذا وهذا حتى لا يكون يعني الذي من غير الله والله واعلم كما جاء في الحديث السبعة
للنبي صلى الله عليه وسلم ابوسع ... على امته فقال ... با عارضه به جبريل ومرة كان مسعود ما
عارضه به ايضا وفي صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اقرأني جبريل على حرف فراجعته
فلم ازل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف

فصل في ذكر الالفاظ التي في القرآن من اللغات العجمية

اختلف الناس في هذه المسألة فقال ابو عبيدة وغيره انه ليس في كتاب
الله من غير لغة العرب وذهب الطبري وغيره الى ان القرآن ليس فيه لفظة الا وهي عربية صحيحة
وان ما نقله وادعى انه منسوب الى سائر اللغات انما اتفق فيها توارد اللغتين فتكلمت العرب والفرس
او الحبشة بلفظ واحد وذلك مثل قوله تعالى ان ناشئة الليل قال ابن عباس نشأ بلغة الحبشة قام
من الليل ومنه قوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته قال ابو موسى الاشعري كفلان ضعفان من الاجر
بلسان الحبشة وكذلك قال ابن عباس في القسورة انه الاسد بلغة الحبشة الى غير هذا من الامثلة
قال ابن ع والذي اقوله ان القاعدة والعقيدة هي ان القرآن بلسان عربي مبين وليس فيه لفظة تخرج
عن كلام العرب فلا تفهمها الا من لسان اخر فاما هذه الالفاظ وما جرى مجراها فانه قد كان للعرب
العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الالسنة بتجارات وسفر الى الشام وارض
الحبشة فعلقت العرب بهذا كله الفاظا اعجمية غيّرت بعضها بالنقص من حروفها وجرت الى تخفيف
ثقل العجمة واستعملتها في اشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الصحيح ووقع بها البيان وعلى
هذا الحد نزل بها القرآن فان جهلها عربي ما فكجهله الصريح بما في لغة غيره وكما لم يعرف ابن عباس
معنى فاطر الى غير ذلك فحقيقة العبارة عن هذه الالفاظ انها في الاصل اعجمية لكن استعملتها العرب
وعربتها فهي عربية بهذا الوجه وما ذهب اليه الطبري من ان اللغتين اتفقتا في لفظة فذلك بعيد

بل احرا

بل احدهما اصل والاخرى فرع في الاكثر لانا لا ندفع ايضا جواز الاتفاق قليلا شاذا

باب تفسير اسماء القرآن وذكر السورة والاية

هو القرآن وهو الكتاب وهو الفرقان وهو الذكر
فالقرآن مصدر من قولك قرأ الرجل اذا تلى يقرأ قرآنا وقراءة وقال قتادة القرآن معناه التأليف
قرأ الرجل اذا جمع والف قولا وبهذا فسر قتادة قوله تعالى ان علينا جمعه وقرآنه اي تأليفه
والقول الاول اقوى ان القرآن مصدر من قرأ اذا تلى ومنه قول حسان بن ثابت يرثي عثمان بن عفان رضي
الله عنه . ضحوا باشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرآنا . واما الكتاب فهو
مصدر من كتب اذا جمع ومنه قولهم كتيبة لاجتماعها ومنه قول الشاعر . واكتبها باسيار اي اجمعها
واما الفرقان فهو ايضا مصدر لانه فرق بين الحق والباطل والمؤمن والكافر فرقا وفرقانا
واما الذكر فسمي به لانه ذكّر به الناس آخرتهم والاههم وما كانوا في غفلة عنه فهو ذكر لهم
وقيل سمي به لانه فيه ذكر الامم الماضية والانبياء . وقيل سمي به لانه ذكر وشرف لمحمد صلى الله
عليه وسلم وقومه وسائر العلماء به . واما السورة فان قريشا كلها ومن جاورهم من قبائل العرب
كهذيل وسعد بن بكر وكنانة يقولون سورة من غير همز وتميم كلها وغيرهم ايضا يهمزون فاما من
همز فهي عندهم كالبقية من الشيء والقطعة منه التي هي سؤر وسؤرة من اسأر اذا ابقى ومنه سؤر
الشراب واما من لا يهمز فمنهم من يراها من المعنى المتقدم الا انها سهلت همزتها ومنهم من يراها
مشبهة بسورة البناء اي القطعة منه لان كل بناء فانما بني قطعة بعد قطعة وكل قطعة منها
سورة فكان سور القرآن هي قطعة بعد قطعة حتى كمل منها القرآن ويقال ايضا للرتبة الرفيعة
من المجد والملك سورة ومنه قول النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر الم تر ان الله اعطاك سورة
ترى كل ملك دونها يتذبذب . فكان الرتبة انبنت حتى كملت واما الاية فهي العلامة في كلام العرب
ولما كانت الجملة التامة من القرآن علامة على صدق الاتي بها وعلى عجز المتحدى بها سميت اية
هذا قول بعضهم وقيل سميت اية لانها كانت جملة وجماعة كلام كما تقول العرب جئنا بآيتنا اي بجماعتنا
وقيل لما كانت علامة للفصل بين ما قبلها وما بعدها سميت اية . وقوله صلى الله عليه وسلم
في الصحيح اية المنافق ثلاث اذا حدث كذب . واية الايمان حب الانصار واية ما بيننا وبين
المنافقين شهود العشاء . يقوي القول الاول والثالث وهذا هو الراجح في مقتضى الطبري فالاية
وذلك الظاهر في العربية والقرآن واضح القرآن ابلغ . اي علامة لكلا بيان وكلها عند الله عز وجل
ودالة على وحدانيته وارسال رسله على البعث والنشور وامور الاخرة وغير ذلك مما تضمنته

علوم القرآن. اي اذا قرأت القرآن. باب في الاستعاذة قال الله عز وجل فاذا قرأت القرآن. اي فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم معناه اذا اردت ان تقرأ فاوقع الماضي موضع المستقبل لثبوته واجمع العلماء على قول القارئ اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم ليس بآية من كتاب الله واجمعوا على استحسان ذلك والتزامه عند كل قراءة
في غير صلاة واختلفوا في التعوذ في الصلاة فابن سيرين والنخعي وقوم يتعوذون في كل ركعة ويمتثلون
امر الله سبحانه بالاستعاذة على العموم في كل قراءة وابو حنيفة والشافعي يتعوذون في الركعة الاولى
من الصلاة ويرون ان قراءة الصلاة كلها قراءة واحدة ومالك رحمه الله تعالى لا يرى التعوذ في
الصلاة المفروضة ويراه في قيام رمضان ولم يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تعوذ في الصلاة
واما لفظ الاستعاذة فالذي عليه جمهور الناس هو لفظ كتاب الله تعالى اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
واما المقرئون فاكثروا في هذا من تبديل الصفة في اسم الله وفي الجهة الاخرى كقول بعضهم اعوذ بالله
المجيد من الشيطان المريد ونحو هذا مما لا اقول فيه نعمت البدعة ولا اقول انه لا يجوز ومعنى الاستعاذة
الاستجارة والتحيز الى الشيء على وجه الامتناع به من المكروه واما الشيطان فاختلف في اشتقاقه
فقال الحذاق هو فيعال من شطن اذا بعد كانه بعد عن الخير والرحمة واما الرجيم فهو فعيل بمعنى مفعول
كقتيل وجريح ومعناه انه رجم باللعنة والمقت وعدم الرحمة. باب في تفسير بسم الله الرحمن
الرحيم روي ان رجلا قال بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم تعس الشيطان فقال رسول الله صلى الله عليه تعس
وسلم لا تقل ذلك فانه يتعاظم عنده ولكن قل بسم الله الرحمن الرحيم فانه يصغر حتى يصير اقل
من ذباب والبسملة تسعة عشر حرفا قال بعض المفسرين رواية بلغني ان ملائكة النار الذين
قال الله فيهم عليها تسعة عشر انما ترتب عددهم على حروف بسم الله الرحمن الرحيم
لكل حرف ملك وهم يقولون في كل افعالهم بسم الله الرحمن الرحيم فمن هنالك هي قوتهم وبسم
الله استضلعوا قال ابن ع وهذا من ملح التفسير وليس من متين العلم ت كما يحتاج عليه ليس ما
بلغ هولاء. ولقد اغنى الله بصحيح الاحاديث وحسنها عن موضوعات الوراقين يجهل الله تعالى الائمة
عنا خيرا وما جاء من الآثار عن جابر وابي هريرة مما يقتضي ظاهره ان البسملة آية من الفاتحة
يرده صحيح الاحاديث كحديث انس وابي ابن كعب وحديث قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ونحوها
ولم يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الخلفاء بعده انهم يبسملون في الصلاة ع والباء في
بسم الله متعلقة عند نحاة البصرة باسم تقديره ابتدائي مستقر او ثابت بسم الله وعند نحاة الكوفة
بفعل تقديره ابتدأت بسم الله واسم اصله سمو بكسر السين او سمو بضمها وهو عند البصريين
مشتق

مشتق من السمو وهو العلو لانه يعلي فالاسم هو الدال بالوضع على موجود في العيان ان
كان محسوسا وفي الاذهان ان كان معقولا من غير تعرض ببنيته لزمان ومدلوله هو المسمى
والتسمية جعل ذلك اللفظ دليلا على المعنى فهي امور ثلاثة متباينة فاذا اسند حكم الى الاسم
فتارة يكون حقيقة نحو زيد اسم ابنك وتارة يكون مجازا وهو حيث يطلق الاسم ويراد به المسمى
كقوله تعالى تبارك اسم ربك وسبح اسم ربك وتأول السهيلي سبح اسم ربك على اقحام الاسم اي
سبح ربك وانما ذكر الاسم حتى لا يخلو التسبيح من اللفظ باللسان لان الذكر بالقلب متعلقه المسمى
والذكر باللسان متعلقه اللفظ وتأول قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء فان الاسماء كاذبة
غير واقعة على المعنى فكانهم لم يعبدوا الا الاسماء التي اخترعوها اه وقال الكوفيون اصل اسم
وسم من السمة وهي العلامة لان الاسم علامة لما وضع عليه والمكتوبة التي اعطانا الله اسمائه
تعالى والاكثر فيها استعمالا هو المتقدم لسائر الاسماء في الاغلب وانما تجيء الاخرى اوصافا وحذفت الالف
الاخيرة من الله لئلا يشكل بخط اللات وقيل طرحت تخفيفا والرحمن صفة مبالغة من الرحمة معناها
انه انتهى الى غاية الرحمة وهي صفة تختص بالله تعالى ولا تطلق على البشر وهي ابلغ من فعيل وفعيل
ابلغ من فاعل لان راحما يقال لمن رحم ولو مرة واحدة ورحيما يقال لمن كثر منه ذلك والرحمن النهاية في
الرحمة. تفسير فاتحة الكتاب بعون الله وقوته قال ابن عباس وغيره انها مكية ويؤيد هذا ان في سورة
الحجر ولقد آتيناك سبعا من المثاني والحجر مكية باجماع وفي حديث ابي بن كعب انها السبع المثاني ولا خلاف
ان فرض الصلاة كان بمكة وما حفظ انها كانت قط في الاسلام صلاة بغير الحمد لله رب العالمين
وروي عن عطاء بن يسار وغيره انها مدنية. واما اسماؤها فلا خلاف انه يقال لها فاتحة الكتاب واختلف
هل يقال لها ام الكتاب فكره ذلك الحسن البصري واجازه ابن عباس وغيره وفي تسميتها بام الكتاب
حديث رواه ابو هريرة واختلف هل يقال لها ام القرآن فكره ذلك ابن سيرين وجوزه جمهور العلماء.
وسميت المثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل لانها استثنيت لهذه الامة. واما فضل هذه السورة
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي بن كعب انها لم تنزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الفرقان
مثلها وروي انها تعدل ثلثي القرآن وهذا العدل اما ان يكون في المعاني واما ان يكون تفضيلا من الله
لا يعلل وكذلك يجيء اعدل قل هو الله احد وعدل اذا زلزلت وغيرها. قلت ونحو حديث ابي عن ابي
سعيد بن المعلى اذ قال له صلى الله عليه وسلم لاعلمنك اعظم سورة في القرآن الحمد لله رب العالمين هي السبع
المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته رواه البخاري وابو داود والنسائي وابن ماجه من طريق

الموفي تاليف الشيخ المحقق ابي العباس شهاب الدين احمد بن علي بن هائم رحمه الله تعالى الحمد معناه الثناء الكامل
والفعل والثناء فيه لا يستغرق الجنس من المحامد وهو اعم من الشكر لان الشكر انما يكون على فعل جميل يسدى
الى الشاكر والحمد المجرد هو ثناء بصفات المحمود قال ص وهل الحمد بمعنى الشكر او الحمد اعم او الشكر ثناء على الله
بافعاله والحمد ثناء عليه باوصافه خلاف ثلاثة اقوال اه قال الطيبي في الحمد لله ثناء انما اثنى الله على نفسه بنفسه تعالى
وفي ضمنه امر عباده ان يثنوا به عليه فكانه قال قولوا الحمد لله وعلى هذا يجيء قوله اياك نعبد واهدنا
قال هذا من حذق الفصاحة ما ابدل ظاهر الكلام عليه وهو كثير و الرب في اللغة المعبود والسيد المالك
والقائم بالامور المصلحات يطلق منه على [illegible] على الاطلاق هو رب الارباب على كل حين وهو الله تعالى
و العالمين جمع عالم وهو كل ما سوى الله تعالى يقال لكل منه عالم ولا واحد له من لفظه والجن وغيرهم ذالك
عالم وبحسب ذالك جمع على العالمين ومن حيث عالم الزمان منتقل من زمان الى حين جمعه ولعظمه
العالم جمع كما احوال من لعظمه وهو ماخوذ من العلم والعلامة لانه يدل على موجده كذا قال ابن جماعة
قال ابو حيان الالف واللام في العالمين للاستغراق وهو جمع سلامة مفرده عالم اسم جمع وقياسه ان لا
يجمع وشذ جمعه ايضا جمع سلامة لانه ليس بعلم ولا صفة ص وذهب ابن مالك في شرح التسهيل الى
ان عالمين اسم جمع لمن يعقل وليس جمع عالم لان العالم عام وعالمين خاص قلت وفيه نظر اه وقد تقدم
العواقب الرحمن الرحيم ملك يوم الدين الدين في كلام العرب على انحاء وهو هنا الجزاء يوم الدين اي
يوم الجزاء على الاعمال والحساب بها قاله ابن عباس وغيره من بين محاسبين وحكى اهل اللغة دنته
بفعله دينا بمعنى الجزاء و دينا بمعنى جزيته ومنه قول الشاعر

واعلم يقينا ان ملكك زائل . واعلم بان كما تدين تدان

اياك نعبد نطق المومن به اقرار بالربوبية وتذلل وتحقيق لعبادة الله تعالى وقدم اياك على الفعل اهتماما
وشان العرب تقديم الاهم واختلف النحويون في اياك فقال الخليل اياك اسم مضمر اضيف الى ما بعده للبيان لا
للتعريف وحكي عن العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه واي الشواب وقال المبرد اسم مبهم اضيف للتخصيص لا
للتعريف وحكى ابن كيسان عن بعض الكوفيين ان اياك بكماله اسم مضمر ولا يعرف اسم مضمر يتغير اخره غيره
وحكي عن بعضهم انه قال الكاف والهاء والياء هي الاسم المضمر لكنها لا تقوم بانفسها ولا تكون الا متصلة
فاذا تقدمت الافعال جعلوا اياك عمادا لها فيقال اياك واياه واياي فاذا تاخرت اتصلت بالافعال واستغنى
عن اياك و نعبد معناه نقيم الشرع والامر مع تذلل واستكانة والطريق المذلل يقال له معبد وكذا
البعير و نستعين معناه نطلب العون منك في جميع امورنا وهذا كله تبري من الاصنام و قوله

تعالى

تعالى اهدنا رغبة لانه من المربوب الى الرب وهذه صيغة الامر كلها فاذا كانت من الاعلى فهي امر والهداية
في اللغة الارشاد لانها تتعدى على وجوه يعني عنها الثعلبي ومن بعض الفاظ الارشاد وتحلم اذا فاتك الجمعة
الى الارشاد فالهدى يجيء بمعنى خلق الايمان في القلب ومنه قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم ويهدي
من يشاء الى صراط مستقيم وانك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء [illegible] قال ابو
المعالي وهذه الاية لا يتم حملها الا على خلق الايمان وهو [illegible] الارشاد وقد جاء الهدى بمعنى الدعاء
كقوله تعالى ولكل قوم هاد اي داع وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقد جاء الهدى بمعنى الالهام ومن ذالك
قوله تعالى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال الثعلبي [illegible] الحيوانات كلها الى منافعها وقد جاء
الهدى بمعنى البيان من ذلك قوله تعالى واما ثمود فهديناهم قال الثعلبي ومعناه بينا لهم قال ابو المعالي
معناه دعوناهم وقوله تعالى ان علينا للهدى اي علينا ان نبين لهم وفي هذه الكلمة معنى الارشاد
قال ابو المعالي وقد ترد الهداية والمراد بها ارشاد المومنين الى مسالك الجنان والطرق المفضية اليها كقوله
تعالى في صفة المجاهدين فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ومنه قوله تعالى فاهدوهم الى صراط
الجحيم معناه فاسلكوهم اليها قال ع وهذه الهداية بعينها هي التي تقال في طرق الدين وهي ضد الضلال
وهي الواقعة في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم على الصحيح والصراط في اللغة الطريق الواضح ومن ذالك قول جرير

امير المومنين على صراط . اذا اعوج الموارد مستقيم

و اختلف الثعلبي وفي المعنى الذي استعير له الصراط في هذا الموضع فقال علي ابن ابي طالب رضي الله
عنه الصراط المستقيم هنا القرآن وقال جابر هو الاسلام يعني الحنيفية وقال محمد بن الحنفية هو
دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره وقال ابو العالية هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه
ابو بكر وعمر اي الصراط المستقيم طريق محمد صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وهذا اقوى
في المعنى لان تسمية اشخاصهم طريقا فيه تجوز ويجمع من هذه الاقوال كلها ان الدعوة فيه ان يكون
الداعي على سنن المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في معتقداته والتزامه
لاحكام شرعه هذا وهو مقتضى القرآن والاسلام وهو حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه
وهذا الدعاء انما امر به المومنون وعندهم المعتقدات وعند كل احد بعض الاعمال فمعنى قوله اهدنا
فيما هو حاصل عندهم التثبيت والدوام وفيما ليس بحاصل اما من جهة الجهل به او التقصير في المحافظة عليه
طلب الارشاد اليه فكل داع انما يطلب الصراط المستقيم في اقواله وافعاله ومعتقداته و اختلف

في المشار إليهم بأنه سبحانه وتعالى أنعم عليهم وهو قول ابن عباس وجمهور المفسرين أنه أراد صراط النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وانتزعوا ذلك من قوله سبحانه وتعالى ولو أنهم فعلوا ما يوعظون
به الآية إلى قوله ورفيقا وقوله تعالى غير المغضوب عليهم ولا الضالين اعلم أن كل مضاف إلى معرفة يكون
معرفة وإنما تنكرت غير ومثل مع إضافتهما إلى المعارف من أجل معناهما وذلك إذا قلت رأيت غيرك فكل شيء
سوى المخاطب هو غيره وكذلك إن قلت رأيت مثلك فما هو مثله لا يحصى لكثرة وجوه المماثلة والمغضوب
عليهم اليهود والضالون النصارى قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وابن زيد وروي ذلك عن عدي بن حاتم
عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك بين من كتاب الله تعالى لأن ذكر غضب الله على اليهود متكرر فيه كقوله تعالى
وباءوا بغضب من الله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله الآية وغضب الله تعالى عبارة عن إظهاره
تعالى عليهم محنا وعقوبات وذلة ونحو ذلك مما يدل على أنه قد أبعدهم من رحمته تعالى بعدا مؤكدا مبالغا فيه
والنصارى كانوا مختلفين على شيء عند ورود شرع محمد صلى الله عليه وسلم فلما ورد ضلوا وأما غير متعينين
فضلالهم متقرر منذ نعوت فقالوا إلههم عيسى عليه السلام وقد قال الله تعالى ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا
من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وأجمع الناس على أن عدد آي سورة الحمد لله سبع آيات العالمين آية
الرحيم آية الدين آية نستعين آية المستقيم آية أنعمت عليهم آية ولا الضالين آية وقد ذكرنا
عند تفسير بسم الله الرحمن الرحيم ما ورد من خلاف في ذلك ضعيف القول في آمين روى أبو هريرة وغيره عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا قال الإمام ولا الضالين فقولوا آمين فإن الملائكة في السماء تقول آمين
فمن وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه **قلت** وخرج مسلم وأبو داود والنسائي من طريق
أبي موسى رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا صليتم فأقيموا صفوفكم ثم ليؤمكم أحدكم فإذا كبر
فكبروا وإذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين يجبكم الله الحديث انتهى ومعنى آمين عند أكثر أهل
العلم اللهم استجب أو أجب يا رب ومقتضى الآثار أن كل داع ينبغي له في آخر دعائه أن يقول آمين وكذلك
كل قارئ الحمد لله في غير صلاة وأما في الصلاة فيقولها المأموم والفذ وفي الإمام في الجهر اختلاف وتفصيله
في معنى قوله صلى الله عليه وسلم من وافق فقيل في الإجابة وقيل في خلوص النية وقيل
في الوقت والذي يترجح أن المعنى فمن وافق في الوقت مع خلوص النية في الإقبال على الله تعالى بقلب سليم والإجابة
تتبع حينئذ لأن من هذه حاله فهو على الصراط المستقيم وفي صحيح مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها
لعبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي وإذا قال الرحمن الرحيم قال الله

تعالى

تعالى أثنى علي عبدي وإذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال هذا بيني
وبين عبدي ولعبدي ما سأل وإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل انتهى وعن مالك جملة لعبدي وأسند أبو بكر بن الخطيب
عن نافع عن ابن عمر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له إمام فقراءة الإمام ملأ فيه من خارج صلاته
ولم يرو في سنن مطعنا وقال ابن العربي في أحكامه والصحيح عندي وجوب قراءتها على المأموم فيما أسر فيه
وتحريمها فيما جهر فيه إذا سمع الإمام لما عليه من وجوب الإنصات والاستماع فإذا بعد عن الإمام فهو بمنزلة
صلاة السر اه **قلت** تفسير الحمد لله **والحمد لله** بجميع محامده كلها ما علمنا منها وما لم نعلم **بسم الله الرحمن الرحيم**
وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تفسير سورة البقرة بعون الله ومعونته **هذه السورة مدنية** نزلت في مدد شتى
وفيها آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس
ما كسبت وهم لا يظلمون ويقال لسورة البقرة فسطاط القرآن وذلك لعظمها وبهائها وما تضمنت
من الأحكام والمواعظ وفيها خمسمائة حكم وخمسة عشر مثلا **روي** أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى وأعطيت فاتحة الكتاب
وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش **قلت** وهذا إن شاء الله أدخل في الحديث يكاد لما تشتمل عليه
من الفوائد العظيمة **خرج الحاكم** أبو عبد الله في المستدرك على الصحيحين عن معقل بن يسار رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملوا بالقرآن أي أحلوا حلاله وحرموا حرامه واقتدوا به ولا تكفروا
بشيء منه وما تشابه عليكم منه فردوه إلى الله وإلى أولي العلم من بعدي كيما يخبروكم وآمنوا بالتوراة
والإنجيل والزبور وما أوتي النبيون من ربهم وليسعكم القرآن وما فيه من البيان فإنه
شافع مشفع وماحل مصدق وإني أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول وأعطيت طه والطواسين والحواميم
من ألواح موسى وأعطيت فاتحة الكتاب من تحت العرش ماحل بالمهملة أي ساع وقيل خصم مجادل اه من السلاح
وفي الحديث **الصحيح** عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اقرءوا البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان
بينهما شرق أو كأنهما غيايتان سود أو كأنهما ظلتان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما **قلت** أصل الحديث
في صحيح مسلم عن أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرءوا القرآن
فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما
غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما اقرءوا سورة البقرة فإن
أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال معاوية بلغني أن البطلة السحرة انتهى وقوله صلى الله

عليه وسلم غمامتان يعني بها السحابتين والغيايتان بالغين المعجمة ابو عبيد الغياية كل شيء اظل الانسان
فوق راسه وهو مثل السحابة وفي فرقان تكسي الصواف اي جماعتان اه من السلاح وروى الترمذي رضي الله تعالى
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شيء سنام وسنام القرآن سورة البقرة فيها آية هي سيدة آي
القرآن هي آية الكرسي وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة
كفتاه وروى الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله شيطان
قلت وعن ابن عباس بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فقال هذا
ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم وقال ابشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتم
سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما الا اعطيته رواه مسلم والنسائي والنقيض بالنون والقاف هو الصوت اه
من السلاح وعدد آي سورة البقرة مائتان وخمس وثمانون آية وقيل وسبع وثمانون آية قوله تعالى
الم اختلف في الحروف التي في اوائل السور على قولين فقال الشعبي وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين هي
سر الله في القرآن وهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه ولا يجب ان نتكلم فيها ولكن نؤمن بها وتمر كما جاءت
ومذهب الجمهور من العلماء انه يجب ان نتكلم فيها ونلتمس الفوائد التي تحتها والمعاني التي تخرج عليها واختلفوا
في ذلك على اثني عشر قولا فقال علي وابن عباس رضي الله عنهما الحروف المقطعة في القرآن هي اسم
الله الاعظم الا انا لا نعرف تأليفه وقال ابن عباس ايضا هي اسماء الله اقسم بها وقال ابن جبير هي حروف تدل
على انا الله اعلم وقال السدي وقال قوم هي حساب اي جاء لبيان اجل هذه ملة محمد صلى الله عليه وسلم وورد
في حديث حيي بن اخطب وهو قول ابي العالية وغيره قلت والذي مال اليه الشيخ في الروض الانف انه
باطل قوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين معنى ذلك الاشارة الى البعد واللام لبعد المشار
اليه والكاف للخطاب واختلف في ذلك هنا فقيل هو بمعنى هذا وتكون الاشارة الى هذه الحروف من القرآن
وذلك انه قد يشار بذلك الى حاضر تعلق به بعض غيبة وقيل هو على بابه اشارة الى غائب واختلف
في ذلك الغائب فقيل ما قد كان نزل من القرآن وقيل غير ذلك ولا ريب فيه معناه لا شك فيه وهدى
معناه ارشاد وبيان وقوله للمتقين اللفظ ماخوذ من الوقاية والمعنى الذين يتقون الله بامتثال اوامره
واجتناب معاصيه كان ذلك وقاية بينهم وبين عذابه قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب قالت
طائفة معناه يصدقون اذا غابوا وخلوا لا كالمنافقين الذين يؤمنون اذا حضروا ويكفرون
اذا غابوا وقال آخرون يصدقون بما غاب عنهم مما اخبرت به الشرائع وقوله ويقيمون الصلاة معناه
يظهرونها ويثبتونها كما يقال اقيمت السوق قلت وقال ابو عبد الله النحوي في اختصاره لتفسير
الطبري

الطبري اقامة الصلاة اتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والاقبال عليها اه وقال ص يقيمون
الصلاة من التقويم ومنه اقمت العود او الادامة ومنه قامت السوق او التشمير والنهوض ومنه قام بالامر
اه وقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون الرزق عند اهل السنة ما صح الانتفاع به حلالا كان او حراما وينفقون
معناه هنا يؤتون ما الزمهم الشرع من زكاة وما ندبهم اليه من غير ذلك قوله تعالى والذين يؤمنون بما
انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون اختلف
المتأولون في المراد بهذه الآية فقالت فرقة الآية في جميع المؤمنين وقال آخرون هذه في مؤمني
اهل الكتاب وقال آخرون الآية الاولى في مؤمني العرب والثانية في مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وفيهم
نزلت وقوله بما انزل اليك يعني القرآن وما انزل من قبلك يعني الكتب السالفة ويوقنون معناه يعلمون علما
متمكنا في نفوسهم واليقين اعلى درجات العلم وقوله تعالى اولئك على هدى من ربهم اشارة الى المذكورين والهدى
هنا الارشاد والمفلح والفلاح الظفر بالبغية والادراك للامل قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم
الى عظيم اختلف فيمن نزلت هذه الآية بعد الاتفاق على انها غير عامة لوجود الكفار قد اسلموا بعدها
فقال قوم هي فيمن سبق في علم الله انه لا يؤمن وقال ابن عباس نزلت في حيي بن اخطب وابي ياسر بن اخطب وكعب
بن الاشرف ونظرائهم وهذا القول هو المختار عنده وقوله سواء عليهم معناه معتدل عندهم والانذار
اعلام بتخويف فيما يحذر وقوله ختم الله ماخوذ من الختم وهو الطبع والخاتم الطابع قال ع والختم
والطبع اي هذا الطبع حقيقة لا انه مجاز وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب نكتت
نكتة سوداء في قلبه فاذا تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان زاد زادت حتى تغلق قلبه فذلك الران الذي قال
الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اه والغشاوة الغطاء المغشي الساتر وقوله تعالى ولهم
عذاب عظيم معناه لمن يوافي على الكفر منهم وعظيم معناه بالاضافة الى عذاب دونه قوله تعالى ومن
الناس من يقول امنا بالله الى وما يشعرون هذه الآية نزلت في المنافقين وسمى الله يوم القيامة اليوم الآخر
لانه لا ليل بعده ولا يقال يوم الا لما تقدمه ليل واختلف المتأولون في قوله تعالى يخادعون الله فقال
الحسن بن ابي الحسن المعنى يخادعون رسول الله فاضاف الامر الى الله تجوزا لتعلق رسوله به ومخادعتهم
هي تحيلهم في ان يفشي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون اليهم اسرارهم ع يقال خادعت الرجل اذا اعملت التحيل
عليه بما يخفى عنه فخدعته اذا تمت عليه الحيلة ونفذ فيه المراد وقال جماعة بل يخادعون الله والمؤمنين باظهارهم
من الايمان خلاف ما ابطنوا من الكفر وانما خدعوا انفسهم لحصول غب العذاب وما يشعرون بذلك معناه وما
يعلمون علم تفطن وتنبه وهي لفظة ماخوذة من الشعار كأن الشيء المتفطن له شعار للنفس والمرض

ليت شعري معناه ليت فطنتي تدرك واختلف ما الذي نفى الله عنهم ان يشعروا به فقالت طائفة وما
يشعرون ان ضرر تلك المخادعة راجع عليهم لخلودهم في النار وقال آخرون وما يشعرون ان الله يكشف لهم
نفاقهم ومخادعتهم في قولهم آمنا قوله تعالى في قلوبهم مرض اي في عقائدهم فساد وهم المنافقون والمرض
اما ان يكون شكا واما جحدا بسبب حسدهم مع علمهم بصحة ما يجحدون وقال قوم المرض غمهم بظهور محمد صلى الله
عليه وسلم فزادهم الله مرضا قيل هو دعاء عليهم وقيل هو خبر ان الله قد فعل بهم ذلك وهذه الزيادة
هي بما ينزل من الوحي ويظهر من البراهين قلت لك ان تكيف عطيته على تفسير قوله تعالى عليهم دائرة
السوء واركل ما كان بلفظ دعاء من جهة الله عز وجل فانما هو بمعنى ايجاب الشر لان الله تعالى لا يدعو على
مخلوقاته وهي في قبضته ومن هذا ويل لكل همزة وويل للمطففين وهي كلها احكام تامة تضمنها خبره
تعالى وقوله عز وجل اليم اي مولم واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض اي بالكفر وموالاة الكفرة والمنافقين انما
نحن مصلحون ثلاثة تاويلات احدها جحود انهم مفسدون وهذا استمرار منهم على النفاق والثاني ان يقروا بموالاة
الكفار ويدعوا انها صلاح من حيث انهم قرابة توصل والثالث انهم مصلحون بين الكافرين والمومنين
ولا يشعرون استفتاح كلام ويحتمل ان يراد هنا ولا يشعرون انهم مفسدون ويحتمل ان يراد لا
يشعرون ان الله يفضحهم وقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس الاية المخلص في ايمانهم ونسبهم
صرف المهاجرين والمحققين من اهل يثرب قالوا انومن كما آمن السفهاء والسفه الخفة والرقة
الداعية الى الخفة يقال ثوب سفيه اذا كان رقيقا مهلهل النسج وهذا القول انما كانوا يقولونه في خفاء واطلع
الله عليه نبيه عليه الصلاة والسلام والمومنون وقرر ان السفه ورقة الحلوم وفساد البصائر
انما هو في حيزهم وصفة لهم واخبر انهم لا يعلمون انهم هم السفهاء للرين الذي على قلوبهم قوله تعالى واذا
لقوا الذين آمنوا الاية هذه كانت حال المنافقين اظهار الايمان للمومنين واظهار الكفر في خلواتهم وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنهم ويدعهم في غمرة الاشتباه مخافة ان يتحدث الناس عنه انه يقتل
اصحابه حسبما وقع في قصة عبد الله بن ابي ابن سلول لعنه الله قال مالك النفاق في عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم هو الزندقة اليوم واختلف المفسرون في المراد بشياطينهم فقال ابن عباس رضي الله
تعالى عنه هم رؤساء الكفر وقيل الكهان قال البخاري قال مجاهد الى شياطينهم اي اصحابهم من المنافقين
والمشركين قال ع شياطينهم جمع شيطان وكل متمرد من الانس والجن والدواب قاله ابن عباس وانشاء
شيطانهم اه قلت ويجب على المومن ان يجتنب هذه الاخلاق الذميمة وقد ثبت عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من شر الناس ذو الوجهين الذي ياتي هولاء بوجه وهولاء بوجه رواه ابو داود

وفيه

وفيه عنه صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار اه من سنن ابي
داود الله يستهزئ بهم اختلف المفسرون في هذا الاستهزاء فقال جمهور العلماء هي تسمية العقوبة
باسم الذنب والعرب تستعمل ذلك كثيرا وقال قوم ان الله سبحانه يفعل بهم افعالا هي في تامل البشر هزؤ وروي
ان النار تجمد كما تجمد الاهالة فيمشون عليها ويظنون انها منجاة فتخسف بهم وما روي ان ابواب الجنة
تفتح لهم فيسرعون الى الخروج نحو هذا اي ابن عباس والحسن قلت وقوله تعالى قيل ارجعوا وراءكم
فالتمسوا نورا يقوي هذا المنحى اه وكذلك عليه في اختصار الطبري اه وقيل استهزاؤه بهم هو
استدراجهم بدرور النعم الدنيوية ويمدهم اي يزيدهم في الطغيان وقال مجاهد معناه يملي لهم
والطغيان الغلو وتعدي الحد يقال طغى الماء وطغت النار ويعمهون معناه يترددون حيرة
والعمى الحيرة من جهة النظر والعمه الحيرة من جهة العقل الذي كانه ابصر قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد
نارا الى قوله يا ايها الناس قال الفخر اعلم ان المقصود من ضرب المثل انه يوثر في القلوب ما لا يوثر وصف
الشيء في نفسه لان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد فيتاكد الوقوف على ماهيته
ويصير الحس مطابقا للعقل وذلك هو النهاية في الايضاح الا ترى ان الترغيب اذا وقع
مجردا عن ضرب مثل له لم يتاكد وقوعه في القلب كما يتاكد مع ضرب المثل ولهذا اكثر الله تعالى في كتابه
العزيز وفي سائر كتبه الامثال قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون اه
اه والمثل والمثل والمثيل واحد معناه الشبيه قاله اهل اللغة واستوقد قيل معناه اوقد واختلف
المتاولون في فعل المنافقين الذي يشبه فعل الذي استوقد نارا فقالت فرقة هي فيمن كان آمن
ثم كفر بالنفاق فايمانه بمنزلة النار اضاءت وكفره بعد بمنزلة انطفائها وذهاب النور وقالت فرقة
منهم قتادة نطقهم بلا اله الا الله والقرآن كاضاءة النار واعتقادهم الكفر بقلوبهم كانطفائها
قال جمهور النحاة جواب لما ذهب ويعود الضمير من نورهم على الذي وعلى هذا القول يتم تمثيل
المنافق بالمستوقد لان بقاء المستوقد في ظلمات لا يبصر كبقاء المنافق على الخلاف المتقدم وقال
قوم جواب لما مضمر وهو طفئت والضمير في نورهم على هذا للمنافقين والاخبار بهذا
هو عن حال تكون في الآخرة وهو قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الاية وهذا القول
غير قوي والاصم الذي لا يسمع والابكم الذي لا ينطق ولا يفهم فاذا فهم فهو الاخرس وقيل الابكم والاخرس
واحد ووصفهم الله تعالى بهذه الصفات اذ اعمالهم من الخطإ وعدم الاجابة كاعمال من هذه صفاته
ويرجع على حسب الاختلاف اما على نور او على اضاءتهم وقوله تعالى فهم لا يرجعون قيل

معناه لا يؤمنون بوجه وهذا إنما يصح أن لو كانت الآية في معينين وقيل معناه فهم لا يرجعون ما داموا على
الحال التي وصفهم بها هذه الآية هو الصحيح أو كصيب أو كمثل صيب معناه مثلهم كمثل هذا أو بمثل هذا أو الصيب المطر
من صاب يصوب إذا انحط من علو إلى سفل وظلمات بالجمع إشارة إلى ظلمة الليل وظلمة الزجر ومن حيث
تراكبه وتزايد جمعت وكون الرعد مظلما هو في النفوس بعلاوة السماء والمطر إذ الغالب وجهه فإنه
سار جميل واختلف العلماء في الرعد فقال ابن عباس ومجاهد وشهر بن حوشب وغيرهم هو ملك
يزجر السحاب وهذا الصوت المسموع كلما خالفت سحابة صاح بها فإذا اشتد غضبه طارت النار من فيه
فهي الصواعق واسم هذا الملك الرعد وقيل الرعد ملك وهذا الصوت تسبيحه وقيل الرعد اسم للصوت
المسموع قاله علي بن أبي طالب وأكثر العلماء على أن الرعد ملك وذلك صوته يسبح ويزجر السحاب
واختلف في البرق فقال علي بن أبي طالب وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مخراق حديد
بيد ملك يسوق به السحاب وهذا الصحيح ما روي فيه وقال ابن عباس هو سوط من نور بيد الملك يزجر به
السحاب وروي عنه أن البرق ملك يتراءى واختلف المتأولون في المقصد بهذا المثل وكيف تتطابق
أحوال المنافقين الموازنة لما في المثل من الظلمات والرعد والبرق والصواعق فقال جمهور المفسرين
مثل الله تعالى القرآن بالصيب لما فيه من الإشكال عليهم والعمى هو الظلمات وما فيه من الوعيد
والزجر هو الرعد وما فيه من النور والحجج الباهرة هو البرق وتخوفهم وروعهم وحذرهم هو جعل أصابعهم
في آذانهم وفضح نفاقهم واشتهار كفرهم وتكاليف الشرع التي يكرهونها من الجهاد والزكاة ونحوه
هي الصواعق وهذا كله صحيح بين وقال ابن مسعود إن المنافقين في مجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا القرآن فضرب الله المثل لهم وهذا وفاق
لقول الجمهور والله محيط بالكافرين معناه بعقابهم يقال أحاط السلطان بفلان إذا أخذه أخذا حاصرا من
كل جهة ومنه قوله تعالى وأحيط بثمره ويكاد فعل ينفي المعنى مع إيجابه ويوجبه مع النفي ويخطف
يخطف البرق السابط والخطف الانتزاع بسرعة ومعنى يكاد البرق يخطف أبصارهم تكاد حجج
القرآن وبراهينه وآياته الساطعة تبهرهم ومن جعل البرق في المثل الزجر والوعيد قال يكاد
ذلك يصيبهم وكلما ظرف والعامل فيه مشوا وقاموا معناه ثبتوا ومعنى الآية فيما روي عن
ابن عباس وغيره كلما سمع المنافقون القرآن وظهرت لهم الحجج أنسوا ومشوا معه فإذا نزل
من القرآن ما يعمهون فيه ويضلون به أو يكلفونه قاموا أي ثبتوا على نفاقهم وروي عن ابن مسعود
أن معنى الآية كلما صلحت أحوالهم في زروعهم ومواشيهم وتوالت عليهم النعم قالوا دين محمد دين مبارك

وإذا أظلم

وإذا نزلت بهم مصيبة أو أصابتهم شدة سخطوا وثبتوا في نفاقهم ووحد السمع لأنه مصدر يقع على الواحد
والجمع وقوله سبحانه إن الله على كل شيء قدير لفظه العموم ومعناه عند المتكلمين فيما يجوز وصفه
تعالى بالقدرة عليه وقدير بمعنى قادر وفيه مبالغة وخص هنا سبحانه صفته التي هي القدرة بالذكر
لأنه تقدم ذكر فعل مضمنه الوعيد والإخافة فكان ذكر القدرة مناسبا لذلك قوله تعالى يا أيها
الناس اعبدوا ربكم الآية يا حرف نداء وأي منادى مفرد وها تنبيه وأي هو المنادى قال مجاهد يا أيها الناس حيث
وقع في القرآن مكي ويا أيها الذين آمنوا مدني قال ع قد تقدم في أول السورة أنها كلها مدنية وقد
يجيء في المدني يا أيها الناس وأما قوله في يا أيها الذين آمنوا فصحيح واعبدوا معناه وحدوه
وخصوه بالعبادة وذكر تعالى خلقه لهم إذ كانت العرب مقرة بأن الله خلقها فذكر ذلك سبحانه
حجة عليهم ولعلكم في هذه الآية قال فيها كثير من المفسرين هي بمعنى إيجاب التقوى وليست من الله
تعالى بمعنى ترج وتوقع وفي معنى الطبري لعلكم تتقون عن مجاهد لعلكم تطيعون والتقوى التوقي
من عذاب الله بعبادته وهي من الوقاية وإنما لعل هنا بمعنى كي أو لام كي أي لتتقوا أو لكي تتقوا وتبينه
هنا حمل الترجي تعالى بمعنى الترجي والإطماع بمعنى كي وقد يجيء بمعنى كي في اللغة قال الشاعر

وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا ... نكف ووثقتم لنا كل موثق

قال ع قال سيبويه ورؤساء اللسان هي على بابها والترجي والتوقع إنما هو في حيز البشر
أي إذا تأملتم حالكم مع عبادة ربكم رجوتم لأنفسكم التقوى ولعل متعلقة بقوله اعبدوا ويتجه تعلقها
بخلقكم أي لما ولد كل مولود على الفطرة فهو إن تأمله متأمل توقع له ورجا أن يكون متقيا وتتقون
مأخوذ من الوقاية وجعل بمعنى صير في هذه الآية لتعديه إلى مفعولين وفرشا معناه تفترشونها
والسماء قيل هو اسم مفرد جمعه سماوات وقيل هو جمع واحده سماوة وكل ما ارتفع عليك في الهواء
فهو سماء وأنزل من السماء أي من السحاب سمي بذلك تجوزا لما كان يلي السماء وقد سموا المطر سماء
للمجاورة ومنه قول الشاعر إذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا
فتجوز أيضا في رعيناه وواحد الأنداد ند وهو المقاوم والمضاهي واختلف المتأولون من المخاطب
بهذه الآية فقال جماعة من المفسرين المخاطب جميع المشركين وقوله سبحانه على هذا وأنتم تعلمون
أي العقل الفائق دليل أنه تعالى خلق وأنزل الماء وأخرج الرزق وقيل المراد كفار بني إسرائيل فالمعنى
وأنتم تعلمون من الكتب التي عندكم أن الله لا ند له وقال ابن ... يحتمل أن تتناول الآية المؤمنين
قوله تعالى وإن كنتم في ريب أي في شك فأتوا بسورة من مثله عند الجمهور عائد على القرآن وا...

شهداءكم اي من شهدكم وحضركم من عون ونصير قاله ابن عباس ان كنتم صادقين اي فيما قلتم من انكم تقدرون على
المعارضة ويؤيد هذا القول ما حكي عنهم في قوله تعالى لو نشاء لقلنا مثل هذا وفي قوله جل وعلا ولن تفعلوا فيه
اشارة لهممهم وتحريك لنفوسهم ليكون عجزهم بعد ذلك ابلغ وهو ايضا من الغيوب التي اخبر بها القرآن قبل وقوعها
وقوله تعالى فاتقوا النار اي اعملوا بالايمان وطاعة الله قال البغوي ولما ظهر عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق
النبي صلى الله عليه وسلم واذا ثبت ذلك لزمهم الانقياد فان لم ينقادوا استوجبوا العقاب بالنار واتقاء النار يوجب ترك العناد
فاقيم قوله فاتقوا النار مقام قوله فاتركوا العناد ووصف النار بانها تتوقد بالناس والحجارة وذلك تهويل قوله
بالتي تجمع الجوارح وفي ذلك سر هو ان الناس بالحجارة لانهم اتخذوها في الدنيا اصناما يعبدونها قال تعالى
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون وقيل الحجارة الكبريت معناه بالاخبار وهذا التفسير
ما نعى الكفرة بنوعها امتعوا اه قوله تعالى وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات البشارة ماخوذ
من البشرة لان ما يبشر به الانسان من خير او شر يظهر عنده اثره في بشرة الوجه واكثر استعمال البشارة
في الخير وقد تستعمل في الشر مقيدة به كما قال تعالى فبشرهم بعذاب اليم ومتى اطلق لفظ البشارة فانما يحمل على
الخير وقوله تعالى وعملوا الصالحات رد على من يقول ان لفظة الايمان بمجردها تقتضي الطاعات لانه لو كان كذلك
ما اعادها وجنات جمع جنة وهي بستان النخل والشجر وبستان الكرم يقال له الفردوس وروى النسائي
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان انهار الجنة تشقق من تحت تلال المسك وروى الترمذي عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما في الجنة شجرة الا وساقها من ذهب قال ابو عيسى هذا حديث حسن اه من
الترمذي قلت وفي الثعلبي عن ابن عباس وجماعة رضي الله عنهم وسميت الجنة جنة لانها تجن من دخلها
اي تستره ومنه المجن والجنين وجن الليل ومن تحتها معناه من تحت الاشجار التي يتضمنها ذكر الجنة قلت
ومن اعظم البشارات ان هذه الامة هم ثلثا اهل الجنة وقد خرج ابو بكر بن ابي شيبة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اني ارجو ان تكونوا يوم القيامة ثلثي اهل الجنة ان اهل الجنة يوم القيامة عشرون ومائة صف
وان امتي من قبله ثمانون صفا وخرج ابن ماجه والترمذي عن بريدة بن حصيب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر الامم قال
ابو عيسى هذا حديث حسن اه من الترمذي والانهار المياه في مجاريها المتسعة والنهر اوسع ماخوذة
من انهرت اي وسعته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه معناه ما وسع الذبح
حتى جرى الدم كالنهر ونسب الجري الى النهر وانما يجري الماء تجوزا كما قال سبحانه واسئل القرية وروي ان
انهار الجنة ليست في اخاديد انما تجري على سطح ارض الجنة منضبطة وقولهم هذا الذي رزقنا من

قبل اشارة

اشارة الى الجنس اي هذا من الجنس الذي رزقنا منه قبل والكلام يحتمل ان يكون تعجبا منهم وهو قول
ابن عباس ويحتمل ان يكون خبرا من بعضهم لبعض قاله جماعة من المفسرين وقال الحسن ومجاهد يرزقون
الثمرة ثم يرزقون بعدها مثل صورتها والطعم مختلف فهم يتعجبون لذلك ويخبر بعضهم بعضا وقال ابن عباس
ليس في الجنة شيء مما في الدنيا سوى الاسماء واما الذوات فمتباينة وقال بعض المتأولين المعنى انهم يرون
الثمر فيميزون اجناسه حين اشبه منظره ما كان في الدنيا فيقولون هذا الذي رزقنا من قبل في
الدنيا وقال قوم ان ثمر الجنة اذا قطع منه شيء خرج في الحين في موضعه مثله فهذه الاشارة الى
الخارج في موضع المجني وقوله تعالى واتوا به متشابها قال ابن عباس وغيره معناه يشبه
بعضه بعضا في المنظر ويختلف في الطعم وازواج جمع زوج ويقال في المرأة زوجة ومطهرة
ابلغ من طاهرة اي مطهرة من الحيض والبزاق وسائر اقذار الادميات والخلود الدوام وخرج ابن
ماجه عن اسامة بن زيد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم الا مشمر للجنة فان الجنة
لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة
نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة في مقام ابد في حبرة ونضرة في دار عالية سليمة بهية
قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله ثم ذكر الجهاد وحض عليه اه من الترمذي
وقوله لا خطر لها اي لا عوض لها قوله تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا
ما بعوضة فما فوقها لما كان الجليل القدر في الشاهد لا يمتنع من الخوض في نازل القول الا الحياء من
ذلك رد الله بقوله ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة على القائلين كيف يضرب الله مثلا
بالذباب ونحوه واختلف في قوله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا هل هو من قول الكافرين
او هو خبر من الله تعالى ولا خلاف ان قوله تعالى وما يضل به الا الفاسقين من قول الله تعالى والفسق
الخروج عن الشيء يقال فسقت الفارة اذا خرجت من جحرها والرطبة اذا خرجت من قشرها والفسق
في عرف الاستعمال الشرعي الخروج عن طاعة الله عز وجل بكفر او عصيان قوله تعالى الذين ينقضون عهد
الله النقض حل ما ابرم على اوله غير مبرم والعهد في هذه الاية التقدم في الشيء والوصاة به وظاهر ما
قبل وبعد انه في جميع الكفار وكل عهد جائز بين المسلمين فنقضه لا يحل بهذه الاية والخاسر الذي نقص
نفسه حظه من الفلاح والفوز والخسران النقص كان في ميزان او غيره قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم
هو تقرير وتوبيخ اي كيف تكفرون ونعمه عليكم وقدرته وهذه والواو في قوله وكنتم واو الحال واختلف
في قوله تعالى وكنتم امواتا الاية فقال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد المعنى كنتم امواتا معدومين قبل ان

فخلقوا ادرسين كما يقال للشيء الدارس ميت ثم خلقكم واحياكم الى الدنيا احياكم ثم يميتكم
الموت المعهود ثم يحييكم للبعث يوم القيامة وهذا قول ابن عباس وقيل اولى ما قيل فيه انه هو الذي لا
يجيبه الكفار عن الاقرار به والتعجيب فيه عائد على الله تعالى اي الى ثوابه او عقابه وخلق
معناه اخترع واوجد بعد العدم وفي معناه الاعتبار ويدل عليه ما قبله وما بعده من نعم
العيش للاحياء ولا مالية ولا استواء الى السماء وتسويتهن وقوله تعالى ثم استوى الى السماء ثم هنا
لترتيب الاخبار لا لترتيب الامر في نفسه واستوى قال قوم معناه على دون تكييف ولا تحديد هذا
اختيار الطبري والتقدير على امره وقدرته وسلطانه وقال ابن كيسان معناه قصد الى السماء ع
اي بخلقه واختراعه والقاعدة في هذه الاية ونحوها منع النقلة وحلول الحوادث ويبقى استواء
القدرة والسلطان وفسواهن قيل جعلهن سواء وقيل سوى سطوحهن بالاملاس وقال الثعلبي
فسواهن اي خلقهن اه وهذه الاية تقتضي ان الارض وما فيها خلق قبل السماء وذلك صحيح ثم دحيت
الارض بعد خلق السماء وبهذا تتفق معاني الايات هذه والتي في سورة والنازعات وحم المومن قوله
تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة اذ ليست بزائدة عند الجمهور وانما هي معلقة
بفعل مقدر تقديره واذكر اذ قال واضافة رب الى محمد صلى الله عليه وسلم ومخاطبته بالكاف تشريف منه
سبحانه لنبيه واظهار لاختصاصه به والملائكة واحدها ملك واصله في ملايكة تتابع الجمع بجمع
حقيقي وقيل هو للمبالغة كعلامة
والاول اليق وجاعل في هذه الاية بمعنى خالق وقال الحسن
وقتادة جاعل بمعنى فاعل وقال ابن سابط عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الارض هنا هي مكة
لان الارض دحيت من تحتها ولانها مقر من هلك قومه من الانبياء وان قبر هود ونوح وصالح
بين المقام والركن وخليفة معناه من يخلف قال ابن عباس كانت الجن قبل بني ادم في الارض فافسدوا
وسفكوا الدماء فبعث الله اليهم قبيلا من الملائكة فقتلهم والحق الفل منهم بجزائر البحار ورؤوس الجبال
وجعل ادم وذريته خليفة وقال ابن مسعود انما معناه خليفة مني في الحكم وقوله تعالى اتجعل فيها من
يفسد فيها الاية قد علمنا قطعا ان الملائكة لا تعلم الغيب ولا تسبق بالقول فخرج على جهة المدح
ثم قال القاضي ابن الطيب معناه في بنية العموم فلا يصح هذا من الشياطين ولا ان يكون غيبهم من افساد
الخليفة نبا ومقدمة قال ابن زيد وغيره ان الله تعالى اعلمهم ان الخليفة سيكون من ذريته قوم يفسدون
ويسفكون الدماء فقالوا لذلك هذه المقالة اما على طريق التعجب من استخلاف الله من يعصيه او من
عصيان من يستخلفه الله في ارضه وينعم عليه بذلك واما على طريق الاستعظام والاكبار للفصلين
جميعا الاستخلاف والعصيان وقال احمد بن يحيى ثعلب وغيره انما كانت الملائكة قد رات وعلمت ما

كان من

كان من افساد الجن وسفكهم الدماء في الارض فجاء قولهم اتجعل فيها الاية على جهة الاستعلام
هل هذا الخليفة على طريقة من تقدم من الجن ام لا وقال احمد وقد كان الله تعالى اعلم الملائكة
انه يخلق في الارض خلقا يفسدون ويسفكون الدماء فلما قال لهم سبحانه بعد ذلك اني جاعل في الارض
خليفة قالوا ربنا اتجعل فيها الاية على جهة الاسترشاد والاستعلام هل هذا الخليفة هو الذي
كان اعلمهم به سبحانه قبل او غيره ونحو هذا في مختصر الطبري قال وقولهم اتجعل فيها ليس بانكار لفعله
عز وجل وحكمه بل استخبار هل يكون الامر هكذا وقد وجه بعضهم بانهم استعظموا الافساد وسفك
الدماء فكانهم سالوا عن وجه الحكمة في ذلك اذ علموا انه عز وجل لا يفعل الا لحكمة اه قلت والحق
ان الملائكة معصومون فلا يقع منهم ما يوجب نقصا في رتبتهم وشيء من ابتهم صلوات الله وسلامه
على جميعهم واشبع صاحب الترجمة هذا في وقولهم ونحن نسبح بحمدك الاية قال بعض المتاولين هو
على جهة الاستفهام كانهم ارادوا ونحن نسبح بحمدك ام تتغير عن هذه الحال قال ع وهذا يحسن مع
القول بالاستفهام المحض في قولهم اتجعل وقال اخرون معناه التمدح ووصف حالهم وذلك جائز
لهم كما قال يوسف عليه السلام اني حفيظ عليم وهذا يحسن مع التعجب والاستعظام لان يستخلف الله
من يعصيه في قولهم اتجعل وعلى هذا ادبهم بقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون ومعنى نسبح بحمدك ننزهك
عما لا يليق بصفاتك وقال ابن عباس وابن مسعود تسبيح الملائكة صلاتهم لله سبحانه وقال قتادة
تسبيحهم قولهم سبحان الله على عرفه في اللغة وبحمدك معناه نخلط التسبيح بالحمد ونصله به ويحتمل ان يكون
قولهم بحمدك اعتراضا بين الكلامين كانهم قالوا ونحن نسبح ونقدس وانت المحمود في الهداية الى ذلك
وفي صحيح مسلم عن ابي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باحب الكلام الى الله تعالى سبحان
الله وبحمده وفي رواية سئل صلى الله عليه وسلم اي الكلام افضل قال ما اصطفى الله لملائكته او لعباده سبحان الله
وبحمده وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان
ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهذا الحديث به ختم البخاري
رحمه الله اه ونقدس لك قال الضحاك وغيره معناه نطهر انفسنا لك ابتغاء مرضاتك وقال قوم التقديس التطهير
بلا خلاف ومنه الارض المقدسة اي المطهرة وقال اخرون ونقدس لك معناه نقدسك اي نعظمك ونطهر ذكرك
عما لا يليق به قاله مجاهد وغيره وقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون قال ابن عباس كان ابليس لعنه الله قد اعجب
بنفسه ودخله الكبر لما جعله الله خازن السماء الدنيا واعتقد ان ذلك لمزية له على الملائكة ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك وهي لا تعلم ان في نفس ابليس خلاف ذلك فقال الله سبحانه اني اعلم ما لا تعلمون يعني ما في

بعض ابليس وقال قتادة لما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها وقد علم الله ان فيمن يستخلف في الارض
انبياء وفضلاء واهل طاعة قال تعالى اني اعلم ما لا تعلمون يعني افعال الفضلاء قوله تعالى وعلم ادم
الاسماء كلها معناه عرفه وتعليمه لادم هنا عند قوم الهام علمه ضرورة وقال اخرون بل تعليم بقول اما بواسطة
ملك او بتكليم قبل هبوطه الى الارض فلا يشارك موسى عليه السلام في خاصته قلت قال الشيخ
العارف بالله عبد الله بن ابي جمرة تعليمه سبحانه لادم الاسماء كلها انما كان بالعلم بلا واسطة
لا من كتاب الذي ثبت فيه بعض احاديث البخاري وكلها النقلة عنه [illegible] واختلف المتاولون
في قوله الاسماء فقال الجمهور الامة علم التسميات وقال قوم عرض عليه الاشخاص والاول ابين ولفظة
علم تعطي ذلك واختلف الجمهور اي الاسماء علمه فقال ابن عباس وقتادة ومجاهد علمه اسم كل شيء
من المخلوقات دقيقها وجليلها وقال الطبري علمه اسماء ذريته والملائكة ورجح بقوله تعالى ثم عرضهم وقال
اكثر العلماء علمه تعالى منافع كل شيء ولما يصلح وقيل غير هذا واختلف المتاولون هل عرض على
الملائكة الاشخاص او الاسماء دون الاشخاص وانبئوني معناه اخبروني والنبأ الخبر وقال قوم
يخرج من هذا الخبر اي الامر بالانباء تكليف ما لا يطاق ويتقى بجوازه لانه تعالى علم انهم لا يعلمون
وقال المحققون من اهل السنة ليس هذا على جهة التكليف وانما هو على جهة التقرير والتوقيف وقوله
تعالى هؤلاء ظاهره حضور الاشخاص وذلك عند العرض على الملائكة وليس في هذه الاية ما يدل ان الاسم
هو المسمى كما ذهب اليه مكي والمهدوي والذي يظهر ان الله تعالى علم ادم الاسماء وعرض عليه مع ذلك
الاجناس اشخاصا ثم عرض تلك على الملائكة وسالهم عن تسمياتها التي قد تعلمها ادم ثم ان ادم قال لهم
هذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وهؤلاء مبني على الكسر وكنتم في موضع الجزم بالشرط والجواب عند سيبويه
فيما قبله وعند المبرد محذوف تقديره ان كنتم صادقين فانبئوني وقال ابن عباس وابن مسعود وناس من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى الاية ان كنتم صادقين في ان الخليفة يفسد ويسفك قلت وفي النفس
من هذا القول شيء والملائكة منزهون معصومون كما تقدم والصواب ما تقدم من التفسير عند قوله
تعالى اتجعل فيها الاية وقال اخرون ان كنتم صادقين في [illegible] استطعتم [illegible] وقال قوم معناه
ان كنتم صادقين في جواب السؤال عالمين بالاسماء وسبحانك معناه تنزيها لك وتبرئة من ان يعلم احد علمك
الا ما علمتنا والعليم معناه العالم ويزيد عليه معنى من المبالغة والتكثير في المعلومات والحكيم معناه الحاكم
وبينهما مزية المبالغة وقيل معناه المحكم وقال قوم الحكيم المانع من الفساد ومنه حكمة اللجام [illegible]
وقوله تعالى قال يا ادم انبئهم باسمائهم معناه اخبرهم والضمير في انبئهم عائد على الملائكة بالاجماع

والضمير

والضمير في باسمائهم مختلف فيه حسب الاختلاف في الاسماء التي علمها ادم قال بعض العلماء ان في
قوله تعالى فلما انباهم باسمائهم نبوة لادم عليه السلام اذ امره الله سبحانه ان ينبئ الملائكة بما ليس عندهم
من علم الله عز وجل وقوله تعالى اعلم غيب السموات والارض معناه ما غاب عنكم لان الله تعالى لا
يغيب عنه شيء والكل معلوم له واختلف في قوله تعالى ما تبدون وما كنتم تكتمون فقالت
طائفة ذلك على معنى العموم في معرفة اسرارهم وظواهرهم وبواطنهم اجمع واذ من قوله واذ قلنا
للملائكة معطوفة على اذ المتقدمة وقول الله تعالى وخطابه للملائكة متقرر قديم في الازل بشرط
وجودهم وفهمهم وهذا هو الباب كله في اوامر الله تعالى ونواهيه ومخاطبته قلت ما ذكر رحمه
الله تعالى هو عقيدة اهل السنة وهذا اثر نقلا من كلام الباجي ان شاء الله ما يشير به كلامه [illegible]
وضحه [illegible] قوله صلى الله عليه اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق [illegible] لان
كلمات الله [illegible] لان كلماته هي قوله وكلامه هو صفة من صفات ذاته يستحيل عليه النقص
وفي الحديث بيان واضح على ان كلامه عز وجل غير مخلوق اذ لا يستعاذ بمخلوق وهذا هو قول اهل السنة
والحق ان كلام اهل السنة ان كلام الشرع وجل صفة من صفات ذاته قديم غير مخلوق لان الكلام هو
المعنى القائم بالنفس والمنطوق به عبارة عنه قال الله عز وجل يقولون في انفسهم فاخبر ان القول
معنى يقوم بالنفس ونقول في نفسي كلام اريد ان اعلمك به فحقيقة الكلام هو المفهوم من كلامه واما
الذي نسمعه منه فهو عبارة عنه وكذلك كلام الله تعالى القديم الذي هو صفة من صفات ذاته وهو المفهوم
من قراءة القارئ لا نفس قراءته التي تسمعها لان نفس قراءته التي تسمعها محدثة لم تكن حتى ابتداها فكانت
وهذا كله بين لمن [illegible] الله بصيرته بلطفه من البيان وقال [illegible] كلام الله [illegible]
[illegible] قيام [illegible] التعلق [illegible] قبل ان يخلق ولو [illegible] اذا خلق ولدا [illegible]
سبحانه له على [illegible] من الطلب [illegible] الذي [illegible] وجوده الى
وقت [illegible] قيام الطلب الذي دل عليه قوله عز وجل فاخلع نعليك [illegible] موسى عليه
السلام [illegible] وجوده [illegible]
الاحياء وقوله للملائكة عموم فيهم والسجود في كلام العرب الخضوع والتذلل وغايته وضع الوجه بالارض والجمهور
على ان سجود الملائكة لادم ايماء وخضوع ولا تدفع الاية ان يكونوا بلغوا غاية السجود قوله تعالى فقعوا
له ساجدين لا دليل فيه لان الجاثي على ركبتيه واقع واختلف في حال السجود لادم [illegible] وقال
علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس ايضا كان سجود تحية كسجود ابوي يوسف له عليه السلام

لعدم السجود عبادة وقال القشيري انما كان آدم كالقبلة ومعنى لآدم الى آدم ع وهذه الوجوه كلها
كي لو امر لآدم عليه السلام وقوله تعالى الا ابليس نصب على الاستثناء المتصل لانه من الملائكة على قول الجمهور
وهو ظاهر الآية وقال ابن عباس كان ملكا على سماء الدنيا والارض واسمه عزازيل قاله ابن عباس وقال ابن
زيد والحسن هو ابو الجن كما ان آدم ابو البشر ولم يكن قط ملكا وقد روي نحوه عن ابن عباس ايضا قال واسمه
الحارث وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين كانوا في الارض وقاتلتهم الملائكة فسبوه صغيرا
وتعبد مع الملائكة وخوطب معهم وحكاه الطبري عن ابن مسعود والاستثناء على هذه الاقوال
منقطع واحتج بعض اصحاب هذا القول بان الله تعالى قال في صفة الملائكة لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون ورجح الطبري قول من قال ان ابليس كان من الملائكة وقال الشيخ في خلقه من نار وما في كتب
التسمية والتناسل فيه حين غضب عليه ما يدفع انه كان من الملائكة وقوله تعالى كان من الجن ففسق
عن امر ربه يحتمل ان يكون عمل عملهم فكان منهم في هذا او على ان الملائكة قد تسمى جنا لاستتارهم قال
الله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وقال الاعشى في ذكر سليمان عليه السلام وسخر من جن الملائك تسعة
قياما لديه يعملون بلا اجر او على ان يكون نسبه الى الجنة كما ينسب الى البصرة بصري قال عياض
ومما يذكرونه من قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى ما حكوه وما لم يتفق عليه
بل لا خلف يعرف ذلك وانه ابو الجن [illegible] من الشعراء وابليس [illegible] كان اسم اعجمي قال ابن جاج وزنه فعيل
وقال ابن عباس وغيره هو مشتق من الابلاس اذ البعد من الخير وزنه على هذا افعيل ولم ينصرف هذا القول فيه
شذوذ وقلته ومنه قوله تعالى فاذا هم مبلسون اي يائسون من الخير مبعدون عنه فيما يرون وابى
معناه امتنع من فعل ما امر به واستكبر دخل في الكبر وابى والاباية مقرونة على الاستكبار في ظهورهما عليه
والاستكبار والاباية مقرونة في معتقده وروى ابن القاسم عن مالك انه قال بلغني ان اول معصية كانت
الحسد والكبر والشح حسد ابليس آدم وتكبر وشح آدم في اكله من شجرة قد نهي عنها قلت
الخلاف الشح على آدم فيه ما لا يخفى عليك والواجب اعتقاد تنزيه الانبياء عن كل ما يحطهم من رتبتهم
وقد قال تعالى في حق آدم ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما وقوله تعالى كان من
الكافرين قالت فرقة معناه صار من الكافرين ورده ابن فورك وقال جمهور المتأولين معناه وكان من
الكافرين اي في علم الله تعالى وقال ابو العالية معناه من العاصين وذهب الطبري الى ان الله تعالى
اراد بقصة ابليس تقريع اشباهه من بني آدم وهم اليهود الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم
مع علمهم بنبوته ومع تقدم نعم الله تعالى عليهم وعلى اسلافهم قلت ولفظ الطبري في هذا

تقريع

تقريع لليهود اذ ابوا من الاسلام مع علمهم بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوراة والكتب
حسدا له ولبني اسماعيل كما امتنع ابليس من السجود حسدا لآدم وتكبرا عن الحق وقبوله فاليهود
نظراء ابليس في كبره وحسده [illegible] كما امر الله تعالى اه من مختصر الطبري لابي
عبد الله اللخمي النحوي واختلف هل كفر ابليس كان جهلا او عنادا على قولين بين اهل السنة ولا خلاف انه
كان عالما بالله قبل كفره ولا خلاف ان الله تعالى اخرج ابليس عند كفره وابعده عن الجنة وبعد اخراجه
قال لآدم اسكن وقوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة اسكن معناه لازم الاقامة ولفظه
لفظ الامر ومعناه الاذن واختلف في الجنة التي اسكنها آدم عليه السلام هل هي جنة الخلد او جنة اخرى
قلت والاول هو مذهب اهل السنة والجماعة وكلا منها اي من الجنة والرغد العيش الدار
الهني وحيث شئتما [illegible] وقوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة معناه لا تقربا بالاكل والهاء في هذه
بدل من الياء وتحتمل هذه الاشارة ان تكون الى شجرة واحدة معينة واختلف في هذه الشجرة ما هي فقال
ابن عباس وابن مسعود هي الكرم وقيل هي شجرة التين وقيل السنبلة وقيل غير ذلك وقوله فتكونا من
الظالمين الظالم في اللغة هو الذي يضع الشيء في غير موضعه والظلم في احكام الشرع على مراتب اعلاها
الشرك ثم ظلم المعاصي وهي مراتب وازلهما مأخوذ من الزلل وهو في الآية مجاز لانه في الرأي والنظر وانما حقيقته
الزلل في قدم وفي احمد فازالهما مأخوذ من الزوال ولا خلاف بين العلماء ان ابليس اللعين هو متولي اغواء
آدم عليه السلام واختلف في الكيفية فقال ابن عباس وابن مسعود وجمهور العلماء اغواهما
مشافهة بدليل قوله تعالى وقاسمهما والمقاسمة ظاهرها المشافهة وقالت طائفة ان ابليس لم يدخل
الجنة بعد ان اخرج منها وانما اغوى آدم بسلطانه ووسوسته التي اعطاه الله تعالى كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم يجري من ابن آدم مجرى الدم قلت وهذا الحديث في بعض اجوبته ومن ابتلي
بشيء من وسوسة هذا اللعين فاعظم الادوية له الاستعاذة بالله تعالى والتعوذ به ولا علاج عن هذا اللعين
وعدم الالتفات اليه ما امكن قال ابن عطاء الله في لطائف المنن كلاما فيه وساوس الوضوء وقال الشيخ
ابو العباس المرسي [illegible] ان كنت لا تكن لهذه الوسوسة لا تعرفانها فتشق ذلك عليك وقطع الله الوسوسة
عني وكان الشيخ ابو العباس المرسي يبالغ للموسوس مجانا المعنى الخلاف فان تشابه [illegible] وبات يطلق حرمه
ومات الملك على اثر بعض [illegible] قال عياض في الشفاء واما قصة آدم عليه السلام وقوله تعالى فاكلا
منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله تعالى الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه
تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى اي جهل واخطأ فان الله تعالى قد اخبر بعذره

قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال ابن عباس نسي عداوة ابليس وما عهد الله اليه
من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الآية وقيل نسي ذلك بما ظهر لهما وقال ابن عباس انما سمي الانسان
انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها وانما اغترا بحلف ابليس لهما اني لكما
لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روي عذر آدم بمثل هذا في بعض الآثار قال ابن جبير حلف
بالله لهما حتى غرهما والمومن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة
واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر وقال ابن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل
ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد
العصيان وقيل بل اكلها وهو متاول وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه تاول نهي الله تعالى عن شجرة
مخصوصة لا على الجنس ولهذا قال انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تاول ان الله تعالى لم ينهه
عنها نهي تحريم اه بلفظه في الشفا ولقد جعل الشيخ في شفائه شفاء والتحقيق في عصمتهم نعود الى الآية
وهذا محذوف يدل عليه الظاهر تقديره فاكلا من الشجرة وقوله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه قيل معناه
من نعيم الجنة الى شقاء الدنيا وقيل من رفعة المنزلة الى سفل مكابدة الدنيا قلت وفي هذا القول ما فيه
بل الصواب ما اشار اليه صاحب التنوير بان اخراج آدم لم يكن اهانة له بل ليتم سابق علمه سبحانه من ان آ
دم وجعله في الارض خليفة هو واخبار ذريته فليظهر فيها ما يحب لتبة من عباده والهبوط النزول من علو الى
اسفل واختلف من المخاطب بالهبوط فقال وغيره آدم وحواء وابليس والحية التي ادخلت ابليس
في فمها وقال الحسن آدم وحواء والوسوسة وقوله بعضكم لبعض عدو جملة في موضع الحال وقوله ولكم في الارض مستقر
اي موضع استقرار وقيل المراد الاستقرار في القبور والمتاع ما يستمتع به من اكل ولبس وحياة وانس
وغير ذلك واختلف في الحين هنا فقالت فرقة الى الموت وهذا هو قول من يقول المستقر هو المقام في الدنيا
وقالت فرقة الى حين الى يوم القيامة وهذا هو قول من يقول المستقر هو القبور والحين المدة الطويلة من الدهر
اقصرها في لسان العرب السنة قال الله تعالى توتي اكلها كل حين وقيل فيه هاهنا ستة اشهر لانه من
النخل ما يطلع ستة اشهر في قوله تعالى الى حين قلت يحتمل بان آدم عليه السلام ليعجل [illegible] ومنتقل
الى الجنة التي وعد بالرجوع اليها وهي نعيم دار الدوام دار الاقامة على المعاد وروي ان آدم نزل على جبل من جبال سرنديب
وان حواء نزلت بجدة وان الحية نزلت باصبهان وقيل بميسان وان ابليس نزل على الابلة قوله تعالى فتلقى آدم
من ربه كلمات المعنى فقبل الكلمات فتاب الله عليه عند ذلك وقرا ابن كثير فتلقى آدم بالنصب من ربه كلمات بالرفع
واختلف المتاولون في الكلمات فقال الحسن بن ابي الحسن هي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية

وقالت

وقالت طائفة ان آدم راى مكتوبا على ساق العرش محمد رسول الله فتشفع به فهي الكلمات وقيل الكلمة
[illegible] بقوله الحمد لله وقال يقول ما قاله ابواه ربنا ظلمنا انفسنا وما قاله موسى رب
اني ظلمت نفسي فاغفر لي وما قاله يونس سبحانك اني كنت من الظالمين قوله عليه معناه
راجع به والتوبة من الله تعالى الرجوع على عبده بالرحمة والتوفيق والتوبة من العبد الرجوع عن
المعصية والندم على الذنب مع تركه فيما يستانف قلت يعني مع العزم على تركه فيما يستقبل وانما خص
الله تعالى آدم بالذكر في التلقي والتوبة وحواء مشاركة له في ذلك باجماع لانه المخاطب اولا في القصة فكملت
القصة بذكره وحده وايضا فان المراة حرمة ومستورة فاراد الله الستر لها ولذلك لم يذكرها في المعصية في
قوله وعصى آدم ربه وبنية التواب للمبالغة والتكثير وفي قوله تعالى هو التواب تاكيد فائدته ان التوبة
على العبد انما هي نعمة من الله تعالى لا من العبد وحده لئلا يعجب التائب بل الواجب عليه شكر الله تعالى في توبته عليه
وكرر الامر بالهبوط لما علق بكل امر منهما حكما غير حكم الآخر فعلق بالاول العداوة وبالثاني اتيان الهدى قلت
وهذه الآية تشير الى ان هبوط آدم كان هبوط تكريم لما ينشا عنه من انواع الخير ومعرفة العباد
وجميعا حال من الضمير في اهبطوا واختلف في المقصود بهذا الخطاب فقيل آدم وحواء وابليس وذريتهم
وقيل ظاهره العموم ومعناه الخصوص في آدم وحواء لان ابليس لا ياتيه هدى والاول اصح لان ابليس مخاطب
بالايمان بالاجماع وان في قوله فاما هي الشرطية دخلت ما عليها مؤكدة ليصح دخول النون المشددة واختلف
في معنى قوله هدى فقيل بيان وارشاد والصواب اي يقول بيان ودعاء وقالت فرقة الهدى الرسل وهي
الى آدم من الملائكة والى بنيه من البشر هو عليه السلام فمن بعده وقوله تعالى فمن تبع هداي اي شرعي فهو
جوابه فلا خوف عليهم وقال سيبويه والشرط الثاني وجوابه جواب الاول قوله فاما ياتينكم مني هدى
وقوله تعالى فلا خوف عليهم يحتمل فيما بين ايديهم من الدنيا ولا هم يحزنون على ما فاتهم منها ويحتمل لا خوف
يوم القيامة ولا هم يحزنون فيه قلت وهذا هو الظاهر وعليه اقتصر في اختصار الطبري ولفظه
عن ابن زيد ولا خوف عليهم اي لا خوف عليهم امامهم قال وليس شيء اعظم في صدر من يموت مما بعد الموت فامنهم
منه ثم سلاهم عن الدنيا اه وقوله تعالى والذين كفروا الآية لما كانت لفظة الكفر يشترك فيها كفر
النعم وكفر المعاصي ونحوه بين بهذه الخلود ان الكفر هنا هو الشرك بقوله وكذبوا باياتنا والآية هنا
هنا تحتمل ان يريد بها هذه المتلوة ويحتمل ان يريد العلامات المنصوبة والمعجزة سابقا ان في الآية ما
في حالة ملازمة قوله تعالى يا بني اسرائيل الذكر والنعمة التي انعم اسرائيل هو يعقوب بن اسحاق
ابن ابراهيم عليه السلام واسرا هو بالعبرانية عبد وايل اسم الله فمعناه عبد الله والذكر في كلام العرب

على الغطاء وهذا أيضاً ذمّ للقلب الذي هو محل النسيان والنعمة هنا اسم جنس معناه الجمع قال ابن عباس
وجمهور العلماء الخطاب لجميع بني إسرائيل في مدة النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وأوفوا بعهدي أوف
بعهدكم أي جوارحه وجوارحه وهذا العهد في قول جمهور العلماء عام في جميع أوامره سبحانه ونواهيه
ووصاياه فيدخل في ذلك ذكر محمد صلى الله عليه وسلم الذي في التوراة والآية عندي تعم ما أمر به هي النصرين
واستدل الترمذي الحكيم في نوادر الأصول بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قال ربكم سبحانه لا أجمع على عبدي
خوفين ولا أجمع له أمنين فمن خافني في الدنيا أمّنته في الآخرة ومن أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة اهـ من التذكرة
للقرطبي ورواه ابن المبارك في رقائقه من طريق الحسن البصري وفيه قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أجمع
على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وإذا خافني في الدنيا أمّنته يوم القيامة
اهـ ورواه أيضاً الترمذي الحكيم في كتاب ختم الأولياء قال صاحب الحكم العطائية والحكم الحقيقية تعقب ما بين الخوف
من التعظيم والمحبة تبعث الجوارح في الطاعة والخدمة اهـ وآمنوا معناه صدّقوا ومصدّقاً نصب على الحال من الضمير
في أنزلت وما معكم يعني التوراة وقوله تعالى ولا تكونوا أول كافر به هذا من
مفهوم الخطاب الذي المذكور فيه والمسكوت عنه حكمهما واحد وحذروا البدار إلى الكفر به إذ على الأول كفل من
فعل المقتدى به ونصب أول على الحال قال ع وقد كان كفر قبلهم كفار قريش وإنما معناه من أهل الكتاب
إذ هم منظور إليهم في مثل هذا واختلف في الضمير في به فقيل يعود على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
على القرآن وقيل على التوراة واختلف في الثمن الذي نهوا أن يشتروا بالآيات فقالت طائفة
إن الأحبار كانوا يعلّمون دينهم بالأجرة فنهوا عن ذلك وفي كتبهم علّم مجاناً كما علّمت مجاناً أي باطلاً بغير أجرة
وقيل كانت للأحبار مأكلة يأكلونها على العلم وقال قوم إن الأحبار أخذوا الرشا على تغيير قصة
محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة فنهوا عن ذلك وقال قوم معنى الآية ولا تشتروا بأوامري ونواهي
وآياتي ثمناً قليلاً يعني الدنيا ومدتها والعيش الذي هو نزر لا خطر له وقد تقدم نظير قوله
فارهبون وبين اتقون وارهبون فرق فإن الرهبة مقرون بها وعيد بالغ وقوله تعالى ولا
تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق أي لا تخلطوا قال أبو العالية قالت اليهود محمد نبي مبعوث لكن إلى
غيرنا فإقرارهم ببعثه حق وقولهم إلى غيرنا باطل وتكتموا الحق أي أمر محمد صلى الله عليه وسلم وفي
هذه الألفاظ دليل على تغليظ الذنب على من واقعه على علم به وأنه أعصى من الجاهل وأنتم
تعلمون جملة في موضع الحال قال ص وتكتموا مجزوم معطوف على تلبسوا والمعنى نهي على كل فعل
من الفعلين اهـ وأقيموا الصلاة معناه أظهروا هيئتها وأديموها بشروطها وآتوا الزكاة في هذه الآية

هي

هي المفروضة وهي مأخوذة من النماء وقيل من التطهير وقوله تعالى واركعوا مع الراكعين قيل إنما خص
الركوع بالذكر لأن بني إسرائيل لم يكن في صلاتهم ركوع قلت وفي هذا القول نظر وقد قال الله تعالى
في مريم واسجدي واركعي وقالت فرقة إنما قال مع لأن الأمر بالصلاة أولاً لا يقتضي شهود الجماعة فأمرهم بقوله
مع بشهود الجماعة قلت وهذا القول هو الذي عوّل عليه ع في قصة مريم عليها السلام
والركوع والسجود لا اختصاص له بالشرع وقوله تعالى أتأمرون الناس بالبر خرج مخرج الاستفهام ومعناه
التوبيخ والبر يجمع وجوه الخير والطاعات كلها وتنسون معناه تتركون أنفسكم قال ابن عباس
كان الأحبار يأمرون أتباعهم ومقلديهم باتباع التوراة وكانوا هم يخالفونه في جحدهم منها
صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقالت فرقة كان الأحبار إذا استرشدهم أحد من العرب في اتباع محمد صلى الله
عليه وسلم دلّوه على ذلك وهم لا يفعلونه قلت وخرّج الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني في كتاب
رياضة المتعلمين قال حدثنا أبو يحيى بن خالد حدثنا الحارث بن أسامة قال قال أبو الشيخ قلت محمد بن عبد الله
ابن يعلى بن زيد عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري بي رأيت
رجالاً تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من نار فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الخطباء من أمتك
الذين يأمرون الناس وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون اهـ واستعينوا بالصبر والصلاة
قال مقاتل معناه على طلب الآخرة وقيل استعينوا بالصبر على الطاعة وعن الشهوات على نيل رضوان
الله سبحانه وبالصلاة على نيل رضوان الله وحطّ الذنوب وعلى مصائب الدهر أيضاً ومنه الحديث كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ومنه ما روي أن عبد الله بن عباس نعي إليه أخوه
قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق وصلى ثم انصرف إلى راحلته وهو يقرأ واستعينوا بالصبر
والصلاة وقال مجاهد الصبر في هذه الآية الصوم ومنه قيل لرمضان شهر الصبر وخص الصوم والصلاة
والصوم على هذا القول بالذكر لتناسبهما في أن الصيام يمنع الشهوات ويزهد في الدنيا والصلاة
تنهى عن الفحشاء والمنكر وتخشع ويقرأ فيها القرآن الذي يذكر بالآخرة وقال قوم الصبر على بابه والصلاة الدعاء
ويجيء الآية على هذا القول مشبهة لقوله تعالى إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لأن الثبات هو الصبر
وذكر الله هو الدعاء وروى ابن المبارك في رقائقه قال أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن صلة بن أشيم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يذكر فيها شيئاً من أمر الدنيا لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه
إياه وأسند ابن المبارك عن عقبة بن عامر الجهني قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من توضأ فأحسن
وضوءه ثم صلى صلاة غير ساه ولا لاه كفّر عنه ما كان قبلها من سيئة اهـ وهذان الحديثان يبينان ما جاء في

ما جاء في صحيح البخاري عن عثمان رضي الله عنه من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث
فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر اه والضمير في قوله تعالى وانها قيل يعود على الصلاة وقيل
يعود على العبادة التي تضمنها بالمعنى ذكر الصبر والصلاة قال ع والاظهر الضمير للصلاة وهو رايه
القاعدة في ان ضمير الغائب لا يعود على غير الاقرب الا بدليل اه وذكر ابو حيان وجوها اخر نحو ما تقدم وكبيرة
معناه ثقيلة شاقة والخاشعون المتواضعون والخشوع هيئة في النفس يظهر منها على الجوارح
سكون وتواضع ويظنون في هذه الاية قال الجمهور معناه يوقنون والظن في كلام العرب قاعدته الشك
مع ميل الى احد معتقديه وقد يقع موقع اليقين لكنه لا يقع فيما قد خرج الى الحس لا تقول العرب في رجل مرئي
اظن هذا انسانا وانما تجد الاستعمال فيما لم يخرج الى الحس كهذه الاية وكقوله تعالى فظنوا انهم مواقعوها
قال ص قلت وهذا ذكره ع هو معنى ما ذكره ابن جاح في معانيه من اهل العلم ان الظن يقع في معنى العلم
الذي لم تشاهده وان كان قد قام في نفسه حقيقته وهذا مذهب الا ان الظن لم يذكره قال بعض
من اهل اللغة اسماعيل ابن اسحاق القاضي رواه عن زيد بن اسلم اه والملاقاة هي للثواب او العقاب ويصح ان
تكون الملاقاة هنا بالرؤية التي عليها اهل السنة متواتر الحديث وراجعون قيل معناه
بالموت وقيل بالحشر والخروج الى الحساب والعرض ويقوي هذا القول الاية المتقدمة قوله تعالى ثم يحييكم
ثم اليه ترجعون وقوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم الاية قد تقدم هذا النداء
والتذكير بالنعمة وما يتوجه ان الخطاب لا يليق ان يكون للمؤمنين ويصح ان يكون للكافرين منهم وهذا المتجه
انما هو للكافرين لان الله امرهم وابطا فيه تقوية التوقيف ونظير الخطاب الى ارادة الله تعالى وحسن خطابهم بقوله
سبحانه واني فضلتكم على العالمين اي فضيلة ابائهم واسلافهم تفضيل لهم وفي الكلام اتساع قال قتادة وغيره
المعنى على عالم زمانهم الذي كانت فيه النبوءة المذكورة لان الله تعالى يقول لامة محمد صلى الله عليه وسلم كنتم خير امة
اخرجت للناس واتقوا يوما اي عذاب يوم او هول يوم ويصح ان يكون يوما نصبه على الظرف والمتقي معناه ما
تعيى وقال العبري هنا لا تقضي ونحوه قوله شيئا وفي الكلام حذف النفس ياتي فيه وفي تحقيق الطبري ع
اي واتقوا يوما لا تقضي نفس عن نفس شيئا ولا تغني غناء واحد الجميع قد يقضي عن قريبه دينا والمطالب سادكم فيبين
الله ان لا تقضي فيه نفس حقا لان القضاء هنالك من الحسنات والسيئات كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم
اه والشفاعة ماخوذة من الشفع وهم الاثنان لان الشافع والمشفوع له شفع وسبب هذه الاية ان بني
اسرائيل قالوا نحن ابناء انبياء الله وسيشفع لنا اباؤنا فهذا انما هو في حق الكافرين للاجماع وتواتر
الاحاديث بالشفاعة في المؤمنين وقوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل قال ابو العالية العدل الفدية قال ع عدل

الشيء

١٧

الشيء هو الذي يساويه قيمة وقدرا وان لم يكن من جنسه والعدل بكسر العين هو الشيء الذي يساوي الشيء
من جنسه وفي جرمه والضمير في قوله ولا هم ينصرون عائد على الكافرين الذين اقتضتهم الاية ويحتمل ان يعود على النفس
المتقدم ذكرها لان اثنين جمع او لان النفس للجنس وهو جمع وحصلت هذه الاية المعاني التي اعتادها بنو
ادم في الدنيا فان الواقع في شدة مع ادمي لا يتخلص الا بان يشفع له او ينصر او يفتدى قلت ولما
عليه ان الكافر ليس هو اهلا لان ينظر عليه وقوله تعالى واذ نجيناكم من ال فرعون اي خلصناكم
وال الرجل اهله وقرابته واتباعه ولا يضاف ال الى الرجل هذا التصغير الى الا وقيل اهيل وال التي تجري للابعد
واتباعه وفرعون اسم لكل ملك من ملوك العمالقة بمصر وفرعون موسى قيل اسمه مصعب بن الريان وقال
ابن اسحاق اسمه الوليد بن مصعب وروي انه كان من اهل اصطخر ورد مصر فاتفق له فيها الملك وكان الطالع
يكون بنو اسرائيل بمصر من ولد يعقوب من ابنه يوسف عليهم السلام ويسومونكم معناه ياخذونكم به
ويلزمونكم اياه والجملة في موضع نصب على الحال اي سايمين لكم سوء العذاب وسوء العذاب اشده وذبحهم
واصعبه وكان فرعون على ما روي قد راى في منامه نارا خرجت من بيت المقدس فاحرقت بيوت مصر فاولت
له رؤياه ان مولودا من بني اسرائيل ينشا يكون خراب ملكه على يديه وقال ابن اسحاق وابن عباس وغيرهما
ان الكهنة والمنجمين قالوا له ان مولودا يولد في زمانك من بني اسرائيل يخرب ملكك ويذبحون بدل من
يسومون وفي ذالكم اشارة الى جملة الامر والبلاء معناه امتحان وبلاء معناه امتحان واختبار ويكون البلاء
في الخير والشر وحكى الطبري وغيره في كيفية نجاتهم ان موسى عليه السلام اوحي اليه ان يسري من مصر
ببني اسرائيل فامرهم موسى ان يستعيروا الحلي والمتاع من القبط واحل الله ذالك لبني اسرائيل وسرى بهم
فعلوا ذالك دون راي موسى عليه السلام وهو الاشبه به فسرى بهم موسى من اول الليل فاعلم فرعون
فقال لا يتبعهم احد حتى تصيح الديكة فلم يصح تلك الليلة ديك حتى اصبحوا وامات الله تلك الليلة كثيرا
من ابناء القبط فاشتغلوا بالدفن وخرجوا بالاتباع مشرقين وذهب موسى عليه السلام الى ناحية
البحر حتى بلغه وكانت عدة بني اسرائيل نيفا على ستمائة الف وكانت عدة القبط الفا والف ومائتي الف وحكى
غير هذا مما اختصرته لقلة ثبوته فلما لحق فرعون موسى ودنا بنو اسرائيل انهم غشوا خافوا فقال يوشع
لموسى اين امرت فقال هاهنا فاشار الى البحر فركض يوشع فرسه حتى بلغ البحر ثم رجع فقال لموسى
اين امرت فوالله ما كذبت ولا كذبت فاشار الى البحر واوحى الله تعالى الى البحر ان انفلق لموسى اذا ضربه
البحر تلك الليلة يضطرب فضربه موسى البحر وكناه ابا خالد فانفلق وكان ذالك في يوم عاشوراء وقوله
تعالى واذ فرقنا بكم البحر معناه جعلناه فرقا ومعنى بكم بسببكم والبحر هو مجمع الماء

البحر عوضا من صفة الى صفة وإنما هي في موضع الى موضع آخر في صفة
واحدة وكان ذلك البحر في بقعة موضع النجاة وكما يلحق البحر ... من أيام
كثيرة بسبب الجبال وعلى جانبه وقيل انفلق البحر عن ... على اثني
عشر كما يتولد ... فلما دخلوها قالت كل طائفة غرق إخواننا
وجنوا عنها وقال موسى عليه الصلاة والسلام اللهم أعني على أخلاقهم الكزة
أوحى الله إليه أن أدر عصاك على البحر جدارها وصار في أمواجه فتوح
كالطاق يرى بعضهم بعضا وجاوزوا وجبريل في ساقتهم على ماذيانة يحث بني إسرائيل ويقول لآل فرعون
مهلا حتى يلحق آخركم أولكم وطلع فرعون الى البحر أراد الدخول فنفر فرسه فتعرض له جبريل بالرمكة
واتبعت الخيل سروج خيل آل فرعون وميكائيل يحثهم ولم يبق أحد أما ميكائيل في ساقتهم على الضفة وحرك انطبق البحر عليهم
وغرقوا وتنظرون قيل معناه بأبصاركم لقرب بعضهم من بعض وقيل ببصائركم للاعتبار لأنهم كانوا في شغل عن الوقوف
وفي أخبار القرآن على لسان النبي صلى الله عليه وسلم أمثال الغيبيات التي لم تكن علمت العرب ولا وقفت ... آية
حجة على بني إسرائيل ودليلا واضحا عند بني إسرائيل وقائم عليهم بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وموسى
اسم أعجمي قال ابن إسحق وهو موسى بن عمران بن ... بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل
صلى الله عليه وسلم وخص الليالي بالذكر في قوله سبحانه وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة إذ الليلة أقدم من
اليوم وقبله في الرتبة ولذلك وقع بها التاريخ قال النقاش وفي ذلك إشارة الى صلة الصوم لأنه لو
ذكر الأيام لأمكن أن يعتقد أنه كان يفطر بالليل فلما نص على الليالي اقتضت قوة الكلام أنه عليه
الصلاة والسلام واصل أربعين ليلة بأيامها قال ع حدثني أبي رضي الله عنه قال سمعت الشيخ الزاهد
الإمام الواعظ أبا الفضل بن الجوهري رحمه الله يعظ الناس بهذا المعنى في الخلوة بالله سبحانه والدنو
منه في الصلاة ونحوه وأن ذلك يشغل عن كل طعام وشراب ويقول أين حال موسى في القرب من الله تعالى
ووصال أربعين من قوله حين سار الى الخضر لفتاه في بعض يوم آتنا غداءنا قلت وأيضا في سائر
أن موسى لم يصبه ولم يشك ما شكاه من النصب حتى جاوز الموضع الذي وعد فيه بلقاء الخضر عليهما السلام
قال ع وكل المفسرين على أن الأربعين كلها ميعاد وقوله تعالى ثم اتخذتم العجل من بعده أي إلها والضمير في
بعده يعود على موسى وقيل على الانطلاق وقيل للتكليم إذ المواعدة تقتضيه وقصص هذه الآية أن موسى
عليه السلام لما خرج ببني إسرائيل من مصر قال لهم إن الله تعالى سينجيكم من آل فرعون وينفلكم حليهم وروي حليهم
أن استعارتهم للحلي كان بغير إذن موسى عليه السلام وهو الأشبه به ويؤيده ما في سورة طه من

قولهم

١٦ ص

قولهم لموسى ولكنا حملنا أوزارا أي أثقالا حتى أنهم أخفوه بما لا ينفعهم به شعورهم قال لهم موسى إن الله سينفل
الله عليكم ما بأيديهم للتقليل والتهميم والتهوين لها فلما جاوزوا البحر طلبوا موسى بما قال لهم من أمر الكنوز فخرج
لميعاد ربه وحده وقد أعلمهم بالأربعين ليلة فعدوا عشرين يوما بعشرين ليلة وقالوا هذه أربعون من الزمن
وقد أخلفنا الوعد وخلوا فيهم وكان السامري رجلا من بني إسرائيل يسمى موسى بن ظفر ويقال إنه ابن
خال موسى وقيل لم يكن من بني إسرائيل بل كان غريبا فيهم والأول أصح وكان قد رأى جبريل عليه وقت عبورهم
قالت طائفة أنكر هيئته فعرف أنه ملك وقالت طائفة كانت أم السامري ولدته عام الذبح فجعلته
في غار وأطبقت عليه فكان جبريل يغذيه بأصبع نفسه فيجد في أصبع لبنا وفي أصبع عسلا وفي أصبع
سمنا فلما رآه وقت جواز البحر عرفه فأخذ من تحت حافر فرسه قبضة تراب وألقي في روعه أنه لا يلقيها
على شيء ويقول كن كذا إلا كان فلما خرج موسى لميعاده قال هارون عليه السلام لبني إسرائيل إن ذلك
الحلي والمتاع الذي استعرتموه من القبط لا يحل لكم فجيئوا به حتى تأكله النار التي كانت العادة أن تنزل
على القربان وقيل بل أوقفهم فأدوا ... جميع ذلك فجعلوا يطرحون وقيل بل أمرهم أن
يضعوه في حفرة دون نار حتى يجيء موسى وروي وهو الأشبه أن الذي فعل الناس الحلي في حفرة أو نحوها
وجاء السامري فطرح القبضة وقال كن عجلا وقيل إن السامري كان أصله من قوم يعبدون البقر وكان
يعجبه ذلك وقيل بل كانت بنو إسرائيل قد مرت مع موسى على قوم يعبدون البقر قلت والذي في القرآن أن
يعكفون على أصنام لهم قيل كانت على صورة البقر فقالوا لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فوعاها
السامري وعلم أن من تلك الجهة يفتنون ففتنت بنو إسرائيل بالعجل وظلت منهم طائفة يعبدونه
فاعتزلهم هارون بمن تبعه فجاء موسى من ميعاده فغضب حسبما يأتي قصصه في مواضعه إن شاء الله
تعالى ثم أوحى الله اليه أنه لا يتوب على بني إسرائيل حتى يقتلوا أنفسهم ففعلت بنو إسرائيل ذلك
فروي أنهم لبسوا السلاح من عبد منهم ومن لم يعبد وألقى الله عليهم الظلام فقتل بعضهم بعضا فقتل
الأب ابنه والأخ أخاه فلما استحر فيهم القتل وبلغ سبعين ألفا عفا الله عنهم وجعل من مات منهم شهيدا
وتاب على البقية فذلك قوله تعالى ثم عفونا عنكم وقال بعض المفسرين وقف الذين عبدوا العجل صفا ودخل
الذين لم يعبدوه عليهم بالسلاح فقتلوهم وقالت طائفة جلس الذين عبدوا بالأفنية وخرج يوشع
ابن نون ينادي ملعون من حل حبوته وجعل الذين لم يعبدوه يقتلونهم وموسى عليه السلام في خلال
ذلك يدعو لقومه ويرغب في العفو عنهم وإنما عوقب الذين لم يعبدوا بقتل أنفسهم على أحد الأقوال
لأنهم لم يغيروا المنكر حين عبد العجل ... في موضع الحال والعفو تغطية الأثر وإذ تعدى الفعل الأول

من الرؤية ويجوز قلت ومنه الحديث فجعلت ام اسماعيل تعني ازرتها قال ع ولا يستعمل العفو بمعنى
ستر الذنب والكتاب هنا هو التوراة باجماع واختلف في الفرقان هنا فقال الزجاج
وغيره هو التوراة ايضا كرر المعنى لاختلاف اللفظ وقال اخرون الكتاب التوراة والفرقان سائر الآيات
التي اوتي موسى عليه السلام لانها فرقت بين الحق والباطل واختلف هل هي العجل منه او هي
مقالة اهل الجمهور وقال الحسن بن ابي الحسن طارت الحاه ومنه رواه الحج قلت وقوله تعالى فتوبوا الى باريكم
قال ابن عطية البارئ الخالق من برأ الله الخلق اي خلقهم والبرية فعيلة بمعنى مفعول لانه نحو مخفف
ابي عبد الله النحوي اللخمي الطبري وقوله تعالى واذ قلتم يا موسى السبعين الذين اختارهم موسى
واختلف في وقت اختيارهم فحكى اكثر المفسرين ان ذلك بعد عبادة العجل اختارهم ليستغفروا لبني اسرائيل
وحكى النقاش وغيره انه اختارهم حين خرج من البحر وطلب بالميعاد ورواه الحج وقصة السبعين
ان موسى عليه السلام لما رجع من تكليم الله تعالى ووجد العجل قد عبد قالت له طائفة ممن لم يعبد العجل
نحن لم نكفر ولا نحن اعداؤك ولا اسمعنا كلام ربك فاوحى الله اليه ان اختر منهم سبعين فلم يجد الا ستين
فاوحى الله اليه ان اختر من الشباب عشرة ففعل فاصبحوا شيوخا وكان قد اختار ستة من كل سبط
فزادوا اثنين على السبعين فتشاحوا فيمن يتاخر فاوحى الله اليه ان من تاخر له اجر من مضى فتاخر يوشع
ابن نون وكالوب بن يوفنا وذهب موسى عليه السلام بالسبعين بعد ان امرهم ان يتجنبوا النساء
ثلاثا ويغتسلوا في اليوم الثالث واستخلف هارون على قومه ومضى حتى اتى الجبل فالقي عليهم
الغمام قال النقاش غشيتهم سحابة وحيل بينهم وبين موسى بالنور فوقعوا سجودا قال السدي وغيره
وسمعوا كلام الله يامر وينهى ولم يطيقوا سماعه واختلطت اذهانهم ورغبوا ان يكون موسى يسمع
ويعيده لهم ففعل فلما فرغوا وخرجوا بدلت طائفة منهم ما سمعوا من كلام الله تعالى فذلك قوله تعالى وقد كان
فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه واضطرب ايمانهم وامتحنهم الله تعالى بذلك فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة ولم يطلبوا من الرؤية محالا اما انه عند اهل السنة ممتنع في الدنيا من طريق السمع فاخذتهم
حينئذ الصاعقة فاحترقوا وماتوا موت همود يعتبر به الغير وقال قتادة ماتوا وذهبت ارواحهم ثم ردوا
لاستيفاء آجالهم فحين حصلوا في ذلك الهمود جعل موسى يناشد ربه فيهم ويقول اي رب كيف ارجع الى بني
اسرائيل دونهم فيهلكون ولا يؤمنون بي ابدا وقد خرجوا وهم الاخيار وقال ع يعني وهم بحال الخير وقت
الخروج وقال قوم بل ظن موسى ان السبعين انما عوقبوا بسبب عبادة العجل فذلك قوله اتهلكنا بما فعل السفهاء
بما فعل السفهاء منا يعني عبدة العجل وقال ابن فورك يحتمل ان تكون معاقبة السبعين لاخراجهم طلب الرؤية

عظي بقوم

عن طيبة بقولهم لموسى ارنا وليس في الطلب مفقود موسى عليه السلام قال ع ومن قال ان السبعين سمعوا ما سمع موسى
فقد اخطا واذهب فضيلة موسى واختصاصه بالتكليم وجهرة مصدر في موضع الحال والجهر العلانية ومنه الجهر ضد
السر وجهر الرجل دام كشفه وفي مختصر الطبري عن ابن عباس جهرة قال علانية وعن الربيع جهرة عيانا اه وقوله
تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون واجاب الله تعالى فيهم رغبة موسى عليه السلام واحياهم من ذلك الهمود
او الموت ليستوفوا آجالهم وتاب عليهم والبعث هنا الاثارة ولعلكم تشكرون اي على هذه النعمة
والترجي انما هو في حق البشر وذكر المفسرون في تظليل الغمام ان بني اسرائيل لما كان من امرهم ما كان من القتل
وبقي منهم من بقي حصلوا في فحص التيه بين مصر والشام فامروا بقتال الجبارين فعصوا وقالوا اذهب انت وربك فقاتلا
فدعا موسى عليهم فعوقبوا بالبقاء في ذلك الفحص اربعين سنة يتيهون في مقدار خمسة فراسخ او ستة روي انهم
كانوا يمشون النهار كله وينزلون للمبيت فيصبحون حيث كانوا بكرة امس فندم موسى على دعائه عليهم
فقيل له لا تاس على القوم الفاسقين وروي انهم كانوا باجمعهم في فحص التيه ونشأ بنوهم على الطاعة فهم
الذين خرجوا من فحص التيه وقاتلوا الجبارين واذ كان جميعهم في فحص التيه قالوا لموسى من لنا بالطعام فانزل الله
تعالى عليهم المن والسلوى وقالوا من لنا من حر الشمس فظلل الله عليهم الغمام وقالوا بم نستصبح بالليل
فضرب لهم عمود نور في وسط محلتهم وذكر مكي عمود نار قالوا من لنا بالماء فامر موسى بضرب الحجر قالوا من لنا
باللباس فاعطوا ان لا يبلى لهم ثوب ولا يخلق ولا يدرن وان تنمو صغارها حسب نمو الصبيان والمن صمغة حلوة
هذا قول مجاهد وقيل هو عسل وقيل شراب حلو وقيل الذي ينزل اليوم على الشجر وروي ان المن كان ينزل عليهم
من طلوع الفجر الى طلوع الشمس كالثلج فياخذ منه الرجل ما يكفيه ليومه فان ادخر فسد عليه الا في يوم الجمعة
فانهم كانوا يدخرون الى يوم السبت فلا يفسد عليهم لان يوم الجمعة يوم عبادة والسلوى طير باجماع
المفسرين فقيل هو السماني وقيل طائر مثل السماني وقيل طير مثل الحمام تحشره عليهم الجنوب ص قال ع وغلط
الهذلي في اطلاقه السلوى على العسل حيث قال · وقاسمها بالله جهدا لانتم · الذ من السلوى اذا ما نشورها
قلت قد نقل صاحب المختصر انه يطلق على العسل لغة فلا وجه لتغليطه مع ان اجماع المفسرين لا يمنع من
اطلاقه لغة بمعنى آخر في غير هذه الآية اه وقوله تعالى كلوا معناه فقلنا كلوا فحذف اختصارا لدلالة
الظاهر عليه والطيبات جمعت الحلال واللذائذ ص وما ظلمونا قدر ع قبل هذه الجملة محذوفا اي فعصوا
وما ظلمونا وقدره غيره فظلموا وما ظلمونا ولا حاجة الى ذلك لان ما تقدم عنهم من القبائح يغني عنه اه قلت
وقال ابو حيان لا حاجة الى هذا التقدير لانه قد صرح بالمحذوف في الكلام الفصيح هذا اذا شاء بل من دليل
في اللفظ بل عليه دلالة فيحتمل ذلك في الحذف الوضوح فاما تقدير ما لا دليل عليه فانه لا يجوز وقوله تعالى واذ قلنا

ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد
المحسنين فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا
يفسقون وإذ استسقى موسى لقومه الآية في المدونة [illegible] بن الطيب [illegible] تفرقوا اي اجتمعت ومنه في بيت
الماء في الحوض اي جمعته والاشارة بهذه الى بيت المقدس في قول الجمهور وقيل الى [illegible] وهي قرية من
بيت المقدس قال يحيى بن شبه كانت فاسقة ومسكوها ولما خرج ذرية بني اسرائيل من التيه امروا بدخول القرية
السلام الذين والرجال الشيوخ فماتوا فيه وروي ان موسى وهارون عليهما السلام ماتا في التيه وحكى الزجاج
عن بعضهم انهما لم يكونا في التيه لانه عذاب والاكثر قلت ظاهر قوله فافرق بيننا وبين القوم
الفاسقين يقوي ما حكاه الزجاج وهذا قاله [illegible] اه وكلوا اباحة وتقدم معنى الرغد وهي ادنى
مباركة عظيمة الغلة [illegible] قال رغدا والباب قال مجاهد هو باب في مدينة بيت المقدس يعرف اليوم بباب
حطة وسجدا قال ابن عباس معناه ركعا وقيل متواضعين خضوعا والسجود يعم هذا كله وحطة فعلة
من حط يحط ورفعه على خبر ابتداء كأنهم قالوا حطة لذنوبنا قال عكرمة وغيره امروا ان يقولوا لا اله الا الله
لتحط بها ذنوبهم وقال ابن عباس قيل لهم استغفروا او قولوا ما يحط ذنوبكم قلت قال احمد بن نصر
الداودي في تفسيره وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اصحابه في سفر فقال قولوا نستغفر الله ونتوب اليه
فقالوا ذلك فقال والله انها الحطة التي عرضت على بني اسرائيل فلم يقولوها اه وحكى عن ابن مسعود وغيره انهم
امروا بالسجود وان يقولوا حطة فدخلوا يزحفون على استاههم ويقولون حنطة حبة حمراء في شعرة
عنى هذا اي سالفها وقوله تعالى وسنزيد المحسنين عدة ان اغفر الخطايا بالاولى وقوله زيد بعفوه الى
محسن وكان من [illegible] بل من دخل كما امروا وقال الله [illegible] فبدل هو المراد بالمحسن هنا وقوله تعالى فبدل
الذين ظلموا قولا الآية روي انهم [illegible] والباب دخلوا من قبل ادبارهم القهقرى او في الحديث انهم دخلوا يزحفون
على استاههم وبدلوا فقالوا حبة في شعرة وقيل قالوا حنطة حبة حمراء في شعرة وقيل شعيرة وحكى الطبري
انهم قالوا [illegible] وتعبيره [illegible] وفي اختصار الطبري عن مجاهد قال امر موسى قومه ان يدخلوا الباب
سجدا ويقولوا حطة وطوطئ لهم الباب ليسجدوا فلم يسجدوا ودخلوا على ادبارهم وقالوا حنطة وذكر الله تعالى بعد السلام
تنبيها على انه [illegible] محمد صلى الله عليه وسلم جار على [illegible] سلفهم في خلافهم عن نبيهم واستهزائهم بهم واستهزائهم
بامور نبيهم اه والرجز العذاب قال ابن زيد وغيره بعث الله على الذين بدلوا الطاعون فذهب منهم سبعون الفا
وقال ابن عباس امات الله منهم في ساعة واحدة نيفا على عشرين الفا واستسقى معناه طلب السقي
وهي في استفعل طلب الشيء وقد جاء في غير ذلك كقوله تعالى واستغنى الله وكان هذا الاستسقاء

في فحص

في فحص التيه فامر الله بضرب الحجر [illegible] منه وكان الحجر من جبل الطور على قدر راس
رجل [illegible] وضع في وسط محلتهم وفي [illegible] موسى وذكر انهم لم يكونوا يحملون الحجر لكنهم كانوا يجدونه في كل
مرحلة في منزلته من المرحلة الاولى وهذا اعظم في الآية [illegible] فانه كان حجرا مربعا منفصلا تطرد من كل
جهة منه ثلاث عيون اذا ضربه موسى واذا استغنوا عن الماء ورحلوا جفت العيون وفي الكلام حذف تقديره
فضربه فانفجرت والانفجار انصداع شيء عن شيء ومنه الفجر والانفجار في الماء اقل من الانبجاس والاناس اسم جمع
لا واحد له ومعناه هنا كل سبط لان الاسباط في بني اسرائيل كالقبائل في العرب وهم ذرية الاثني عشر
اولاد يعقوب عليه السلام وقوله سبحانه وتعالى كلوا واشربوا من رزق الله الآية قلت روينا من طريق
انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليرضى عن العبد ان ياكل الاكلة فيحمده عليها او يشرب الشربة
فيحمده عليها رواه مسلم والترمذي والنسائي والمشرب موضع الشرب وكان لكل سبط عين من تلك العيون
لا يتعداها ولا تعثوا معناه لا تفسدوا [illegible] ومفسدين حال مؤكدة لان لا تعثوا معناه لا تفسدوا وقوله
تعالى واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد الآية كان هذا القول منهم في التيه حين ملوا المن والسلوى وتذكروا
عيشهم الاول بمصر قال ابن عباس واكثر المفسرين الفوم الحنطة وقال قتادة وعطاء الفوم جميع الحبوب التي
يمكن ان تختبز وقال الضحاك الفوم الثوم وهي قراءة عبد الله بن مسعود وروي ذلك عن ابن عباس والثاء تبدل من
الفاء كما قالوا مغافير ومغاثير قلت قال احمد بن نصر الداودي وهذا القول اشبه لذكر معه اي مع
العدس والبصل اه وادنى قال علي بن سليمان ادنى [illegible] يعني [illegible] خفف
همزه وقال غيره مأخوذ من الدنو اي القرب [illegible] ومعنى الآية اتستبدلون البقل والقثاء والفوم
والعدس والبصل التي هي ادنى بالمن والسلوى الذي هو خير وجمهور الناس يقرؤون مصرا بالتنوين قال مجاهد وغيره
اراد مصرا من الامصار غير معين واستدلوا بما اقتضاه القرآن من امرهم بدخول القرية وبما تظاهرت به الروايات
انهم سكنوا الشام بعد التيه وقالت طائفة اراد مصر فرعون بعينه واستدلوا بما في القرآن ان الله اورث
بني اسرائيل ديار آل فرعون [illegible] قال [illegible] الطبري وعلى ان المراد مصر التي خرجوا منها والمعنى ان
الذي تطلبونه كان في البلد الذي كان فيه عذابكم واستعبادكم وامركم [illegible] فرجعوا من [illegible]
[illegible] وقوله تعالى فان لكم ما سألتم يقتضي انه وكلهم الى انفسهم وضربت عليهم الذلة والمسكنة
معناه الزموها [illegible] قالته العرب ضربة لازب وباءوا بغضب معناه مروا متحملين له قال الطبري باءوا به اي رجعوا
به واحتملوه [illegible] اه وقوله تعالى ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين
يعني بغير الحق [illegible] وقوله تعالى بغير الحق تعظيم للشنعة والذنب ولم يخرج [illegible]

قلنا وانما التسليط عليهم بالقتل لكي ازدادتهم وزيادة لهم في منازلهم طوارق الشهداء وسلامة عليهم كمثل من قتل
في سبيل الله من المؤمنين والعابدين بما جاء الشيبة ويعتدون معناه يتجاوزون الحدود وقوله تعالى ان الذين امنوا
والذين هادوا والنصارى والصابئين الاية اختلفوا في المراد في هذه الاية فقالت فرقة الذين امنوا هم المؤمنون
حقا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله من امن بالله يكون فيهم بمعنى من ثبت ودام وفي سائر الفرق يعني
من دخل فيهم وقال السدي هم اهل الحنيفية ممن لم يلحق محمدا صلى الله عليه وسلم والذين هادوا ومن عطف
عليهم كذلك ممن لم يلحق محمدا صلى الله عليه وسلم والذين هادوا هم اليهود وسموا بذلك لقولهم هدنا اليك اي تبنا
اليك والنصارى لعيسى مشتقة من النصر قال ع والصابئين في الاكثر بالهمز من صبأ النجم والسن اذا خرج
اي خرجوا من دين مشهور الى غيره وقرأ نافع بغير همز فيحتمل ان يكون من المهموز المسهل فيكون بمعنى الاول
ويحتمل ان يكون من صبا غير مهموز اي مال ومنه الى هند صبا قلبي وهند مثلها يصبي اه قال ع
والصابئ في اللغة من خرج من دين الى دين واما المشار اليهم في قوله تعالى والصابئين فقال السدي هم
فرقة من اهل الكتاب وقال مجاهد هم قوم بين المجوس واليهود وقال ابن جريج هم قوم تركب دينهم من اليهودية والمجوسية
وقال ابن زيد هم قوم يقولون لا اله الا الله وليس لهم عمل ولا كتاب كانوا بجزيرة الموصل وقال الحسن بن ابي الحسن
وقتادة هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون الخمس الى القبلة ويقرؤن الزبور رآهم زياد بن ابي سفيان
فاراد وضع الجزية عنهم حتى اخبر انهم يعبدون الملائكة وقوله تعالى ورفعنا فوقكم الطور الاية الطور
اسم الجبل الذي نوجي موسى عليه السلام عليه قاله ابن عباس وقال مجاهد وغيره الطور اسم لكل جبل وقصة
هذه الاية ان موسى عليه السلام لما جاء الى بني اسرائيل من عند الله بالالواح فيها التوراة قال لهم
خذوها والتزموها فقالوا لا الا ان يكلمنا الله تعالى بها كما كلمك فصعقوا ثم احيوا فقال لهم خذوها فقالوا
لا فامر الله الملائكة فاقتلعت جبلا من جبال فلسطين طوله فرسخ في مثله وكذلك كان عسكرهم فجعل
عليهم مثل الظلة واخرج الله تعالى البحر من ورائهم واضرم نارا من بين ايديهم فاحاط بهم غضبه وقيل لهم خذوها
وعليكم الميثاق ولا تضيعوها والا سقط عليكم الجبل واغرقكم البحر واحرقتكم النار فسجدوا توبة لله سبحانه
واخذوا التوراة بالميثاق قال الطبري عن بعض العلماء لو اخذوها اول مرة لم يكن عليهم ميثاق وكانت سجدتهم
على شق لانهم كانوا يرقبون الجبل خوفا فلما رحمهم الله قالوا لا سجدة افضل من سجدة تقبلها الله ورحمهم بها فامروا
سجودهم على شق واحد قال ع والذي لا يصح سواه ان الله تعالى اخترع وقت سجودهم الايمان في قلوبهم
لا انهم امنوا كرها وقلوبهم غير مطمئنة قال وقد اختصرت ما ورد في قصص هذه الاية وقصدت ايضا الذي
تقتضيه الفاظ الاية وخلط بعض الناس صيغة هذه القصة بقصة الشعيرة ونحوه قال ابن عباس

بعد اجتهاده

بعد اجتهاده وقال ابن زيد معناه بعصيان وتحقيق واذكروا ما فيه اي تدبروه واحفظوا اوامره
ووعيده ولا تنسوه ولا تضيعوه وقوله تعالى ثم توليتم الاية التولي اصله الاعراض والادبار بالبدن
بالجسم ثم استعمل في الاعراض عن الامور والاديان والمعتقدات اتساعا ومجازا وتوليهم من بعد ذلك انما
بالمعاصي فكان فضل الله بالتوبة والامهال اليها وان كان توليهم بالكفر فلم يعاجلهم سبحانه وتعالى بالاهلاك
ليكون من ذريتهم من يؤمن وقوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت الاية معناه عرفتم والسبت
ماخوذ من السبوت الذي هو الراحة والدعة واما من السبت وهو القطع لان الاشياء فيه قد سبتت
وتمت خلقتها وقصة اعتدائهم فيه ان الله عز وجل امر موسى عليه بيوم الجمعة وعرفه فضله كما امر به سائر
الانبياء عليهم الصلاة والسلام فذكر موسى لبني اسرائيل عن الله عز وجل وامرهم بالتشرع فيه فابوا
وتعدوه الى يوم السبت فاوحى الله الى موسى ان دعهم وما اختاروا من ذلك وامتحنهم فيه فامرهم بترك
العمل فيه وحرم عليهم صيد الحيتان وشدد عليهم المحنة بان كانت الحيتان تاتي يوم السبت حتى تخرج الى
الافنية قاله الحسن بن ابي الحسن وقيل حتى تخرج خراطيمها من الماء وذلك اما بالهام من الله تعالى او بامر لا يعلل
واما بان الهمها معنى الامنة التي في اليوم مع تكرره حتى فهم كما فهم حمام مكة الامنة وكان امر بني اسرائيل بايلة
على البحر فاذا ذهب السبت ذهبت الحيتان فلم تظهر الى السبت الاخر فبقوا على ذلك زمانا حتى اشتهوا الحوت
فعمد رجل يوم السبت فربط حوتا بخزمة وضرب له وتدا بالساحل فلما ذهب السبت جاء واخذه فسمع قوم
بفعله فصنعوا مثل ما صنع وقيل بل حفر رجل في غير السبت حفيرا يخرج اليه البحر فاذا كان يوم السبت
خرج الحوت وحصل في الحفير فاذا جزر البحر ذهب الماء من طريق الحفير وبقي الحوت فجاء بعد السبت فاخذه
ففعل قوم مثل فعله وكثر ذلك حتى صادوه يوم السبت علانية وباعوه في الاسواق فكان هذا
من اعظم الاعتداء وكانت من بني اسرائيل فرقة نهت عن ذلك فنجت من العقوبة وكانت منهم فرقة لم تعص
ولم تنه فقيل نجت مع الناهين وقيل هلكت مع العاصين و كونوا قردة لفظه امر وهو امر التكوين كقوله تعالى
لكل شيء كن فيكون قال ابن الحاجب في مختصره الكبير المسمى منتهى الاصول صيغة افعل وما في معناها قد
صح اطلاقها بازاء خمسة عشر محلا الوجوب اقم الصلاة والندب فكاتبوهم والارشاد واستشهدوا
شهيدين والاباحة فاصطادوا والتاديب كل مما يليك والامتنان كلوا مما رزقكم الله والاكرام ادخلوها
بسلام والتهديد اعملوا ما شئتم والانذار تمتعوا والتسخير كونوا قردة والاهانة كونوا حجارة
والتسوية فاصبروا او لا تصبروا والدعاء اغفر لنا والتمني الا انجلي وكمال القدرة كن فيكون اه وزاد غيره كونوا
للتعجيز اي صيغة افعل قال ابن الحاجب وقد اتفقوا على انها مجاز فيما عدا الوجوب اه وخلاف سبعة معان

معجزة لداود عليه السلام حتى ينقلب الكلب والمطي وداخسا وروي في قصصهم ان الله تعالى مسخ العاصين قردة
في الليل فاصبح الناجون الى مساجدهم ومجتمعاتهم فلم يروا احدا من الهالكين فقالوا ان للناس لشأنا ففتحوا
عليهم الابواب لانها كانت مغلقة بالليل فوجدوهم قردة الرجال والنساء وقيل ان الناجين كانوا قد قسموا بينهم وبين
العاصين لئلا يختلطوا بهم فلما اصبحوا لم تفتح مدينة الهالكين فتسوروا عليهم الجدار فاذا هم قردة يثب
بعضهم على بعض وروي عنه صلى الله عليه وسلم وثبت ان الممسوخ لا تنسل ولا تاكل ولا تشرب ولا تعيش اكثر من
ثلاثة ووقع في كتاب مسلم عنه صلى الله عليه وسلم ان امة من الامم فقدت وارها الفار ونظر هذا ان الممسوخ
تنسل واذا كان اراد هذا فهو ظن منه صلى الله عليه في امر لم يدخل في التبليغ ثم اوحى الله بعد ذلك الى الممسوخ
لا تنسل ونظير ما قلناه نزوله صلى الله عليه وسلم على مياه بدر وامره بالطلاح ثم تركه النخل فقال صلى الله عليه وسلم
اذا اخبرتكم عن الله فهو كما اخبرتكم واذا اخبرتكم برأيي في امور الدنيا فانما انا بشر مثلكم والضمير في جعلناها
يحتمل عوده على المسخة والعقوبة ويحتمل الامة التي مسخت ويحتمل القردة ويحتمل على الحيتان اذ معنى
الكلام يقتضيها والنكال الزجر بالعقاب وما بين يديها قال السدي ما بين يدي المسخة ما قبلها من ذنوب
القوم وما خلفها لمن يذنب بعدها مثل تلك الذنوب وقال غيره ما بين يديها من حضرها من الناجين وما خلفها
اي من يجي بعدها وقال ابن عباس بين يديها وما خلفها من القرى وموعظة من الاتعاظ والازدجار
والمتقين معناه الذين نهوا ونجوا وقالت فرقة معناه لامة محمد صلى الله عليه وسلم واللفظ يعم كل متق من كل
امة وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة المراد تذكيرهم بنقض سلفهم للميثاق وسبب
هذه القصة على ما روي ان رجلا من بني اسرائيل اسن وكان له مال فاستبطأ ابن اخيه موته وقيل اخوه
وقيل ابنا عمه وقيل ورثة غير معينين فقتله ليرثه والقاه في سبط اخر غير سبطه ليأخذ ديته
ويلطخهم بدمه وقيل كانت بنو اسرائيل في قريتين متجاورتين فالقاه الى باب احدى القريتين وهي التي لم يقتل
فيها ثم جعل يطلبه هو وسبطه حتى وجد قتيلا فتعلق بالسبط او بسكان المدينة التي وجد القتيل عندها
فانكروا قتله فوقع بين بني اسرائيل في ذلك لحاء حتى دخلوا في السلاح فقال اهل النهى منهم انقتتل
ورسول الله معنا فذهبوا الى موسى عليه السلام فقصوا عليه القصة وسألوه البيان فاوحى الله تعالى
اليه ان يذبحوا بقرة فيضرب القتيل ببعضها فيحيى ويخبر بقاتله فقال لهم ان الله تعالى يامركم ان تذبحوا بقرة
فكان جوابهم ان قالوا اتتخذنا هزؤا وهذا القول منهم ظاهر فساد اعتقاد من قاله ولا يصح ايمان من يقول
لنبي اتى بآية قد ظهرت معجزته وقال ان الله يامركم بكذا اتتخذنا هزؤا ولو قال ذلك اليوم احد عن بعض اقوال النبي صلى
الله عليه وسلم لوجب تكفيره وذهب قوم الى ان ذلك منهم على جهة غلظ الطبع والجفاء وقول موسى عليه السلام

اعوذ بالله

اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين يحتمل معنيين احدهما الاستعاذة من الجهل اي يحمي عن الله تعالى مستهزئا
والاخر من الجهل كما جهلوا في قولهم وقوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي هذا تعنيت وقلة طواعية ولو
امتثلوا الامر واستعرضوا بقرة فذبحوها لقضوا ما امروا به ولكن شددوا فشدد الله عليهم قاله ابن عباس
وغيره والفارض المسنة الهرمة والبكر من البقر التي لم تلد من الصغر ورفع عوان على خبر مبتدا مضمر
تقديره هي عوان والعوان هي التي ولدت مرة بعد مرة قال ع قال الجوهري والعوان النصف في سنها من
كل شيء والجمع عون اه قلت قال الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن حسين العراقي في نظم غريب القرآن
جمع ابي حيان
معنى عوان نصف بين الصغر • وبين ما قد بلغت سن الكبر
وكلما تعلقت على العلية منصوصا بل اجوزته هاذه وقوله فافعلوا ما تؤمرون تجديد للامر وتاكيد وتنبيه
على ترك التعنت فما تركوه قال ابن زيد وجمهور الناس في قوله صفراء انها كانت كلها صفراء وفي قصص الطبري
فاقع لونها اي صافي لونها والفقوع مختص بالصفرة كما خص احمر بقانئ واسود بحالك وابيض بناصع
واخضر بناضر قال ابن عباس وغيره الصفرة تسر النفس وسألوا بعد ذلك كله عما هي سؤال متحيرين قد احسوا
مقت المعصية وفي استثنائهم في هذا السؤال الاخير انابة ما وانقياد ودليل ندم وحرص على موافقة
الامر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لو ما استثنوا ما اهتدوا اليها ابدا وقوله تعالى لا ذلول تثير الارض
ولا تسقي الحرث اي غير مذللة بالعمل والرياضة وتثير الارض معناه بالحرث وهي عند جماعة في موضع رفع
على صفة البقرة اي لا ذلول مثيرة وقال قوم تثير فعل مستانف والمعنى ايجاب الحرث وانها كانت تحرث ولا تسقي
ومسلمة بناء مبالغة من السلامة قال ابن عباس وغيره معناه من العيوب وقال مجاهد معناه من
الشية والالوان وقيل من العمل لا شية فيها اي لا خلاف في لونها هي صفراء كلها قاله ابن زيد وغيره والموشي
المختلط الالوان ومنه وشي الثوب تزيينه بالالوان والثور الاشيه الذي فيه بلقة يقال فرس ابلق وكبش
اخرج وتيس ابرق وكلب ابقع وثور اشيه كل ذلك بمعنى البلقة وهذه الاوصاف في البقرة سببها انهم شددوا
فشدد الله عليهم ودين الله يسر والتعمق في سؤال الانبياء مذموم وقصة وجود هذه البقرة على ما
روي ان رجلا من بني اسرائيل ولد له ابن وكانت له عجلة فارسلها في غيضة وقال اللهم اني استودعك
هذه العجلة لهذا الصبي ومات الرجل فلما كبر الصبي قالت له امه ان اباك كان قد استودع الله لك عجلة
فاذهب فخذها فلما رأته البقرة جاءت اليه حتى اخذ بقرنيها وكانت مستوحشة فجعل يقودها نحو امه
فلقيه بنو اسرائيل ووجدوا بقرته على الصفة التي امروا بها وحين البقرة فساوموا صاحبها
فاشتط عليهم فاتوا به موسى عليه السلام وقالوا ان هذا اشتط علينا فقال لهم ارضوه في ملكه فاشتروها

منه يومئذ من قاله عبيدة السلماني وقيل يومئذ مرتين وقيل يومئذ عشرين مرة وقال مجاهد كلما نفى جلد
بني آدم واخذت منه جلد وجلود دنانير الآن مبني على الفتح معناه هذا الوقت وهو عبارة عن ما بين الماضي
والمستقبل وجئت بالحق معناه عندهم جعلتم عما بينت لنا غاية البيان بهذه الآية تعطي أي الذي لا حل
في البقر وإن لم يكن أرض أو قوله تعالى وما كادوا يفعلون عبارة عن تشددهم في ذبحها وقلة مبادرتهم إلى أمر
الله تعالى وقال محمد بن كعب القرظي كان ذلك منهم لغلاء البقرة وقيل كان ذلك منهم خوف الفضيحة في أمر القاتل
وإذ قتلتم معناه تواقفتم قتل القتيل وفيها أي في النفس وقوله تعالى اضربوه ببعضها آية من الله تعالى
على يد موسى عليه السلام أن أمرهم أن يضربوا ببعض البقرة القتيل فيحيى ويخبر بقاتله فقيل ضرب وقيل ضربوا
فحيي كما في ابن عباس وذكر أن أمر القتيل وقع قبل جواز البحر وأنهم داموا في طلب البقرة أربعين سنة وقوله
تعالى كذلك يحيي الله الموتى الآية في هذه الآية خطاب للعرب ودلالة على البعث في الآخرة وظاهرها
أنها خطاب لبني إسرائيل حكي لمحمد صلى الله عليه وسلم ليعتبر به إلى يوم القيامة وذهب الطبري
إلى أنها خطاب لمعاصري النبي صلى الله عليه وسلم وأنه مقطوع من قوله اضربوه ببعضها وروي أن
هذا القتيل لما حيي أخبر بقاتله عاد ميتا كما كان أولا وقوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك الآية
أي صلبت وجفت وهي عبارة عن خلوها من الإنابة والإذعان لآيات الله تعالى قال قتادة وغيره
المراد قلوب بني إسرائيل جميعا في معاصيهم وما ركبوه بعد ذلك وأولى أن يكون هنا المشار إليه بعض
الأول وقيل للأمة وقيل للإسلام وقيل غير ذلك وقوله تعالى وإن من الحجارة الآية معذرة للحجارة
وتفضيل لها على قلوبهم قال قتادة عذر الله تعالى الحجارة ولم يعذر شقي بني آدم قلت وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أربعة من الشقاء جمود العين وقساوة القلب وطول الأمل والحرص
على الدنيا اه من الكوكب الدري لأبي العباس أحمد بن سعد قال الغزالي في المنهاج واعلم أن أول الذنب قسوة
والحرص والعياذ بالله شؤم وشقوة وسواد القلب يكون من الذنب وعلامة سواد القلب أن لا تجد للذنوب
مفزعا ولا للطاعة موقعا ولا للموعظة منجعا اه وقيل في هبوط الحجارة تفيؤ ظلالها وقيل إن الله
تعالى يخلق في بعض الأحجار خشية وحياة يهبطها من علو تواضعا وقال مجاهد ما تردى حجر من رأس جبل
ولا تفجر نهر من حجر ولا خرج ماء منه إلا من خشية الله عز وجل نزل بذلك القرآن وقال مثله ابن جريج وقوله
تعالى أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق الآية الخطاب للمؤمنين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أن الأنصار
كان لهم حرص على إسلام اليهود للحلف والجوار الذي كان بينهم ومعنى هذا الخطاب التقرير على أمر فيه بعد
إذ سلف لأسلاف هؤلاء أفاعيل سوء وهؤلاء على ذلك ماضون فالرجاء لإيمانهم من حالة إلى حالة وذهب

ابن عباس

ابن عباس أن تحريفهم وتبديلهم إنما هو بالتأويل ولفظ التوراة باق وذهب جماعة من العلماء إلى أنهم بدلوا ألفاظا
من تلقائهم وأن ذلك ممكن في التوراة لأنهم استحفظوها وغير ممكن في القرآن لأن الله ضمن حفظه وعن ابن إسحاق
أن المراد بالفريق هنا الطائفة من السبعين الذين سمعوا كلام الله تعالى مع موسى وهو من مختصر الطبري وهذا احتجاج
إلى سند صحيح وقوله تعالى وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية المعنى وهم إذا لقوا يفعلون هذا فكيف يطمع
في إيمانهم ويحتمل أن يكون هذا الكلام مستأنفا فيه كشف سرائرهم وورد في التفسير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخلن
علينا قصبة المدينة إلا مؤمن فقال كعب بن الأشرف وأشباهه اذهبوا وتجسسوا أخبار من آمن بمحمد وقولوا لهم
آمنا واكفروا إذا رجعتم فنزلت هذه الآية وقال ابن عباس نزلت في المنافقين من اليهود وروي عنه أيضا أنها نزلت
في قوم من اليهود قالوا لبعض المؤمنين نحن نؤمن أنه نبي ولكن ليس إلينا وإنما هو إليكم خاصة فلما خلوا قال بعضهم
لم تقرون بنبوته وقال أبو العالية وقتادة إن بعض اليهود تكلم بما في التوراة من صفة النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لهم كفرة الأحبار أتحدثونهم بما فتح الله عليكم أي عرفكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فيحاجوكم من الحجة وعند
ربكم معناه في الآخرة وقوله تعالى أفلا تعقلون قيل هو من قول الأحبار للأتباع وقيل هو خطاب من الله تعالى
للمؤمنين أي أفلا تعقلون أن بني إسرائيل لا يؤمنون وهم بهذه الأحوال وأميون هنا عبارة عن عامة اليهود
وجهلتهم أي أنهم لا يطمع في إيمانهم لما غمرهم من الضلال والأمي في اللغة الذي لا يكتب ولا يقرأ في كتاب نسب إلى الأم
إما لأنه بحال أمه من عدم الكتب لا بحال أبيه إذ النساء ليس من مشتغلات الكتب قاله الطبري وإما لأنه بحال
ولدته أمه فيه لم ينتقل عنه والكتاب في التوراة ولا بمعنى جمع أمنية واختلف في معنى أماني فقالت
طائفة هي هنا من تمنى الرجل إذا ترجى معناه أن منهم من لا يكتب ولا يقرأ وإنما يقول بظنه شيئا سمعه فيتمنى
أنه من الكتاب وقال آخرون هي من تمنى إذا تلا ومنه قول الشاعر: تمنى كتاب الله أول ليله . وآخره لاقى حمام المقادر
معنى الآية أنهم لا يعلمون الكتاب إلا سماع شيء يتلى لا علم لهم بصحته وقال الطبري هي من تمنى الرجل إذا حدث بحديث
مختلق كذب أي لا يعلمون الكتاب إلا سماع أشياء مختلقة من أحبارهم يظنون أنها من الكتاب ص وإنهم إلا
يظنون أن نافية بمعنى ما اه وقوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله
الآية قال الخليل الويل شدة الشر ك هو مصدر لا فعل له ويجمع على ويلات والأحسن فيه إذا انفصل الرفع لأنه
يقتضي الوقوع ويصح النصب على معنى الدعاء أي ألزمه الله ويلا وويل وويح وويس تتقارب في المعنى وفرق بينها
قوم وروى سفيان وعطاء بن يسار أن الويل في هذه الآية واد يجري بفناء جهنم من صديد أهل النار وروى أبو سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه واد في جهنم بين جبلين يهوي فيه الهاوي أربعين خريفا وروى عثمان بن عفان
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه جبل من جبال النار والذين يكتبون هم الأحبار والرؤساء وبأيديهم قال ابن السراج

هي كناية عن ما يفعله من تلقائهم دون ان ينزل عليهم والذي بدلوه هو صفة النبي صلى الله عليه وسلم ليستمر لهم رياستهم ومكا
سبهم وذكر المشرك انهم كانوا يكتبون كتبا بايديهم فيها صفة النبي صلى الله عليه وسلم ويبيعونها من سائر العرب ويثبتونها
في ايديهم ويقولون هي من عند الله والثمن قيل عرض الدنيا وقيل الرشا والماكل التي كانت لهم ويكسبون معناه من
المعاصي وقيل من المال الذي تضمنه ذكر الثمن وقوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة الاية روي ان ابن
وغيره ان سببها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لليهود من اهل النار فقالوا نحن ثم تخلفونا انتم فقال لهم كذبتم قد
علمتم انا لا نخلفكم فنزلت هذه الاية قال اهل التفسير العهد في هذه الاية الميثاق والموعد وبلى رد بعد النفي
بمعنى لا يخلد بعد الا جزاء وقال ابن عطية السيئة هنا الشرك لقوله تعالى ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار
والخطيئات كبائر الذنوب قال الحسن ابن ابي الحسن والسدي كل ما توعد الله عليه بالنار فهي الخطيئة المحيطة والخلود
في هذه الاية على الاطلاق والتابيد في الكافر ومستعار بمعنى الطول في العصاة وان ثم انقطاع قال محمد بن عبد الله
اللخمي في مختصره للطبري اجمعت الامة على تخليد من مات كافرا وتظاهرت الروايات الصحيحة عن النبي صلى الله عليه
وسلم والسلف الصالح بان عصاة اهل التوحيد لا يخلدون في النار وتظاهرت الاخبار بان الله تعالى لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اي من خاف على نفسه ودمه اجتنب كل ما جاء فيه الوعيد ولم يتجاسر على المعاصي
اتكالا على ما يرى لنفسه من التوحيد فقد كان السلف وخيار هذه الامة يخافون سلب الايمان عن انفسهم ويخافون
النفاق عليها وقد نطق الحديث بالحض على ذلك باختياره وقوله تعالى والذين امنوا الاية يدل هذا التقسيم على ان
قوله سبحانه من كسب سيئة الاية في الكافر لا في العصاة ويدل على ذلك ايضا قوله واحاطت لان العاصي
مؤمن فلم تحط به خطيئاته ويدل على ذلك ايضا ان الرد كان على كفار ادعوا ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة
فهم المراد بالخلود والله اعلم وقوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل الاية اخذ الله سبحانه الميثاق عليهم
على لسان موسى عليه السلام وغيره من انبيائهم واخذ الميثاق قول فالمعنى قلنا لهم لا تعبدون الا الله الاية
قال سيبويه لا تعبدون متعلق بقسم المعنى واذ استحلفناهم والله لا تعبدون الا الله ووصى الاحسان الى الابوين
بر الوالدين تحلق والعقوق في بني ادم فعله وفي البهائم فعله الام وقال صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد بلوغ والمسكين
الذي لا شيء له وقيل هو الذي له بلغة والاية تتضمن الرافة باليتامى وحيطة اموالهم والحض على الصدقة
والمساواة وتفقد المساكين وقوله تعالى وقولوا للناس حسنا امر عطفا على ما تضمنه لا تعبدون الا الله وما
بعده وقرا حمزة والكسائي حسنا بفتح الحاء والسين قال الاخفش وهما بمعنى واحد وقال الزجاج وغيره بل المعنى
في القراءة الثانية وقولوا للناس قولا حسنا بفتح الحاء والسين وقراءة حسن بضم الحاء وسكون السين لا ولى
قال ابن عباس معنى الكلام قولوا للناس لا اله الا الله ومروهم بها وقال ابن جريج قولوا لهم حسنا في الاعلام

لا يكتم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقال سفيان الثوري معناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقال ابو
العالية قولوا لهم الطيب من القول وجازوهم باحسن ما تحبون ان تجازوا به وهذا كله حض على مكارم
الاخلاق وزكاتهم هي التي كانوا يضعونها وتنزل النار على ما تقبل منها دون ما لم يتقبل وقوله تعالى ثم
توليتم الاية خطاب لمعاصري النبي صلى الله عليه وسلم اسند اليهم تولي اسلافهم اذ هم كلهم بتلك السبيل
قال نحوه ابن عباس وغيره والمراد بالقليل المستثنى جميع مؤمنيهم قديما من اسلافهم وحديثا كابن سلام وغيره
والقلة على هذا هي في عدد الاشخاص ويحتمل ان تكون القلة في الايمان والاول اقوى ص منصوب على الاستثناء
وهو الافصح لانه استثناء من موجب وروي عن ابي عمرو الا قليل بالرفع ووجهه ع على بدل قليل من ضمير توليتم
على ان معنى توليتم النفي اي لم يف بالميثاق الا قليل ورده بعض النحويين لان البدل من الموجب لان البدل لا يصح
الا حيث يصح العامل فلو قلت قام الا زيد لم يجز لان الا لا تدخل في الموجب وقد رد بانه لا يعتبر بالنفي بل في كل موجب باعتبار نفي
ضده او نقيضه فيجوز اذا قام القوم الا زيد لان قام في معنى لم يجلسوا الا زيد فيرد على ذلك كله مع وانما اجازوا
قام القوم الا زيد بالرفع على الصفة وقد نص سيبويه على ان الا بابه كلا دماءكم جمع دم وهو اسم
منقوص اصله دمي وقوله ولا تخرجون انفسكم من دياركم معناه ولا يخرج بعضكم بعضا بالفتنة والبغي وكذلك
حكم كل جماعة تخاطب بذلك اللفظ في القول وقوله تعالى ثم اقررتم اي خلفا بعد سلف ان هذا الميثاق اخذ عليكم
وقوله وانتم تشهدون قيل الخطاب يراد به من سلف منهم والمعنى وانتم شهود اي حضور اخذ الميثاق وقال فريق
المراد من كان بعصر محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وانتم تشهدون اي بينة ان الميثاق اخذ على اسلافكم فمن بعدهم
منكم وقوله تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم الاية هؤلاء دال على ان المخاطبة للحاضرين لا تحتمل ردا الى
الاسلاف قيل تقدير الكلام يا هؤلاء فحذف حرف النداء ولا يحسن حذفه عند سيبويه مع المبهمات وقال الاستاذ
الاجل ابو الحسن ابن احمد شيخنا هؤلاء رفع بالابتداء وانتم خبر مقدم وتقتلون حال بها تم المعنى وهي المقصود ص
قال الشيخ ابو حيان ما نقله ع عن شيخه ابي الحسن ابن الباذش من جعله هؤلاء مبتدا وانتم خبر مقدم لا ادري
ما العلة في ذلك والوجه في عدوله عن جعل انتم مبتدا وهؤلاء الخبر الى عكسه قلت قيل العلة في ذلك دخول
ها التنبيه عليه اختصت باول الكلام ويدل على ذلك قولهم ها انا ذا اما بينا ولم يقولوا انا هاذا فاينما
قال الشيخ ابن هشام فعلى هذا المثال التقدير نصب على الحال وهذه الاية خطاب لقريظة والنضير وبني
قينقاع وذلك ان النضير وقريظة حالفت الاوس وبني قينقاع حالفت الخزرج فكانوا اذا وقعت الحرب
بين بني قيلة ذهبت كل طائفة من بني اسرائيل مع احلافها فقتل بعضهم بعضا واخرج بعضهم بعضا من ديارهم
وكانوا مع ذلك يفدي بعضهم اسرى بعض بناء على حكم التوراة وهم قد خالفوها بالقتال والاخراج

والديار جماعة الإقامة وقال الخليل محلة القوم ديارهم ومعنى تظاهرون عليهم تتعاونون والعدوان تجاوز الحدود
والظلم وفي قراءة حمزة أسرى تفدوهم وأسارى جمع أسير مأخوذ من الإسار وهو الشد ثم كثر استعماله حتى لزم
وإن لم يكن ثم ربط والأسير والأسرى فعيل بمعنى مفعول وتفادوهم معناه في اللغة تطلقوهم بعد أن تأخذوا عنهم
شيئا وقال الثعلبي يقال فدى إذا أعطى مالا وأخذ رجلا وفادى إذا أعطى رجلا وأخذ رجلا فتفدوهم معناه بالمال
وتفادوهم أي مفاداة أسير بأسير قلت وفي الحديث من قول ابن عباس رضي الله تعالى عنه لما يفيد
نفيس وغيلا ونكاحهم كان في بيتهم وقوله تعالى أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض الآية والذي
آمنوا به فداء الأسارى والذي كفروا به قتل بعضهم بعضا وإخراجهم من ديارهم وهذا توبيخ لهم وبيان لقبح أفعالهم
والخزي الفضيحة والعقوبة فقيل هو ما يحل بهم من الجزية عليهم غابر الدهر وقيل قتل قريظة وإجلاء النضير
وقيل الخزي الذي توعد به الأمة من الناس هو عليه العذاب والدنيا مأخوذة من دنا يدنو وأصل الدنيا
دنوى ولو ... أبدلت فيها ياء والضعفاء وأشد العذاب الخلود في جهنم وقوله تعالى وما الله بغافل
عما تعملون قرأ نافع وابن كثير بياء على ذكر الغائب والخطاب بالآية لأمة محمد صلى الله عليه وسلم والآية واعظة
لهم بالمعنى إذ الله تعالى بالمرصاد لكل كافر وعاص وفي القراءة فوق تبياء على الخطاب لمن تقدم ذكره في الآية قبل هذا وهو
قوله أفتؤمنون ببعض الكتاب وهو الأظهر ويحتمل أن يكون لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فقد روي أن عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه قال إن بني إسرائيل قد مضوا وأنتم الذين تعنون بهذا يا أمة محمد يريد هذا وما يجري مجراه وقوله
تعالى أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة الآية جعل الله تعالى ترك الآخرة وأخذ الدنيا عوضا عنها مع
قدرتهم على التمسك بالآخرة بمنزلة من أخذها ثم باعها بالدنيا فلا يخفف عنهم العذاب في الآخرة ولا هم ينصرون
لا في الدنيا ولا في الآخرة ص ولقد آتينا موسى الكتاب اللام في لقد يحتمل أن تكون توكيدا ويحتمل أن تكون جوابا
قسم وموسى هو المفعول الأول والكتاب الثاني وعكس السهيلي و مريم معناه بالسريانية الخادم وسميت
به أم عيسى فصار علما عليها ع والكتاب التوراة و قفينا مأخوذ من القفا تقول قفيت فلانا بفلان إذا
جئت به من قبل قفاه ومنه قفا يقفو إذا تبع وكل رسول جاء بعد موسى إنما جاء بإثبات التوراة والأمر
بلزومها إلى عيسى عليه السلام و البينات الحجج التي أعطاها الله عيسى وقيل هي آياته من إحياء وإبراء
وخلق طير وقيل هي الإنجيل والآية تعم ذلك و أيدناه معناه قويناه والأيد القوة قال ابن عباس روح
القدس هو الاسم الذي كان يحيي به الموتى وقال ابن زيد هو الإنجيل كما سمى الله تعالى القرآن روحا
وقال السدي و الضحاك والربيع وقتادة روح القدس جبريل عليه السلام وهو الصواب وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم لحسان اهجهم وروح القدس معك ومرة قال وجبريل معك وكلما ظرف

والعامل

والعامل فيه استكبرتم وظاهر الكلام الاستفهام ومعناه التوبيخ وروي أن بني إسرائيل كانوا يقتلون
في اليوم ثلاثمائة نبي ثم تقوم سوقهم آخر النهار وروي سبعين نبيا ثم تقوم سوق بقلهم آخر النهار والهوى
أكثر ما يستعمل فيما ليس بحق وهو في هذه الآية من ذلك لأنهم إنما كانوا يهوون الشهوات
ومعنى قلوبنا غلف عليها غشاوة فهي لا تفقه قاله ابن عباس ثم بين تعالى سبب نفورهم عن
الإيمان إنما هو أنهم لعنوا بما تقدم من كفرهم واجترائهم وهذا هو الجزاء على الذنب بذنب أعظم
منه واللعن الإبعاد والطرد وقليلا نعت لمصدر محذوف تقديره فإيمانا قليلا ما يؤمنون والضمير في
يؤمنون لمعاصري محمد صلى الله عليه وسلم وما في قوله ما يؤمنون زائدة مؤكدة قوله تعالى ولما جاءهم كتاب
من عند الله مصدق الآية الكتاب القرآن ومصدق لما معهم يعني التوراة ويستفتحون معناه أن بني
إسرائيل كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قد علموا خروجه بما عندهم من صفته وذكر
وقته وظنوا أنه منهم فكانوا إذا حاربوا الأوس والخزرج فغلبتهم العرب قالوا لهم لو قد خرج النبي الذي
أظل وقته لقاتلناكم معه واستنصرنا عليكم به ويستفتحون معناه يستنصرون قال أحمد بن يحيى الأزهري ومنه
عسى الله أن يأتي بالفتح أي بالنصر اهـ وروى أبو بكر محمد بن حسن الآجري عن ابن عباس قال كانت يهود خيبر
تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت يهود فعاذت اليهود يوما بالدعاء فقالوا اللهم إنا نسألك بحق محمد
النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء
فهزموا غطفان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا به فأنزل الله عز وجل وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا أي بك يا محمد الاستفتاح الاستنصار ووقع ليهود المدينة نحو هذا إلا أنه قيل
للإسلام ... قال ... عثمان بن عبد الله الذي هو في المعنى ما بين الفطان وهو كثير بغير حد النبي
بمعجزه أنه النبي صلى الله عليه وسلم وإرادة نبوته وروي أن قريظة والنضير وجميع يهود الحجاز في الزمن
الأول كانوا يستفتحون على سائر العرب وبسبب خروج النبي المنتظر كانت نقلتهم إلى الحجاز وسكناهم
به فإنهم كانوا علموا موضع المبعث وما عرفوا هو محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وبعثه من هذه الآية
العناد منهم وإن كفرهم كان مع معرفة ومعاندة و لعنة الله إبعاده لهم وخزيهم لذلك و بئسما
وبئس ... فيه حتى كتبت إلى الدنيا و ما عند سيبويه فاعلة بئس والتقدير بئس الذي اشتروا
به أنفسهم و أن يكفروا بالمعنى فاعوا و ما أنزل الله يعني به القرآن ويحتمل التوراة ويحتمل أن يراد الجميع من توراة
وإنجيل وقرآن أي أن ينزل الله بالبعث أي يستسلم الكفر بالكفر ومن فضله يعني من النبوة والرسالة ومن
يشاء يعني به محمدا صلى الله عليه وسلم لأنهم حسدوه لما لم يكن منهم وكان من العرب ويدخل في المعنى عيسى عليه

السلام كانوا كافرين به بغيا والله فبغضب على غضب وباءوا معناه مضوا متحملين لذلك اي انهم باءوا به وقال البخاري
قال قتادة باءوا معناه انقلبوا وقوله غضب على غضب معناه من الله تعالى لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم على غضب متقدم
من الله تعالى عليهم قيل لعبادتهم العجل وقيل لكفرهم بعيسى عليه السلام فالمعنى على غضب قد باء به اسلافهم
حظ هؤلاء منه وافر بسبب رضاهم بتلك الافعال وتصويبهم لها ومهين ماخوذ من الهوان وهو الخلود
في النار لان من لا يخلد من عصاة المؤمنين انما عذابه كعذاب الذي يقام عليه الحد لا هوان فيه بل هو تطهير له
وقوله تعالى واذا قيل لهم يعني اليهود امنوا بما انزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم وهو القرآن قالوا نؤمن
بما انزل علينا يعنون التوراة ويكفرون بما وراءه قال قتادة اي بما بعده قال الفراء اي بما سواه ويعني به القرآن
ووصف تعالى القرآن بانه الحق ومصدقا حال مؤكدة عند سيبويه وقوله تعالى قل فلم تقتلون انبياء الله
من قبل ان كنتم مؤمنين رد من الله تعالى عليهم وتكذيب لهم في ذلك واحتجاج عليهم قوله تعالى ولقد جاءكم موسى
بالبينات سائر الايات التوراة والعصا وفرق البحر وسائر الايات وخذوا ما اتيناكم يعني التوراة
[illegible] بقوة اي بعزم ونشاط وجد وقوله واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل والمعنى جعلت قلوبهم تشربه
وهذا تشبيه ومجاز عبارة عن تمكن امر العجل في قلوبهم وقوله تعالى بكفرهم يحتمل ان تكون باء السبب
ويحتمل ان تكون بمعنى مع وقوله تعالى قل بئسما يامركم به ايمانكم سائر امر محمد صلى الله عليه وسلم ان يوبخهم
انه ليس هذا سائر الانبياء الذين قتلتموهم وامركم به ايمانكم الذي زعمتم في قولكم نؤمن بما انزل علينا وقوله تعالى
قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة امر محمد صلى الله عليه وسلم ان يوبخهم والمعنى ان كان لكم نعيمها
وحظوتها وخيرها فذلك يقتضي حرصكم على الوصول اليها فتمنوا الموت والدار اسم كان وخالصة خبرها
ومن دون الناس يحتمل ان يراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه ويحتمل ان يراد العموم وهذه اية
بينة اعطاها الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لان اليهود قالت نحن ابناء الله واحباؤه وشبه ذلك
من القول فامر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يدعوهم الى تمني الموت وان يعلمهم انه من تمناه
منهم مات ففعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فعلموا صدقه فاحجموا عن تمنيه فرقا من الله تعالى لقبح اعمالهم
ومعرفتهم بكفرهم وحرصا منهم على الحياة وقيل ان الله تعالى منعهم من التمني وقصرهم على الامساك عنه لتظهر الاية
لنبيه صلى الله عليه وسلم قلت قال عياض ومن الوجوه البينة في اعجاز القرآن اي وردت بتعجيز
قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله تعالى لليهود قل ان كانت لكم
الدار الاخرة عند الله خالصة الاية قال ابو اسحاق الزجاج في هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة
الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه
وسلم

وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم
انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله تعالى نبيه بذلك يقوم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود
مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم انتهى من الشفا والمراد بقوله فتمنوا اريدوه بقلوبكم واسالوه هذا قول جماعة
من المفسرين وقال ابن عباس المراد به السؤال فقط وان لم يكن بالقلب ثم اخبر تعالى عنهم بعجزهم وانهم لا يتمنونه
ابدا واضاف ذنوبهم واجرامهم الى اليدين اذ الاكثر من كسب العبد الخير والشر انما هو باليدين فحمل جميع
الاشياء على ذلك وقوله تعالى والله عليم بالظالمين ظاهرها الخبر ومضمنها الوعيد لان الله سبحانه عليم
بالظالمين وغيرهم ففائدة تخصيصهم حصول الوعيد وقوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حياة
الاية وحرصهم على الحياة لمعرفتهم بذنوبهم وان لا خير لهم عند الله تعالى وقوله تعالى ومن الذين اشركوا قيل
المعنى واحرص من الذين اشركوا لان مشركي العرب لا يعرفون الا هذه الحياة الدنيا والضمير في احدهم
يعود في هذا القول على اليهود وقيل ان الكلام تم في حياة ثم استؤنف الاخبار عن طائفة من المشركين انهم
يود احدهم لو يعمر الف سنة والف هي حقيقة لا تعداد والتكثير وفي قوله تعالى والله بصير بما يعملون
وعيد وقوله تعالى قل من كان عدوا لجبريل الاية اجمع اهل التفسير ان اليهود قالت جبريل عدونا واختلف
في كيفية ذلك فقيل ان يهود فدك قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نسالك عن اربعة اشياء فان عرفتها
اتبعناك فسالوه عما حرم اسرائيل على نفسه فقال لحوم الابل والبانها وسالوه عن الشبه في الولد فقال اي
ماء علا كان له الشبه وسالوه عن نومه فقال تنام عيني ولا ينام قلبي وسالوه عمن يجيئه من الملائكة فقال
جبريل فلما ذكره قالوا ذاك عدونا لانه ملك الحرب والشدائد والجدب ولو كان الذي يجيئك ميكائيل ملك
الرحمة والخصب والامطار لاتبعناك وفي جبريل لغات جبريل بكسر الجيم والراء من غير همز وبها
قرا نافع وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز وبها قرا ابن كثير وروي عنه انه قال رايت النبي
صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقرا جبريل وميكائيل فلا ازال اقرؤها ابدا كذلك قلت والله اعلم مع اعتماده
على روايته قال الثعلبي والطبري المشهور عن ابن كثير ما تقدم من فتح الجيم كما حكي عنه في الرؤيا
كذا رايته وذكر ابن عباس ان جبر وميكا واسراف هي كلها بالاعجمية بمعنى عبد ومملوك وايل اسم الله
وقوله تعالى فانه نزله على قلبك الضمير في انه عائد على الله تعالى وفي نزله عائد على جبريل اي بالقرآن
وسائر الوحي وقيل الضمير في انه عائد على جبريل وفي نزله عائد على القرآن وخص القلب بالذكر لانه
موضع العقل والعلم وتلقي المعارف وباذن الله معناه بعلمه وتمكينه اياه من هذه المنزلة ومصدقا
حال من ضمير القرآن في نزله وما بين يديه ما تقدم من كتب الله تعالى وهدى اي ارشاد وقوله تعالى

من كان عدوا لله الآية وعدوه ثم لمعاداتهم جبريل واعلم ان عداوة البعض تقتضي عداوة الله تعالى لهم
وعطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقد كان الملائكة عمهما تشريفا لهما وقيل خصا لان اليهود ذكروهما ونزلت
الآية بسببهم فذكر الجليلان لئلا تقول اليهود انا لم نعاد الله وجميع ملائكته وعداوة العبد لله هي معصيته وترك
طاعته ومعاداة الله للعبد تعذيبه واظهار اثر العداوة عليه قوله تعالى او كلما عاهدوا عهدا الآية قال
سيبويه الواو للعطف دخلت عليها الف الاستفهام والنبذ الطرح ومنه المنبوذ والعهد الذي نبذوه هو ما اخذ
عليهم من امر النبي محمد صلى الله عليه وسلم ولما جاءهم رسول من عند الله هو محمد صلى الله عليه وسلم ومصدق نعت
لرسول وكتاب الله القرآن وقيل التوراة لان مخالفتها نبذ لها وراء ظهورهم مثل لان ما يجعل ظهريا
فقد زال النظر اليه جملة والعرب تقول جعل هذا الامر وراء ظهره ودبر اذنه وكانهم لا يعلمون تشبيه
بمن لا يعلم فيجيء من اللفظ انهم كفروا على علم وقوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين الآية يعني اليهود وتتلوا
قال عطاء معناه تقرأ وقال ابن عباس تتلوا تتبع وعلى ملك سليمان اي على عصر ملك سليمان وقال الطبري
اتبعوا بمعنى فضلوا وعلى ملك سليمان اي على شرعه ونبوته والذي تتلوه الشياطين قيل انهم كانوا يلقون
الى الكهنة الكلمة من الحق معها المائة من الباطل حتى صار ذلك علمهم فجمعه سليمان ودفنه تحت كرسيه
فلما مات اخرجته الشياطين وقالت ان ذلك كان علم سليمان وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر
سليمان عليه السلام في الانبياء قال بعض اليهود انظروا الى محمد يذكر سليمان في الانبياء وما كان الا ساحرا
وقوله تعالى وما كفر سليمان تبرئة من الله تعالى لسليمان عليه السلام والسحر العمل به كفر ويقتل
الساحر عند مالك كفرا ولا يستتاب كالزنديق وقال الشافعي يسأل عن سحره فان كان كفرا استتيب منه
فان تاب والا قتل وقال مالك فيمن يعقد الرجال عن النساء يعاقب ولا يقتل والناس المعلوم اتباع الشياطين
من بني اسرائيل وما انزل على الملكين ما عطف على السحر فهي مفعولة وهذا على القول بان الله تعالى انزل السحر
على الملكين فتنة للناس ليكفر من اتبعه ويؤمن به من تركه او على قول مجاهد وغيره ان الله تعالى انزل على الملكين الشيء
الذي يفرق به بين المرء وزوجه دون السحر وعلى القول ان الله تعالى انزل السحر عليهما ليعلم على جهة التحذير منه
والنهي عنه قال ابن عطية والتعليم على هذا القول انما هو تعريف يسير وقيل ان ما عطف على ما في قوله
ما تتلوا وقيل ما نافية رد على قوله وما كفر سليمان وذلك ان اليهود قالوا ان الله تعالى انزل جبريل وميكائيل
بالسحر فنفى الله ذلك قلت قال عياض والقول انه نفي اللائق من الملكين شاذ وجاء فيهم من ساري وهاروت
وماروت بدل من الملكين وما يذكر في قصتهما مع انه هيئة كله ضعيف وكذلك قال ابن ع قلت قال عياض
واما ما ذكره اهل الاخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت وما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهم

في خبرهما

في خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وليس هو شيئا يؤخذ بقياس والذي يؤخذ منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه وانكر بعضهم قول
كثير من السلف وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نص الله عليه اول الآيات قلت وقوله
تعالى وما يعلمان الآية ذكر ابن العربي في انوار الفجر قوله ان يعلمان بمعنى يعلمان ويشعران قال كعب بن زهير
تعلم رسول الله انك مدركي وان وعيدا منك كالاخذ باليدين وحمل هذه الآية على ان الملكين لا يعلمان
بالسحر وينهيان عنه وقال الجمهور بل التعليم على بابه وقوله تعالى من احد من هنا زائدة مع المفعول
لتاكيد الشيخ اذ الجنس ان احد من الناس يتبعهم او يعوي معناه في فتنة محنة وقيل معناه
يؤخذ من الرجل عن المراة حتى لا يقدر على وطئها جمع اليه في فتنة وباذن الله معناه بعلمه وتمكينه ويعني انهم
معناه في الآخرة والضمير في علموا عائد على بني اسرائيل وقال الشيخ لما انهم كانوا يعلمون ان من عاش
يعلموا واخلاق النصيب والحظ وهو هنا بمعنى الجاه والعذر واللام في قوله لمن اشتراه للقسم المؤذنة بان الكلام
قسم لا شيء له ص وليس ما يوكن جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف ابدا السحر او الكفر والضمير في
به عائد على السحر او الكفر له ونشي ومعناه باعوا والضمير في يعلمون عائد على بني اسرائيل اتفاقا ولو انهم
امنوا يعني اليهود الشيء والسحر وجواب لو لمثوبة والمثوبة عند الجمهور بمعنى الثواب وقوله تعالى لو كانوا
يعلمون يحتمل نفي العلم عنهم ويحتمل لو كانوا يعلمون علما ينفع وفي جمهور الناس راعنا من المراعاة
بمعنى فاعلنا اي ارعنا نرعك وفي هذا رجيا اي تخاطب بها رجلا وقد حظر الله تعالى خطابه التوقير
عيره ونعزيره ونوقيره وقالت طائفة في لغة العرب وكانت اليهود تصرفها الى الرعونة يظهرون
انهم يريدون المراعاة ويبطنون انهم يريدون الرعونة التي هي الجهل فنهى الله المؤمنين عن هذا
القول سدا للذريعة لئلا تتطرق منه اليهود الى المحظور وانظرنا معناه انتظرنا وامهل علينا
ويحتمل ان يكون المعنى تفقدنا من النظر والظاهر عندي استدعاء نظر العين المقترن بتدبر الحال وهي لابد
تعالى في هذه الآية واسمعوا خطاب على السمع الذي في ضمنه الطاعة واعلم ان لمن خالف امره فكيفر عذاب اليم
وهو الموتم واسمعوا معطوف على قولوا لا على معمولها وقوله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب
الآية بيننا والفضل دالة كل خير والرحمة في هذه الآية عامة لجميع انواعها وقال قوم الرحمة
النبوة قوله تعالى ما ننسخ من آية او ننسها الآية النسخ في كلام العرب على وجهين احدهما النقل
كنقل كتاب من آخر وهذا الامر لا مدخل له في هذه الآية وورد في كتاب الله تعالى في قوله تعالى انا
كنا نستنسخ ما كنتم تعملون الثاني الازالة وهو الذي في هذه الآية وهو منقسم في اللغة

عاصي بين اهل هما يثبته ان سنة بعد المنسوخ كقولهم نسخت الشمس الظل و… ثابت كقولهم نسخت الريح الاثر
… وورده الشرع في الشرع حسب هاذين المعنيين وعن القفال عند حذاق اهل السنة الخطاب الدال
على رفع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا مع تراخيه عنه **قلت** قال ابن الحاجب
النسخ لغة الازالة وفي الاصطلاح رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر … من مختصره الكبير
والنسخ جائز على الله تعالى عقلا لانه لا يلزم عليه محال ولا تغيير صفة من صفاته تعالى وليست الاوامر
متعلقة بالارادة فيلزم من النسخ ان الارادة تغيرت ولا النسخ لطرو علم بل الله تعالى يعلم الى اي وقت
ينتهي امره بالحكم الاول ويعلم نسخه له بالثاني والبداء لا يجوز على الله تعالى لانه لا يكون الا لعلم او لتغيير
ارادة وذلك محال في جهة الله تعالى وجعلت اليهود النسخ والبداء واحدا فلم يجوزوه فضلوا والمنسوخ
عند ائمتنا الحكم الثابت نفسه لا مثله كما تقول المعتزلة من انه مثل الحكم الثابت فيما يستقبل
والذي قادهم الى ذلك مذهبهم في ان الاوامر مرادة وان الحسن صفة نفسية للحسن ومراد الله تعالى حسن
وقد قامت الادلة على ان الاوامر لا تتعلق بالارادة وعلى ان الحسن والقبح في الاحكام انما هو من
جهة الشرع لا بصفة نفسية والتخصيص من العموم يوهم انه نسخ وليس به لان المخصص لم يتناوله العموم
قط ولو تناوله العموم لكان نسخا والنسخ لا يجوز في الاخبار وانما هو مختص بالاوامر والنواهي ورد بعض
المعتزلة … … قال الله معناه واجب عليكم ان تفعلوا كذا فهذا خبر والجواب ان يقال
ان في ضمن المعنى الا ان انسخه عنكم … … لفظ الامر … الاخبار وكذلك … هاذا الاستثناء
وصور النسخ تختلف فقد ينسخ الاثقل الى الاخف وبالعكس وقد ينسخ المثل بمثله ثقلا وخفة وقد ينسخ
الشيء الى بدل وقد تنسخ التلاوة دون الحكم وبالعكس والتلاوة والحكم … جائز ولنسخ احدهما
دون الاخر وينسخ القرآن … وينسخ خبر الواحد … وهاذه الاحكام متفق عليها وحذاق
الائمة على ان القرآن ينسخ بالسنة وذلك موجود في قوله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث وهاذا
كما هي مسائل … **قلت** وتعبير بالسنة انما ينسخ القرآن بالمجمع المتواتر القطعي وقد اشار
الى ان هاذا الحديث متواتر ذكره … في قوله تعالى اذا حضر احدكم الموت **واختلف**
القراء في قراءة قوله تعالى او ننسها فقرأ ابن كثير وابو عمرو او ننسأها بفتح النون … …
… مفتوحة … مهموزة وهاذا بمعنى التأخير … والجمهور ننسها من
النسيان … … بمعنى … والنسيان في كلام العرب يجيء
في الغالب ضد الذكر وقد يجيء بمعنى الترك فالمعاني الثلاثة مقولة في هاذه القراءة فما كان منه يترتب

في لفظ

في لفظ النسيان الذي هو ضد الذكر ومعنى الآية ما ننسخ من آية او نقدر نسيانها فالذي يجيء
منها لكم او مثلها في المنفعة وما كان على معنى الترك او على معنى التأخير فيه معنيان الترك والتأخير حيث
… لاختصار والنسيان اي نسيان النبي صلى الله عليه وسلم لما اراد الله ان ينساه ولم يرد ان يثبته
قرآنا جائز واما النسيان الذي هو آفة البشر فالنبي صلى الله عليه وسلم معصوم منه قبل التبليغ وبعده
حتى يحفظه … واما بعد ذلك فيجوز عليه ما يجوز على البشر لانه صلى الله عليه وسلم قد بلغ وادى الامانة ومنه
الحديث حين اسقط آية … من الصلاة فلما فرغ قال أفي القوم أبي قال نعم يا رسول الله قال فلم لم تذكرني قال حسبت
انها رفعت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم ترفع ولكني نسيتها **وقوله تعالى** الم تعلم معناه التقرير ومعنى الآية ان
الله تعالى ينسخ ما يشاء ويثبت ما يشاء ويفعل في احكامه ما يشاء هو قدير على ذلك وعلى كل شيء وهاذا
لانكار اليهود النسخ **وقوله تعالى** على كل شيء قدير لفظه عموم ومعناه الخصوص اذ لم تدخل فيه الصفات القديمة
بدليل العقل ولا المحالات لانها ليست باشياء والشيء في كلام العرب الموجود وقدير اسم فاعل على المبالغة قال
… ومن علمهم ان مولاه قادر على … قطع رجاه … … قال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام
ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع قال … معناه … وقطعت رجاءهم
عن سواك ثم قال ليقيموا الصلاة اي شغلهم بخدمتك … فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم اي اذا
احتاجوا شيئا … … اليهم … … من
… … مشقة … المشقة … من
التعب **وقوله تعالى** الم تعلم ان الله له ملك السماوات والارض الآية ظاهره الخطاب … الامر …
وجمع … دال على ان المراد بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم خطاب امته **وقوله تعالى** ام تريدون ان تسألوا
رسولكم الآية قال ابو العالية ان هاذه الآية نزلت حين قال بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم ليت ذنوبنا
جرت مجرى ذنوب بني اسرائيل في تعجيل العقوبة في الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اعطاكم الله خيرا مما
اعطى بني اسرائيل وتلا ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال ابن
عباس سببها ان رافع بن حريملة اليهودي سأل النبي صلى الله عليه وسلم تفجير عيون وغير ذلك وقيل
غير هاذا والذي سئل موسى عليه السلام هو ان يري الله جهرة … الكفر بالايمان …
على الكفر بالتبديل وضل اخطأ الطريق والسواء من كل شيء الوسط والمعظم ومنه في سواء الجحيم وقال حسان
… في رملة … النبي صلى الله عليه وسلم … بعد المغيب سواء الملحد والسبيل
عبارة عن الشريعة التي انزل الله تعالى لعباده **وقوله تعالى** ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم

كفارا والآية قال ابن عباس انهما ارادا ان يستزلاهما واتبعا محمدا واختلف في سبب هذه الآية فقيل
ان حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر ارادا بيت المدراس فرآهما اليهود في عهدهما فثبتا عليه ونزلت الآية
وقيل انما هذه الآية نزلت في المعنى حين [illegible] من نبي الله عليه وسلم منافعة عن قول اليهود في راعنا وغيره
والهم ساهرون فان يتبنى الى المؤمنين ويتوهمون اي هم كفارا من بعد ما تبين لهم الحق وهو نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم قلت ومن حلة ما اجاز به [illegible] البخاري عن انس [illegible] ما الطيب الموطأ عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم
ان يهجر اخاه المسلم فوق ثلاثة ايام وانس ابو عمر بن عبد البر عن النبي قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء [illegible] الشعر اه من التجيد واعفوا العفو
والصفح الاعراض عن الذنب كأنه يولي صفحة العنق قال ابن عباس وهذه الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا
الذين لا يؤمنون بالله الآية الى قوله صاغرون وقيل بقوله اقتلوا المشركين وقال قوم ليس هذا حد المنسوخ
لان هذا في نفس امر كان للتوقيف عاقرة قلت وينبغي للمؤمن ان ينقاد في باب هذه الآية وفي الحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الا ادلكم على ما يرفع الله به الدرجات قالوا نعم يا رسول الله
قال تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك رواه النسائي اه من الكوكب
الدري لابي العباس احمد بن سعد التجيبي وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير مقتضاه في هذا الموضع وعد للمؤمنين
وقوله تعالى واقيموا الصلاة قال الطبري انما امر الله المؤمنين هنا بالصلاة والزكاة ليحط ما تقدم من ميلهم الى قول
اليهود راعنا لان ذلك نهي عن قوله وقوله تجدوه اي تجدوا ثوابه وروى ابن المبارك [illegible] بسنده قال
جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله مالي لا احب الموت فقال هل لك مال قال
نعم يا رسول الله قال فقدم مالك بين يديك فان المرء مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه اه
وقوله تعالى ان الله بما تعملون بصير خبر في اللفظ معناه الوعد والوعيد وقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا
من كان هودا او نصارى معناه قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من
كان نصارى فجمع قولهم ودل تفريق نوعيهم على تفريق قولهم وهذا هو الايجاز واللف وهود جمع هائد ومعناه
التائب الراجع وكذبهم الله تعالى وجعل قولهم امنية وامر نبيه عليه الصلاة والسلام بدعائهم الى البرهان
وهو الدليل الذي يوقع اليقين وقوله بلى رد بالايجاب في جواب النفي
حسب ما [illegible] اسلم معناه استسلم وخضع ودان وخص الوجه بالذكر لانه اشرف ما يرى من الانسان وفيه يظهر
العز والذل وهو محسن جملة في موضع الحال وقوله تعالى وقالت اليهود الآية معناه ادعى كل فريق انه احق

برحمة الله

في رحمة الله من ساجد وسبب الآية ان نصارى نجران اجتمعوا مع يهود المدينة عند النبي صلى الله عليه وسلم
فتسابوا وكفر اليهود بعيسى وبملته وبالانجيل وكفر النصارى بموسى وبالتوراة وفي هذا من معلم كفر كل
طائفة بكتابها لان الانجيل يتضمن صدق موسى وتقرير التوراة والتوراة تتضمن التبشير بعيسى وكلاهما يتضمن
صدق النبي صلى الله عليه وسلم فعنفهم الله تعالى على كذبهم وفي كتبهم خلاف ما قالوا وقوله تعالى وهم يتلون الكتاب
تنبيه لامة محمد صلى الله عليه وسلم على ملازمة الحق اي والوقوف على حدوده والكتاب الذي يتلونه هو التوراة والانجيل
فالالف واللام للجنس وقيل للتوراة لان النصارى تمتثلها وقوله تعالى كذلك قال الذين لا يعلمون يعني كفار العرب
لانهم لا كتاب لهم والله يحكم بينهم يوم القيامة الآية اي فيثيب من كان على شيء ويعاقب من كان على غير شيء
ومن اظلم ممن منع مساجد الله الآية اي لا احد اظلم هو [illegible] قال ابن عباس وغيره المراد النصارى الذين كانوا يؤذون
من يصلي ببيت المقدس وقال ابن زيد المراد كفار قريش حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام وهذه
الآية تتناول كل من منع من مسجد الله الى يوم القيامة وقوله تعالى اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا
خائفين الآية فمن جعلها في النصارى روي انه مر زمان بعده لا يدخل نصراني الى بيت المقدس الا وجيع
ضربا قاله قتادة والسدي ومن جعلها في قريش قال كذلك نودي بامر النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يحج بالبيت
مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فاينما تولوا اي فاينما تولوا وجوهكم وقوله فثم وجه الله معناه الذي وجهنا
اليه كما تقول سافر في وجه كذا اي في جهة كذا ويتجه في معنى التواضع من الوجه [illegible] الآية اي يراد بالوجه
الجهة التي فيها رضاه وعليها ثوابه كما تقول تصرفت لوجه الله ويتجه في هذه الآية خاصة ان يراد بالوجه
الجهة التي وجهنا اليها في القبلة واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عمر نزلت هذه الآية
في صلاة النافلة في السفر حيث توجهت بالانسان دابته وقال النخعي الآية عامة اينما تولوا في متصرفاتكم
ومساعيكم فثم وجه الله اي موضع رضاه وثوابه وجهة رحمته التي يوصل اليها بالطاعة وقال عبد الله بن
عامر بن ربيعة نزلت فيمن اجتهد في القبلة فاخطأ وورد في ذلك حديث رواه عامر بن ربيعة قال كنا مع النبي
صلى الله عليه وسلم في سفر في ليلة مظلمة فتحرى قوم القبلة واعلموا علامات فلما اصبحوا رأوا انهم قد اخطأوها
فعرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقيل ان هذه الآية حين صد رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن البيت وواسع معناه متسع الرحمة عليم اين يضعها وقيل واسع معناه هنا انه
يوسع على عباده في الحكم دينه يسر عليهم بالتسهيلات التي ملأت الحنيفية وقوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا
نزلت الآية اختلف على من يعود ضمير قالوا فقيل على النصارى وهو اشبه وقيل على اليهود لانهم
قالوا عزير ابن الله وقيل على كفار العرب لانهم قالوا الملائكة بنات الله قلت وقال عبد الله الحكيم وحمل

ان يعني بالاية كل من تقدم ذكره من الكفرة وقد تقدم ذكر اليهود والنصارى والذين لا يعلمون هم
المشركون وكلهم مترتب على ان الله ولدا تعالى الله عن قولهم ذلك من مختصر الطبري وسبحانه مصدر معناه
تنزيه وتبرية مما قالوا والقنوت في اللغة الطاعة والقنوت طول القيام وهو هنا في الاية ان المخلوقات
تقنت لله اي تخضع وتطيع والكفار قنوتهم في ظهور الصنعة عليهم وفيهم وقيل الكافر يسجد ظله
وهو كاره وبديع معناه مبدع ومخترع المنشئ وخالق السموات والارض والذي لا نظير له
اعظم مثلي لي من مخلوق فالله جل وعلا وقضى معناه قدر وقيل حكم بمعنى امضى وتجيء في هذه الاية
المعنيان والامر واحد الامور وليس هو هنا بمصدر امر يامر وتخليص المعتقد في هذه الاية ان الله عز
وجل لم يزل امرا للمعدومات بشرط وجودها قادرا مع تاخر المقدورات عالما مع تاخر وقوع
المعلومات فكل ما في الاية مما يقتضي الاستقبال فهو بحسب المامورات اذ المحدثات تجيء بعد ان لم تكن
وكل ما يستند الى الله تعالى من قدرة وعلم وامر فهو قديم لم يزل والمعنى الذي تقتضيه عبارة كن هو
قديم قائم بالذات والوضوح التام في هذه المسألة يحتاج اكثر من هذا البسط **قلت** وقد قدمنا
ما يبين هذا المعنى وضوحا عند قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فانظره **وقوله تعالى** وقال
الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله الاية قال الربيع والسدي هم كفار العرب وقد طلب عبد الله بن امية
وغيره من النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا وقال مجاهد هم النصارى وقال ابن عباس المراد من كان
على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود لان رافع بن حريملة قال للنبي صلى الله عليه وسلم اسمعنا كلام
الله وقيل الاشارة الى جميع هذه الطوائف لان كلهم قالوا هذه المقالة ولولا تحضيض بمعنى
هلا وكذلك هنا ... الاية والذين من قبلهم هم اليهود والنصارى في قول من جعل الذين
لا يعلمون كفار العرب وهم اليهود في قول من جعل الذين لا يعلمون النصارى وهم الامم السالفة في قول
من جعل الذين لا يعلمون العرب والنصارى واليهود وتشابه القلوب هنا في طلب ما لا يصح او في الكفر
وقوله تعالى قد بينا الايات لقوم يوقنون في بينة تقتضي ان اليقين صفة لعلم وفي بيانه احسن ان
الكلام مدح لهم **وقوله تعالى** انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا اي مبشرا ونذيرا وقرا نافع وحده
ولا تسأل اي لا تسأل عن كفرهم وعنادهم كما تقول ولا تسأل عنه تعظيما لما هو فيه من شدة
من خير او شر **قلت** وزاد في مختصر الطبري قال ويحتمل هذه القراءة معنى اخر وهو ان
اعلم الكفر اي ولا تسأل عنهم سؤال مكترث بما اصابهم وبما هم عليه من الكفر الذي يوردهم الجحيم
نظيره قوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات **واما** ما روي عن محمد بن كعب القرظي ومن وافقه

انّ النبيّ

ان النبي صلى الله عليه وسلم سال ما فعل ابواي فنزلت هذه الاية ذلك فهو بعيد والاتصال ايضا يعني ما قبله اه
وفي ابن الشفقة ولا تسأل بضم التاء واللام والجمهور على ضمهما اه قلت **وقوله تعالى** قل ان هدى الله هو
الهدى اي ما انت عليه يا محمد من هدى الله هو الهدى الحقيقي لا ما يدعيه هؤلاء ثم قال تعالى لنبيه ولئن اتبعت
اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير فهذا شرط خوطب به النبي صلى الله
عليه وسلم وامته معه داخلة فيه **قلت** والمراد ان يقال خوطب به صلى الله عليه وسلم والمراد امته لوجود
عصمته صلى الله عليه وسلم وكذلك الجواب في سائر ما يشبه هذا المعنى من الاي وقد نبه رحمه الله على هذا
المعنى في نظير هذه الاية وكان سائلا ان ينبه على هذا هنا ايضا وقد اجاب عياض عن سائر الواردة
في المعنى وان عامتها كلها على الشرط اشكالا فقال رحمه الله تعالى وفقنا الله واياه عليه والجواب
عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه وما ان يتبع هواه او يتقول على الله ما لم يجب ويفتري عليه او يضل
او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن الله امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه
ان لم يكن بهذا البيان فكانه ما بلغ وطيب بنفسه وقوى قلبه بقوله والله يعصمك من الناس
كما قال لموسى وهارون عليهما السلام لا تخافا لتشتد بصائرهم في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب
عنهم خوف العدو المضعف للنفس **واما قوله تعالى** ولو تقول علينا بعض الاقاويل وقوله اذا
لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا لو كان ممن يفعله وهو صلى
الله عليه وسلم لا يفعله وقوله تعالى وان تطع اكثر من في الارض فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا
وقوله فان يشا الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك
والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله تعالى اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والله
تعالى ينهاه عما يشاء ويامره بما يشاء كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية وما كان طردهم عليه
السلام وما كان من الظالمين من الشفا ص وبين هذه الاي هي الموطئة والمؤذنة وهي منعه
تبيين مقر ... **وقوله تعالى** الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته الاية قال قتادة المراد بالذين
في هذا الموضع من اسلم من امة محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا القرآن وقال ابن زيد
المراد من اسلم من بني اسرائيل والكتاب على هذا التوراة واتيناهم معناه اعطيناهم ويتلونه
معناه يتبعونه حق اتباعه بامتثال الامر والنهي قال احمد بن نصر الداودي وهذا قول ابن عباس قال
عكرمة يقال فلان يتلو فلانا اي يتبعه ومنه والقمر اذا تلاها اي تبعها اه وبه رجح ... كلام
ربه واتبع سنة نبيه ... فقد عمله قال القاضي عياض في اختصاره للمرادي يعني جمع ... كان

منها مثل العلم القليل في الرجل الصالح مثل الماء العذب في دار في الغربة يزرع عليه صاحبه
ما ينتفع به ومثل العلم الكثير في الرجل الطالح مثل الماء الجاري في السبخة تهيج الليل والنهار ولا ينتفع به احد وقيل
يتلونه يقرؤونه حق قراءته وهذا الخطاب يعم كل امة ولا امتثال وهو مصدر وهو بمعنى العمل والنهي
في به عائد على الكتاب وقيل يعود على محمد صلى الله عليه وسلم لان متبعي التوراة يجدونه فيها فيؤمنون
به والضمير في به يحتمل ان يعود على ما ذكر في ساول وقوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا الاية تقدم بيان
نظيرها ومعنى لا تنفعها شفاعة لانه ليس ثم وليس المعنى انه يشفع فيهم احد فيرد وانما الشفاعة
التي هي في تعجيل الحساب فليست تنفع هؤلاء الكفرة **قلت** ولم يبلغه رحمه الله تعالى
ما هذا في التي تقدمت اول السورة وابتلى معناه اختبر وفي مختصر الطبري يبتلي اي اختبر
والاختبار من الله عز وجل لعباده على علم منه سبحانه بباطن امرهم وظاهرهم وانما يبتليهم ليظهر
منهم ما سبق علمه فيهم وقد روي ذلك عن علي رضي الله عنه في قوله عز وجل ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين ونبلو اخباركم فقال رضي الله عنه ان الله عز وجل لم يزل عالما باخبارهم وجميع
ما هم عليه وانما قوله ولنبلونكم حتى نعلم اي حتى تنسبوا الى ما سبق علمي فيكم اه وهو كلام حسن وقد
نبه ع على هذا المعنى فيما تقدم والتقديم ان علمه سبحانه قد تعلق بكل شيء قبل كونه يجري على قدر
لا يكون من عباده قول ولا عمل الا وقد قضاه وسبق علمه به سبحانه لا اله الا هو وابراهيم يقال ان تفسيره
بالسريانية اب رحيم واختلف اهل التاويل في الكلمات فقال ابن عباس هي ثلاثون سهما هي الاسلام
كلها لم يتمها احد كاملا الا ابراهيم عليه السلام عشرة منها في براءة التائبون العابدون الاية وعشرة
وعشرة في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشرة في سأل سائل **قلت** وقيل غير هذا وفي البخاري انه
وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم قال الداودي وحى الله اليه اني جاعلك للناس اماما وامره بالغزو وانما
سميت هذه الخصال كلمات لانه اقترنت بها اوامر هي كلمات وروي ان ابراهيم لما اتم هذه الكلمات او
اتمها الله عليه كتب الله له البراءة من النار فذلك قوله تعالى وابراهيم الذي وفى وقول ابراهيم عليه السلام
ومن ذريتي هو على جهة الرغبة الى الله تعالى اي ومن ذريتي يا رب فاجعل **قوله تعالى** قال لا ينال عهدي الظالمين
اي قال لا ينال العهد فيها ظالم اماما **وقوله تعالى** واذ جعلنا البيت مثابة اي الكعبة مثابة يحتمل من
ثاب اذا رجع ويحتمل ان يكون من الثواب اي يثابون هناك وامنا للناس والطير والوحش اذ جعل الله لها
حرمة في النفوس بحيث يلقى الرجل قاتل ابيه فلا يهيجه وقرأ جمهور الناس واتخذوا بكسر الخاء على
جهة الامر لامة محمد صلى الله عليه وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بفتح الخاء على جهة الخبر عمن اتخذه من متبعي

ابراهيم

ابراهيم عليه السلام ومقام ابراهيم في قول ابن عباس وقتادة وغيرهما وخرجه البخاري هو الحجر الذي
ارتفع عليه ابراهيم حين ضعف عن رفع الحجارة التي كان اسماعيل يناوله اياها في بناء البيت وغرقت قدماه فيه
ومصلى موضع الصلاة ومن مقام من تبعيضية على المعنى وبمعنى في اذ ان يعلا مذهب ... المقام
مفعل من القيام والمراد به هنا المكان اي يعني المكان الذي فيه الحجر المتميز بالمقام **وقوله تعالى** وعهدنا
العهد في اللغة على اقسام هذا منها الوصية بمعنى امرنا **و**طهرا قيل معناه ابنياه واسساه على طهارة
ونية طهارة وقال مجاهد هو امر بالتطهير من عبادة الاوثان **و**الطائفين ظاهره اهل الطواف
وقاله عطاء وغيره وقال ابن جبير معناه الغرباء والظاهر في الاية انه عام والعاكفين قال ابن جبير هم اهل
البلد المقيمون وقال عطاء هم المجاورون بمكة وقال ابن عباس المصلون وقال غيره المعتكفون والعكوف
في اللغة الملازمة **قوله تعالى** واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا امنا اي من الجبابرة والعدو والمستأصل
وروي ان الله تعالى لما دعا ابراهيم امر جبريل فاقتلع من فلسطين وقيل قطعة من الاردن فطاف بها حول
البيت سبعا وانزلها بوج فسميت الطائف بسبب ذلك الطواف **وقوله تعالى** قال ومن كفر فامتعه قليلا الاية
قال ابي بن كعب وابن اسحاق وغيرهما هذا القول من الله عز وجل لابراهيم وقال ابن عباس وغيره هذا القول من ابراهيم
قال ابن **ع** وكان ابراهيم دعا للمؤمنين وعلى الكافرين وفي مختصر الطبري وقال اخرون فامتعه قليلا ثم اضطره على
الدعاء ورواه عطاء من ابراهيم وروى ذلك عن ابن عباس يقول ذلك قول ابراهيم ساله ان من كفر به
فامتعه قليلا يقول فارزقه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار اي الجئه اه وعلى هذا القول يجيء قول ابن
عباس في تفسير المجهول وقليلا معناه مدة العمر لان متاع الدنيا قليل **وقوله تعالى** واذ يرفع ابراهيم
القواعد من البيت الاية القواعد جمع قاعدة وهي الاساس **ص** القواعد قال الكسائي والفراء هي الجدر وقال
ابو عبيدة هي الاساس **واختلف** في قصة البيت فقيل ان ادم امر ببنائه ... وقيل ان الله علمه
ابراهيم فرفع قواعده وقيل ابراهيم ابتدأ بناءه ما مر الله وقيل على هذا ان ... والذي يصح من هذا كله ان الله
سبحانه امر ابراهيم برفع قواعد البيت وجائز قدمه وجائز ان يكون ذلك ابتداء ولا يرجح شيء من ذلك الا بسند يقطع
العذر **و**اسماعيل عطف على ابراهيم والتقدير يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم اي السميع لدعائنا
العليم بنياتنا ومسلمين هنا قيل الخضوع لتناسبهما مع حاليهما وقولهم اجعلنا معناه زدنا ثبتنا والا فهما كانا مسلمين
اراد التثبيت والدوام والاسلام في هذا الموضع الايمان والاعمال جميعا ومنه قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك
تعالى فكان اعلمه ان منهم ظالمين و امة الجماعة **و**ارنا قالت طائفة من رؤية البصر وقالت طائفة من رؤية القلب
ويأتيه هذا قال قتادة المناسك معالم الحج **واختلف** في معنى طلبهم التوبة وهم انبياء معصومون

بذلك طائفة كطلحة التيمي والزبير وقيل اراد من بعدهما من الذرية وقيل وهو احسن انهما لما عجزا المنازلة
ونبيا اللبيب واراد ان نبينا المصطفى ان قلة الشوائب مكان الفضل من الذرية وطلب التوبة وقال الطبري انه لبس
احد من خلق الله شانيه وبين الله مكان نبيه ان يكون احسن تمامهم واجمعهم كلمة على عصمة الانبياء في معنى
التبليغ ومن الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة واختلفوا في غير ذلك من الصغائر والذي اقول به انهم
معصومون من الجميع وان قول النبي صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي واستغفر الله سبعين مرة انما هو رجوع
من حالة الى ارفع منها لتتابع علومه واطلاعه على امور غيبية من هيبة الله العلي والتوبة هنا الرجوع
وقوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية هذا هو الذي اراد النبي صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابي ابراهيم
وبشرى عيسى ومعنى قوله اي بعدي فوته ويحفظ فضله ويشفق عليه وفي ص قلت وقد تواترت اخبار
بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في الكتب السالفة وعلى السنة احبار ورهبان وتعيين الزمان الذي بعث فيه
وقد روى احمد بن حنبل وغيره عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول
اسألوا اهل هذا الموسم اهيه فيهم من اهل هذا الحرم قال فقلت انا ها انا ذا فقال هل ظهر احمد بعد قلت ومن
احمد قال احمد بن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه وهو اخر الانبياء مخرجه من الحرم
ومهاجره الى نخل وسباخ فاياك ان تسبق اليه فوقع في قلبي ما قال فاسرعت اللحاق بمكة فسألت هل حدث بعد
امر فقالوا محمد الامين قد تنبأ وتبعه ابو بكر ابن ابي قحافة فخرجت الى ابي بكر واخذته الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاسلمت وقد روى العدوي وغيره عن ابي بكر رضي الله تعالى عنه انه قال لقيت شيخا باليمن فقال لي انك حرمي
فقلت نعم فقال واحسبك قرشيا قلت نعم قال وبقيت فيك واحدة اكشف لي عن بطنك فقلت لا افعل او
تخبرني لم ذلك قال اجد في العلم الصحيح ان نبيا يبعث في الحرم يعاونه على امره فتى وكهل اما الفتى فخواض غمرات ودفاع
معضلات واما الكهل فابيض نحيف وعلى بطنه شامة وعلى فخذه اليسرى علامة وما عليك ان تريني ما
سألتك عنه فقد تكاملت فيك الصفات الا ما خفي علي قال ابو بكر فكشفت له عن بطني فرأى شامة سوداء
فوق سرتي فقال انت هو ورب الكعبة اني متقدم اليك في امر قلت ما هو قال اياك والميل عن الهدى وتمسك
بالطريقة الوسطى وخف الله فيما خولك واعطاك قال ابو بكر فلما ودعته قال اتحمل عني الى ذلك النبي ابياتا
قلت نعم فانشا الشيخ يقول

ألم تر أني قد سئمت معاشري ** ونفسي وقد اصبحت في الحي عاهنا
حييت وفي الايام للمرء عبرة ** ثلاثا مئين بعد تسعين آمنا
وقد خمدت مني شرارة قوتي ** والفيت شيخا لا اطيق الشواحنا

وانت

وانت ورب البيت تأتي محمدا ** لعامك هذا قد اقام البراهنا
فحي رسول الله عني فانني ** على دينه احيا وان كنت قاطنا

قال ابو بكر فحفظت شعره وقدمت مكة وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم فجاءني عقبة بن ابي معيط وشيبة وقالوا يا ابا بكر يتيم ابي طالب صناديد
يزعم انه نبي فقال جئتك الوصيف النبي صلى الله عليه وسلم ففتحت عليه الباب فخرج الي فقلت يا محمد فقدت من منازل
قومك وتركت دين آبائك فقال يا ابا بكر اني رسول الله اليك والى الناس كلهم فآمن بالله فقلت وما دليلك قال الشيخ
الراهب الذي لقيته باليمن فقلت وكم من شيخ لقيته قال الشيخ الذي افادك الابيات فقلت ومن
اخبرك بها قال الروح الامين الذي كان يأتي الانبياء قبلي فقلت مد يدك اشهد ان لا اله الا الله وانك
رسول الله قال ابو بكر فانصرفت وما بين لابتيها اشد سرورا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بي حيث اسلمت انتهى قاله ابو
القطان في الآيات والمعجزات ويتلو عليهم اياتك اي دلائل النبوة ان قال قتادة والحكمة السنة وروى
ابن وهب عن مالك ان الحكمة الفقه في الدين والفهم الذي هو سجية ونور من الله تعالى قلت ونقل عياض في مداركه عن مالك
ان الحكمة نور يقذفه الله في قلب العبد وقال ايضا يقع في قلبي ان الحكمة الفقه في دين الله وامر يدخله الله القلوب من رحمته
وفضله وقال ايضا الحكمة التفكر في امر الله والاتباع له والفقه في الدين والعمل به اه وقد اشار ع الى هذا عند قوله
يؤتي الحكمة من يشاء قلت والظاهر ان المراد ويزكيهم بالتطهير والعزيز الذي يغلب ولا يرد مراده والحكيم المصيب
مواقع الفعل المحكم لها وقوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الآية استفهام والمعنى ومن يزهد فيها ويتركها الا من سفه نفسه
فعله من سفه نفسه واستفزه الشيطان والسفه الخفة وضعف الرأي الذي معناه الرذالة والخفة واصطفى من
الصفوة معناه تخير الاصفياء ومعنى هذا الاصطفاء انه نبأه واتخذه خليلا وانه في الاخرة لمن الصالحين قيل المعنى انه في عمل
الاخرة لمن الصالحين والكلام على حذف مضاف اذ قال له ربه اسلم كان هذا القول من الله تعالى حين ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس
والاسلام هنا على اتم وجوهه والضمير في بها عائد على كلمة التي هي اسلمت لرب العالمين وقيل على الملة والاول اصوب لانه
اقرب مذكور ويعقوب قيل عطف على ابراهيم وقيل مقطوع منفرد بقوله يا بني والتقدير ويعقوب قال يا بني واصطفى هنا
معناه تخير صفوة الاديان وقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون ايجاز بليغ وذلك ان المقصود منه امرهم بالاسلام والدوام عليه
فاتى بلفظ موجز يقتضي المقصود ويتضمن وعظا وتذكيرا بالموت وذلك ان المرء يتيقن انه يموت ولا يدري متى فاذا امر بامر لا
يأتيه الموت الا وهو عليه فقد توجه من وقت الامر دائما لازما وقوله تعالى ام كنتم شهداء الآية خطاب
لليهود والنصارى الذين ينتحلون الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه وينسبونهم لليهودية والنصرانية فرد الله
عليهم وكذبهم واعلمهم انهم كانوا على الحنيفية والاسلام وقال لهم على جهة التقريع والتوبيخ اشهدتم يعقوب وعلمتم
بما اوصى فتدعون عن علم او لم تشهدوا بل انتم تفترون وام تستفهم بمعنى الهمزة في صدر الكلام لغة وحكى الطبري ان ام

معناه جهلها الا من سفه نفسه فجهلها

لينتفع بهم وسط كلام وقد تقدم صدره وهاذا منه وشهداء جمع شاهد اي حاضر ومعنى الآية حتى يعقوب
مقدمات الموت ومن بعدي اي بعد موتي ودخل اسماعيل في الآباء لانه عم وقد اطلق النبي صلى الله عليه وسلم على العباس
اسم الأب فقال هاذا بقية آبائي وقال ردوا علي ابي العباس وقال ابن الزبير على ان قول الشيخ يعني ان اسحاق هو
الذبيح قلت وفي تسميته نظر بل الراجح انه اسماعيل على ما هو معلوم في موضعه وسياتي ان شاء الله تعالى وقوله
تعالى تلك امة الآية يعني بالامة الانبياء المذكورين والخطاب في هاذه الآية لليهود والنصارى وقولهم كونوا
هودا او نصارى تهتدوا اي قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى والحنيف في الدين الذي مال عن الاديان
[illegible] الى الحق [illegible] والحنيف في الدين [illegible] المستقيم على جميع طاعات الله وقوله تعالى قولوا
آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى
وما اوتي النبيئون من ربهم الآية هاذا الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل الينا يعني القرآن والاسباط هم
ولد يعقوب وهم روابيل وشمعون ولاوي ويهوذا وزبالون ويشجر ودينة بنته وامهم ليا ثم خلف على اختها
راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وولد له من سريتين دان ونفتالي وجاد واشر والسبط في بني اسرائيل بمنزلة
القبيلة في ولد اسماعيل فسموا الاسباط لانه كان من كل واحد منهم سبط ولا نفرق بين احد منهم اي لا نؤمن ببعض
ونكفر ببعض كما فعلتم وقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به اي فان صدقوا تصديقا مثل تصديقكم فقد اهتدوا وان تولوا
اي اعرضوا اي اليهود والنصارى فانما هم في شقاق اي في مشاقة ومخالفة لهم في شق وانتم في شق وقيل
الشقاق معناه شق كل واحد وصل ما بينه وبين صاحبه ثم وعده تعالى انه سيكفيه اياهم ويغلبه عليهم فكان ذالك
في قتل بني قينقاع وبني قريظة واجلاء النضير وهاذا الوعد وانجازه من اعلام نبوءة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
والسميع لقول كل قائل والعليم بما ينفذه في عباده وصبغة الله شريعته ودينه وسنته قال الكثير من المفسرين
وذالك ان النصارى لهم ماء يصبغون فيه اولادهم فهاذا ينظر الى ذالك وقيل سمى الدين صبغة استعارة من حيث
تظهر اعماله وسمته على المتدين كما يظهر الصبغ في الثوب وغيره ونصب الصبغة على الاغراء وقوله تعالى
قل اتحاجوننا في الله الآية معنى الآية قل يا محمد لهاؤلاء اليهود والنصارى اتحاجوننا في الله اي تجادلوننا في دينه والقرب
منه والحظوة لديه تعالى وانتم [illegible] ونحن له مخلصون اي ولم تخلصوا انتم
فكيف تدعون ما نحن اولى به منكم وقوله تعالى ام يقولون عطف على الف الاستفهام المتقدمة وهاذه القراءة بالتاء
من فوق هي قراءة ابن عامر وحمزة وغيرهما وفي ام على هاذه القراءة معطوفة وقرئ
تعالى على موضع الانقطاع [illegible] قالوا ان الانبياء المذكورين على اليهودية والنصرانية كذبوا لانهم قد علم
ان هاذه الديانة حدثت بعدهم وان قالوا انهم لم يكونوا على اليهودية والنصرانية قيل لهم فهلموا الى دينهم اذ تقرون بالحق

وقوله تعالى قل أانتم اعلم ام الله تقرير على فساد دعواهم اذ لا جواب لمفطور الا ان الله اعلم ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من
الله اي لا احد اظلم منه واثنى [illegible] اراد الله تعالى بكتمانهم الشهادة قال مجاهد وغيره والذي كتموه هو ما في كتبهم من ان الانبياء
على الحنيفية لا على ما ادعوا وقال قتادة وغيره هو ما عندهم من الامر بتصديق النبي صلى الله عليه وسلم والآية
تشبه بسياق الآية ومن متعلقة بعنده ويحتمل ان تتعلق بكتم وما الله بغافل الآية فيه وعيد واعلام بان لن يترك امرهم
سدى والغافل الذي لا يفطن للامور اهمالا منه ماخوذ من الارض الغفل وهي التي لا معلم بها وقوله تعالى تلك امة الآية
كررها عن قرب لانها تضمنت معنى التهديد والتخويف ولتبين دين [illegible] قوله تعالى سيقول السفهاء
من الناس الآية اعلم تعالى في هاذه الآية [illegible] قال ابن عباس يعني الاحبار وذالك انهم جاءوا الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا يا محمد ما ولاك عن قبلتنا ارجع اليها ونومن بك يريدون فتنته وقيل اليهود والمنافقون وقالت فرقة
هم كفار قريش وولاهم معناه صرفهم ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم اشارة الى هداية الله تعالى هاذه الامة الى قبلة ابراهيم وكذالك
جعلناكم اي كما هديناكم الى قبلة ابراهيم وشريعته جعلناكم امة وسطا اي عدولا روى ذالك عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتظاهرت به عبارة المفسرين والوسط الخيار والاعلى من الشيء والواسطة القلادة انفس حجر فيها ومنه قوله تعالى قال
اوسطهم وشهداء جمع شاهد والناس هنا في قول جماعة جميع الجنس وان امة محمد صلى الله عليه وسلم تشهد يوم
القيامة للانبياء على اممهم بالتبليغ وروي في هاذا المعنى حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه ان امته
تشهد لكل نبيء ناكره قومه قلت وهاذا الحديث خرجه البخاري وابن ماجه وابن المبارك في رقائقه وغيرهم فانظره
صلى الله عليه وسلم وقال المهدوي قوله تعالى وكذالك جعلناكم امة وسطا الآية ويكون الرسول شهيدا قيل معناه يوم
القيامة وقيل عليكم بمعنى لكم اي يشهد لكم بالايمان وقوله تعالى وما جعلنا القبلة الآية قال قتادة وغيره القبلة
هنا بيت المقدس اي لنعلم من يتبع الرسول من العرب الذي لم يالفوا الا مسجد مكة او من اليهود على ما قاله الضحاك الذين
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان جئت الى بيت المقدس اتبعناك فامره الله تعالى بالصلاة اليه امتحانا لهم فلم يومنوا وقال ابن عباس
القبلة في الآية الكعبة وكنت عليها بمعنى انت عليها كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس بمعنى انتم وما جعلنا ذلك ومن قال
[illegible] فتنة وروي في ذالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حول الى الكعبة اكثر في ذالك اليهود والمنافقون وارتاب
بعض المومنين حتى نزلت الآية ومعنى لنعلم اي ليعلم رسولي والمومنون به والقاعدة نفي استقبال العلم بعد ان لم يكن وينقلب
على عقبيه عبارة عن المرتد والرجوع عن امر حالة الرجوع وقوله تعالى وان كانت لكبيرة [illegible] الذي جرى [illegible]
الآية الضمير في كانت راجع الى القبلة الى بيت المقدس او الى التحويلة الى الكعبة حسبما تقدم من الخلاف في
القبلة وكبيرة هنا معناه شاقة صعبة تكبر في الصدور ولما حولت القبلة كان من قول اليهود يا محمد ان كانت الاولى
حقا فانت اليوم على باطل وان كانت هاذه حقا فكنت في الاولى على ضلال ووجست نفوس بعض المومنين واشفقوا على

وسطى

من مات قبل التحويل من طائفتين لنا لعله فنزلت وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم قاله ابن عباس وغيره فالصلاة ايمانا
لما كانت صادرة عن الايمان وسماها ايمانا [illegible] هو العضد الذي تدور عليه الاعمال [illegible] تعالى انه هو ساطع وليل بمن رجع حكم
الصلاة صلاة المنافقين الى بيت المقدس فرق ما بين الذي هو صلاة وايضا تثبيت ايمانا ذا اذ هو من شعب الايمان
قلت وفي الصحيح من حديث البراء قال [illegible] قال الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم قال في صلاتكم الى بيت
المقدس قال ابن رشد وعلى هذا التعليل الذي اهل التفسير وفيه ان المغايرة ذلك وما كان الله ليضيع ايمانكم بعض
الصلاة عليكم الى بيت المقدس [illegible] والذي [illegible] الرحمة وقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء
رأيتك المقصد تقلب البصر وانما قال الوجه لان تقلب البصر تابع له قاله قتادة وغيره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقلب وجهه في الدعاء الى الله تعالى ان يحوله الى القبلة مكة ومعنى التقلب نحو السماء ان السماء جهة تعود العلو
منه الرحمة كالمطر والانوار والوحي فهم يجعلون رغبتهم حيث توالت النعم قال ع فلنولينك [illegible] تعرف حال
اي فلنولين تقلب وجهك في السماء [illegible] قبلة [illegible] مستقبلها فلنولينها [illegible] معناه تحبها وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يحب الكعبة والتحول عن بيت المقدس لوجوه ثلاثة روتها احدها يقول اليهود ما علم محمد دينه
حتى تبعنا قاله مجاهد الثاني ليصيب قبلة ابراهيم عليه السلام قاله ابن عباس الثالث ليستالف العرب
لمحبتها في الكعبة قاله الربيع والسدي ع والميزاب هو قبلة المدينة والشام وهناك قبلة اهل الاندلس بلا
ريب وما خالف [illegible] الكعبة فليقتصر [illegible] وقوله تعالى فول وجهك شطر الاية امر بالتحول ونسخ لقبلة الشام والشطر
نصب على الظرف ومعناه نحو وقبلا وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم امر للامة ناسخ وان الذين اوتوا الكتاب الاية المعنى ان
اليهود والنصارى يعلمون ان الكعبة هي قبلة ابراهيم امام الامم وان استقبالها هو الحق الواجب على الجميع اتباعا
لمحمد صلى الله عليه وسلم الذي يجدونه في كتبهم [illegible] وقوله تعالى ولئن اتيت الاية اعلم الله تعالى نبيه
عليه السلام حين قالت اليهود راجع بيت المقدس ونؤمن بك ان ذلك مخادعة منهم وانهم لا يتبعون له قبلته يعني
جملتهم لان البعض قد اتبع كعبد الله بن سلام وغيره وانهم لا يؤمنون بدينه اي فلا تصغ اليهم والاية هنا العلامة
وقوله تعالى وما انت بتابع قبلتهم لفظ خبر يتضمن الامر اي فلا تركن الى شيء من ذلك وما بعضهم الاية قال ابن زيد وغيره
المعنى ليست اليهود متبعة قبلة النصارى في قبلتهم ولا النصارى متبعة قبلة اليهود فهذا اعلام باختلافهم وتدابرهم
وضلالهم وقبلة النصارى مشرق الشمس وقبلة اليهود بيت المقدس وقوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما
جاءك من العلم الاية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وما ورد من هذا النوع الذي يوهم من النبي صلى الله
عليه وسلم ظلما متوقعا فهو محمول على ارادة امته لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم وقطعنا ان ذلك لا يكون منه وانما المراد
من يمكن ان يقع ذلك منه وخوطب النبي صلى الله عليه وسلم تعظيما للامر وقال [illegible] الاية على ان توجيه

التوجيه

التوجيه على التعليل [illegible] من توجه على غير كان قوله من بعد ما جاءك من العلم بل على ذلك وهو حسن ص ولئن
اتبعت [illegible] ليس جواب قسم مقدر قبلها وعلى اذا كان الجواب لما تبعوا ولو كان للشرط [illegible] وجواب الشرط
محذوف لدلالة جواب القسم عليه ومن ثم جاء فعل الشرط ماضيا لانه اذا حذف جوابه وجب مضي فعله لفظا ه وقوله
تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه الاية الضمير في يعرفونه عائد على الحق في القبلة والتحول الى الكعبة قاله ابن
عباس وغيره وقال مجاهد وغيره هو عائد على محمد صلى الله عليه وسلم اي يعرفون صدقه ونبوته قلت بل وصفاته
وان فريقا منهم ليكتمون الحق [illegible] الجماعة وخص لان منهم من اسلم ولم يكتم [illegible]
في ضمير يعرفونه وهم يعلمون ظاهر في صحة الكفر عنادا وقوله تعالى الحق من ربك اي هو الحق فلا تكونن
من الممترين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته والامتراء الشك [illegible] هذه الاية
في قول هذا وقوله تعالى ولكل وجهة [illegible] من المواجهة كالقبلة [illegible] ولكل صاحب ملة وجهة هو موليها
نفسه قاله ابن عباس وغيره وقرا ابن عامر هو مولاها اي الله موليها [illegible] امر الله عباده بالاستباق
الى الخيرات والبدار الى سبيل النجاة وروى ابن المبارك في رقائقه بسنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب من
الخير فلينتهزه فانه لا يدري متى يغلق عليه اه [illegible] وعظم سبحانه [illegible] اص
[illegible] معنى الشرط في موضع جزم [illegible] وقوله تعالى يات بكم الله جميعا يعني به البعث من القبور وقوله
تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون معناه حيث كنت
واين توجهت من مشارق الارض ومغاربها [illegible] الاية ذاكرا من الله سبحانه [illegible] من موضع التحول
كان [illegible] نفوسهم [illegible] عليهم [illegible] قوله تعالى ومن حيث
خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام لئلا يكون للناس عليكم حجة [illegible] المعنى عرفتكم وجه الصواب في قبلتكم والحجة
في ذلك لئلا يكون للناس المراد بالناس العموم في اليهود والعرب وغيرهم الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم
اي المذكورين [illegible] وقوله تعالى فلا تخشوهم واخشوني الاية فيه
تحقير لشانهم وامر باطراح امرهم [illegible] الاية [illegible] الواجب على [illegible]
في كل امر [illegible] تعالى [illegible]
مشتغل القلب بهم [illegible] قال ص [illegible] الذين ظلموا استثناء متصل قاله ابن عباس وغيره اي لئلا تكون
حجة من اليهود [illegible] للكعبة [illegible] اي لكن الذين ظلموا منهم
يتعلقون عليكم بالشبه وزعم ابو عبيدة معمر بن المثنى ان الا في هذه الاية بمعنى الواو ومنه
وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان

أي والذين ظلموا والمعنى فداني ورد بأنه لم يعهد الواو بمعنى عليه ليعلم اهـ قوله تعالى فولوا وجوهكم شطره أمر باستقبال القبلة
وهو شيء يجمع الصحيح ثابت في الفضائل أيضا استدل في التمام وفي النوافل إشارة إلى أن المطلوب الكعبة والعزم على التعيين في حال
دونها تبع من الاجتهاد وعلى الاجتهاد تبع من التقليد وقوله سبحانه ولأتم نعمتي عليكم عطف على قوله لئلا وقيل هو
في موضع رفع بالابتداء والخبر مضمر تقديره ولأتم نعمتي عليكم أي فعلت ذلك ولعلكم تهتدون تقدم في حق المتقين
والكاف في قوله كما رد على قوله ولأتم أي إتماما كما وهذا أحسن الأقوال أي ولأتم نعمتي عليكم في بيان سنة إبراهيم عليه
السلام وكما أرسلنا فيكم رسولا منكم لإجابة دعوته ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقيل الكاف من كما رد على تهتدون
أي اهتداء كما قال المهدوي وهذا قول ابن ذكوان الكاف متعلقة بما بعده أي كما أرسلنا فيكم رسولا منكم وأوليتكم
هذه النعم فاذكروني وبه أخذ مجاهد واشكروا لي ولا تكفرون ولا بد اهـ قلت وهذا التأويل الثاني رجحه القرطبي
اهـ وهذه الآية خطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم والآيات يعني القرآن ويزكيكم أي يطهركم من الكفر ويعلمكم الكتاب
والكتاب القرآن أي والحكمة ما يتلقى عنه صلى الله عليه وسلم من سنته وعقده ودينه ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فقصص ما سلف
وقصص ما يأتي من الغيوب وقوله تعالى فاذكروني أذكركم الآية قال سعيد بن جبير اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب
قلت وفي تفسير أحمد بن نصر الداودي وعن ابن جبير اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي وروي أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن اهـ وروى ابن المبارك في
رقائقه عن أنس بن مالك قال ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر إلا افتخرت على ما حولها من البقاع
واستبشرت بذكر الله إلى منتهاها من سبع أرضين وما من عبد يقوم يصلي إلا تزخرفت له الأرض قال ابن المبارك وأخبرنا
المسعودي عن عون بن عبد الله قال الذاكر في الغافلين كالمقاتل خلف الفارين وقال الذي يعمل ويبشر المغني إذا ذكر أهل الرخاء
والشدة دعوة وفي صحيح البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الله تبارك وتعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ
ذكرته في ملإ خير منهم الحديث اهـ واشكروا لي أي نعمتي وآلائي ولا تكفرون أي نعمتي وأيادي قلت وعن جابر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما أنعم الله على عبد من نعمة فقال الحمد لله إلا وقد أدى شكرها فإن قالها الثانية جدد الله له
ثوابها فإن قالها الثالثة غفر الله له ذنوبه رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد اهـ من السلاح وقوله تعالى إن الله
مع الصابرين أي بمعونته وإنجاده قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات الآية سببها أن الناس قالوا فيمن قتل
ببدر وأحد من المؤمنين مات فلان مات فلان فكره الله سبحانه أن تحط منزلة الشهداء إلى منزلة غيرهم فنزلت هذه
الآية وأيضا فإن المؤمنين صعب عليهم فراق إخوانهم وقراباتهم فنزلت الآية مسلية لهم تعظم منزلة الشهداء وتخبر عن
حقيقة حالهم فصاروا مغبوطين لا محزونا عليهم وذلك من حرف أم حارثة السير قلت وفي صحيح البخاري في صحيحه

عن أنس

عن أنس قال أصيب حارثة يوم بدر أصابه سهم وهو غلام فجاءت أمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد عرفت
منزلة حارثة مني فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع فقال ويحك أوهبلت أوجنة واحدة
هي إنها جنان كثيرة وإنه في الفردوس الأعلى الحديث اهـ ع والمعنى في هذه الآية وغيرها إنما هو الرزق والحال الذي
تقدم فيه بدوام حالهم التي كانت في الدنيا في رزقهم وللشهيد أحوال شريفة منها ما خرجه الترمذي وابن ماجه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار
من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها
ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب
زاد ابن ماجه ويحلى حلة الإيمان وقال القرطبي في تذكرته هكذا وقع في نسخة الترمذي وابن ماجه ست خصال وهي
في متن الحديث سبع وعلى ما في ابن ماجه ويحلى حلة الإيمان تكون ثمانيا وكذا ذكره أبو بكر أحمد بن سليمان النجاد بسنده
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال للشهيد عند الله ثمان خصال وخرج الترمذي والنسائي عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم القرصة اهـ ع وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أرواح الشهداء
في حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة وروي أنهم في قبة خضراء وروي أنهم في قناديل من ذهب إلى كثير من هذا
ولا محالة أنها أحوال لطوائف أو للجميع في أوقات متغايرة قلت وكذا ذكر شبيب بن أبي حمزة في كتابه لا مطرح أن يقال
إن الشهداء على جهات مختلفة بحسب مقاماتهم وتفاوتهم في أعمالهم قال صاحب التذكرة وهذا قول حسن وبه يجمع بين
الأخبار حتى لا تتدافع اهـ قال ع وجمهور العلماء على أنهم في الجنة ويؤيده قول النبي صلى الله عليه وسلم لأم حارثة
إنه في الفردوس الأعلى وقال مجاهد هم خارج الجنة ويعلقون من شجرها وفي مختصر الطبري قال ونهى عز وجل
أن يقال لمن يقتل في سبيل الله أموات وأعلم سبحانه أنهم أحياء ولكن لا تشعرون أي لا تشعرون بأحوالهم وخصوا من بين
سائر المؤمنين بأنهم في البرزخ يرزقون من مطاعم الجنة كما يرزق المؤمنون من أهل الجنة على أنه قد ورد في الحديث
إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة ومعنى يعلق يأكل ومنه قولهم ما ذقت علاقا أي ما أكلت شيئا فيعم
المؤمنين فإنهم يرزقون في البرزخ من رزق الجنة ولا يمتنع أن يخص الشهداء من ذلك بقدر ما لم يعم غيرهم
والله أعلم اهـ وروى النسائي أن رجلا قال يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد قال كفى
ببارقة السيوف على رأسه فتنة اهـ قلت وحديث إنما نسمة المؤمن طائر خرجه مالك في الموطأ والنسائي والترمذي
وحديث مالك هذا ذكره فيما جاء في الأرواح والذي روي أنها في حواصل طير هي في الشهداء قال أبو عمر بن عبد البر
أنه في الشهداء دون غيرهم لأنه قول من قال كالطير أو صور طير أو في جوف طير لكن هذا أو شبهه قال أبو عمر هذا
لا حاجة بنا إلى ذكر ما في إسناده إذ أعلمنا تعالى أن الشهداء أحياء ومنهم وعدم الشعور فقال تعالى

ولنبلونكم أي لنختبرنكم بشيء من الخوف أي من الأعداء من الحروب ونقص من الأموال أي بالجوائح والمصائب والأنفس
بالموت والقتل والثمرات بالعاهات والمراد بشيء من هذا وبشيء من هذا فاكتفى بالأول إيجازا ثم وصف سبحانه الصابرين
بقوله الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون فجعل سبحانه هذه الكلمات ملجأ لذوي المصائب لما جمعت
من المعاني المباركة من توحيد الله سبحانه والإقرار له بالعبودية والبعث من القبور واليقين بأن رجوع الأمر
كله إليه كما هو له قال الشعبي قال أبو بكر الوراق إنا لله إقرار منا له بالملك وإنا إليه راجعون إقرار على أنفسنا بالهلاك
واعلم أن قوله إنا لله يدل على كونه راضيا بكل ما نزل به وورد في أخبار كثيرة في هذا الباب عن النبي صلى الله عليه وسلم
فيمن استرجع عند المصيبة عزى الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه اهـ وروي أن
مصباح رسول الله صلى الله عليه وسلم انطفأ ذات ليلة فقال إنا لله وإنا إليه راجعون فقيل أمصيبة هي يا رسول
الله قال نعم كل ما آذى المؤمن فهو مصيبة قال النووي ورويناه في كتاب ابن السني عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليسترجع أحدكم في كل شيء حتى في شسع نعله فإنها من المصائب اهـ من الحلية وقوله تعالى أولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة الآية نعم من الله تعالى على الصابرين المسترجعين وصلوات الله على عبده عفوه ورحمته وبركته
وتشريفه إياه في الدنيا والآخرة وكرر الرحمة وهي من أعظم الصلوات لما اختلف اللفظ تأكيدا منه تعالى وشهد لهم
بالاهتداء فائدة وفي صحيح البخاري وقال عمر نعم العدلان ونعم العلاوة الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله
وإنا إليه راجعون إلى المهتدون قال النووي في الحلية ورويناه في سنن ابن ماجه والبيهقي بإسناد حسن عن عمرو بن حزم
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة يوم القيامة
ورويناه في كتاب الترمذي والسنن الكبير للبيهقي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عزى ثكلى كسي
بردا في الجنة قال الترمذي ليس إسناده بالقوي اهـ قوله تعالى إن الصفا والمروة من شعائر الله الصفا جمع صفاة
وهي الصخرة العظيمة والمروة واحدة المرو وهي الحجارة الصغار التي فيها لين ومن شعائر الله معناه معالمه وموضع
عبادته وقال مجاهد ذلك راجع إلى القول أي مما أشعركم الله بفضله مأخوذ من شعرت إذا تحسست وحج معناه قصد
وتكرر واعتمر زار وتكرر مأخوذ من عمر الموضع والجناح الإثم والميل عن الحق والطاعة ومن اللفظة الجناح كأنه في شق
ومنه وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ويطوف أصله يتطوف بقوله إن الصفا والمروة من شعائر الله الآية خبر يقتضي
الأمر بما عهد من الطواف بهما وقوله فلا جناح ليس المقصود منه إباحة الطواف لمن شاء لأن ذلك بعد الأمر لا يستقيم
وإنما المقصود رفع ما وقع في نفوس قوم من العرب من أن الطواف بينهما فيه حرج وإعلامهم أن ما وقع في نفوسهم غير
صواب وفي الصحيح عن عائشة أن ذلك في الأنصار ومذهب مالك والشافعي أن السعي بينهما فرض لا يجزئ تاركه إلا العود
قال ابن العربي في أحكامه والدليل على ركنيته ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله قال كتب عليكم السعي
فاسعوا وكرر في الأرض قطعتين وبعض العمرة فاستشعار أي معالم يعملوا عنده الحج والعمرة فكان ركنا كالطواف اهـ ومن تطوع

أي زاد

أي زاد في العمل الواجب في جميع الأعمال وقال بعضهم معناه من تطوع بحج وعمرة بعد حجة الفريضة ومعنى شاكر أي يبذل الثواب والثناء
عليم بالنيات والأعمال لا يضيع معه لعامل عمل وقوله تعالى إن الذين يكتمون ما أنزلنا الآية المراد بالذين أحبار اليهود ورهبان
النصارى الذين كتموا أمر محمد صلى الله عليه وسلم وتتناول الآية بعد كل من كتم علما من دين الله يحتاج إلى بثه وذلك مفسر في قول
النبي صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار قال ابن العربي في أحكامه وللآية تحقيق وهو
أن العالم إذا قصد الكتمان عصى وإذا لم يقصد لم يلزمه التبليغ إذا عرف أن معه غيره وقد كان أبو بكر وعمر لا يحدثان
بكل ما سمعا من النبي صلى الله عليه وسلم إلا عند الحاجة وكان الزبير أقلهم حديثا قال ابن العربي فأما من سئل فقد وجب
عليه التبليغ لهذه الآية وأما إن لم يسأل فلا يلزمه التبليغ إلا في القرآن وحده وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضيلة
التبليغ أنه قال نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها اهـ من أحكام القرآن والبينات والهدى أمر محمد صلى الله
عليه وسلم ثم يعم بعد كل ما يكتم من خير وفي الكتاب يراد به التوراة والإنجيل ويدخل القرآن في عموم الآية واختلف في اللاعنين
فقال قتادة والربيع الملائكة والمؤمنون وهذا واضح ظاهر وقيل الحشرات والبهائم وقيل جميع المخلوقات ما عدا الثقلين
الجن والإنس وهذان القولان لا يقتضيهما اللفظ ولا يثبت إلا بسند يقطع العذر ثم استثنى الله سبحانه التائبين وأصلحوا
أي في أعمالهم وأقوالهم وبينوا أي أمر محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية هذه
الآية محكمة في الذين وافوا على الكفر واختلف في قوله والناس أجمعين والكفار لا يلعنون أنفسهم فقال قتادة والربيع
المراد بالناس المؤمنون خاصة وقال أبو العالية معنى ذلك في الآخرة وقوله تعالى خالدين فيها أي في اللعنة وقيل
في النار وعاد الضمير عليها وإن لم يجر لها ذكر لثبوتها في المعنى ولا هم ينظرون أي لا يؤخرون عن العذاب ويحتمل أن يكون من
النظر نحو قوله تعالى ولا ينظر إليهم يوم القيامة والأول أظهر لأن النظر بالعين إنما يعدى بإلى إلا شاذا في الشعر قوله تعالى وإلهكم إله
واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم قال عطاء لما نزلت هذه الآية بالمدينة قال كفار قريش بمكة ما الدليل على هذا وما آيته وعلامته
ونحوه عن ابن المسيب فنزل إذ ذاك قوله تعالى إن في خلق السماوات والأرض الآية أي في اختلافهما وتعاقبهما والنهار من طلوع
الفجر إلى غروب الشمس تقتضيه بزاله قول النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم إنما هو بياض النهار وسواد الليل وهذا هو
مقتضى الفقه في الأيمان ونحوها وأما على ظاهر اللغة وأخذه من السعة فهو من الإسفار وقال الزجاج في كتاب الأنواء أول
النهار ذرور الشمس قال وزعم النضر بن شميل أن أول النهار ابتداء طلوع الشمس ولا يعد ما قبل ذلك من النهار وقال ابن ع قول النبي صلى
الله عليه وسلم هو الحكم والعمدة والفلك السفن مفرده وجمعه بلفظ واحد وما أنزل الله من السماء من ماء يعني به الأمطار وبث معناه فرق
وبسط ودابة تجمع الحيوان كله وتصريف الرياح إرسالها عقيما وملقحة وصرا ونصرا وهلاكا وجنوبا وشمالا وغير ذلك
والرياح جمع ريح وجاءت في القرآن مجموعة مع الرحمة مفردة مع العذاب إلا في يونس في قوله سبحانه وجرين بهم بريح طيبة
وهذا أغلب وقوعها في الكلام وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا هبت ريح يقول اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا

اجعلها

ريحا وذلك لان ريح العذاب تشتد ملتئمة الاجزاء وكانها جسم واحد وريح الرحمة تهب من هاهنا وهاهنا
متقطعة فلذلك يقال هي رياح نشرا واتى في مع العلطامة ان الرياح اخيار البحر اغاب واحدة منطلقة وصفت
بالطيب والاسم تنفخ الله بينهما وبين ريح العذاب وهي لطيفة من ذوات الواو فيقال ريح وارواح ولا يقال ارياح وانما
يقال رياح من جهة الكسرة وطلب تناسب الياء معها وقد لحن في هذه اللفظة عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير
واستعمل الارياح في شعره ولحن في ذلك وقال له ابو حاتم ان الارياح لا يجوز فقال الا تسمع قولهم رياح فقال ابو حاتم هذا
خلاف ذلك فقال صدقت ورجع **والسحاب** جمع سحابة سمي بذلك لانه ينسحب وتسحبه الريح من مكان الى اخر بهذه
الايات **وقوله تعالى** ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا الاية النعو النكير والمغلوم وقال مجاهد وقتادة المراد به
بالانداد الاوثان يحبونهم كحب الله اي كحبهم الله او كحبهم حسبما قدر كل وجه منهم في وقته ومعنى كحبهم اي يعظمونهم
ويخضعون لها والاوثان **نعم** يعني ان المومنين اشد حبا لله لاخلاصهم وتعظيمهم الحق **قوله تعالى** ولو يرى الذين ظلموا اذ
ولو ترى يا محمد الذين ظلموا في حال رويتهم العذاب وفزعهم منه واستعظامهم له لاقروا ان القوة لله جميعا وتعلق
ان القوة لله جميعا بجواب لو ومعناه التقدير وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم علم ذلك ولكن خوطب والمراد امته
وفي الحمد وغيره باب اي ولو يرى في الدنيا الذين ظلموا حالهم في الاخرة اذ يرون العذاب لعلموا ان القوة لله جميعا **و** الذين
اتبعوا يعني القادة والعلماء هم الرؤساء يعني الله ان المتبوعين الضالين المضلين من سادتهم والشياطين وتبرؤهم ان قالوا انا لم نضلكم
هوانا بل كنتم ... والسبب في اللغة الحبل الذي يوصل به الى كل ما ينتفع به فيقطع بينهم **وقال الذين اتبعوا**
اي الاتباع **والكرة** العودة الى حال قد كانت كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم يحتمل ان يكون من رؤية البصر ويحتمل ان يكون
من الرؤية اي يريهم الله اعمالهم الفاسدة التي ارتكبوها وقال ابن مسعود اعمالهم الصالحة التي تركوها **و** الحسرة اعلا درجات الندامة
والهم بما فات وهو مشتق من الحسر الحسير الذي انقطع وذهبت قوته وقيل من حسر اذا كشف **قوله تعالى** يا ايها الناس كلوا
مما في الارض حلالا طيبا الاية خطاب عام وما بمعنى الذي وحلالا حال من الضمير العائد على ما **و** طيبا نعت ويجوز ان يكون حالا
من الضمير في كلوا تقديره مستطيبين **و** الطيب عند مالك الحلال ومع هذا اكبر لا ختلاف اللفظ وهو عند الشافعي
المستلذ ولذلك يمنع اكل الحيوان القذر وقال الحلال هو المباح الذي انحلت عقدة الحظر عنه واحلاه من الحل الذي هو ضد العقد
اه **و** خطوات جمع خطوة والمعنى النهي عن اتباع الشيطان وسلوك سبيله وطريقه قال ابن عباس خطوات الشيطان اعماله
وقال غيره اثاره **ع** وكل ما عدا السنن والشرائع من البدع والمعاصي فهي خطوات الشيطان وعدو يقع للمفرد والتثنية
والجمع **انما** يامركم بالسوء والفحشاء لانه اغا هنا الحصر وامر الشيطان انما هو قوله في زمن الكهنة وانما هو وسوسته **و** السوء
مصدر من ساء يسوء وهي المعاصي وما تسوء عاقبته **و** الفحشاء قال ابن عباس هو ما فيه حد وذلك اصل الفحشاء فحش القبح ثم
استعملت اللفظة فيما يستقبح والشرع هو الذي يحسن ويقبح فكل ما نهت عنه الشريعة فهو من الفحشاء **و** ان تقولوا

قال

قال الطبري ما حرموا من البحيرة والسائبة ونحوهما وجعلوه شرعا **و** اذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الاية وقال ابن عباس
نزلت في اليهود والاية قوله سبحانه اولو كان الاية اي ولو كانوا لا يعقلون وكانت عادة العرب في التقليد اي يقولون نتبع اباءنا ولو
كانوا لا يعقلون وقد روى ان النبي امرهم هذه الاية قالوا اباءنا وفي هذه الاية ابطال التقليد وجمعت
الامة على ابطاله في العقائد **و** مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق المراد تشبيه واعظ الكافرين وداعيهم بالذي
الذي ينعق بالغنم والابل فلا تسمع الا دعاء ونداء ولا تفقه ما يقول هكذا فسره ابن عباس وعكرمة والسدي وسيبويه
فذكر تعالى بعض هذه الجملة وبعض هذه وترك ما يدل على المحذوف وهذه نهاية الايجاز والنعق زجر الغنم والصياح
بها **وقوله تعالى** يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم الاية الطيب هنا يجمع الحلال والمستلذ والاية تشير
بتبعيض ما الى ان الحرام رزق **و** حض تعالى على الشكر والمعنى في كل حالة وفي مصابيح البغوي عن ابي داود والنسائي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الطاعم الشاكر كالصائم الصابر اه قال اهل العلم لا حول للعبد
تعالى على عبده في نعمه دفع وتعميه للنقم ما لو له وفي الترمذي ما روي عنه وليس كل نعامه نسي ذم
النظر اسبابه الدنيا والنعم بل الطافه تعالى فيما روي عنه من الدنيا الكفي وان قد الحسن من الله تعالى على حسب
نعا عوض من الدنيا اه من النجم وقال ابو عمر بن عبد البر في كتابه المسمى ببهجة المجالس قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما انعم الله على عبد نعمة فعلم انها من عند الله الا كتب الله له شكرها وما علم الله من عبد ندامة على ذنب الا
غفر له قبل ان يستغفره وان الرجل ليلبس الثوب فيحمد الله فما يبلغ ركبتيه حتى يغفر له قال ابو عمر مكتوب في التوراة
اشكر لمن انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا زوال للنعم اذا شكرت ولا مقام لها اذا كفرت اه **و** ان من قوله ان كنتم
اياه تعبدون شرط والمراد بهذا الشرط التثبيت وهو كقولك افعل كذا ان كنت رجلا وانما هنا حاصرة
و لفظ الميتة عموم والمعنى مخصص لان الحوت لم يدخل في هذا العموم وفي مسند البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان الله حرم الميتة وحرم الميتة وثمنها وحرم الخنزير وثمنه اه من الكوكب الدري للامام ابي العباس احمد بن سعيد
والدم يراد به المسفوح لان ما خالط اللحم فغير محرم باجماع **قلت** بل فيه خلاف مذكور عند ابن الحاج وغيره والمشهور
انه لعائشة رضي الله تعالى عنها لو حرم غير المسفوح لتتبع الناس ما في العروق ولقد كنا نطبخ اللحم والبرمة
تعلوها الصفرة اه **و** ما اهل به لغير الله قال ابن عباس وغيره المراد ما ذبح للانصاب والاوثان واهل معناه
صيح به ومنه استهلال المولود وجرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود بالذبيحة وغلب ذلك في استعمالهم حتى
عبر به عن النية التي هي علة التحريم **فمن اضطر** معناه غير باغ ولا عاد قال قتادة وغيره معناه غير قاصد فساد
وتعد بان يجد عن هذه المحرمات مندوحة ويأكلها وهذه هذا القول يجيز ان ياكل منها في كل سفر مع الضرورة
وقال مجاهد وغيره المعنى غير باغ على المسلمين وعاد عليهم فيدخل في الباغي والعادي قطاع السبيل والخارج عن السلطان

وانما هي في قطع الطريق والتعدي على المسلمين وما اشبه ذلك ولغير هؤلاء هي الرخصة قال مالك رحمه الله يأكل المضطر
شبعه وفي الموطأ وهو لغيره من العلماء الذين يرون اذا خشي الضرورة فيما بين يديه من معاوزه وقيل قال ابن العربي في
احكامه وقد قال العلماء ان من اضطر الى اكل الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل دخل النار الا ان يغفر الله له والمعنى
الا ان يأكل حتى مات جوعا فهو عاص لانه قتل نفسه وقد قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم الآية الى قوله ومن يفعل ذلك
عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا قال ابن العربي واذا دامت المخمصة فلا خلاف في جواز شبع المضطر وان كانت نادرة
ففي شبعه قولان احدهما لمالك يأكل حتى يشبع ويتضلع وقال غيره يأكل بقدر سد الرمق وبه قال ابن حبيب وابن الماجشون
انتهى وقوله تعالى ان الذين يكتمون ما انزل الله الآية قال ابن عباس وغيره المراد احبار اليهود الذين كتموا امر محمد
صلى الله عليه وسلم والكتاب التوراة والانجيل ابن عطية وهذه الآية وان كانت نزلت في الاحبار فانها تتناول علماء
المسلمين من كتم الحق مختارا لذلك بسبب دنيا يصيبها وفي ذكر البطون تنبيه على مذمتهم بانهم باعوا آخرتهم بحظهم
من المطعم الذي لا خطر له وعلى هجنتهم بطاعة بطونهم قال الربيع وغيره سمي ما اكلوه من الرشا نارا لانه يؤول بهم الى
النار وقيل يأكلون النار في جهنم حقيقة قلت وينبغي لاهل العلم التنزه عن قبول شيء من المتعلمين على تعليم العلم
بل يلتمسون الاجر من الله سبحانه وقد قال تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم قل ما اسألكم عليه اجرا الآية وفي سنن ابي داود عن
عبادة بن الصامت قال علمت ناسا من اهل الصفة القرآن والكتابة فاهدى الي رجل منهم قوسا فقلت ليست بمال وارمي
عليها في سبيل الله لآتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاسألنه فاتيته فقلت يا رسول الله رجل اهدى الي قوسا ممن كنت اعلمه
الكتابة والقرآن وليست بمال وارمي عليها في سبيل الله قال ان كنت تحب ان تطوق طوقا من نار فاقبلها وفي رواية فقلت
ما ترى فيها يا رسول الله فقال جمرة بين كتفيك تقلدتها او تعلقتها انتهى وقوله تعالى ولا يكلمهم الله قيل هي عبارة عن
الغضب عليهم وازالة الرضا عنهم اذ في غير موضع من القرآن ما ظاهره ان الله تعالى يكلم الكافرين وقال الطبري وغيره
المعنى لا يكلمهم بما يحبونه ولا يزكيهم اي لا يطهرهم من موجبات العذاب وقيل المعنى لا يثني عليهم وقوله تعالى
فما اصبرهم على النار قال جمهور المفسرين ما تعجب وهي في حيز المخاطبين اي هم اهل ان تعجبوا منهم ومما يطول مكثهم في
النار وفي التنزيل قتل الانسان ما اكفره اسمع بهم وابصر وقال قتادة والحسن وابن جبير والربيع اظهر التعجب من صبرهم
على النار لما عملوا عمل من وطن نفسه عليها وتقديره ما اصبرهم على عمل اهل النار اي يعملون عملا يؤدي اليها وذهب معمر
بن المثنى الى ان ما استفهام ومعناه اي شيء صبرهم على النار والاول اظهر وقوله تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق
الآية المعنى ذلك الامر بان الله تعالى نزل الكتاب بالحق فكفروا به والاشارة الى وجوب النار لهم والكتاب القرآن وبالحق
اي بالاخبار الحق الصادقة والذين اختلفوا في الكتاب هم اليهود والنصارى في قول السدي وقيل هم كفار العرب لقول بعضهم
هو سحر وبعضهم اساطير وبعضهم مفترى الى غير ذلك وبعيد هنا معناه من الحق والاستقامة وقوله تعالى ليس البر

ان تولوا

ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الآية قال ابن عباس وغيره الخطاب بهذه الآية للمؤمنين فالمعنى ليس البر
الصلاة وحدها وقال قتادة والربيع الخطاب لليهود والنصارى لانهم تكلموا في تحويل القبلة وفضلت كل فرقة توليها
فقيل لهم ليس البر ما انتم فيه ولكن البر من آمن بالله وقوله تعالى وآتى المال على حبه الآية هذه كلها حقوق في المال
سوى الزكاة قال العلماء وروت فاطمة بنت قيس ان في المال حقا سوى الزكاة وقرأ وآتى المال على حبه الآية وعنه صلى
الله عليه وسلم لا يؤمن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره طاو الى جنبه انتهى قال ابن العربي في احكامه واذا
وقع اداء الزكاة ثم نزلت بعد ذلك حاجة فانه يجب صرف المال اليها باتفاق من العلماء وقد قال مالك يجب على كافة
المسلمين فداء اسراهم وان استغرق ذلك اموالهم وكذلك اذا منع الوالي الزكاة فهل يجب على الاغنياء اغناء الفقراء
وجوبا لتعليمه له ومعنى آتى اعطى على حبه اي على حب المال ويحتمل ان يعود الضمير على اسم الله تعالى من قوله
من آمن بالله اي من تصدق محبة لله وطاعته الصفاقسي والظاهر ان الضمير في حبه عائد على المال فاعرفه
والضمير لا يعود على غير مذكور الا بدليل انتهى قال ع والمعنى المقصود ان يتصدق المرء في هذه الوجوه وهو صحيح شحيح
يخشى الفقر ويأمل الغنى كما قال صلى الله عليه وسلم والشح في هذا الحديث هو الغريزة التي في قوله تعالى واحضرت
الانفس الشح وليس المعنى ان يكون المتصدق متصفا بالشح الذي هو البخل وفي الرقاب اي في العتق وفك الاسارى
والقربى يصح على الرحم او على اضمار فعل وهذا مجمع في تكرر التعرف والبأساء الفقر والفاقة والضراء
المرض ومصائب البدن وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من يدعى الى الجنة الذين يحمدون
الله في السراء والضراء رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم انتهى من السلاح وفي صحيح مسلم عن صهيب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المؤمن ان امره كله له خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان اصابته سراء
شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له وحين البأس وقت شدة القتال هذا قول
المفسرين في كل العالم الثلاثة تقول العرب ليس البطل ذا العصي ويوم اذا شحج ثم وصف تعالى اهل هذه الافعال
بالصدق في امورهم اي هم عند الظن بهم والرجاء فيهم كما تقول صدقني المال وصدقني الحرب ووصفهم الله
تعالى بالتقى والمعنى هم الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص
الآية كتب معناه فرض واثبت وصورة فرض القصاص هو ان القاتل فرض عليه اذا اراد الولي القتل الاستسلام لامر
الله وان الولي فرض عليه الوقوف عند قتل قاتل وليه وترك التعدي على غيره فان وقع الرضا بدون القصاص
من دية او عفو فذلك مباح والآية معلمة ان القصاص هو الغاية عند التشاح والقصاص مأخوذ من قص
الاثر فكان القاتل سلك طريقا من القتل فقص اثره فيها ومشى على سبيله وروي عن ابن عباس ان هذه الآية محكمة وفيها اجمال فسرته
الآية التي في المائدة وان قوله سبحانه وتعالى الحر بالحر يعم الرجال والنساء واجمعت الامة على قتل الرجل بالمرأة والمرأة

بالأنثى جل وقوله تعالى فمن عفي له من أخيه شيء الآية فيها تأويلان أحدهما أن من يراد بها القاتل وعفي من العفو والأخ هو المقتول أو الولي والشيء هو الدم الذي يعفى عنه ويرجع إلى أخذ الدية هذا قول ابن عباس وجماعة من العلماء
والعفو على هذا القول على بابه والاتباع والأداء على القاتل والتأويل الثاني هو قول مالك أن من يراد به الولي وعفي بمعنى يسر لا من العفو
والأخ يراد به القاتل والشيء هو الدية والاتباع على هذا على الولي والأداء على القاتل وقيل إن هذه
الآية نزلت فيمن كان قبل الإسلام وهم قوم تقاتلوا فقتل بعضهم بعضا فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلح بينهم
ويقاص ديات بعضهم من بعض في الديات على استواء الأحرار بالأحرار والنساء بالنساء والعبيد بالعبيد ومعنى الآية فمن
فضل له من إحدى الطائفتين على الأخرى شيء من تلك الديات ويكون عفي بمعنى فضل وقوله تعالى فاتباع بالمعروف أي فالواجب
أداء الاتباع وهذا سبيل الواجبات كقوله تعالى فإمساك بمعروف وأما المندوب إليه فيأتي منصوبا كقوله تعالى
فضرب الرقاب وهذه الآية حض من الله تعالى على حسن الاقتضاء من الطالب وحسن القضاء من المؤدي وقوله تعالى
ذلك تخفيف إشارة إلى ما شرعه لهذه الأمة من أخذ الدية وكانت بنو إسرائيل لا دية عندهم إنما هو القصاص
فقط وقوله تعالى فمن اعتدى المعتدي عليه في هذه الآية هو أن يأخذ الرجل الدية ثم يقتل القاتل بعد سقوط الدم
واختلف في العذاب الأليم الذي يلحقه فقال جماعة من العلماء منهم مالك هو كمن قتل ابتداء إن شاء الولي قتله وإن شاء
عفا عنه وعذابه في الآخرة وقال قتادة وغيره يقتل البتة ولا عفو فيه وروي في ذلك حديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم وقوله تعالى ولكم في القصاص حياة المعنى أن القصاص إذا أقيم وتحقق الحكم به ازدجر من يريد قتل أحد مخافة
أن يقتص منه فحيي بذلك معا وأيضا كانت العرب إذا قتل الرجل الآخر حمي قبيلاهما وتقاتلوا وكان ذلك داعيا
إلى موت العدد الكثير فلما شرع الله سبحانه القصاص قنع الكل به ووقفوا عنده وتركوا الاقتتال فلهم في ذلك حياة
وخص أولو الألباب بالذكر تنبيها عليهم لأنهم العارفون القابلون للأوامر والنواهي وغيرهم تبع لهم وتتقون
معناه القتل فتسلمون من القصاص ثم يكون ذلك داعية لأنواع التقوى في غير ذلك فإن الله سبحانه يثيب
على الطاعة بالطاعة وقوله تعالى كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت الآية كتب بمعنى فرض وإن ترك وفي قوله تعالى إذا
حضر مجاز لأن المعنى إذا حضرت أسبابه وعلاماته والخير هنا المال واختلف في هذه الآية هل هي محكمة
أو منسوخة فقال ابن عباس وقتادة والحسن الآية عامة وتقرر الحكم بها برهة ونسخ منها كل من يرث بآية
المواريث وقال بعض العلماء إن الذي نسخ هذه الآية هي السنة المتواترة وهي قوله صلى الله عليه وسلم إن الله
أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث وبالمعروف معناه بالعدل الذي تعرفه النفوس دون إضرار بالورثة
ولا تعد في الوصية وحقا مصدر مؤكد وخص المتقون بالذكر تشريفا للرتبة ليتبادر الناس إليها وقوله تعالى
فمن بدله بعد ما سمعه الآية الضمير في بدله عائد على الإيصاء وكذلك في سمعه ويحتمل أن يعود الذي

في سمعه

في سمعه على مراد الله تعالى في هذه الآية والأول أسبق للخاطر وسميع عليم صفتان لا يخفى معهما شيء من جنف
الموصي وتبديل المغيرين والجنف الميل ومعنى الآية على ما قال مجاهد من خشي أن يجنف الموصي ويقطع ميراث طائفة
ويتعمد الإذاية فذلك هو الجنف وإن لم يتعمد فهو الجنف دون إثم فإن وعظه في ذلك ورده عنه وأصلح ما بينه وبين
ورثته وما بين الورثة في ذاتهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم بالموصي إذا عملت فيه الموعظة ورجع عما أراد من الإذاية
وقال ابن عباس وغيره معنى الآية من خاف أي علم ورأى بعد موت الموصي أن الموصي حاد وجنف وتعمد إذاية بعض ورثته
فأصلح ما بين الورثة فلا إثم عليه وإن كان في فعله تبديل ما لأنه تبديل لمصلحة والتبديل الذي فيه الإثم إنما هو تبديل
الهوى وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام الآية كتب معناه فرض والصيام في اللغة الإمساك ومثله
قوله تعالى إني نذرت للرحمن صوما وفي الشرع الإمساك عن الطعام والشراب والنساء بنية من طلوع الفجر إلى غروب الشمس
وقوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم اختلف في موضع التشبيه فقالت فرقة التشبيه كتب عليكم كصيام من تقدم في
عدده ووقته في الزمان فتغير في النصارى وغيرهم ولعلكم تتقون قيل في حقهم وتتقون قيل على العموم لأن الصيام كما قال صلى الله عليه
وسلم جنة ووجاء وسبب تقوى لأنه يميت الشهوات وأياما معدودات قيل رمضان وقيل الثلاثة أيام من كل شهر
ويوم عاشوراء التي نسخت بشهر رمضان وأياما منصوب بفعل مقدر يدل عليه ما قبله أي صوموا أياما وقيل أياما نصب
على الظرف وقوله تعالى فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة وهذا يسمونه مجاز الحذف واختلف
العلماء في حد المرض الذي يقع به الفطر فقال جمهور العلماء إذا كان به مرض يؤذيه ويؤلمه أو يخاف تماديه من الصوم
أو يزيد به ألم المرض وهو مذهب مالك وبه يقولون وأما العطش فهو المرض الذي يشق على الصائم ويبلغ
واختلف في ذلك ومن فطر من العطش أو الصوم ومذهب مالك استحباب الصوم وتقصير الصلاة وسفر الرخصة في الرخصة
الصلاة وفي مسافته في أمر الصيام والصلاة المتعلقة بالأعمال والشرعي سفر الطاعة كالحج والجهاد بإجماع ويلحق
بها سفر صلة الرحم وطلب المعاش الضروري وأما سفر التجارة والمباحات فمختلف فيه بالمنع والجواز والقول بالجواز
أرجح وأما سفر العصيان فمختلف فيه بالجواز والمنع والقول بالمنع أرجح ومسافة سفر الفطر عند مالك حيث تقصر
الصلاة ثمانية وأربعون ميلا وقوله تعالى فعدة أي فالحكم أو الواجب عدة وفيه وجوه وتابعه فوق ذلك وإن لم يتعرض
للعدد وقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه الآية قرأ ابن عباس يطوقونه في الشاذ وابن علية فدية بالتنوين طعام مسكين بالإفراد
وهي قراءة حسنة لأنه بين الحكم في اليوم واختلفوا في المراد بالآية فقال ابن عمر وجماعة كان فرض الصيام هكذا
على الناس من أراد أن يصوم صام ومن أراد أن يطعم أطعم مسكينا وأفطر ثم نسخ ذلك بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه
وقال بعضهم الآية في الشيوخ الذين يطيقونه بتكلف شديد والآية عند مالك في الذي لم يدركه رمضان فأفطر وعليه صوم
من المتقدمين وغير كان يطيق تلك الأيام الصوم فيها والفدية عند مالك وجماعة من العلماء مد لكل مسكين وقوله

تعالى فمن تطوع خيرا فهو خير له الآية قال ابن عباس وغيره المراد من أطعم مسكينين فطعام وقال ابن شهاب من أراد الإطعام
مع الصوم وقال مجاهد من زاد في الإطعام على المد وغيره الله أعلم وقد يقال من أنفق مالا ونفع وجميع الطاعات والخيرات صفة تفضيل
وقوله تعالى إن كنتم تعلمون يقتضي الحض على الصوم أي فاعلموا ذلك وصوموا قلت وجاء في فضل الصوم أحاديث صحيحة مشهورة
وخرج أبو بكر ابن الخطيب بسنده عن سهل بن سعد الساعدي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام [يوما] تطوعا لم يطلع عليه أحد
لم يرض الله له بثواب دون الجنة قال وبهذا الإسناد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله اه قال ابن عبد البر في كتابه
المسمى بهجة المجالس قال أبو العالية الصائم في عبادة ما لم يغتب قال الشيخ أبو عبد الله محمد العلالي الشافعي في اختصاره للإحياء
وذكر الحكيم في نوادره أن الغيبة تخرق الصوم [illegible] على العلالي وفيه [illegible] لمشقة [illegible] التي توجهت المغاربة
اه وهذا الشيخ العلالي لقيته ورويت عنه كتابه هذا وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا دخل شهر رمضان فتحت
أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وقال أبو عمر في التمهيد وذلك لأن الصوم جنة يستجن بها العبد من النار ويفتح لهم أبواب
الجنة لأن أعمالهم تكفرهم ويقبل منهم ثم أسند أبو عمر عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت أمتي خمس
خصال في رمضان لم تعطهن أمة قبلهم خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا
ويزين كل يوم جنته ثم يقول يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤنة والأذى ثم يصيروا إليك وتصفد فيه مردة
الشياطين فلا يخلصون إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره ويغفر لهم في آخر ليلة قيل يا رسول الله هي ليلة القدر قال لا ولكن
العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله قال أبو عمر وفي إسناده أبو المقدام فيه ضعف ولكنه محتمل فيما يرويه من الفضائل وأسند أبو
عمر عن ابن [illegible] قال تسبيحة في رمضان أفضل من ألف تسبيحة في غيره قلت وخرج الترمذي عن [illegible] قال تسبيحة في
رمضان أفضل من ألف تسبيحة في غيره اه وقوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن الشهر مشتق من الاشتهار
قال ص الشهر مصدر شهر يشهر إذا ظهر وهو اسم للزمان وقال ابن [illegible] الشهر الهلال وقيل سمي الشهر باسم الهلال
اه ورمضان علم على هذا الشهر [illegible] الرمض وشدة الحر وكان اسمه [illegible] واختلف في إنزال القرآن
فيه فقال الضحاك أنزل في فرضه وتعظيمه والحض عليه وقيل بدئ بنزوله فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس فيما يروى
أنزل إلى سماء الدنيا جملة واحدة ليلة أربع وعشرين من رمضان ثم كان جبريل ينزل به رسلا رسلا في الأوامر والنواهي والأسباب
وروى واثلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان والتوراة لست مضين منه
والإنجيل لثلاث عشرة والفرقان لأربع وعشرين وهدى في موضع نصب على الحال من القرآن والمراد القرآن بجملته
من محكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه هدى ثم شرف بالذكر والتخصيص والبينات منه يعني الحلال والحرام والمواعظ والمحكم
كله فالألف واللام في الهدى للعهد والمراد الأول قال ص هدى منصوب على الحال [illegible] وهو مصدر وضع موضع اسم
الفاعل [illegible] والعامل أنزل اه والفرقان ما فرق بين الحق والباطل وشهر [illegible] والغرب من حكم الشمس

في الحكم

في الشهر وقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر قال مجاهد والضحاك اليسر الفطر في السفر والعسر الصوم في السفر
والوجه عموم اللفظ في جميع أمور الدين وقد فسر ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم دين الله يسر قلت قال ابن العربي
في شيء [illegible] اليسر [illegible] فإن قلت قوله تعالى إن مع العسر يسرا يقتضي بدلالة وقوع العسر قطعا وقوله تعالى
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر يقتضي نفي العسر قطعا لأن ما لا يريد تعالى لا يكون بإجماع أهل السنة قلت
العسر المنفي يعني المشقة والعسر إنما هو العسر في الأحكام الشرعية فلا تعارض اه وخرج البخاري في صحيحه قول النبي صلى
الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وكان يحب التخفيف واليسر على الناس ثم أسند عن أنس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا وأسند البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي موسى ومعاذ
يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا قال البخاري حدثنا أبو النعمان قال حدثنا حماد عن الأزرق بن قيس قال كنا على شاطئ نهر
بالأهواز قد نضب عنه الماء فجاء أبو برزة الأسلمي على فرس فصلى وخلى فرسه فانطلق الفرس فترك صلاته وتبعها
حتى أدركها فأخذها ثم جاء فقضى صلاته وفينا رجل له رأي فأقبل يقول انظروا إلى هذا الشيخ ترك صلاته من أجل
فرس فأقبل فقال ما عنفني أحد منذ فارقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن منزلي متراخ فلو صليت وتركته لم آت أهلي
إلى الليل وذكر أنه قد صحب النبي صلى الله عليه وسلم فرأى من تيسيره اه وقوله تعالى ولتكملوا العدة معناه وليكمل من
أفطر في سفره أو في مرضه عدة الأيام التي أفطر فيها وقوله ولتكبروا الله على ما هداكم حض على التكبير في آخر رمضان
قال مالك وهو من حين يخرج الرجل من منزله يوم الفطر إلى أن يخرج الإمام إلى المصلى ولفظه عند مالك وجماعة من العلماء الله أكبر
ثلاثا ومن العلماء من يكبر ويهلل ويسبح أثناء التكبير ومنهم من يقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا
وقيل غير هذا والجميع حسن واسع مع البداءة بالتكبير ولعلكم تشكرون قيل المراد [illegible] من تيسير صيامه ونعمة الهدى
[illegible] ص ولعلكم تشكرون [illegible] وهذا نوع من اللف
لطيف المسلك اه وقوله تعالى وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان الآية قال الحسن
ابن أبي الحسن سببها أن قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت الآية
قال [illegible] أجيب أن [illegible] وقال [illegible] إن الله تعالى يجيب كل الدعاء فإما أن تظهر الإجابة في الدنيا وإما أن يكفر عنه
وإما أن يدخر له أجر في الآخرة وهذا بحسب حديث الموطأ ما من داع يدعو إلا كان بين إحدى ثلاث [illegible] قلت
وليس هذا باختلاف قول [illegible] الدعاء عبادة من العبادات [illegible] العظيم أجيبه [illegible]
[illegible] وهذا [illegible] من [illegible] هذا [illegible] وعن أنس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجزوا في الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد رواه الحاكم أبو عبد الله في المستدرك على الصحيحين
[illegible] صحيح الإسناد وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السماوات والأرض رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح وعن جابر بن عبد الله رضي
الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدعو الله تعالى بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه فيقول عبدي
إني أمرتك أن تدعوني ووعدتك أن أستجيب لك فهل كنت تدعوني فيقول نعم يا رب فيقول أما إنك لم تدعني بدعوة
إلا استجبت لك أليس دعوتني يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك فيقول نعم يا رب فيقول إني عجلتها لك في
الدنيا ودعوتني يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك فلم تر فرجا فيقول نعم يا رب فيقول تعالى إني ادخرت لك بها في
الجنة كذا وكذا ودعوتني في حاجة أقضيها لك في يوم كذا وكذا فقضيتها فيقول نعم يا رب فيقول فإني عجلتها لك في الدنيا
ودعوتني في يوم كذا وكذا في حاجة أقضيها لك فلم تر قضاءها فيقول نعم يا رب فيقول إني ادخرت لك بها في الجنة كذا
وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يدع الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلا بين له إما أن يكون عجل له في الدنيا
وإما أن يكون ادخر له في الآخرة قال فيقول المؤمن في ذلك المقام يا ليته لم يكن عجل له شيء من دعائه رواه الحاكم في
المستدرك وعن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد القدر إلا الدعاء رواه الحاكم في المستدرك
وابن حبان في صحيحه واللفظ للحاكم وقال صحيح الإسناد قلت وقد أخرج ابن المبارك رحمه الله في رقائقه هذا الحديث أيضا
قال حدثنا سفيان عن عبد الله بن عيسى عن عبد الله بن أبي الجعد عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد القضا
إلا الدعاء وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة رواه
الحاكم في مستدركه وقال صحيح الإسناد وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فتح له في الدعاء منكم فتحت
له أبواب الجنة قال الغزالي رحمه الله تعالى في كتاب الإحياء فإن قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له فاعلم أن من
القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما أن الترس سبب لرد السهم وفي الدعاء
من الفوائد أنه يستدعي حضور القلب مع الله تعالى وذلك منتهى العبادات فالدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل
بالتضرع والاستكانة والله تعالى أعلم انتهى باختصار والدعاء سلاح المؤمن الذي منه [illegible] هذا الحديث
ومن جامع الترمذي عن أبي خزامة واسمه رفاعة عن أبيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول
الله أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا قال هي من قدر الله قال أبو
عيسى هذا حديث حسن صحيح [illegible] عن أبي خزامة عن أبيه [illegible] من قدر الله إلى قدر الله [illegible] وهو من هذا
المعنى والله الموفق للصواب وقوله تعالى فليستجيبوا لي قال أبو رجاء الخراساني معناه فليدعوا لي قال ع المعنى فليطلبوا
أن أجيبهم وهذا هو باب استفعل أي طلب الشيء إلا ما شذ مثل استغنى الله وقال مجاهد وغيره المعنى فليستجيبوا
لي إلى ما دعوتهم إليه من الإيمان أي بالطاعة والعمل وليستمروا قال صاحب غرائب القرآن [illegible] الله سبحانه

دعو

وهو إما عادة لعل العرب [illegible] وكذا به هذا [illegible] قال ذكر الزنبوري في كتاب المجالسة عن ابن سليم أن رجلا وقف
على قوم فقال من عنده ضيافة هذه الليلة فسكت القوم ثم عاد فقال رجل أعمى عندي فذهب إلى منزله فعشاه
ثم حدثه ساعة ثم وضع له وضوءا فقام الرجل في جوف الليل فتوضأ وصلى ما قضي له ثم جعل يدعو فانتبه الأعمى
وجعل يسمع لدعائه فقال اللهم رب الأرواح الفانية والأجساد البالية أسألك بطاعة الأرواح الراجعة إلى
أجسادها وبطاعة الأجساد الملتئمة في عروقها وبطاعة القبور المنشقة عن أهلها وبدعوتك الصادقة
فيهم وأخذك الحق منهم وتبيين الخلائق كلهم من مخافتك ينتظرون قضاءك ويرجون رحمتك ويخافون عذابك
أسألك أن تجعل النور في بصري والإخلاص في عملي وشكرك في قلبي وذكرك في لساني في الليل والنهار ما أبقيتني قال
فحفظها الأعمى بهذه الدعوات فقام فتوضأ وصلى ركعتين ودعا بها فرد الله عليه بصره [illegible]
في [illegible] والإطلاق الطاعة على الأرواح فيه تجوز والتفسير أن الأرواح باقية لا تفنى وإنما تجيب [illegible]
أجسادها بالفناء وعلى هذا هو مراده وروى ابن المبارك في رقائقه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن
القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض فادعوا الله أيها الناس حين تدعون وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله
لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل قال ابن عطاء الله في لطائف المنن وإذا أراد الله أن يعطي عبدا شيئا وهبه
الاضطرار إليه فيه فيطلبه بالاضطرار فيعطيه وإذا أراد الله أن يمنع عبدا أمرا منعه الاضطرار إليه فيه ثم منعه إياه
فلا يخاف عليك أن تضطر وتطلب ولا تعطى بل يخاف عليك أن تحرم الاضطرار فتحرم الطلب أو تطلب بغير اضطرار
فتحرم العطاء اهـ وقوله تعالى وليؤمنوا بي قال أبو رجاء في أني أجيب دعاءهم وقال غيره بل ذلك دعاء إلى الإيمان بجملته
وقوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم لفظ أحل يقتضي أنه كان محرما قبل ذلك وليلة نصب على الظرف والرفث
كناية عن الجماع لأن الله تعالى كريم يكني قاله ابن عباس وغيره والرفث في غير هذا ما فحش من القول وقال
أبو إسحاق الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة [illegible] في هذه
الآية فيما قال ابن عباس وغيره وجماعة من المسلمين اختانوا أنفسهم وأصابوا النساء بعد النوم أو بعد صلاة
العشاء على خلاف في ذلك منهم عمر بن الخطاب جاء إلى امرأته فأرادها فقالت له قد نمت فظن أنها تعتل عليه فوقع
بها ثم تحقق أنها قد كانت نامت وكان الوطء بعد نوم أحدهما ممنوعا فذهب عمر فاعتذر عند النبي صلى الله عليه
وسلم فنزل صدر الآية وروي أن صرمة بن قيس نام قبل أن يأكل فبقي كذلك دون أكل حتى غشي عليه في نهاره المقبل فنزل
فيه قوله تعالى وكلوا واشربوا [illegible] ثم [illegible] كذلك وتاب عليكم أي
من المعصية التي وقعتم فيها قال ابن عباس وغيره فالآن باشروهن كناية عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم قال ابن عباس
وغيره ابتغوا الولد [illegible] النكاح من التناسل

كتابة

قال عليه الصلاة والسلام ثم اتموا ثم اسلموا باي مكان بليلة لا يام اه وقيل المعنى ان دخول ليلة القدر وقيل ابتغوا الرخص
والتوسعة قاله قتادة وهو قول حسن وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الآية ذكر انها نزلت بسبب صرمة بن قيس وحتى غاية
للتبيين ويتبين اي يقع للمتبين كاحد وغيره عليه [illegible] وقد مضى لطلوع الفجر قدر والخيط استعارة من تشبيه
الليل او ورقة السواد به والمراد فيما قال جميع العلماء بياض النهار وسواد الليل ومن الاول النظر الغالبة
والثانية للتبعيض والفجر ماخوذ من تفجر الماء لانه يتفجر شيئا بعد شيء وروي عن سهل بن سعد وغيره من
الصحابة رضي الله عنهم انها نزلت الى قوله من الفجر وصنع بعض الناس خيطا ابيض واسود فنزل قوله تعالى من الفجر ع هـ
وروي انه كان بين طرفي الخيط عام من رمضان الى رمضان فاخر البيان الى وقت الحاجة وعدي بن حاتم جعل خيطين
على وساده واخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان وسادك لعريض واختلف في الحد الذي بتبينه يجب الامساك
فقال الجمهور وبه اخذ الناس ومضت عليه الامصار والاعصار ووردت به الاحاديث الصحاح انه الفجر المعترض
في الافق يمنة ويسرة فبطلوع اوله في الافق يجب الامساك وروي عن عثمان بن عفان وحذيفة بن
اليمان وابن عباس وغيرهم ان الامساك يجب بتبين الفجر في الطرق وعلى رؤوس الجبال وذكر عن حذيفة انه قال تسحرت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو النهار الا ان الشمس لم تطلع ومن اكل وهو يشك في الفجر فعليه القضاء عند
مالك وقوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل امر يقتضي الوجوب والى غاية واذا كان ما بعدها من جنس ما قبلها
فهو داخل في حكمه واذا كان من غير جنسه لم يدخل في المحدود والليل الذي يتم به الصيام مغيب قرص الشمس
ومن افطر شاكا في غروبها فالمشهور من المذهب ان عليه القضاء والكفارة وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حين يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام
وتفتح لها ابواب السماء ويقول الرب تعالى وعزتي لانصرنك ولو بعد حين رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان
في صحيحه وقال الترمذي واللفظ له حديث حسن ولفظ ابن ماجه حتى يفطر اه من السلاح وعنه صلى الله
عليه وسلم قال للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه رواه البخاري ومسلم اه وروى ابن المبارك
في رقائقه قال اخبرنا حماد بن سلمة عن واصل مولى ابي عيينة عن لقيط ابي المغيرة عن ابي بردة ان ابا موسى
الاشعري كان في سفينة في البحر مرفوع شراعها فاذا رجل يقول يا اهل السفينة قفوا سبع مرات فقلنا الا ترى
على اي حال نحن الا ترى انا في السفينة فقال الا اخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه انه من عطش نفسه
لله في يوم حار من ايام الدنيا شديد الحر كان حقا على الله ان يرويه يوم القيامة فكان ابو موسى يتبغى
اليوم الشديد الحر فيصومه اه قال ابو عمر بن عبد البر ذكره في كتاب التمهيد وخرج عبد الرزاق في
مصنفه عن هشام بن حسان عن واصل بن لقيط عن ابي بردة عن ابي موسى الاشعري قال غزا الناس في البحر او

وكنت

وكنت معهم في البحر فبينما نحن نسير في البحر اذ سمعنا صوتا يا اهل السفينة قفوا نخبركم فقمنا فلم نر بيننا
وشمالنا شيئا فلما جاوزنا البحر ثم نادى الثانية حتى نادى سبع مرات يقول كذلك قال ابو موسى
فلما كانت السابعة قمت فقلت ما تخبرنا قال اخبرك بقضاء قضاه الله على نفسه انه من عطش لله
في يوم حار ارواه الله يوم القيامة وذكر ابن حبيب في الواضحة ذلك ايضا اه قال ابن العربي
واخبرنا ابو بكر بن [illegible] قال حدثني [illegible] قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء
بابا وباب العبادة الصيام اه وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كل عمل ابن ادم يضاعف الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف قال الله الا الصوم فانه
لي وانا اجزي به انه يدع شهوته وطعامه من اجلي اه وقوله تعالى ولا تباشروهن وانتم عاكفون في
المساجد قالت فرقة المعنى ولا تجامعوهن وقال الجمهور ذلك يقع على الجماع فما دونه مما يتلذذ به من
النساء وعاكفون اي ملازمون قال مالك رحمه الله تعالى وجماعة معه لا اعتكاف الا في مسجد الجماعة
وروي عن مالك ايضا ان ذلك في كل مسجد ويخرج الى الجمعة كما يخرج الى ضروري اشغاله قال ابن العربي في
احكامه وحرم الله سبحانه المباشرة في المسجد وكذلك تحرم خارج المسجد لان معنى الآية ولا تباشروهن
وانتم ملتزمون للاعتكاف في المساجد معتقدون له اه وتلك اشارة الى هذه الاوامر والنواهي والحدود
الحواجز بين الاباحة والحظر ومنه قيل للبواب حداد لانه يمنع ومنه الحاد لانها تمتنع من الزينة
والآيات العلامات الهادية الى الحق وقوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الآية الخطاب
لامة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويدخل في هذه الآية القمار والخداع والغصوب وجحد الحقوق وغير ذلك
وقوله تعالى وتدلوا بها الى الحكام الآية يقال ادلى الرجل بحجته او بامر يرجو النجاح به تشبيها
بالذي يرسل الدلو في البئر يقال ادلى دلوه ارسلها [illegible] فالمعنى [illegible] تسارعون في الاموال الى المخاصمة
اذا علمتم ان الحجة تقوم لكم اما بان لا تكون على الجاحد بينة او يكون مال امانة كاليتيم ونحوه مما
يكون القول فيه قوله فالباء في بها باء السبب وقيل معنى الآية تسارعوا بالاموال الى الحكام اذا
علمتم [illegible] وهذا القول يترجح لان الحكام مظنة الرشاء الا من عصم وهو الاقل واللفظان متناسبان
تدلوا من ارسال الدلو والرشوة من الرشاء كانها يمد بها لتقضى الحاجة والفريق القطعة
والجزء وبالاثم اي بالظلم وانتم تعلمون اي انكم مبطلون وقوله تعالى يسالونك عن الاهلة قال ابن
عباس وغيره نزلت على سؤال قوم من المسلمين النبي صلى الله عليه وسلم عن الهلال وما فائدة
محاقه وكماله ومخالفته لحال الشمس ومواقيت اي لمحل الديون وانقضاء العدد والآجال وما اشبه

هذه من مصالح العباد ومواقيت الحج انتهى ... وقوله تعالى وليس البر الآية قال
البراء بن عازب والزهري وقتادة سببها أن الأنصار كانوا إذا حجوا أو اعتمروا يلتزمون تشرعاً أن لا يحول بينهم وبين
السماء حائل فكانوا يتسنمون ظهور بيوتهم على الجدرات وقيل كانوا يجعلون في ظهور بيوتهم فتوحاً يدخلون منها
ولا يدخلون من الأبواب وقيل غير هذا مما يشبهه وقوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الآية هي أول آية نزلت
في الأمر بالقتال قال ابن زيد والربيع قوله ولا تعتدوا أي في قتل من لم يقاتلكم وهذه الموادعة منسوخة بقوله
تعالى وقاتلوا المشركين كافة وقال ابن عباس وغيره ولا تعتدوا في قتل النساء والصبيان والرهبان وشبههم فهي
محكمة وقوله تعالى واقتلوهم حيث ثقفتموهم الآية قال ابن إسحاق وغيره نزلت هذه الآية في شأن عمرو بن الحضرمي وواقد
وهي سرية عبد الله بن جحش وثقفتموهم معناه أحكمتم غلبتهم يقال رجل ثقف لقف إذا كان محكماً لما يتناوله من الأمور وأخرجوهم
خطاب لجميع المؤمنين والضمير للكفار قريش والفتنة أشد من القتل أي الفتنة التي حملوكم عليها وراموكم بها على الرجوع إلى
الكفر أشد من القتل ويحتمل أن يكون المعنى والفتنة أي الكفر والضلال الذي هم فيه أشد في الجرم وأعظم من القتل
الذي عيبتم عليكم في شأن ابن الحضرمي وقوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام الآية قال الجمهور كان هذا ثم نسخ
وقال مجاهد الآية محكمة ولا يجوز قتال أحد في المسجد الحرام إلا بعد أن يقاتل قلت وظاهر قوله صلى الله عليه وسلم
وإنما أحلت لي ساعة من النهار ولم تحل لأحد بعدي يقوي قول مجاهد وهذا هو الراجح عندي لا مع البحث وأن الآية
محكمة ولا يجوز الآن القتال في الحرم انتهى قال ابن العربي في أحكامه وقد روي عن الأئمة عن ابن عباس أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة إن هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله تعالى إلى
يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي وإنما أحلت لي ساعة من النهار فعرفت النهي عن القتال فيه نصاً وثم
فإن لجأ إليه كافر فلا سبيل إليه وأما الزاني والقاتل فلا بد من إقامة الحد عليه إلا أن يبتدي الكافر بالقتال فيه
فيقتل بنص القرآن اه‍ وفي أحكام والكفاية ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم
أي فإن قاتلوا فيه والانتهاء في هذه الآية هو الدخول في الإسلام وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله
الفتنة هنا الشرك وما تابعه من أذى المؤمنين قاله ابن عباس وغيره والدين هنا الطاعة والشرع والانتهاء في هذا الموضع
يصح مع عموم الآية في الكفار أن يكون الدخول في الإسلام ويصح أن يكون أداء الجزية وقوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام
والحرمات قصاص الآية قال ابن عباس وغيره نزلت في عمرة القضية وعام الحديبية سنة ست حين صدهم المشركون
أي الشهر الحرام الذي غلبكم الله فيه وأدخلكم الحرم عليهم سنة سبع بالشهر الحرام الذي صدوكم فيه والحرمات قصاص
وفائدة هذه في قوله والحرمات قصاص مقطوع مما قبله وهو ابتداء أمر كان في أول الإسلام أن من انتهك حرمتك نلت
منه مثل ما اعتدى عليك واتقوا الله قيل معناه في أن لا تعتدوا وقيل في أن لا تبدؤوا على القتال وقوله تعالى وأنفقوا

في

في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة الآية سبيل الله هنا الجهاد واللفظ يتناول بعد جميع سبله وفي الصحيح
أن أبا أيوب الأنصاري كان على القسطنطينية فحمل رجل على عسكر العدو فقال قوم ألقى هذا بيده إلى التهلكة فقال أبو
أيوب لا إن هذه الآية نزلت في الأنصار حين أرادوا لما ظهر الإسلام أن يتركوا الجهاد ويعمروا أموالهم وأما هذا فهو
الذي قال الله فيه ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله وقال ابن عباس وحذيفة ابن اليمان وجمهور الناس
المعنى لا تلقوا بأيديكم بأن تتركوا النفقة في سبيل الله وتخافوا العيلة وأحسنوا قيل معناه في أعمالكم بامتثال الطاعات
روي ذلك عن بعض الصحابة وقيل المعنى وأحسنوا في الإنفاق في سبيل الله وفي الصدقات قاله زيد بن أسلم وقال عكرمة
المعنى وأحسنوا الظن بالله عز وجل قلت وما أشبه أن لفظ الآية عام يتناول جميع ما ذكر والمخصص يفتقر إلى دليل
فأما حسن الظن بالله سبحانه فقد جاءت فيه أحاديث صحيحة فمنها ... وفي صحيح مسلم عن جابر قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بثلاثة أيام يقول لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله اه‍ وأخرج أبو بكر بن الخطيب
بسنده عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حسن عبادة الله حسن ظنه اه‍ قال عبد الحق في العاقبة إنما حسن
الظن بالله عز وجل عند الموت بواجب الطريقة اه‍ ويدخل في عموم الآية أنواع المعروف وقال الربيع بن عبد البر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله أوصني قال لا تحقرن شيئاً من المعروف أن
تأتيه ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسط إليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة وقال عليه السلام إن لله خلقاً وعباداً خلقهم لحوائج الناس هم الآمنون يوم
القيامة اه‍ من كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس وقوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله قال ابن رشيد وغيره إتمامهما
أن لا تفسخا وأن تتمهما إذا بدأت بهما وقال ابن عباس وغيره إتمامهما أن تقضي مناسكهما كاملة بما كان فيهما من دماء وقال
سفيان الثوري إتمامهما أن تخرج قاصداً إليهما لا لتجارة ولا لغير ذلك ويؤيد هذا قوله لله وفرض الحج النية والإحرام
والطواف المتصل بالسعي يعني طواف الإفاضة والسعي بين الصفا والمروة عندنا خلافاً لأبي حنيفة والعمرة
سنة وزاد ابن الماجشون جمرة العقبة وقوله تعالى فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي هذه الآية نزلت عام
الحديبية عند جمهور أهل التأويل وأجمع جمهور الناس على أن المحصر بالعدو يحل حيث أحصر وينحر هديه إن كان ثم هدي
ويحلق رأسه وأما المحصر بمرض فقال مالك وجمهور العلماء لا يحله إلا البيت ويقيم حتى يفيق وإن أقام سنين فإذا وصل
البيت بعد فوت الحج قطع التلبية في أوائل الحرم وحل بعمرة ثم تكون عليه حجة قضاء وفيها يكون الهدي وما في موضع
رفع أي فالواجب أو فعليكم ما استيسر وهو شاة عند الجمهور وقال ابن عمر وعروة جمل دون جمل وبقرة دون بقرة وقوله تعالى
ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله الخطاب لجميع الأمة وقيل للمحصرين خاصة ومحل الهدي حيث يحل نحره وذلك لمن
بعث بهدي والذي يليه أي في الحاج الحج ثم يحلق ثم يطوف للإفاضة وقوله تعالى فمن كان منكم مريضاً الآية المعنى

كل معروف صدقة

المعنى فحلقوا لاذى فعليه فدية وهذا هو فتوى العلماء عند الكل من الاصوليين ونزلت هذه الآية في كعب بن عجرة حين
رءاه صلى الله عليه وسلم يتناثر قملا فامره بالحلاق ونزلت الرخصة والصيام عند مالك وجميع اصحابه ثلاثة ايام
والصدقة اطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع وذلك مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم والنسك شاة باجماع
ومن اتى بافضل منها فهو افضل والمفتدي مخير في اي هذه الثلاثة شاء وحيث شاء من مكة وغيرها
قال مالك وغيره كل ما اتى في القرءان او او فانه على التخيير وقوله تعالى فاذا امنتم اي من العدو والمرض قال ابن عباس
وغيره وهو اشبه باللفظ وقيل معناه اذا برئتم من مرضكم وقوله تعالى فمن تمتع بالعمرة الى الحج الآية قال ابن عباس وجماعة
من العلماء الآية في المحصرين وغيرهم وصورة المتمتع ان تجتمع فيه ستة شروط ان يكون معتمرا في اشهر الحج وهو غير
حاضر في المسجد الحرام ويحل وينشئ الحج من عامه ذلك دون رجوع الى وطنه او ما ساواه بعدا هذا قول مالك
واصحابه واختلف لم سمي متمتعا فقال ابن القاسم لانه تمتع بكل ما يجوز للمحرم فعله من وقت حله في العمرة الى وقت
انشائه الحج وقال غيره سمي متمتعا لانه تمتع باسقاط احد السفرين وذلك ان حق العمرة ان تقصد بسفر وحق
الحج كذلك فلما تمتع باسقاط احدهما الزمه الله سبحانه هديا كالقارن الذي يجمع الحج والعمرة في سفر واحد
وجل الامة على جواز العمرة في اشهر الحج للمكي ولا دم عليه وقوله فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج يعني من وقت
يحرم الى يوم عرفة فان فاته صيامها قبل يوم النحر فليصمها في ايام التشريق لانها من ايام الحج وسبعة اذا رجعتم
قال مجاهد وغيره اي اذا رجعتم من منى وقال قتادة والربيع هذه رخصة من الله سبحانه والمعنى اذا رجعتم
الى اوطانكم ولما جاز ان يتوهم متوهم التخيير بين ثلاثة ايام في الحج او سبعة اذا رجعتم ازيل ذلك بالجملة بقوله
من قوله تعالى تلك عشرة كاملة قال الحسن بن ابي الحسن المعنى كاملة الثواب وقيل كاملة تاكيد كما تقول كتبت
بيدي وقيل لفظها الاخبار ومعناها الامر اي اكملوها فذلك فرضها وقوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري الآية الاشارة
بذلك على قول الجمهور هي الى الهدي اي ذلك الاشتراط والازم وعلى قول من يقول ان المكي لا تجوز له العمرة في اشهر الحج
تكون الاشارة الى التمتع وحكمه وكان الكلام ذلك الرخصة لمن لم [illegible] ويتأيد هذا بقوله لمن لان اللام ابدا انما تجيء مع
الرخصة واختلف الناس في حاضري المسجد الحرام بعد الاجماع على اهل مكة وما اتصل بها وقيل من تجب عليه الجمعة
فذكره وهو حسن ومن كان ابعد من ذلك فهو بدوي قاله ع ويجعل اللفظة من الحضارة والبداوة وقيل من
كان حيث لا تقصر الصلاة وهو حاضر اي مشاهد ومن كان ابعد من ذلك فهو غائب وقال ابن عباس ومجاهد
اهل الحرم كله حاضروا المسجد الحرام ثم امر الله تعالى بتقواه على العموم وحذر من شديد عقابه وقوله تعالى الحج اشهر
معلومات في الكلام حذف تقديره اشهر الحج اشهر او وقت الحج اشهر معلومات قال ابن مسعود وغيره وهي شوال
وذو القعدة وذو الحجة كله وقال ابن عباس وغيره هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة والقولان لمالك
رحمه الله

رحمه الله فمن فرض فيهن الحج اي الزمه نفسه وفرض الحج هو بالنية والدخول في الاحرام والتلبية تبع لذلك وقوله
تعالى فيهن ولم يجئ الكلام فيها فقال قوم هما سواء في الاستعمال وقال ابو عثمان المازني الجمع الكثير لما لا يعقل يأتي كالواحدة
المؤنثة والقليل ليس كذلك تقول الاجذاع انكسرن والجذوع انكسرت ويؤيد ذلك قوله ان عدة الشهور عند الله ثم قال
منها وقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق وقرأ ابن كثير وابو عمرو فلا رفث ولا فسوق ولا جدال بالرفع والتنوين في الاثنين
ونصب الجدال ولا تنوين والرفث في هذه الآية الجماع في قول ابن عباس ومجاهد ومالك والفسوق قال ابن عباس
وغيره هي المعاصي كلها وقال ابن زيد ومالك الفسوق الذبح للاصنام ومنه قوله تعالى او فسقا اهل لغير الله
به والقول الاول اولى قال الشيخ ابو الفضل حمل الفسوق هنا على كل المعاصي قال ولا يخفى ان اللفظ صالح للكل ومتناول له
والنهي عن الشيء يقتضي الانتهاء عن جميع انواعه فحمل اللفظ على بعض انواع الفسوق تحكم من غير دليل قال ابن عباس
وغيره الجدال هنا ان تماري مسلما حتى تغضبه [illegible] ما وقف ابراهيم عليه السلام كما كانوا في الجاهلية قلت ومعنى
الآية [illegible] فلا تفسقوا ولا تجادلوا كقوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة فاذا كان صوم احدكم فلا يرفث ولا
يصخب فان شاتمه احد او قاتله فليقل اني امرؤ صائم الحديث قال ابن العربي في احكامه قوله تعالى فلا رفث ولا فسوق
اراد نفيه مشروعا لا موجودا فانا نجد الرفث فيه ونشاهده وخبر الله سبحانه لا يقع خلاف مخبره اهـ قال
ابن [illegible] قال العلماء ولما سمع هذا النهي ما وقع من بعضهم من مجادلته النبي صلى الله عليه وسلم حين امرهم بفسخ الحج
الى العمرة فشق عليهم ذلك وقالوا [illegible] الى منى ومذاكيرنا تقطر منيا الحديث اهـ وقوله تعالى وما تفعلوا
من خير يعلمه الله المعنى فيثيب عليه وفي هذا تخصيص على فعل الخير قلت وروى اسامة بن زيد عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صنع اليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد ابلغ في الثناء رواه الترمذي
والنسائي وابن حبان في صحيحه [illegible] من السلاح ونحو هذا جوابه صلى الله عليه وسلم للمهاجرين حين قالوا
ما راينا كالانصار واثنوا عليهم خيرا وقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى الآية قال ابن عمر وغيره نزلت الآية
في طائفة من العرب كانت تجيء الى الحج بلا زاد ويتكففون الناس فامروا بالتزود وقال بعض الناس المعنى
تزودوا الرفيق الصالح وهذا تخصيص ضعيف والاولى في معنى الآية وتزودوا لمعادكم من الاعمال الصالحة
قلت وهذا التأويل هو الذي صدر به البخاري وهو الظاهر وفي قوله فان خير الزاد التقوى حض على التقوى
وقوله تعالى ليس عليكم جناح الآية الجناح اسم عام لما فيه اثم [illegible] في العبادة وفيما يفسدها
وتبتغوا معناه تطلبوا اي ربحا في التجارة وقوله تعالى فاذا افضتم من عرفات اجمع اهل العلم على
تمام حج من وقف بعرفة بعد الزوال وافاض نهارا قبل الليل الا مالك بن انس فانه قال لا بد ان ياخذ من الليل شيئا
واما من وقف بعرفة بالليل فلا خلاف بين الامة في تمام حجه والافاضة [illegible] واختلاف

في تسميتها بذلك والظاهر أنه اسم مرتجل كسائر أسماء البقاع وهي فيه نعمان بين السائر والمشعر الحرام جمع
كأنه هو مدرج جبلي الذي ذلك من حرم عرفة ما زعم عروة الى بطن قال ابن عباس وغيره بين كذلك مشعر الحرام
بطن محسر كما أن عرفة كلها موقف لا بطن عرنة لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
عرفة كلها موقف الا بطن عرنة والمزدلفة كلها مشعر الا وارتفعوا عن بطن محسر وذكر هذا عبد الله بن
الزبير في خطبته وذكر الله تعالى عند المشعر الحرام من فعل أهل العلم قال مالك ومن مر به ولم ينزل فعليه
دم وقوله تعالى واذكروه كما هداكم تعديد النعمة وأمر بشكرها ثم ذكرهم بحالهم الكافر بالتشبيه وهو
في موضع نصب على النعت لمصدر محذوف وما مصدرية أي كما هداكم فتكون ما وما بعدها في موضع خفض
إذ يتسبب منها مع الفعل مصدر ويحتمل أن تكون للتعليل على مذهب الأخفش وابن برهان وجوز ابن ع
أن تكون ما كافة للكاف عن العمل سائر الوقوعها فيه لاقرار الكاف على عملها الجر وفيه منع صاحب المستوفي
أن تكون الكاف مكفوفة وأجيب من أبيات تقول لا
لعمرك إنني وأبا حميد كما النشوان والرجل الحليم
أريد هجاءه وأخاف ربي وأعلم أنه عبد لئيم
ثم ذكر بحالهم الضلالة ليظهر قدر الانعام عليهم وان كنتم من قبله لمن الضالين أي من قبل الهدى وقوله تعالى
ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس الخطاب بهذه الآية قريش ومن ولدت قاله ابن عباس وغيره وذلك أنهم
كانوا لا يخرجون من الحرم ويقفون بجمع ويفيضون منه مع معرفتهم أن عرفة موقف إبراهيم عليه السلام
وقيل ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس أي من عرفة وثم ليست في هذه الآية للترتيب إنما هي لعطف
جملة كلام على جملة هي منها منقطعة وقال الضحاك المخاطب بالآية جملة الأمة والمراد بالناس إبراهيم
عليه السلام ويحتمل أن تكون إفاضة أخرى وهي التي من المزدلفة وعلى هذا عول الطبري فتكون ثم على
بابها وفي المصحف الناس وقرأه آدم عليه السلام وأمر وجل بالاستغفار لأنها مواطنه
ومظان القبول ومساقط الرحمة وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب عشية عرفة فقال أيها الناس
إن الله عز وجل تطاول عليكم في مقامكم هذا فقبل من محسنكم ووهب مسيئكم لمحسنكم الا التبعات فيما بينكم
أفيضوا على اسم الله فلما كان غداة جمع خطب فقال أيها الناس إن الله تطاول عليكم التبعات من عنده
وقوله تعالى فإذا قضيتم مناسككم الآية قال مجاهد المناسك الذبائح وهي إراقة الدماء والمناسك عندي
العبادات في معالم الحج ومواضع النسك فيه والمعنى إذا فرغتم من حجكم الذي هو الوقوف بعرفة فاذكروا
الله بمحامده وأثنوا عليه بآلائه عندكم وكانت عادة العرب إذا قضت حجها تقف عند الجمرة فتفاخر

بالآباء وتذكر أيام أسلافها من بسالة وكرم وغير ذلك فنزلت الآية ليلزموا أنفسهم ذكر الله تعالى أكثر من
التزامهم ذكر آبائهم بأيام الجاهلية هذا قول ابن جمهور المفسرين وقال ابن عباس وعطاء معنى الآية واذكروا
الله كذكر الأطفال آباءهم وأمهاتهم أي فاستغيثوا به والجؤوا إليه قال النووي في حليته والمراد من
الذكر حضور القلب فينبغي أن يكون هو مقصود الذاكر فيحرص على تحصيله ويتدبر ما يذكر
ويتعقل معناه فالتدبر في الذكر مطلوب كما هو مطلوب في القراءة لما يشتمل عليه من المعنى المقصود
ولهذا كان المذهب الصحيح المختار استحباب مد الذاكر قوله لا إله إلا الله لما فيه من التدبر وأقوال
السلف وأئمة الخلف في هذا مشهورة قال الشيخ العارف أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الساحلي
المالقي ومعرفة الذكر أول غايته تتبع معناه بالقلب ليقتبس الذاكر من ذكره أنوار الحق فيه ويحط على
الله الذي أدوا خير في ذكره مع قلبه غافل ساه ولا مع تضييع شيء من رسوم الشرع وقال في موضع
آخر من هذا الكتاب الذي أورد في السلوك ولا مطمع في ذلك في درك حقائق الذكر الا بإعمال العقل
فيما تحت ألفاظ الذكر من المعاني وليدع خطرات نفسه عزمًا لهمته راجعًا الى مقتضى ذكره حتى يغلب
معنى الذكر على قلبه وقوله تعالى لمن يدخل في ذلك من أهل الجاهلية ا.هـ وقوله تعالى فمن الناس من يقول ربنا
آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق الآية قال أبو وائل وغيره كانت عادتهم في الجاهلية الدعاء
في مصالح الدنيا فقط إذ كانوا لا يعرفون الآخرة فنهوا عن ذلك الدعاء المخصوص بأمر الدنيا وجاء النهي
في صيغة الخبر عنهم والخلاق الحظ والنصيب قال الحسن بن أبي الحسن حسنة الدنيا العلم والعبادة
ع واللفظ يقتضي هذا وحسنة الآخرة الجنة بإجماع وعن أنس قال كان أكثر دعاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار رواه البخاري ومسلم وغيرهما
زاد مسلم كان أنس إذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه وقوله أولئك لهم نصيب مما كسبوا وعد على كسب
الأعمال الصالحات والله سريع الحساب لأنه لا يحتاج الى عقد ولا إعمال فكر قيل لعلي رضي الله
عنه كيف يحاسب الله الخلائق في يوم فقال كما يرزقهم في يوم وقيل الحساب هنا المجازاة
وقيل معنى الآية سريع مجيء يوم الحساب فيكون المقصود بالآية الإنذار بيوم القيامة
وقوله تعالى واذكروا الله في أيام معدودات أمر الله تعالى بذكره في الأيام المعدودات وهي
الثلاثة التي بعد يوم النحر ومن جملة الذكر التكبير في إثر الصلوات قال مالك يكبر من صلاة
الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق وبه قال الشافعي ومشهور مذهب
مالك أنه يكبر إثر كل صلاة ثلاث تكبيرات ومن حواشي التكبير وبركته ما رواه ابن السني بسنده

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الحريق فكبروا فإن التكبير يطفئه اهـ
من حلية النووي. وقوله تعالى فمن تعجل الآية قال ابن عباس وغيره المعنى من نفر في اليوم الثاني من أيام المعدودات
فلا حرج عليه ومن تأخر إلى الثالث فلا إثم عليه وكل ذلك مباح إذ كان من [illegible] من بين المتعجل وبالعكس [illegible]
هذه الآية رافعة للجناح ع وأهل مكة في التعجيل كغيرهم على [illegible] ثم أمر سبحانه بالتقوى وذكر بالحشر والوقوف بين
يديه. وقوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا الآية قال السدي نزلت في الأخنس بن شريق [illegible] الإسلام
ثم هرب [illegible] من المسلمين [illegible] وقتل حمرا قال ع ما ثبت قط أن الأخنس أسلم قلت وفيما قاله ابن عطية
نظر [illegible] وقد ذكر أحمد بن نصر الداودي في تفسيره أن هذه الآية نزلت في الأخنس
من ثم [illegible] وقال قتادة ومجاهد وجماعة من العلماء هذه الآية في كل مبطن كفرا أو نفاقا أو كذبا أو
ضرا وهو يظهر بلسانه خلاف ذلك فهي عامة ومعنى ويشهد الله أي يقول الله يعلم أني أقول حقا والألد الشديد الخصومة
الذي يلوي الحجج في كل جانب [illegible] والواو [illegible] صلى الله عليه وسلم أبغض الرجال إلى الله الألد
الخصم. وتولى وسعى يحتمل معنيين أحدهما أن يكونا فعل قلب فيجيء تولى بمعنى ضل وغضب وأنف في نفسه فسعى بحيله
وإرادته [illegible] ويحتمل هذا المعنى [illegible] والمعنى الثاني أن يكونا فعل شخص
فيجيء تولى بمعنى أدبر ونهض وسعى أي بقدميه فقطع الطريق [illegible] قاله ابن عباس وغيره. وقوله تعالى
ويهلك الحرث والنسل قال الطبري المراد الأخنس [illegible] قال ع والظاهر أن الآية عبارة
عن مبالغة في الإفساد [illegible] العباد [illegible] من أهل الصلاح [illegible] ولا يحب الفساد
[illegible] والفساد واقع وهذا على ما ذهب إليه المتكلمون من أن الحب بمعنى الإرادة قال ع والحب له على الإرادة
مزية إيثار إذ الحب من الله تعالى إنما هو لما حسن من جميع جهاته. وقوله وإذا قيل له اتق الله الآية هذه صفة الكافر
والمنافق الذاهب بنفسه زهوا ويكره للمؤمن أن يوقعه الحرج في نحو هذا وقد قال بعض العلماء كفى بالمرء إثما أن
يقول له أخوه اتق الله فيقول عليك نفسك مثلك يوصيني. قلت قال أحمد بن نصر الداودي عن ابن مسعود من أكبر الذنب
أن يقال للرجل اتق الله فيقول عليك نفسك [illegible] والعزة هنا المنعة وشدة النفس [illegible]
[illegible] ويحتمل المعنى أخذته العزة مع الإثم وحسبه أي كافيه والمهاد ما مهد الرجل لنفسه كأنه [illegible]
وقوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه الآية [illegible] في سبيل الله أو مستشهدا [illegible] أو مغيرا منكرا
وقيل هذه الآية في شهداء غزوة الرجيع [illegible] وقال عكرمة [illegible] وجماعة [illegible]
وذكر [illegible] صهيب ويشري معناه يبيع ومنه [illegible] وحكى قوم أنه يقال شرى بمعنى اشترى ويحتاج
إلى هذا من تأول الآية في صهيب لأنه اشترى نفسه بماله. وقوله تعالى والله رءوف بالعباد ترجية تقتضي الحض على

امتثال

امتثال ما وقع به المدح في هذه الآية كما أن قوله سبحانه فحسبه جهنم تخويف يقتضي التحذير مما وقع به الذم في هذه الآية ثم أمر تعالى
المؤمنين بالدخول في السلم وهو الإسلام والمسالمة قال ابن عباس نزلت في أهل الكتاب والألف واللام في الشيطان للجنس والسلم
يقع للواحد والاثنين والجمع. وقوله تعالى فإن زللتم الآية أصل الزلل في القدم ثم يستعمل في الاعتقادات والآراء وغير ذلك
والمعنى ضللتم وعدلتم [illegible] والبينات محمد صلى الله عليه وسلم وآياته ومعجزاته إذا كان الخطاب أولا لجماعة المؤمنين وإذا كان الخطاب
لأهل الكتاب فالبينات ما ورد في شرعهم من الإعلام بمحمد صلى الله عليه وسلم والتعريف به وعزيز صفة مقتضية
أنه قادر عليكم لا تعجزونه ولا تمتنعون منه وحكيم أي محكم فيما يعاقبكم به. وقوله تعالى هل ينظرون [illegible]
والمراد هؤلاء الذين [illegible] والظلل جمع ظلة وهي ما أظل من فوق والمعنى يأتيهم حكم الله وأمره ونهيه وعقابه
إياهم وذهب ابن جريج وغيره إلى أن هذا التوعد هو مما يقع في الدنيا وقال قوم بل هو توعد بيوم القيامة وقال قوم
إلا أن يأتيهم الله وعيد بيوم القيامة وأما الملائكة فالوعيد بإتيانهم عند الموت والغمام أرق السحاب وأصفاه
وأحسنه وهو الذي ظلل به بنو إسرائيل وقال النقاش هو ضباب أبيض وقضي الأمر معناه وقع الجزاء وعذب
أهل العصيان وقرأ معاذ بن جبل وقضاء الأمور وإلى الله ترجع الأمور هي راجعة إليه سبحانه قبل
وبعد وإنما نبه بذكر ذلك في يوم القيامة على زوال ما كان منها إلى الملوك في الدنيا. وقوله تعالى سل بني إسرائيل الآية
معنى الآية توبيخهم على عنادهم بعد الآيات البينات والمراد بالآية ما جاءهم في أمر محمد صلى الله عليه وسلم من آية
معرفة به دالة عليه ونعمة الله لفظ عام لجميع أنعامه ولكن يقوى من حال النبي صلى الله عليه وسلم معهم أن المشار
إليه هنا محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى ومن يبدل من بني إسرائيل صفة نعمة الله تعالى ثم جاء اللفظ منسحبا
على كل مبدل نعمة الله تعالى ويدخل في اللفظ كفار قريش والتوراة أيضا نعمة على بني إسرائيل فبدلوها بالتحريف
لها وجحد أمر محمد صلى الله عليه وسلم فإن الله شديد العقاب خبر يتضمن الوعيد. وقوله جل وعز زين للذين
كفروا الحياة الدنيا ويسخرون الآية إشارة إلى كفار قريش لأنهم كانوا يعظمون حالهم من الدنيا ويغتبطون بها
ويسخرون من أتباع النبي صلى الله عليه وسلم كبلال وصهيب وابن مسعود وغيرهم فذكر الله تعالى قبيح فعلهم ونبه
على خفض منزلتهم بقوله والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ومعنى الفوقية هنا في الدرجة والقدر ويحتمل أن يريد أن نعيم
المتقين في الآخرة فوق نعيم هؤلاء في الدنيا قلت وحكى الداودي عن قتادة فوقهم يوم القيامة قال فوقهم في الجنة
اهـ ومعنى ذلك [illegible] الداودي هذا المعنى [illegible] وإن تقل فإن نشوف
نفسك [illegible] إلى هذه الفوقية ونيل هذه الرتبة العلية [illegible] الدنيا وازهد فيها بالكلية
فتسلم من كل آفة وبلية [illegible] قال عياض في شفائه [illegible] نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم وخلفائه في [illegible] وحسبنا [illegible] هذه جماعة من الملوك [illegible]

شيئا من ذلك وبالمسد درهما هنه بلع به مطرحه وما علي به عيبه وقوي به المشكون وماة صلى الله عليه وسلم ودرهم
هو نفقه في نفقة عياله وافضله في نفقته وملبسه على ما تدعو ضرورة البدن وزهده في سواه فكان عليه يلبس ما وجد
فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ اهـ وقوله تعالى كان الناس امة واحدة قال ابن عباس الناس
من القرون التي كانت بين آدم ونوح وهي عشرة كانوا على الحق حتى اختلفوا فبعث الله نوحا فمن بعده وقال ابن عباس ايضا
كان الناس امة واحدة كفارا يعني في مدة نوح حين بعثه الله وقال ابي بن كعب وابن زيد المراد بالناس بنو آدم حين
اخرجهم الله من ظهر آدم اي كانوا على الفطرة وقيل غير هذا وكل من قدر الناس في الآية مومنين قدر في الكلام فاختلفوا
ومن قدرهم كفارا كانت بعثة النبيين اليهم والامة الجماعة على المقصد ويسمى الواحد امة اذا كان منفردا بقصد ومنه قيل
معناه في الدين اول على الطاعة ومنفرد في الضلال والكتاب اسم جنس والمعنى جميع الكتب وليحكم مسند الى الكتاب
في قول الجمهور والذين اوتوه اربابه العلم به وخصوا بالذكر تنبيها منه سبحانه على عظمة الشنعة والقبح
والبينات الدلالات والحجج والبغي التعدي بالباطل وهدى معناه ارشد والمراد بالذين آمنوا من آمن بمحمد صلى
الله عليه وسلم وقالت طائفة معنى الآية ان الامم كذب بعضهم كتاب بعض فهدى الله امة محمد
صلى الله عليه وسلم للتصديق بجميعها وقالت طائفة ان الله سبحانه هدى المومنين للحق فيما اختلف فيه اهل
الكتاب من قولهم ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا قال زيد بن اسلم وكاختلافهم في يوم الجمعة فان النبي
صلى الله عليه وسلم قال هذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له فاليهود غدا والنصارى بعد غد وفي
صيامهم وجميع ما اختلفوا فيه قال الفراء وفي الكلام قلب واختاره الطبري وتقديره فهدى الله الذين آمنوا
للحق مما اختلفوا فيه ودعاه الى هذا التقدير خوف ان يحتمل اللفظ انهم اختلفوا في الحق فهدى الله المومنين
لبعض ما اختلفوا فيه وعساه غير الحق في نفسه نحى الى هذا الطبري في حكايته عن الفراء قال ع
وادعاء القلب على كتاب الله تعالى دون ضرورة تدفع الى ذلك عجز وسوء نظر وذلك ان الكلام يتخرج على
وجهه ورصفه لان قوله تعالى فهدى يقتضي انهم اصابوا الحق وتم المعنى في قوله فيه وتبين بقوله من الحق
جنس ما وقع الخلاف فيه واذنه قال الزجاج معناه بعلمه ع والاذن هو العلم والتمكين فان اقترن بالعلم امر صار
اقوى من الاذن بمزية وقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم الآية ذهبت فرقة الى ان الآية نزلت في
قصة الاحزاب حين حصروا المدينة وقالت فرقة انما الآية تسلية للمهاجرين اموالهم بعدهم وفيما نالهم
من اذاية الكفار لهم وخلوا معناه انقضوا اي صاروا في خلاء من الارض والبأساء في المال والضراء
في البدن ومثل معناه شبه والزلزلة شدة التحريك تكون في الاشخاص والاحوال وقرأ نافع يقول
بالرفع وقرأ الباقون بالنصب فحتى غاية مجردة تنصب الفعل بتقدير الى ان وعلى قراءة نافع كانها

اقتضت

اقتضت فيها تسببا في حرف النصب ثم مع الفعل والمعنى المتناول ليس على ان الكلام الى آخر الآية من قول الرسول
والمومنين ويكون ذلك من قول الرسول على طلب استعجال النصر لا على شك ولا ارتياب والرسول اسم جنس
وقالت فرقة في الكلام تقديم وتأخير والتقدير حتى يقول الذين آمنوا متى نصر الله فيقول الرسول الا ان
نصر الله قريب فقدم الرسول في الرتبة لمكانته ثم قدم قول المومنين لانه المتقدم في الزمان ع وهذا
تحكم وحمل الكلام على وجهه غير متعذر ويحتمل ان يكون الا ان نصر الله قريب اخبارا من الله تعالى مؤتنفا
بعد تمام ذكر القول وقوله تعالى يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير السائلون هم
المومنون والمعنى يسألونك ما هي الوجوه التي ينفقون فيها وما يصح ان يكون في موضع رفع على الابتداء وذا خبره
بمعنى الذي وينفقون صلة وفيه عائد على ذا تقديره ينفقونه ويحتمل ان يكون ماذا اسما واحدا مركبا في موضع نصب
قال قوم هذه الآية في الزكاة المفروضة وعلى هذا نسخ منها الوالدان وقال السدي نزلت قبل فرض الزكاة ثم
نسختها الزكاة المفروضة وقال ابن جريج وغيره هي ندب والزكاة غير هذا الانفاق وعلى هذا لا نسخ
فيها وما تفعلوا جزم بالشرط والجواب في الفاء وظاهر الآية الخبر وهي تتضمن الوعد بالمجازاة وكتب معناه
واستمر الاجماع على ان الجهاد على امة محمد صلى الله عليه وسلم فرض كفاية وقوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا الآية
قال قوم عسى من الله واجبة والمعنى عسى ان تكرهوا ما في الجهاد من المشقة وهو خير لكم في انكم تغلبون
وتظهرون وتغنمون وتوجرون ومن مات مات شهيدا وعسى ان تحبوا الدعة وترك القتال وهو شر لكم في انكم
تغلبون وتذلون ويذهب امركم قال ابن ع قوله وعسى ان تكرهوا شيئا عسى التي للترجي ومجيئها هنا [illegible] في كلام
لهم قالوا وكل عسى في القرآن للتحقيق يعنون به الوقوع الا قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن اهـ وفي قوله تعالى
والله يعلم الآية قوة امر وقوله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام الآية نزلت في قصة عمرو بن الحضرمي وذلك ان
ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية عليها عبد الله بن جحش الاسدي مقدمه من بدر الاولى فلقوا عمرو بن الحضرمي وهو
ابن [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان بن عبد الله بن المغيرة واخوه نوفل المخزوميان والحكم بن كيسان في آخر يوم
من رجب على ما ذكر ابن اسحاق وقالوا ان نحن قتلناهم اليوم دخلوا الحرم وان تركناهم [illegible] واقد بن عبد الله عمرو بن الحضرمي
[illegible] واسر عثمان بن عبد الله والحكم وافلت نوفل فاعجزهم واستعظم المسلمون هذا في الشهر الحرام [illegible]
[illegible] الشهر الحرام وعيروهم بذلك وتوقف النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما امرتكم بقتال في الشهر
الحرام فنزلت هذه الآية وقال [illegible] بل اشتغال عن [illegible] وقال الفراء هو خفض بتقدير عن [illegible] والشهر في
الآية اسم جنس وكانت العرب قد جعل الله لها الشهر الحرام قواما تعتدل عنده فكانت لا تسفك دما ولا تغير في
الشهر وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وروى جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يغزو في [illegible]

[illegible] ونوفل [illegible] وفعلت عليه [illegible] رحم الله تعالى ط

قل قتال فيه كبير وصد مبتدأ مخصوص بما قبله والشهر الحرام ومعنى ما نحن فيه على قول الجمهور انكم كفار وليس بمستعظم على
القتال في الشهر الحرام وما فعلتم انتم من الصد عن سبيل الله لمن اراد الاسلام وكفركم بالله واخراج اهل المسجد
منه اي مكة وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اكبر جرما عند الله قال الزهري ومجاهد وغيرهما قوله
قل قتال فيه كبير منسوخ ص وصد عن سبيل الله فيه والمسجد فيه الجمهور بالعطف على السبيل وقال المبرد وتبعه ع وغيره هو
معطوف على سبيل الله ورد بانه يكون حينئذ متعلقا بصد اي وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام فيلزم العطف بين
المصدر وهو صد وبين معموله وهو المسجد الحرام باجنبي وهو كفر به وانه لا يجوز وقيل معطوف على الضمير في به اي وكفر به
وبالمسجد الحرام ورد بان فيه عطفا على الضمير المجرور من غير اعادة الخافض ولا يجوز عند جمهور البصريين واجازه
الكوفيون ويونس وابو الحسن والشلوبين واختار جوازه لكثرته سماعا ونظما ومنه قراءة حمزة تساءلون به والارحام
[illegible] ليعين تخريج الكلام عن وصمة اه ق قوله تعالى والفتنة اكبر من القتل
من القتل المعنى عند جمهور المفسرين والفتنة التي كنتم تفتنون المسلمين عن دينهم حتى يهلكوا اشد اجتراما من
قتلكم في الشهر الحرام وقيل المعنى والفتنة الشرك اي لو قتلوا اذا لهم المفتنون ق قوله تعالى ولا يزالون يقاتلونكم
حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا هو اخبار من الله تعالى وتحذير منه للمؤمنين قوله تعالى ومن يرتدد منكم
عن دينه اي يرجع عن الاسلام الى الكفر عياذا بالله فاولئك حبطت اعمالهم [illegible] وان
تاب [illegible] قال مالك واحمد واصحاب الرأي والشافعي في احد قوليه وفي قوله الآخر [illegible] وحبط
العمل [illegible] المرتد عند مالك والشافعي لبيت مال المسلمين ق قوله تعالى ان الذين آمنوا
والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله الآية قال عروة بن الزبير وغيره لما عنف المسلمون عبد الله بن جحش واصحابه
شق ذلك عليهم فتلافاهم الله عز وجل بهذه الآية فهي في هؤلاء ثم هي باقية في كل من فعل ما ذكر الله عز وجل وهاجر
[illegible] انتقل نقلة [illegible] من موضع الى موضع وقصد ترك الاول ايثارا للثاني من هاجر وجاهد
مفاعلة من جهد اذا استخرج الجهد [illegible] ويرجون معناه يطمعون ويستشعرون [illegible]
خوف [illegible] كما ان الخوف معه رجاء قلت والرجاء ما قارنه عمل والا فهو [illegible] ق قوله تعالى
يسألونك عن الخمر والميسر الآية السائلون هم المؤمنون والخمر مأخوذة من خمر اذا ستر ومنه خمار المرأة والخمر
والخمر من شجر وغيره ومنه قول الشاعر ط

الا يا زيد والضحاك سيرا ط فقد جاوزتما خمر الطريق ط

ولما كانت الخمر تستر العقل وتغطي عليه سميت بذلك واجمعت الامة على تحريم خمر العنب ووجوب الحد في
القليل والكثير منه وجمهور الامة على ان ما اسكر كثيره من غير خمر العنب محرم قليله وكثيره والحد

في ذلك

في ذلك واجبة وروي ان هذه الآية اول تطرق الى تحريم الخمر ثم نزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ثم قوله تعالى انما يريد الشيطان ان
يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر الآية الى قوله فهل انتم منتهون ثم قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام
رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الخمر [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] جلد اربعين
خرجه مسلم وابو داود وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ضرب فيها [illegible] وكان ابو بكر [illegible] وعمر ثمانين
[illegible]
والنرد والشطرنج بالاجماع قال ابن سيرين والحسن وابن عباس وابن المسيب وغيرهم كل قمار ميسر من نرد وشطرنج ونحوه حتى
لعب الصبيان بالجوز قلت وعبارة الداودي وعن ابن عمر الميسر القمار كله قال ابن عباس كل ذلك قمار حتى لعب
الصبيان بالجوز والكعاب اه وقوله تعالى قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية قال ابن عباس والربيع الاثم فيهما بعد التحريم
والمنفعة قبله قال مجاهد المنفعة بالخمر كسب اثمانها وقيل اللذة [illegible] ثم اعلم الله عز وجل ان الاثم
[illegible] من النفع واعود بالضرر في الآخرة [illegible] المتقدمة للتحريم ق وقوله تعالى يسألونك ماذا ينفقون قل العفو
قال جمهور العلماء هذه نفقات التطوع والعفو مأخوذ من عفا الشيء اذا كثر فالمعنى انفقوا ما فضل عن حوائجكم ولم تؤذوا
فيه انفسكم وتكونوا عالة على الناس ق وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في [illegible]
من الخمر والميسر والانفاق واخبر تعالى انه يبين للمؤمنين الآيات التي تقودهم الى الفكر في الدنيا والآخرة وذلك طريق النجاة
لمن نفعته فكرته قال الداودي وعن ابن عباس لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة يعني في زوال الدنيا وفنائها واقبال الآخرة وبقائها
اه قال ابن عطية رحمه الله تعالى العاقل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله تعالى
ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير قال ابن عباس وسعيد بن المسيب سبب الآية ان المؤمنين لما نزلت ولا تقربوا
مال اليتيم الا بالتي هي احسن [illegible] تجنبوا اليتامى واموالهم [illegible]
[illegible] اليتيم [illegible] وقوله تعالى والله يعلم المفسد
من المصلح [illegible] وقوله تعالى ولو شاء الله لاعنتكم اي [illegible] اموال اليتامى [illegible]
[illegible] وقوله تعالى ولا تنكحوا

المشركة كانت خيرا لمؤمن وذكر الطبري في الإجماع ويستعمل في العفة تجوزا قال ابن عطية المشركة كان هذا من يشك لم مع الله المطاع
وقال قتادة وابن جبير الآية عامة في كل كافرة وخصصتها آية المائدة ولم يتناول العموم قط الكتابيات قال ابن عباس
والحسن تناولهن العموم ثم نسخت آية المائدة بعض العموم في الكتابيات وهو مذهب مالك رحمه الله تعالى ذكره ابن حبيب
وقوله تعالى ولأمة مؤمنة خير من مشركة الآية هذا إخبار من الله تعالى أن المؤمنة المملوكة خير من المشركة
ولو كانت ذات حسب ومال ولو أعجبتكم في الحسن وغير ذلك هذا قول الطبري وغيره وقوله تعالى ولا تنكحوا المشركين
حتى يؤمنوا الآية أجمعت الأمة على أن المشرك لا يطأ المؤمنة بوجه لما في ذلك من الغضاضة على الإسلام قال بعض العلماء
أن الولاية في النكاح نص في هذه الآية قلت ويتعين بعض العلماء محمد بن بشار حشيش قال ابن العربي اه ولعبد مؤمن
مملوك خير من مشرك حسيب ولو أعجبكم حسنه وماله كما تقدم قال ع ويحتمل الآية عندي أن يكون ذكر العبد والأمة عبارة
عن جميع الناس حرهم ومملوكهم لأنهم كلهم عبيد الله تعالى وقوله عز وجل أولئك يدعون إلى النار أي صحبتهم ومعاشرتهم تسوق
إلى الانحطاط في كثير من أهوائهم والله عز وجل يمن بالهداية ويبين الآيات ويحض على الطاعات التي هي كلها دواع إلى الجنة
والإذن العلم والتمكين فإن انضاف إلى ذلك أمر فهو أقوى من الإذن لأنك إذا قلت أذنت في كذا فليس يلزمك أنك أمرت ولعلهم يتذكرون
في حق البشر ومن تذكر عند حسب التذكر مرجى قوله تعالى ويسألونك عن المحيض قل هو أذى قال الطبري عن السدي أن السائل
هو ثابت بن الدحداح وقال قتادة وغيره إنما سألوه لأن العرب في المدينة وما والاها كانوا قد استنوا سنة بني إسرائيل في تجنب
أسماع الحيض في تجنب مواكلة الحائض ومساكنتها فنزلت الآية وقوله تعالى فاعتزلوا النساء في المحيض يريد جماعهن بما فسر من ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم من أن تشد الحائض إزارها ثم شأنه بأعلاها قال أحمد بن نصر الداودي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اتقوا النساء في المحيض فإن الجذام يكون في أولاد الحيض اه وقوله تعالى ولا تقربوهن حتى يطهرن قلت وفي حمزة
وغيره يطهرن بتشديد الطاء والهاء وفتحهما وكل واحد من القراءتين يحتمل أن يراد به الاغتسال بالماء وأن يراد به انقطاع الدم
وزوال الأذى قال ابن العربي في أحكامه سمعت أبا بكر الشاشي يقول إذا قيل لا تقرب بفتح الراء كان معناه لا تلبس بالفعل وإن كان
بضم الراء كان معناه لا تدن منه وجمهور العلماء على أن وطأها في الدم ذنب عظيم يتاب منه ولا كفارة عليه
وبه قال مالك وجمهورهم على أن الطهر الذي يحل جماع الحائض هو بالماء كطهر الجنب ولا يجزي من ذلك تيمم ولا غيره وقوله
تعالى فإذا تطهرن فأتوهن الآية الإطلاق بعد الحظر وقال مجاهد وجماعة تطهرن أي اغتسلن بالماء بقرينة الأمر بالإتيان لأن
صيغة الأمر من الله تعالى لا تقع إلا على الوجه الأكمل وقوله من حيث أمركم الله أي الإباحة والمعنى من حيث أمركم الله باعتزالهن
وهو الفرج أو من السرة إلى الركبتين أو الأوجه على الخلاف في ذلك وقال ابن عباس المعنى من قبل الطهر لا من قبل الحيض وقيل المعنى من قبل
حال الإباحة لا صائمات ولا محرمات ولا غير ذلك والتوابين الراجعين وعن قوم من الشرك إلى الإيمان والمتطهرين
قال عطاء وغيره المعنى بالماء وقال مجاهد وغيره المعنى من الذنوب وقوله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم

الاية

الآية سببها أن اليهود قالت إذا كان الوطء في موضع الحرث ولفظة الحرث تعطي أن الإباحة لم تقع إلا في الفرج خاصة
إذ هو المزدرع قال ابن العربي في أحكامه وفي سبب نزول هذه الآية روايات الأولى عن جابر قال كانت اليهود
تقول من أتى امرأته في قبلها من دبرها جاء الولد أحول فنزلت الآية وهذا حديث صحيح خرجه الأئمة الثانية قالت
أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم نساؤكم حرث لكم يأتيها مقبلة ومدبرة إذا كان في صمام واحد خرجه مسلم وغيره
الثالثة ما روي أن عمر جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له هلكت قال وما أهلكك قال حولت رحلي البارحة
فلم يرد إليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئا حتى نزلت نساؤكم حرث لكم أقبل وأدبر واتق الدبر اه قال ع أنى شئتم معناه
عند جمهور العلماء من أي وجه شئتم مقبلة ومدبرة أو على جنب قال ع وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من طرق
النسائي وغيره أنه قال إتيان النساء في أدبارهن حرام وورد فيه أنه قال ملعون من أتى امرأته في دبرها وورد عنه
أنه قال من أتى امرأته في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهذا هو الحق المتبع ولا ينبغي لمؤمن بالله
أن يعرج في هذه النازلة على زلة عالم بعد أن تصح عنه والله المرشد لا رب غيره وقوله تعالى وقدموا لأنفسكم قال
السدي معناه في الأجر أي قدموا ما يجب تجنب ما نهيتم عنه وامتثال ما أمرتم به واتقوا الله تحذير واعلموا أنكم ملاقوه
خبر يقتضي المبالغة في التحذير أي فهو مجازيكم على البر والإثم وبشر المؤمنين تأنيس لفاعلي البر ومتبعي سنن
الهدى قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم الآية مقصد الآية ولا تعرضوا اسم الله تعالى فتكثروا الأيمان به
فإن الحنث مع الإكثار وفيه قلة رعي لحق الله تعالى وقال الزجاج وغيره معنى الآية أن يكون الإنسان إذا طلب
منه فعل خير ونحوه اعتل بالله تعالى وقال علي يمين بالله تعالى وهو لم يحلف وقوله عرضة قال ابن العربي في أحكامه
اعلم أن بناء عرض في كلام العرب على معان مرجعها إلى المنع لأن كل شيء اعترض فقد منع ويقال لما عرض في
السماء من السحاب عارض لأنه يمنع من رؤيتها ومن رؤية البدر والكواكب اه وأن تبروا مفعول من أجله والبر
جميع وجوه البر وهو ضد الإثم والله سميع أي لأقوال العباد عليم بنياتهم وهو مجازيهم على الجميع واليمين الحلف وأصله
أن العرب إذا تحالفت أو تعاقدت أخذ الرجل يمين صاحبه بيمينه ثم كثر ذلك حتى سمي الحلف والعهد
نفسه يمينا وقوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم واللغو سقط الكلام الذي لا حكم له قال ابن عباس
وعائشة والشعبي وأبو صالح ومجاهد لغو اليمين قول الرجل في درج كلامه واستعماله في المحاورة لا
والله وبلى والله دون قصد لليمين وقد أسند البخاري عن عائشة وقال أبو هريرة والحسن ومالك رحمهم الله
لغو اليمين ما حلف به الرجل على يقينه فكشف الغيب خلاف ذلك قال ابن عطية وهذا اليقين هو
غلبة الظن وقال زيد بن أسلم لغو اليمين هو دعاء الرجل على نفسه وقال الضحاك هي اليمين المكفرة وحكى
ابن عبد البر قولا أن اللغو أيمان المكره قال ابن عطية وطريقة النظر أن يتأمل لفظ اللغو ولفظة

ولعمد القلب ومحل موقعها في اللغة فكسب المرء ما قصده ونواه واللغو ما لا يتعمد [illegible] ان يسقط
[illegible] على هذا [illegible] الاقوال المتعزمة [illegible] بعضهم وقد رفع الله سبحانه [illegible] الطلاق
باللغو [illegible] ما لا اثم فيه [illegible] كفارة والمؤاخذة [illegible] الغموس المصبورة وفيما لم تكفر [illegible]
فيه كفارة والعقوبة [illegible] الكفارة [illegible] المؤاخذة [illegible] وتصحب المؤاخذة [illegible]
[illegible] قلت والقول [illegible] وعليه [illegible] وقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم قال ابن
عباس وغيره ما كسبت القلوب هي اليمين الكاذبة الغموس [illegible] المؤاخذة [illegible] ع وسميت [illegible]
الغموس لانها تغمس صاحبها [illegible] وغفور حليم صفتان [illegible] المؤاخذة [illegible]
وقوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم الآية يؤلون معناه يحلفون والايلاء اليمين واختلفوا من المراد [illegible] الايلاء فقال
مالك هو الرجل يغاضب امرأته فيحلف [illegible] اربعة اشهر [illegible]
[illegible] اصلاح [illegible] وقال [illegible] عطاء وغيره وقوله تعالى من نسائهم [illegible]
والتربص التأني والتأخير واربعة اشهر [illegible] وقال [illegible] وفاءوا ومعناه
رجعوا ومنه حتى تفيء الى امر الله قال الجمهور [illegible] الوطء [illegible] في حال العذر
قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء [illegible]
[illegible] القروء [illegible]
[illegible] واختلف [illegible]
[illegible] واختلف المتأولون في قوله
ما خلق الله في ارحامهن فقال ابن عباس [illegible] هو الحيض والحمل جميعا ومعنى النهي عن الكتمان [illegible]
بالزوج [illegible] وقال قتادة [illegible] في الجاهلية
ان [illegible] بالزوج [illegible] وقال ابن عباس [illegible] وفي قوله تعالى
لا يحل لهن [illegible] ما خلق الله [illegible] وقوله تعالى ان كن يؤمن بالله الآية اي حق
ايمان وهذا [illegible] وقوله تعالى [illegible] الآية على ان للزوج ان
[illegible] ان ارادوا اصلاحا [illegible] النساء
[illegible] وقوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف الآية تعم جميع حقوق الزوجية وقوله تعالى وقوله تعالى
وللرجال عليهن درجة قال مجاهد هو تنبيه على فضل [illegible] وقال زيد بن اسلم [illegible] الطاعة
عليهن [illegible] وقال ابن عباس تلك الدرجة اشارة الى حض الرجال على حسن العشرة والتوسع

للنساء

للنساء في المال والخلق اي ان الافضل ينبغي ان يتحامل على نفسه وهذا قول حسن بارع وقوله تعالى الطلاق مرتان
الآية قال عروة بن الزبير وغيره نزلت هذه الآية بيانا لعدد الطلاق الذي للمرء فيه ان يرتجع دون تجديد مهر
وولي وقال ابن عباس وغيره المراد بالآية التعريف بسنة الطلاق وان من طلق اثنتين فليتق الله في الثالثة فاما
[illegible] مظلومة [illegible] ع والآية تتضمن هذين المعنيين [illegible] الطلاق [illegible]
[illegible] عدد الطلاق [illegible] بمعروف [illegible] والتسريح يحتمل
[illegible] وهذا قول السدي والضحاك والمعنى الثاني ان يطلقها
ثالثة [illegible] وهو قول مجاهد وعطاء [illegible] وقوله تعالى ولا يحل لكم
ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا الآية خطاب للازواج [illegible] وهذا هو الخلع
[illegible] النساء [illegible]
[illegible] حدود الله [illegible]
وحدود الله في هذه الآية [illegible] من حسن العشرة وحقوق العصمة وقوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله [illegible]
[illegible] حدود الله هو استخفاف المرأة بحق زوجها [illegible]
ابن عباس ومالك وجمهور العلماء [illegible]
قوله تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت به [illegible]
[illegible] قال ابن عباس [illegible] ومالك وابو حنيفة [illegible]
في [illegible] جميع ما تملكه [illegible]
[illegible] وقوله تعالى تلك حدود الله الآية اي هذه الاوامر والنواهي
فلا تعتدوها [illegible] ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون [illegible] صلى الله عليه وسلم
الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد الآية قال ابن عباس [illegible] الطلقة الثالثة [illegible] قال
ع [illegible] امرأة رفاعة [illegible] عبد الرحمن بن الزبير فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الرجوع الى رفاعة لا حتى يذوق
عسيلتك وتذوقي عسيلته [illegible]
[illegible] وقوله تعالى فان طلقها فلا
جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله [illegible] فان طلقها [illegible] فلا جناح عليهما اي المرأة
والزوج الاول قاله ابن عباس [illegible] يعلمون [illegible]

تشريعا وقوله تعالى واذا طلقتم النساء الآية خطاب للرجال نهى الرجل ان يطول العدة مضارة لها بان يرتجع قبل
انقضائها ثم يطلق بعد ذلك … ومعنى بلغن اجلهن قاربن … بعد بلوغ الاجل
لا خيار له في الامساك ومعنى امسكوهن راجعوهن بمعروف فيما هو مستحسن ولا تمسكوهن ضرارا لا تراجعوهن …
… وقوله تعالى ولا تتخذوا آيات الله هزوا الآية المراد بآيات الله … وذلك
ان هذه الآية فيمن طلق لاعبا او هازلا او راجع كذلك وقالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث
جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة ثم ذكر الله عباده بانعامه سبحانه عليهم بالقرآن والسنة والحكمة
هي السنة المبينة مراد الله سبحانه وقوله تعالى واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن الآية خطاب للمؤمنين الذين
منهم الازواج ومنهم الاولياء … المراد في تعضلوهن وبلوغ الاجل في هذا الموضع تناهيه لان المعنى يقتضي ذلك وقد قال
بعض الناس في هذا المعنى ان المراد تعضلوهن الازواج وذلك بان يكون الارتجاع مضارة عضلا عن نكاح الغير فقوله
ازواجهن على هذا يعني … والازواج … الاولياء فالازواج هم الذين كن في عصمتهم
والعضل المنع وهو من معنى التضييق والتعسير كما يقال اعضلت الدجاجة اذا عسر بيضها وقيل ان هذه الآية
في معقل بن يسار واخته … زوجها … اراد ارتجاعها … ولي … وقيل في جابر بن عبد الله
واخته وهذه الآية تقتضي ثبوت حق الولي في النكاح ولينه وقوله بالمعروف معناه المهر والاشهاد وقوله تعالى ذلك
يوعظ به من كان منكم خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع الى خطاب الجماعة والاشارة في ذلكم ازكى الى ترك العضل
وازكى واطهر معناه اطيب للنفس واطهر للعرض والدين بسبب العلاقات التي تكون بين الازواج وربما لم يعلمها الولي فيؤدي
العضل الى الفساد … والله تعالى يعلم من ذلك ما لا يعلم البشر قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن
حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة … معناه الامر على الوجوب لبعض الوالدات وعلى الندب لبعضهن فيجب
على الام الارضاع اذا كانت … ومانع من … وكذلك ان كان الاب عديما … الولد
غيرها وهذه الآية في المطلقات جعلها الله حدا عند اختلاف الزوجين في مدة الرضاع فمن دعا منهما الى اكمال الحولين
فذلك له قوله تعالى لمن اراد ان يتم الرضاعة … على ان الحولين … وانتزع مالك وجماعة من العلماء من هذه
الآية ان الرضاعة المحرمة الجارية مجرى النسب انما هو ما كان في الحولين لانه بانقضاء الحولين تمت الرضاعة فلا
رضاعة قلت ولو كان رضاعه بعد الحولين بشيء قريب وهو مستمر الرضاع او بعد يوم من فطامه اعتبر اذ ما قارب الشيء
فله حكمه وقوله تعالى وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف المولود له اسم جنس وصنف من الرجال والرزق في هذا
الحكم الطعام … من المرأة … على قدر … الزوج … لا تكلف نفس
الا وسعها … ان تكون …

لا تضار

لا تضار والدة بولدها … ويحتمل … مولود له … على هذا …
في الاحتمالين … وعلى هذا النهي … ومعنى …
… قلت …
… مالك في الموطأ … وقوله
تعالى وعلى الوارث مثل ذلك قال مالك وجميع اصحابه والشعبي والزهري وجماعة من العلماء المراد بقوله مثل ذلك …
واما الرزق والكسوة فلا شيء عليه منه …
وقوله تعالى فان ارادا فصالا … قبل الحولين
… وقوله
تعالى وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم … على ذلك
واما قوله اذا سلمتم … وفي …
… قال زهير

وما كان من خير اتوه فانما … توارثه آباء آبائهم قبل

… هو اذا سلمتم … ان تسترضعوا …
… قلت
…
… وقوله تعالى والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن … العموم ومعناه الخصوص في الحوامل …
… وروي عن علي وابن عباس …
… عن النبي صلى الله عليه وسلم …
…
… وهذا قول الجمهور … وجعل الله تعالى …
العدة … ابن مسعود …
…
… ابن المسيب … وفي ابن عباس … قال جمهور العلماء
… وقوله تعالى فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف …

تعملون خبير فيما فعلن من التزين والتعرض للأزواج ونحوه من زينتهن لطلب الأزواج قاله مجاهد وغيره إذا كان بمعروف وما يجمل فهو جائز
المتحصنات وقوله تعالى والله بما تعملون خبير وعيد يتضمن التحذير وخبير اسم فاعل من خبر إذا استقصى علم الشيء وقوله تعالى
ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء الآية نفي الحرج في خطبة المعتدة والتعريض جائز وهو الكلام الذي لا تصريح
فيه أو أكننتم معناه سترتم وأخفيتم وقوله ستذكرونهن قال الحسن معناه ستخطبونهن وقال غيره معناه علم الله أنكم
ستذكرون النساء المعتدات بالخطبة والسر في اللغة يقع على الوطء وعلى عقد النكاح والشرع في اللغة يقع على الوطء
حلاله وحرامه والآية تعطي النهي عن أن يواعد الرجل المعتدة أن يطأها بعد العدة بوجه التزويج وقال ابن جبير سرا أي
نكاحا وهذه عبارة مخلصة وأجمعت الأمة على كراهة المواعدة في العدة وقوله تعالى إلا أن تقولوا قولا معروفا استثناء
منقطع والقول المعروف هو ما أبيح من التعريض كقول الرجل إنك لإلي خير وما قدر كان ونحو هذا وقوله تعالى ولا تعزموا
عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله عزم العقدة عقدها بالإشهاد والولي وحينئذ تسمى عقدة قلت والظاهر أن
العزم غير العقد وقوله تعالى حتى يبلغ الكتاب أجله يريد تمام العدة والكتاب هنا هو الحد الذي جعل والقدر الذي رسم من المدة
وقوله تعالى لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة هذا ابتداء إخبار برفع الجناح عن المطلق
قبل البناء والجماع فرض مهرا أو لم يفرض ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التزوج بمعنى الذوق وقضاء الشهوة وأمر بالتزوج
لطلب العصمة والتماس ثواب الله تعالى وقصد دوام الصحبة وقع في نفوس المؤمنين أن من طلق قبل البناء فقد واقع جزءا من هذا
المكروه فنزلت هذه الآية رافعة للجناح في ذلك إذا كان أصل النكاح على المقصد الحسن وقال قوم لا جناح عليكم معناه لا طلب
لجميع المهر بل عليكم نصف المفروض ومتعة من لم يفرض لها والمتعة تكريم من لا فرض لها وفرض المهر إثباته وتحديده وهذه الآية تعطي
جواز العقد على التفويض لأنه نكاح مقرر في الآية يشرع الطلاق فيه قاله مالك في المدونة والفريضة الصداق وقوله تعالى
ومتعوهن أي أعطوهن شيئا يكون متاعا لهن وحمله ابن عمر وابن عباس وغيرهما على الوجوب وحمله مالك وغيره على الندب واختلف
الناس في مقدار المتعة فقال الحسن يمتع كل بقدره هذا بخادم وهذا بأثواب وهذا بثوب وهذا بنفقة وكذلك يقول مالك
وقوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره دليل على رفض التحديد والموسع أي من اتسع حاله والمقتر المقل القليل المال
ومتاعا نصب على المصدر وقوله تعالى بالمعروف أي لا حمل فيه ولا تكلف على أحد الجانبين فهو تأكيد لمعنى قوله على الموسع
قدره وعلى المقتر قدره ثم أكد تعالى الندب بقوله حقا على المحسنين أي في هذه النازلة من التمتع هم محسنون ومن قال
بأن المتعة واجبة قال هذا تأكيد الوجوب أي على المحسنين بالإيمان والإسلام وحقا صفة لقوله تعالى متاعا قلت
والظاهر أنه عموم هذا الحكم في جميع المطلقات وهو مذهب الشافعي وأحمد وأهل الرأي والظاهر حمل المتعة على
الوجوب لوجوه منها صيغة الأمر ومنها قوله حقا ومنها لفظة على ومنها ما في جمع المعنى ما ينبغي على المتاع
من جبر القلوب وربما أدى تركه إلى العداوة والبغضاء بين المؤمنين وقد مال بعض أئمتنا المتأخرين إلى الوجوب اهـ وقوله
تعالى

تعالى وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن الآية اختلف في هذه الآية فقالت فرقة فيها مالك وغيره إنها مخرجة المطلقة بعد الفرض من
حكم التمتيع إذ يتناولها قوله تعالى ومتعوهن وقال قتادة نسخت هذه الآية التي قبلها وقال ابن القاسم في المدونة كان
المتاع لكل مطلقة بقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف ولغير المدخول بها بالآية التي في سورة الأحزاب فاستثنى
الله تعالى المفروض لها قبل الدخول بهذه الآية وأثبت لها نصف ما فرض فقط وزعم زيد بن أسلم أنها منسوخة حكى ذلك
في المدونة عن زيد بن أسلم زعما وقال ابن القاسم إنه استثناء والتحرير يرد ذلك إلى النسخ الذي قال زيد لأن ابن القاسم قال
إن قوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على الجميع ثم استثنى الله منه هذه التي فرض لها قبل المسيس وقال
فريق من العلماء منهم أبو ثور المتعة لكل مطلقة عموما وهذه الآية إنما بينت أن المفروض لها تأخذ نصف ما فرض لها
مع متعتها وقرأ الجمهور فنصف بالرفع والمعنى فالواجب نصف ما فرضتم وقوله تعالى إلا أن يعفون استثناء منقطع ويعفون
معناه يتركن ويصفحن أي يتركن النصف الذي وجب لهن عند الزوج وذلك إذا كانت المرأة تملك أمر نفسها واختلف
في المراد بقوله تعالى أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح فقال ابن عباس ومجاهد وعلقمة ومالك وغيرهم هو الولي الذي المرأة في حجره
وقال علي في قوله الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج قلت وقول الأول الترجيح بالنصف الذي يجب للمرأة أن تعفو عنه وأما
أن يعفو الولي وعلى القول الثاني أنها أن تعفو هي إنما يعطيها ما خرشتا وأما أن يعفو الزوج عن النصف الذي يحط فيؤدي
جميع المهر ثم خاطب تعالى الجميع نادبا بقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى أي يا جميع الناس وفي قراءة علي
وغيره ولا تناسوا الفضل وهي قراءة متمكنة المعنى لأنه موضع تناس لا موضع نسيان إلا على التشبيه وقوله تعالى ولا تنسوا
الفضل ندب إلى المجاملة وقوله تعالى إن الله بما تعملون بصير خبر في ضمنه الوعد للمحسن والحرمان لغير المحسن وقوله تعالى
حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى الآية الخطاب لجميع الأمة والآية أمر بالمحافظة على إقامة الصلوات في أوقاتها وبجميع
شروطها وخرج الطحاوي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أمر بعبد من عباد الله أن يضرب في قبره مائة جلدة
فلم يزل يسأل الله تعالى ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلأ قبره عليه نارا فلما ارتفع عنه أفاق فقال علام جلدتني قال إنك
صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره انتهى من التذكرة للقرطبي وفي الترمذي أن الصلاة ثلاثة أثلاث
الطهور ثلث والركوع ثلث والسجود ثلث فمن أداها بحقها قبلت منه وقبل منه سائر عمله ومن ردت عليه صلاته
ردت عليه سائر عمله رواه النسائي انتهى من الكوكب الدري وروى مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد أنه قال بلغني أن أول ما ينظر
فيه من عمل العبد الصلاة فإن قبلت منه نظر فيما بقي من عمله وإن لم تقبل منه لم ينظر في شيء من عمله قال أبو عمر قال العراقي
في التمهيد وقد روي هذا الحديث مسندا عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه صحاح في رسالة أبو داود عن أنس بن حكيم الضبي
قال قال أبو هريرة قال إذا أتيت أهل مصرك فأخبرهم أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ما يحاسب به العبد
المسلم الصلاة المكتوبة فإن أتمها وإلا قيل انظروا هل له من تطوع فإن كان له تطوع أكملت الفريضة من تطوعه

في تعطل لسانه عن اعمال البر وصفة مثل ذلك وفي رواية تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى قال ان الذي كانه
مثله الميت فو خبر ما عمل على حسب ذلك اه وذكر الله سبحانه الصلاة الوسطى ثانية وقد دخلت قبل في عموم قوله
الصلوات لانه اراد تشريفها واختلف الناس في تعيينها فقال علي وابن عباس وجماعة من الصحابة انها صلاة الصبح
وهو قول مالك وقالت فرقة هي الظهر ورد فيه حديث وقالت فرقة هي صلاة العصر وفي مصحف عائشة واملاء
حفصة صلاة العصر وعلى هذا القول جمهور العلماء وبه اقول وقال قبيصة بن ذويب هي صلاة المغرب وحكى
ابو عمر بن عبد البر عن فرقة انها صلاة العشاء الآخرة وقالت فرقة الصلاة الوسطى لم يعينها الله سبحانه فهي
في جملة الخمس غير معينة كليلة القدر وقالت فرقة هي صلاة الجمعة وقال بعض العلماء هي الخمس وقوله
او على الصلوات يعم النفل والفرض ثم خص الفرض بالذكر وقوله تعالى وقوموا لله قانتين معناه في صلاتكم واختلف
في معنى قانتين فقال الشعبي وغيره معناه مطيعين قال الضحاك كل قنوت في القرآن فانما يعني به الطاعة وقاله ابو سعيد
عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود وغيره القنوت السكوت وذلك انهم كانوا يتكلمون في الصلاة حتى نزلت
هذه الآية فامروا بالسكوت وقال مجاهد معنى قانتين خاشعين والقنوت طول الركوع والخشوع وغض البصر وخفض
الجناح قال ع واحضار الخشية والفكر في الوقوف بين يدي الله تعالى وقال الربيع القنوت طول القيام وطول الركوع وقال
قوم القنوت الدعاء وقانتين معناه داعين روي معناه عن ابن عباس قوله تعالى فان خفتم فرجالا او ركبانا الآية امر الله
سبحانه بالقيام له في الصلاة بحالة قنوت وهي الوقار والسكينة وهدوء الجوارح وهذا على الحالة الغالبة من
الامن والطمانينة ثم ذكر تعالى حالة الخوف الطارئة احيانا فرخص لعبيده في الصلاة رجالا متصرفين على الاقدام وركبانا على
الخيل والابل ونحوها ايماء واشارة بالراس حيثما توجه هذا قول جميع العلماء وهذه هي صلاة الفذ الذي قد
ضايقه الخوف على نفسه في حال المسايفة او من سبع يطلبه او عدو يتبعه او سيل يحمله وبالجملة فكل امر يخاف منه
على روحه فهو مبيح ما تضمنته هذه الآية واما صلاة الخوف بالامام وانقسام الناس فليس حكمها في هذه الآية
وسياتي ان شاء الله في سورة النساء وان كان جمع الى هذه الرخصة في ضمنها باجماع من العلماء ان يكون
الانسان حيث ما توجه ويتقلب وينصرف بحسب نظره في نجاة نفسه قلت وروى ابو داود في سننه
عن عبد الله بن انيس قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خالد بن سفيان وكان نحو عرنة وعرفات فقال اذهب
فاقتله فرايته وقد حضرت صلاة العصر فقلت اني اخاف ان يكون بيني وبينه ما يوخر الصلاة فانطلقت امشي
وانا اصلي اومئ ايماء نحوه فلما دنوت منه قال لي من انت قلت رجل من العرب بلغني انك تجمع لهذا الرجل فجئتك في ذلك
فقال اني لفي ذلك فمشيت معه ساعة حتى اذا امكنني علوته بسيفي حتى برد اه وقد ترجم البخاري عليه بابا في صلاة
الطالب قال ع واختلف الناس كم يصلي من الركعات والذي عليه مالك وجماعة انه لا ينقص من عدد الركعات

شيئا

شيئا ويصلي المسافر ركعتين قال ع اختلف المتاولون في قوله تعالى فاذا امنتم فاذكروا الله الآية فقالت فرقة المعنى اذا
زال خوفكم فاذكروا الله تعالى بالشكر على هذه النعمة وقالت فرقة المعنى اذا زال خوفكم فاذكروا الله والشكر على ما علمكم من
صلاة تامة يعني بها يستغنى عن الصلاة قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول
غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم الذين ربع ذلك ابتدا وجب ان يوصي
تقديره فعليهم وصية لازواجهم وفي قراءة ابن مسعود كتب عليهم وصية وقالت فرقة كانت هذه وصية من الله تعالى
يجب بعد وفاة الزوج قال قتادة كانت المراة اذا توفي عنها زوجها لها السكنى والنفقة حولا في مال الزوج ما لم تخرج برايها
ثم نسخ ما في هذه الآية من النفقة بالربع او بالثمن الذي في سورة النساء ونسخ سكنى الحول بالاربعة الاشهر والعشر قاله ابن
عباس وغيره ومتاعا نصب على المصدر وقوله تعالى غير اخراج معناه ليس لاوليائه اخراجهن ورفع الجناح وقوله تعالى
فان خرجن فلا جناح عليكم الآية معناه ان الخروج اذا كان من قبل الزوجة فلا جناح على احد ولي او حاكم او غيره فيما فعلن
في انفسهن من تزويج وترك الحداد اذا كان ذلك من المعروف الذي لا ينكر وقوله تعالى والله عزيز حكيم صفة تقتضي
الوعيد بالنقمة لمن خالف الحد في هذه النازلة وهذا كله قد زال حكمه بالنسخ المتفق عليه وقوله تعالى وللمطلقات متاع
بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون قال عطاء بن ابي رباح وغيره هذه الآية في الثيبات اللواتي
قد جومعن اذ قد تقدم في غير هذه الآية ذكر المتعة للواتي لم يدخل بهن وقال ابن زيد هذه الآية نزلت مؤكدة لامر المتعة لانه نزل
قبل حقا على المحسنين فقال رجل فان لم ارد ان احسن لم اصنع فنزلت حقا على المتقين قال الطبري فوجب ذلك عليهم قوله
تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم الآية هذه رؤية القلب
بمعنى الم تعلم وقصتهم فيما قال الضحاك انهم قوم من بني اسرائيل امروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتل
في الجهاد فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك فاماتهم الله ليعرفهم انه لا ينجيهم من الموت شيء ثم احياهم وامرهم
بالجهاد بقوله وقاتلوا في سبيل الله الآية وروى ابن جريج عن ابن عباس انهم كانوا من بني اسرائيل وانهم كانوا اربعين
الفا وثمانية آلاف وانهم امتنعوا من الجهاد [illegible] من بني اسرائيل الى [illegible] فلما [illegible] الله
بالجهاد ثانية فذلك قوله وقاتلوا في سبيل الله قال ع وهذا القصص كله لين الاسانيد وانما اللازم من الآية ان الله
تعالى اخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم اخبارا في عبارة التنبيه والتوقيف على قوم من البشر خرجوا من ديارهم
فرارا من الموت فاماتهم الله تعالى ثم احياهم ليعلموا هم وكل من خلف بعدهم ان الاماتة انما هي بيد الله لا بيد غيره فلا
معنى لخوف خائف وجعل الله تعالى هذه الآية مقدمة بين يدي امره المؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم بالجهاد وهذا
قول الطبري وهو ظاهر وصف الآية والجمهور على ان الوف جمع الف وهو جمع كثرة وقال ابن زيد لفظة الوف انما معناها
وهم مؤتلفون وعابه الطبري وقال ابن [illegible] جمع الالف كما عدو وقعود [illegible] فيه ثمانية

مؤتلفون

وقوله تعالى إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون تنبيه على فضله سبحانه على هؤلاء القوم الذين تفضل
عليهم بالنعم وأمرهم بالجهاد وأن لا يجعلوا الحول والقوة إلا له سبحانه حسبما أمر جميع العالم بذلك فلم يشكروا نعمته في
جميع هذا بل استبدوا وظنوا أن حولهم وسعيهم ينجيهم وهذه الآية تحذير لسائر الناس من مثل هذا الفعل أي فيجب أن
يشكر الناس فضله سبحانه في إيجاده لهم ورزقه إياهم وهدايته بالأوامر والنواهي فيكون منهم المبادرة إلى امتثالها لا
طلب الخروج عنها وفي تخصيصه تعالى الأكثر دلالة على أن الأقل الشاكر وقوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الآية
الجمهور أن هذه الآية مخاطبة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بالقتال في سبيل الله وهو الذي ينوى به أن تكون كلمة
الله هي العليا حسبما في الحديث وقال ابن عباس والضحاك الأمر بالقتال هو للذين أحيوا من بني إسرائيل قال
الطبري ولا وجه لهذا القول ثم قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا الآية فدخل في ذلك المقاتل في سبيل
الله فإنه يقرض رجاء ثواب الله كما فعل عثمان في جيش العسرة وروي أن هذه الآية لما نزلت قال أبو الدحداح
يا رسول الله أو إن الله يريد منا القرض قال نعم يا أبا الدحداح قال فإني قد أقرضته حائطي لحائط فيه ستمائة نخلة
ثم جاء الحائط وفيه أم الدحداح فقال اخرجي فإني قد أقرضت ربي حائطي هذا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كم
من عذق مذلل لأبي الدحداح في الجنة واستدعاء القرض في هذه الآية وغيرها إنما هي تأنيس وتقريب
للأفهام والله تعالى هو الغني الحميد قال ابن العربي في أحكامه وكنى الله عن الفقير بنفسه العلية ترغيبا
في الصدقة كما كنى عن المريض والجائع والعطشان بنفسه المقدسة فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله عز
وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت أن
عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب
كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته
لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك
عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي اهـ واللفظ لصحيح مسلم قال ابن العربي وهذا كله
خرج مخرج التشريف لمن كني عنه ترغيبا لمن خوطب به اهـ وقوله حسنا معناه تطيب فيه النية ويشبه أيضا أن يكون
إشارة إلى كثرته وجودته وهذه الأضعاف الكثيرة إلى السبع مائة التي رويت ويعطيها مثال السنبلة
فائدة والمعنى الذي أشير إليه وجوب دعاء عباده إلى الحق سبحانه وما سيأتي في التعريض [illegible] ذلك
حديثا صحيحا [illegible] صلى الله عليه وسلم فيما خرجه مسلم والبخاري [illegible] عن قوله تعالى [illegible]
قال ع وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم طلب منه أن يسعر بسبب غلاء حدث في المدينة فقال إن الله تعالى هو
الباسط القابض وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد يطلبني بمظلمة في نفس ولا مال كما قال صاحب سلاح المؤمن عن

مع اسمه تعالى

مع اسمه تعالى القابض الباسط قال بعض العلماء ينبغي أن يقرن هذان الاسمان ولا يفصل بينهما ليكون أنبأ
على القدرة وأدل على الحكمة لقوله تعالى والله يقبض ويبسط وإذا قلت القابض مفردا فكأنك قصرت بالصفة
على المنع والحرمان وإذا جمعت أثبت الصفتين وكذلك القول في الخافض والرافع والمعز والمذل اهـ وما ذكره عن بعض
العلماء هو كلام الإمام الغزالي في شرح الأسماء الحسنى وأما القابض الباسط فهذان الاسمان ينبغي في
أحدهما إلا في الآخر ليكون ذلك أدل على الحكمة والقدرة ولهذا السبب قال الله تعالى والله يقبض ويبسط وإذا ذكرت
القابض مفردا عن الباسط كنت قد وصفته بالمنع والحرمان وذلك غير جائز وقوله في المعز المذل وفيه عقبة أنه يجب في أمثال
هذا إن ذكر كل واحد منهما مع آخره اهـ قوله تعالى ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى الآية حكى عن قوم من
بني إسرائيل نالتهم ذلة وغلبة عدو فطلبوا الإذن في الجهاد وأن يؤمروا به فلما أمروا كع أكثرهم وصبر الأقل فنصرهم
الله وفي هذا كله مثال للمؤمنين ليحذروا المكروه منه ويقتدوا بالحسن والملأ في هذه الآية جميع القوم لأن المعنى
يقتضيه وهو أصل اللفظة ويسمى الأشراف الملأ تشبيها ومن بعد موسى معناه من بعد موته وانقضاء مدته وقوله تعالى
لنبي لهم قال ابن إسحاق وغيره وقال السدي هو شمعون وكانت بنو إسرائيل تغلب من حا
ربها وروي أنها كانت تضع التابوت الذي فيه السكينة والبقية في مأزق الحرب فلا تزال تغلب حتى عصوا
وظهرت فيهم الأحداث وخالف ملوكهم الأنبياء واتبعوا الشهوات وقد كان الله تعالى أقام أمرهم بأن أنبياءهم
يسيرون ملوكهم فلما فعلوا ما ذكرناه سلط الله عليهم أمما من الكفرة فغلبوهم وأخذ لهم التابوت في بعض
الحروب فذل أمرهم وقال السدي كان الغالب لهم جالوت وهو من العمالقة فلما رأوا أنه الاصطلام وذهاب
الذكر أنف بعضهم وتكلموا في أمرهم حتى اجتمع ملؤهم على أن قالوا لنبي الوقت ابعث لنا ملكا الآية وإنما طلبوا
ملكا يقوم بأمر القتال وكانت المملكة في سبط من أسباط بني إسرائيل يقال لهم بنو يهوذا فعلم النبي
بالوحي أنه ليس في بيت المملكة من يقوم بأمر الحرب ويسر الله لذلك طالوت وقرأ جمهور الناس نقاتل بالنون
وجزم اللام على جواب الأمر وسأل النبي المذكور عليه السلام أي جنوبهم ليقف على حقيقة ما في
وليس ما عزم جميعهم بقوله هل عسيتم ومعنى هذه المقالة هل أنتم قريب من التولي والفرار إن كتب
عليكم القتال ص لنبي متعلق بقالوا واللام معناها التبليغ اهـ ثم أخبر تعالى أنه لما فرض عليهم
القتال تولوا أي اضطربت نياتهم وفترت عزائمهم إلا قليلا منهم وهذا شأن الأمم المتنعمة المائلة
إلى الدعة تتمنى الحرب أوقات الأنفة فإذا حضرت الحرب كعت وعن هذا المعنى نهى النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاثبتوا ثم توعد سبحانه وتعالى الظالمين
في لفظ الخبر بقوله والله عليم بالظالمين وقوله تعالى وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت

ملكا دلالة قال وهب بن منبه وكان طالوت رجلا دباغا وقال السدي سقاء وكان من سبط بني بنيامين وكان سبط
النبوة فيه وسلطنة في سبط اخر فلذلك قالوا انى يكون له الملك علينا
ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال اي لم يؤت مالا واسعا يجمع به نفوس الرجال ويغلب به اهل الحمية فقال
ع ونبه كل القوم النسب داعيا وهو فقير والله وفضله انه ليس له ملك الملك فاجابهم نبيهم
الفاطمة وبين لهم مع ذلك تعليلا ان طالوت بسطة في العلم والجسم مع ذلك ملكه انسان
والسبب الذي هو حقيقة في الحق وعرفهم عين الاقفاء واصطفاه ماخوذ من الصفوة والجمهور في هذا ساكنة على
ان العلم في دين العموم في المعارف وقيل المراد به علم الحرب واما الجسم فقال وهب بن منبه اي طول رجل في بني اسرائيل
كان يبلغ منكب طالوت فليقع قال ابو عبيدة الهي في قوله وزاده بسطة في العلم والجسم اي انسباكا منكب
ونوه بحالة العلم وهو اول ما في الجسم من شيء في الغني ان وانكره في النبي عليه السلام ولما على نبيهم
عليه السلام تعنتهم وجدالهم ثم كلامه بالقطع الذي لا عذر لهم عليه وهو قوله والله يؤتي ملكه من يشاء
وظاهر الكلام انه من قول نبيهم عليه السلام وذهب بعض العلماء الى انه من قول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم
والله واسع عليم واسع معناه وسعت قدرته وعلمه كل شيء وانما قول النبي لهم ان الله ملككم وان الكتبي ذهب
الى ان بني اسرائيل تعنتوا وقالوا لنبيهم وما اية ملك طالوت وذلك على جهة سؤال الدلالة على صدقه في قوله ان الله
قد بعث قال ع ويحتمل ان نبيهم قال لهم ذلك على جهة التغليظ والتنبيه على هذه النعمة التي قرنها بملك طالوت
دون تكرير منهم لنبيهم وهذا عندي اظهر من لفظ الاية وتاويل الطبري في الشبه باخلاق بني اسرائيل الذميمة
فانهم اهل تكرير وتعنت واعوجاج فرجح الطبري معناه عن ابن عباس وغيره واختلف في كيفية اتيان التابوت
فقال وهب لما صار التابوت عند القوم الذين غلبوا بني اسرائيل موضعوه في كنيسة لهم فيها اصنام وكانت الاصنام
تصبح منكسة مطلوبة في بيتهم بل طائرا ولو بيده القوم اوجاع فقالوا ما هذا الا لما دار التابوت فليرد الى بني اسرائيل
بني اسرائيل فاخذوا عجلة فجعلوا التابوت عليها وربطوها ببقرتين ولما سلوهما في الارض نحو بلاد بني اسرائيل وبعث
الله ملائكة تسوق البقرتين حتى دخلتا به على بني اسرائيل وهم في امر طالوت فايقنوا بالنصر وقال قتادة
والربيع كان هذا التابوت مما تركه موسى عند يوشع فجعله يوشع في البرية ومرت عليه الدهور حتى جاء وقت
طالوت فحملته الملائكة في الهوى حتى وضعته بينهم فاستوثقت بنو اسرائيل عند ذلك على طالوت وقيل
غير هذا والله اعلم وقوله تعالى فيه سكينة من ربكم الاية قال ابن عباس السكينة طست من ذهب من الجنة
وقال مجاهد السكينة لها راس كراس الهرة وجناحان من ذهب وقال عطاء السكينة ما يعرفون من الايات
فيسكنون اليها وقال قتادة سكينة من ربكم اي وقار لكم من ربكم قال ع والصحيح ان التابوت كانت فيه

الانبياء

فيه الانبياء وما صلة من فعلوا بالانبياء واذا وجد تسكن الى ذلك النفوس وتانس به ثم قوله تعالى اي مجيء التابوت
ذا ايه لهم اي كانوا مؤمنين وبقي فليمك وهذا التوبيخ لما قبل الطعن المتقدم وقوله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود
دالبقاء في الاتفاق ملايهم على تمليك طالوت وفصل بهم اي خرج بهم من القطع وفصل حال السفر من حال الاقامة
قال السدي وغيره وكانوا ثمانون الفا قال ان الله مبتليكم بنهر اي مختبركم فمن ظهرت طاعته في ترك الماء علم
انه يطيع فيما عدى ذلك ومن غلبته شهوته في الماء وعصى الامر فهو بالعصيان في الشدائد احرى وروي
للمطيعين في الغرفة ليس فيقع عنهم اذى العطش بعض الارتفاع وليكن وان اثر الخير في هذه الجهالة فليك
والقوا حسن من شبهه الدنيا بنهر كطالوت بما اغترفه منه في غرفة بيده ثم هو واقعا على ما يغنيه من امر الخير فيها
ومن اكب عليها صرفته عن التاهب للاخرة وقلة سلامته الا بنهر الحكم الله قال ابن عباس وهذا النهر بين
الاردن وفلسطين وقال ايضا هو نهر فلسطين قال ع وظاهر قول طالوت ان الله مبتليكم انه اخبار من
النبي لطالوت ويحتمل ان يكون هذا مما الهم الله به طالوت فجرب به جنوده وهذا مما لابد منه واجب
ان يقع من كل متولي حرب فليس بحار ذكرنا بالجنود المطيع وبين الغرفة كافية في العطش عند الحزمة الطاعة
على تنضعا العطش الذي هم فيه الى ماهية وقوله فليس مني اي ليس من اصحابي في هذه الحرب ولم يخرجهم
بذلك عن الايمان ومثل هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا ومن حمل علينا السلاح فليس منا وليس منا
من شق الجيوب ولطم الخدود وفي قوله ومن لم يطعمه سد الذرائع لان ادنى الذوق يدخل في لفظ الطعم فاذا وقع النهي
عن الطعم فلا سبيل الى وقوع الشرب ممن يتجنب الطعم ولهذه المبالغة لم يات الكلام ومن لم يشرب منه ع ثم من
اغترف غرفة بيده استثناء من الجملة الاولى وهو قوله فمن شرب منه فليس مني اي من اغترف غرفة
بيده دون الكرع فهو مني والاستثناء اذا تعقب جملتين وامكن عوده الى كل منهما فقيل يعود على
الاخيرة وقيل الجميع وقال ابو البقاء اي فمن جعله من الاولى كان شيء من الثانية وتعقبا بانه
لو كان استثناء من الثانية وهي ومن لم يطعمه فانه منى لزم ان يكون من اغترف غرفة بيده ليس منه
لان الاستثناء من الاثبات نفي ومن النفي اثبات على الصحيح وليس كذلك لانه ابيح لهم الاغتراف فالظاهر عوده
الى الاولى والجملة الثانية مفهومة من الاولى لانه حين ذكر ان من شرب منه فليس منه فهم من ذلك ان من لم
يشرب منه فانه منه اي منه الاستثناء حتى اخبر تعالى انه لا يكون شربه وحكم الغرفة ما ارضيه منه روي عن ابن عباس
وغيره ان القوم شربوا على قدر يقينهم فشرب الكفار شرب الهيم وشرب العاصون دون ذلك وانصرف
من القوم ستة وسبعون الفا وبقي بعض المؤمنين لم يشرب شيئا واخذ بعضهم الغرفة فاما من شرب فلم
يرو بل برح به العطش واما من ترك الماء فحسنت حاله وكان اجلد ممن اخذ الغرفة وقوله تعالى فلما جاوزه

هو والذين آمنوا معه الآية اكتفى البعض بين عدد النفر الذين جاوزوا النهر منهم ثم ذكر انهم ومنهم لم يبق جملة
ثم كانت بجالوت وجنوده متلونة ببعض كم وقليل حتى وهو عدة أهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا **وقوله**
قالوا لا طاقة لنا قال ابن عباس قال كثير من الآية الفرقة مع طالوت الذين جاوزوا النهر لا طاقة
لنا على جهة العشاء والبعض من الفعل وانهم جواب طالوت فقال المؤمنون الموقنون بالبعث والرجوع الى
الله تعالى وهو عدة أهل بدر كم من فئة والظن على هذا اليقين والفئة الجماعة القريب جمع البيت في الشعر ابد
في قولهم رضي الله عنهم كم من فئة الآية لمن ثبت بالمثال وحثى والاستشعار للقلب وافتراء من صدق ربهم
والله مع الصابرين تبعه وتأبيين **وقوله تعالى** ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا الآية
اي واصفاه صارو الى البر اذ هو اسم من بارز الشيع وبارز اي اعظم القلب وكان جالوت أمير العمالقة
وملكهم وروي في قصة داود وقتله جالوت ان اصحاب طالوت كان فيهم اخوة داود وهم بنوا ايشا وهاذا
في العمق وكان اخوة اثنا عشر وكان داود صغيرا يرعى غنما لابيه فلما حضرت الحرب قال في نفسه لاذهبن
الى رؤية هاذه الحرب فلما نهض مر على نهر نحو فناداه ان يا داود خذني فبي تقتل جالوت ثم ناداه حجر اخر فاخذه
وجعله في مخلاته وسار فلما حضر الناس خرج جالوت يطلب مبارزا فكع الناس حتى قال طالوت من يبرز له
او يقتله فانا ازوجه ابنتي واحكمه في مالي فجاء داود فقال انا ابرز له واقتله فقال له طالوت فاركب فرسي
وخذ سلاحي ففعل وخرج في احسن شكته فلما مشى قليلا رجع فقال الناس جبن الفتى فقال داود ان الله
ان لم يقتله لي ويعني عليه لم ينفعني هاذا الفرس ولا هاذا السلاح ولكن احب ان اقاتله على عادتي
قال وكان داود من ارمى الناس بالمقلاع فنزل واخذ مخلاته فتقلدها واخذ مقلاعه وخرج الى جالوت وهو
شاك في السلاح فقال له جالوت انت يا فتى تخرج الي قال نعم قال هكذا كما يخرج الى الكلب قال نعم وانت
اهون قال لاطعمن اليوم لحمك للطير والسباع ثم تدانيا فادار داود مقلاعه وادخل يده الى الحجارة
فروي انها التامت فصارت واحدا فاخذه ووضعه في المقلاع وسمى الله وادارة ورماه فاصاب به راس
جالوت فقتله وحز راسه وجعله في مخلاته واختلط الناس وحمل اصحاب طالوت وكانت الهزيمة
ثم ان داود جاء يطلب شرط طالوت فقال ان بنات الملوك لهن غرائب من المهر ولا بد لك من قتل مائتين
من هولاء الجراجمة الذين يوذون الناس وتحسبني بغلفهم وطمع طالوت ان يعرض داود للقتل بهذا النكاح
فقتل داود منهم مائتين وجاء بذلك وطلب امراته فدفعها اليه طالوت وعظم امر داود وروي ان طالوت تخلى
له عن الملك وصار هو الملك وقد اكثر الناس في قصص هاذه الآية وذلك كله لين الاسناد فلذلك اقتصرت منه
ما ينعقد به الآية ويعلم به مناقل العادلة واتاه الحكمة اي والحكمة النبوة والزبور وعلمه سبحانه صنعة الدروع

ومنطق

ومنطق الطير ومن ذالك من انواع علمه صلى الله عليه وسلم على نبينا وعليه **وقوله تعالى** ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض الآية اخبر الله سبحانه في هاذه الآية انه لولا دفاعه بالمومنين في
صدور الكفرة على مر الدهر لفسدت الارض لان الكفر كان يطبقها ولكنه سبحانه لا يخلي الزمان من قائم
بحق وداع الى الله تعالى الى ان جعل ذالك في امة محمد صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة له الحمد كثيرا **ص** ولكن
استدراك بانيات الفضل له سبحانه على جميع العالمين لما ابو محمد وهي من العباد لان الله عز وجل متفضل عليهم
اذ يبلغهم معايشهم واحتيج الى هاذا التعريف لئلا يكون من ضعيف يعجب ما ذكر ولاسيما ونظيره الى
ما نسبها من الغضب والانبياء وفي هاذه القصة بجملتها مثال عظيم للمومنين ومعتبر لمن فكان اصحاب نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم معدين لحرب الكفار فلهم في هاذه النازلة معتبر يقتضي تقوية النفوس والثقة بالله
سبحانه وتعالى وغير ذالك من وجوه العبر **قوله تعالى** تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية تلك رفع بالابتداء
والرسل خبره ويجوز ان يكون الرسل عطف بيان وفضلنا الخبر وتلك اشارة الى جماعة ونص الله سبحانه
في هاذه الآية على تفضيل بعض النبيين على بعض من غير تعيين **وقوله تعالى** ورفع بعضهم درجات
قال مجاهد وغيره هي اشارة الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه بعث الى الناس كافة واعطي الخمس التي
لم يعطهن احد قبله وهو اعظم الناس امة وختم الله به النبوة الى غير ذالك مما اعطاه من الخلق العظيم
ومن معجزاته وباهر آياته ويحتمل البعض اي ان يراد به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره ممن عظمت آياته
وبينات عيسى عليه السلام احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وخلق الطير من الطين وروح القدس
جبريل عليه السلام وقد تقدم ما قال العلماء فيه **وقوله تعالى** ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم الآية
معنى الآية ولو شاء الله ما اقتتل الناس بعد كل نبي ممن خالفه منهم من آمن ومنهم من كفر بغيا وحسدا وعلى حطام
الدنيا وذلك كله بقضاء وقدر وارادة من الله تعالى ولو شاء خلاف ذالك لكان ولكنه المستاثر بعلم
الحكمة في ذالك وهو الفعال لما يريد سبحانه **ص** ولو شاء الله ما اقتتل قيل في الكلام حذف اي فاختلف
امتهم فاقتتلوا ولو شاء الله ومفعول شاء محذوف اي ان لا يقتتلوا **قوله** ما اقتتلوا اي بان قاتل المومنون
الكافرين على امر الدين وذلك هو دفاع الله الناس بعضهم ببعض **قوله تعالى** يا ايها الذين آمنوا انفقوا
مما رزقناكم الآية قال ابن جريج هاذه الآية تجمع الزكاة والتطوع اي وجميع وجوه البر من سبيل وصلة
رحم وهاذا كلام صحيح لكن ما تقدم من الآيات في ذكر القتال يرجح ان هاذه النفقة في سبيل الله
ويقوي ذلك قوله والكافرون هم الظالمون اي فكافحوهم بالقتال بالانفس وانفاق الاموال وزيادة
وهاذا غاية من الامر والتحضيض منه سبحانه ان رزق ثم ندب للنفقة مما به انعم وحذر سبحانه من الامساك

الى ان قال يوم لا يمكن فيه بيع ولا شرا ولا الشفاعة لم تعقبه في ذات الله سبحانه اذ هي مما يعتبر اذ البيع
فدية لان المرء قد يشتري نفسه ومراده بماله فكان معنى لا بيعة ان لا قدرة يوم القيامة ولا خلة نافعة
واهل التقوى في ذلك اليوم بينهم خلة ولكنه غير محتاج اليها قلت وفيه فوائد غير محتاج اليها
فلو ولا شفاعة يومئذ الا لمن اذن له سبحانه وتعالى فانتفى مثل حال الدنيا من البيع والخلة والشفاعة
من غير اذن المشفوع عنده قال عطاء بن دينار الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل
والظالمون هم الكافرون قوله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم الاية هذه سيدة اي القرآن
وورد في الحديث انها تعدل ثلث القرآن وورد انه من قرأها اول الليل لم يقربه شيطان وكذا من
من قرأها اول النهار وهي متضمنة التوحيد والصفات العلى وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة ما منعك ان تسمعي ما اوصيك به تقولين اذا اصبحت واذا امسيت
يا حي يا قيوم برحمتك استغيث اصلح لي شاني كله ولا تكلني الى نفسي طرفة عين رواه النسائي والحا
كم والحاكم في المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين يعني البخاري ومسلما اه من
السلاح وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل به هم او غم قال يا حي
يا قيوم برحمتك استغيث رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الاسناد ورواه الترمذي من حديث
انس والنسائي من حديث ربيعة بن عامر اه من السلاح والله متصف بالحياة متنزه عن [illegible] وجوب
تحقق [illegible] معبود وموجود وقيوم فيعول من قام اي هو القائم على كل نفس بما كسبت بهذا
المعنى فسره مجاهد والربيع والضحاك ثم نفى سبحانه ان تاخذه سنة او نوم وفي لفظ تاخذ غلبة ما
قبله حسنة في هذا الموضع فانفى والسنة بدء النعاس وليس يفقد معه كل الذهن والنوم
هو المستثقل الذي يزول معه الذهن والمراد في الاية انه لا تدركه آفة ولا يلحقه
خلل بحال من الاحوال فجعلت هذه مثالا لذلك واقيم هذا المذكور من الافات مقام الجميع وهذا
هو مفهوم الخطاب كما قال الله تعالى ولا تقل لهما اف قلت وفيه انه اذا امتنع الشاب فاحرى
ما هو [illegible] من الشيخ والكهل في حق الآدمي وروى ابو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحكي عن موسى على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله تعالى وجل ثناؤه فارسل الله اليه
ملكا فارقه ثلاثا ثم اعطاه قارورتين في كل يد قارورة وامره ان يحتفظ بهما قال فجعل ينام وتكاد
يداه تلتقيان ثم يستيقظ فيحبس احداهما عن الاخرى حتى نام نومة فاصطفقت يداه فانكسرت
القارورتان قال ضرب الله مثلا ان لو كان ينام لم تستمسك السماء والارض قوله تعالى له ما في
السموات

السموات وما في الارض اي بالملك فهو مالك الجميع وربه ثم وقف تعالى من يتعاطى ان يشفع الا باذنه
اي بامره ص من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه مبتدأ وهو استفهام معناه النفي والذي خبره [illegible]
في قوله الا باذنه والنهي ذا الذي نعت لذا ولو بدل منه وهذا على ان ذا اسم اشارة وفيه بحث لان الجملة ما
لم تستقل مع ذا ولو كان حشو الا يستقل ولم يحتج الى الموصول فالاولى ان من ركبت مع ذا للاستفهام
اه قال مجاهد وغيره ما بين ايديهم الدنيا وما خلفهم الاخرة وهذا صحيح في نفسه عند قوم ما الاشخاص
لان ما بين اليد هو كل ما تقدم الانسان وما خلفه هو كل ما ياتي بعده ولا يحيطون بشيء من علمه
اي من معلوماته لان علم الله تعالى لا يتبعض ومعنى الاية لا معلوم لاحد الا ما شاء الله ان يعلمه
قال ابن عباس كرسيه علمه الطبري ومنه الكراسة قال ع والذي تقتضيه الاحاديث ان الكرسي
مخلوق عظيم بين يدي العرش والعرش اعظم منه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما السموات
السبع في الكرسي الا كدراهم سبعة القيت في ترس وقال ابو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما الكرسي في العرش الا كحلقة من حديد القيت في فلاة من الارض وهذه الاية منبئة
على عظم مخلوقات الله تعالى والمستفاد من ذلك عظم قدرته جل وعلا اذ لا يؤوده حفظ هذه
المخلوقات العظيمة ولا يؤوده معناه لا يثقله ولا يشق عليه وهو تفسير ابن عباس وغيره والعلي
يراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان لان الله سبحانه منزه عن التحيز وكذا العظيم هو صفة بمعنى عظيم
القدر والخطر لا على معنى عظيم الاجرام ومن سلاح المؤمن قال وعن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا اية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا ان يموت رواه
النسائي عن الحسين بن بشر عن محمد بن حمير عن محمد بن زياد الالهاني عن ابي امامة واما الحسين فقال فيه
النسائي لا باس به وقال في موضع اخر ثقة وقال ابو حاتم شيخ واما محمد بن حمير فاحتج به البخاري في
صحيحه وقد اخرج شيخنا الحافظ ابو محمد الدمياطي رحمه الله هذا الحديث في بعض تصانيفه من حديث ابي امامة وعلي
وعبد الله بن عمرو والمغيرة وجابر وانس قال واذا انضمت هذه الاحاديث بعضها الى بعض اخذت قوة اه
من سلاح المؤمن وقد اخرج البخاري والنسائي من حديث ابي هريرة في قصته مع الشيطان واخذه
الطعام ما هو معلوم من فضل هذه الاية وفيه انه قال اذا اويت الى فراشك فاقرا اية الكرسي لن يزال عليك
من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وخرجه الترمذي من حديث ابي ايوب في قصته مع الغول
وفي حديث ابي هريرة [illegible] قال الى ما معناه انما وصف [illegible] ستره اي الغي [illegible] اي لاشتمالها على
اسم الله الاعظم وهو الحي القيوم [illegible] الى اسم الله الاعظم

من غالب القطان قال مكثت عشرين سنة ادعو الله ان يعلمني اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل
به اعطى فاذا قائل في النوم ثلاث ليال يقول يا غالب قل يا فارج الهم ويا كاشف الغم ويا صادق الوعد
يا موفيا بالعهد يا محيي الموتى يا حي يا قيوم لا اله الا انت انتهى من غاية المغنم قوله تعالى لا اكراه في
الدين قد تبين الرشد من الغي الدين في هذه الآية هو المعتقد والملة ومقتضى قول زيد بن اسلم ان هذه
الآية مكية وانها من آيات الموادعة التي نسختها آية السيف وقال قتادة والضحاك بن مزاحم هذه
الآية محكمة خاصة في اهل الكتاب الذين يبذلون الجزية وقوله قد تبين الرشد من الغي معناه بنصب الادلة
ووجود الرسول صلى الله عليه وسلم الداعي الى الله والآيات المنيرة والرشد مصدر من قولك رشد بكسر
الشين وضمها يرشد رشدا او رشادا والغي مصدر من غوى يغوي اذا ضل في معتقد او راي ولا يقال
الغي في الضلال على الاطلاق والطاغوت بناء مبالغة من طغى يطغى واختلف في معنى الطاغوت
فقال عمر بن الخطاب وغيره هو الشيطان وقيل هو الساحر وقيل الكاهن وقيل الاصنام وقال بعض
العلماء كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت ع وهذه تسمية صحيحة في كل معبود يرضى ذلك كفرعون
ونمرود واما من لا يرضى ذلك فيسمى طاغوتا في حق العبدة قال مجاهد العروة الوثقى الايمان وقال السدي
الاسلام وقال ابن جبير وغيره لا اله الا الله قال ع وهذه عبارات ترجع الى معنى واحد ولا انفصام
لا انكسار من غير بينونة وقد يجيء الفصم بمعنى البينونة والقصم بالقاف كسر بالبينونة قلت وفي الموطإ عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الوحي ياتيني احيانا في مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد
وعيت قال ابو عمر في التمهيد قوله فيفصم عني معناه ينفرج عني ويذهب كما تفصم الخلخال اذا فتحته لتخرجه
من الرجل وكل عقدة حللتها فقد فصمتها قال الله عز وجل فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها وانفصام
العروة ان تنفك عن موضعها واصل الفصم عند العرب ان تفك الخلخال ولا يبين كسره فاذا كسرته فقد قصمته
بالقاف اه ولما كان الايمان مما ينطق به اللسان ويعتقده القلب حسن في الصفات سميع من اجل النطق وعليم
من اجل المعتقد قوله تعالى الله ولي الذين آمنوا الآية الولي من ولي الشيء اذا لازمه اي لازم النصر والود والحياطة
فهو وليهم هذا في هذه الآية وبعض الآية مرتب في الناس جميعا وذلك ان من آمن منهم فالله وليه اخرجه من
ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن كفر بعد وجود الرسول صلى الله عليه وسلم فشيطانه ومغويه اخرجه من
الايمان اذ هو معد واهل للدخول فيه ولفظ الطاغوت في هذه الآية يقتضي انه اسم جنس ولذلك قال
اولياؤهم بالجمع اذ هي انواع قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الآية الم تر تنبيه وهي رؤية القلب
والذي حاج ابراهيم هو نمرود بن كنعان ملك زمانه هو صاحب النار والبعوضة قاله مجاهد وغيره قال

قتادة

قال قتادة هو اول من تجبر وهو صاحب الصرح ببابل وقيل انه ملك الدنيا باجمعها وهو احد الكافرين والآخر بخت
نصر وقيل ان الذي حاج ابراهيم هو نمرود بن فالخ وفي قصص هذه المحاجة روايتان احداهما ذكر زيد بن اسلم
ان النمرود هذا قعد يامر الناس بالميرة فكلما جاء قوم قال من ربكم والهكم فيقولون انت فيقول ميروهم وجاء ابراهيم
عليه السلام يمتار فقال له من ربك والهك فقال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت فلما سمعها نمرود قال انا احيي واميت فعارضه
ابراهيم بامر الشمس فبهت الذي كفر وقال لا تميروه فرجع ابراهيم الى اهله دون شيء فمر على كثيب رمل كالدقيق
فقال لو ملات غرارتي من هذا فاذا دخلت به فرح الصبيان حتى انظر لهما فذهب بذلك فلما بلغ منزله فرح الصبيان
وجعلا يلعبان فوق الغرارتين ونام هو من الاعياء فقالت امراته لو صنعت له طعاما يجده حاضرا اذا انتبه
ففتحت احدى الغرارتين فوجدت احسن ما يكون من الحوارى فخبزته فلما قام وضعته بين يديه فقال من اين هذا فقالت
من الدقيق الذي سقت فعلم ابراهيم ان الله تعالى يسر لهم ذلك وقال الربيع وغيره في هذا القصص
ان النمرود لما قال انا احيي واميت احضر رجلين فقتل احدهما وارسل الآخر وقال قد احييت هذا وامت هذا فرد
عليه ابراهيم بامر الشمس والرواية الاخرى ذكر السدي انه لما خرج ابراهيم عليه السلام من النار ادخلوه على
الملك فقال له من ربك فقال ربي الذي يحيي ويميت يقال بهت اي حار وانقطع وقامت عليه الحجة وقوله تعالى والله لا
يهدي القوم الظالمين اخبار لمحمد صلى الله عليه وسلم وامته والمعنى لا يرشدهم في حججهم على ظلمهم وظاهر اللفظ العموم
ومعناه الخصوص لان الله سبحانه قد يهدي بعض الظالمين بالتوبة والرجوع الى الايمان قوله تعالى او كالذي
مر على قرية وهي خاوية على عروشها الآية عطفت او في هذه الآية على المعنى الذي هو التعجب في قوله الم تر
الى الذي حاج قال ابن عباس وغيره الذي مر على القرية هو عزير وقال وهب بن منبه وغيره هو ارميا
قال ابن اسحاق وارميا هو الخضر وحكاه النقاش عن وهب بن منبه واختلف في القرية ما هي فقيل
المؤتفكة وقال زيد بن اسلم قرية الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وقال وهب بن منبه وقتادة
والضحاك والربيع وعكرمة هي بيت المقدس لما خربها بخت نصر البابلي والعريش سقف البيت قال السدي
يقول هي ساقطة على سقفها اي سقطت السقوف ثم سقطت الحيطان عليها وقال غيره معناه
خاوية من الناس والبيوت قائمة وخاوية معناه خالية يقال خوت الدار تخوي خواء وخويا ويقال خويت قال الطبري والاول
اصح قال ع وقوله وهي خاوية في موضع الحال من الذي مر وعلى عروشها يتعلق بخاوية والمعنى خاوية
من اهلها ثابتة على عروشها والبيوت قائمة والجملة على هذا يتعلق بخروب وهو قائمة وقيل يتعلق
بخاوية والمعنى واقعة جدرانها على سقوفها بعد سقوط السقوف وهو قد ذا هذا المعنى وضح به سر
الذهاب والله الموفق بفضله وقوله انى يحيي هذه الله بعد موتها ظاهر اللفظ السؤال عن احياء القرية

لحماره او سكانها فكان هذا القول من الواقف المعتبر على جهة الحيرة ويحتمل سؤاله انما كان عن احياء الموتى
في ذلك الموضع بعينه وحكى الطبري عن بعضهم ان هذا القول منه شك في قدرة الله على الاحياء. قال ع والصواب
ان لا يتأول في الآية شك وروي في قصة هذه الآية ان بني اسرائيل لما احدثوا الاحداث بعث الله عليهم بخت نصر
فقتلهم وجلاهم من بيت المقدس وخربه فلما ذهب عنه جاء عزير او ارميا فوقف على المدينة معتبرا فقال انى يحيي
هذه الله بعد موتها فاماته الله تعالى وكان معه حمار قد ربطه بحبل جديد وكان معه سلة فيها تين هو
طعامه وقيل تين وعنب وكان معه ركوة من خمر وقيل من عصير وقيل قلة من ماء هي شرابه وبقي ميتا مائة عام
فروي انه بلي وتفرقت عظامه وحماره وروي ان الحمار بلي وتفرقت اوصاله دون عزير وقوله تعالى ثم بعثه
معناه احياه فسأله الله تعالى بواسطة الملك كم لبثت على جهة التقرير فقال لبثت يوما او بعض يوم قال ابن جريج
وقتادة والربيع اماته الله غدوة يوم ثم بعثه قبل الغروب فظن هذا اليوم واحدا فقال لبثت يوما ثم رأى بقية
من الشمس فخشي ان يكون كاذبا فقال او بعض يوم فقيل له بل لبثت مائة عام وقوله تعالى وانظر الى
طعامك وشرابك لم يتسنه قلت قال البخاري في جامعه يتسنه يتغير واما قوله وانظر الى حمارك
فقال وهب بن منبه وغيره المعنى انظر الى اتصال عظامه واحيائه جزءا جزءا وروي انه احياه الله كذلك حتى صار
عظاما ملتئمة ثم كساها لحما حتى كمل حمارا ثم جاء ملك فنفخ في انفه الروح فقام الحمار ينهق وروي عن الضحاك
ووهب بن منبه ايضا انهما قالا بل قيل له وانظر الى حمارك قائما في مربطه لم يصبه شيء مائة سنة قالوا وانما
العظام التي نظر اليها عظام نفسه واعمى الله العيون عنه وعن حماره طول هذه المدة وكثر اهل القصص في
صورة هذه النازلة تكثيرا اختصرته لعدم صحته وقوله تعالى ولنجعلك آية للناس قال ع وفي اماتته هذه
المدة ثم احيائه اعظم آية وامره كله آية للناس غابر الدهر قلت قال ابن هشام ذكر انه مات مائة عام ثم
بعث اماته بسلب الحياة وهي لا تفترق ثم الوجه ان يجعل اماته بمعنى ألبثه وكأنه قيل فالبثه الله بالموت مائة عام
وحسن تعلقه بالظرف واوضح من المغني ومعنى ننشزها اي نحييها وقرأ حمزة وغيره ننشزها ومعناه نرفعها
اي نرفعها قليلا قليلا وكأنه وقف على نبات العظام الرفات وقال النقاش ننشزها معناه ننبتها ومن ذلك نشز ناب البعير
قوله تعالى فلما تبين له قال اعلم المعنى قال هو اعلم ان الله على كل شيء قدير وهذا عندي ليس باقرار بما كان قبل
ينكره كما زعم الطبري بل هو قول بعثه الله للاعتبار كما يقول الانسان المؤمن اذا رأى شيئا غريبا من قدرة الله
لا اله الا الله ونحو هذا واما قراءة حمزة والكسائي قال اعلم موصولا بالف ساكنة الميم فيحتمل وجهين احدهما قال
له الملك اعلم وقرأ ابن مسعود والاعمش قيل اعلم والوجه الثاني ان ينزل نفسه منزلة المخاطب الاجنبي المنفصل
اي فقال لنفسه اعلم وامثلة هذا كثيرة قوله تعالى واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى الآية

قال

قال جمهور العلماء ان ابراهيم عليه السلام لم يكن شاكا في احياء الله الموتى قط وانما طلب المعاينة واما قول
النبي صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم فمعناه لو كان شاكا لكنا نحن احق بالشك منه ونحن لا نشك
فابراهيم عليه السلام احرى ان لا يشك فالحديث مبني على نفي الشك عن ابراهيم والذي روي فيه عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ذلك محض الايمان انما هو في الخواطر الجارية التي لا تثبت واما الشك فهو توقف بين امرين لا مزية
لاحدهما على الآخر وذلك هو المنفي عن الخليل صلى الله عليه وسلم واحياء الموتى انما يثبت بالسمع وقد كان ابراهيم
اعلم به يدل على ذلك قوله ربي الذي يحيي ويميت والشك يبعد على من ثبت قدمه في الايمان فقط فكيف بمرتبة
النبوة والخلة والانبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة اجماعا واذا تأملت سؤاله
عليه السلام وسائر الفاظ الآية لم تعط شكا وذلك ان الاستفهام بكيف انما هو سؤال عن حال شيء موجود
متقرر الوجود عند السائل والمسؤول نحو قولك كيف علم زيد وكيف نسج الثوب وكيفية هذه الآية انما هي
استفهام عن هيئة الاحياء والاحياء متقرر ولكن لما وجدنا بعض المنكرين لوجود شيء قد يعبر عن انكاره
بالاستفهام عن حالة ذلك الشيء يعلم انها لا تصح فيلزم من ذلك ان الشيء في نفسه لا يصح مثال ذلك ان يقول
مدع انا ارفع هذا الجبل فيقول المكذب له كيف ترفعه فهذه طريقة مجاز في العبارة ومعناها تسليم جدلي
كأنه يقول افرض انك ترفعه فارني كيف فلما كان في عبارة الخليل عليه السلام هذا الاشتراك المجازي
خلص الله سبحانه ذلك وحمله على ان بين الحقيقة فقال له اولم تؤمن قال بلى فكمل الامر وتخلص من كل شك
ثم علل عليه السلام سؤاله بالطمأنينة قلت قال الواحدي وعن ابن جبير اولم تؤمن بالخلة قال
بلى ولكن ليطمئن قلبي اي ازداد ايمانا الى ايماني وعن قتادة لازداد يقينا انتهى قال ع قوله تعالى
اولم تؤمن معناه ايمانا مطلقا دخل فيه فصل احياء الموتى والواو واو حال دخلت عليها الف التقرير
وقال ص الهمزة في اولم تؤمن للتقرير كقوله تعالى الم نشرح لك صدرك وكقوله ه
الستم خير من ركب المطايا اي قد شرح حاله صدرك وقوله ع الواو للحال دخلت عليها الف
التقرير متعقب والظاهر ان التقرير منسحب على الجملة المنفية فقط وان الواو للعطف انتهى والطمأنينة
بسكون وطمأنينة القلب هي ان يسكن فكره في الشيء المعتقد والفكر في صورة الاحياء غير محظورة كما لنا
نحن اليوم ان نفكر فيها بل هي فكر فيها عبر فاراد الخليل ان يعاين فيذهب فكره في صورة الاحياء اذ حركه الى ذلك
اما الدابة اكلها السباع على تأويل واما قول النمرود انا احيي على تأويل آخر وروي ان الاربعة التي اخذ
ابراهيم عليه السلام هي الديك والطاووس والحمام والغراب ذكر ذلك مجاهد وغيره وقال ابن عباس مكان الغراب
الكركي وروي انه اخذ عليه السلام هذه الطير حسب ما امر وذكاها ثم قطعها قطعا صغارا وجمع ذلك مع الدم والريش

والى بشرى جعل من ذلك المجموع المختلط جزءا على كل جبل ووقف هو من حيث يرى تلك الاجزاء وامسك روس الطير
بيده ثم قال تعالين باذن الله فتطايرت تلك الاجزاء وطار الدم الى الدم والريش الى الريش حتى التامت كما
كانت اولا وبقيت بلا روس ثم كرر النداء فجاءته سعيا حتى وضعت اجسادها في روسها وطارت باذن الله
تعالى **وقوله تعالى** فصرهن يقال صرت الشيء اصوره بمعنى اقطعه ويقال ايضا صرته بمعنى املته ومن تاول
التعشية في اللفظة بمعنى التقطيع ويعني ساله وقد قال ابن عباس وغيره في هذه الاية في صرهن
معناه قطعهن وقال قتادة صرهن فصلهن وقال عطاء بن ابي رباح صرهن اضممهن وقال ابن زيد معناه اجمعهن وعن
ابن عباس ايضا معناه اوثقهن وقد قال قوم فصرهن من هذا المعنى ونشر الواو كانه يقول شدهن ومنه حكى الرماني
قوله تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة
والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم في هذه الاية بيان شرف النفقة في سبيل الله وتحسينها
وضمنها التحضيض على ذلك وهذه الاية في نفقة التطوع وسبيل الله كثيرة وهي جميع ما هو طاعة
وعائد بمنفعة على المسلمين وعلى الملة واشهرها واعظمها غناء الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا والحبة
اسم جنس لكل ما يزرعه ابن ادم ويقتاته واشهر ذلك البر وقد يوجد في سنبل القمح ما فيه مائة حبة واما سائر
الحبوب فاكثر وقد ورد القران بان جاءت الحسنة بعشر امثالها واقتضت هذه الاية ان نفقة الجهاد حسنتها بسبع مائة
ضعف وبين ذلك الحديث الصحيح واختلف في معنى قوله سبحانه والله يضاعف لمن يشاء فقالت طائفة هي مبينة ومؤكدة لما تقدم
من ذكر السبع مائة ضعف وقالت طائفة من العلماء بل هو اعلام من الله تعالى بانه يضاعف لمن يشاء اكثر من سبع مائة
ضعف **قلت** وارجح الاقوال عندي قول هذه الطائفة وفي الحديث الصحيح عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى قال ان الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم
يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها وعملها كتبها عنده عشر حسنات الى سبع مائة ضعف
الى اضعاف كثيرة الحديث رواه مسلم والبخاري وغيرهما وقال ابن عمر لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله
عليه وسلم رب زد امتي فنزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا الاية فقال رب زد امتي فنزلت انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وفي هذه الاية حذف مضاف تقديره مثل انفاق الذين ينفقون كمثل حبة **وقوله تعالى** الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لما تقدم
في الاية التي قبلها ذكر فضل الانفاق في سبيل الله على العموم بين في هذه الاية ان ذلك انما هو لمن لم يتبع انفاقه منا ولا اذى وذلك
ان المنفق في سبيل الله انما يريد وجه الله تعالى ورجاء ثوابه واما من اراد من المنفق عليه جزاء بوجه من
الوجوه فهذا لم يرد وجه الله تعالى وهذا هو الذي متى اخلفه ظنه من بانفاقه واذى وكذلك اذا لم يكن انفاقه خالصا

لوجه الله تعالى

لوجه الله تعالى والمن والاذى مبطلان للصدقة وهما كاشفان لمقاصد المنفقين والمن ذكر النعمة على معنى التعديد
لها والتقريع بها والاذى السب والتشكي وهو اعم من المن لان المن جزء من الاذى لكنه نص عليه لكثرة وقوعه
وقال زيد بن اسلم لئن ظننت ان سلامك يثقل على من انفقت عليه تريد وجه الله فلا تسلم عليه وقالت له امراة
يا ابا اسامة دلني على رجل يخرج في سبيل الله حقا فانهم انما يخرجون ليأكلوا الفواكه فان عندي اسهما وجعبة
فقال لها لا بارك الله في اسهمك وجعبتك فقد اذيتهم قبل ان تعطيهم وتضمن الله الاجر للمنفق في سبيل الله والاجر
الجنة ونفى عنه الخوف بعد موته لما يستقبل والحزن على ما سلف من دنياه لانه يغتبط باخرته **قلت** ومما جاء
من عظيم الاجر في هذا الباب ما رواه مالك في الموطأ عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من انفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان
من اهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من اهل الصدقة
دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان فقال ابو بكر يا رسول الله ما على من يدعى من هذه
الابواب من ضرورة فهل يدعى احد من هذه الابواب كلها قال نعم وارجو ان تكون منهم قال ابو عمر بن عبد البر في
التمهيد في هذا الحديث من الفقه الحض على الانفاق في سبيل الخير ومعنى زوجين اي شيئين من نوع واحد نحو درهمين
او دينارين او فرسين او قميصين هكذا قال اهل العلم وفيه ان من اكثر من شيء عرف به ونسب اليه الا ترى الى
قوله من كان من اهل الصلاة يريد من اكثر منها فنسب اليها لان الجميع من اهل الصلاة وكذلك من اكثر من
الجهاد ومن الصيام على هذا المعنى والريان فعلان من الري ومعنى الدعاء من تلك الابواب اعطاؤه ثواب
العاملين تلك الاعمال ونيله ذلك والله اعلم وفيه ان للجنة ابوابا متعددة بحسب الاعمال وقد روي ان في
حديث مسند عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل اهل عمل بابا من ابواب الجنة يدعون فيه بذلك العمل اذا
لعطفه على ما قبله انتهى **قوله تعالى** قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى هذه
اخبار جزم من الله تعالى ان القول المعروف وهو الدعاء والتانيس والترجية لما عند الله خير من صدقة هي في
ظاهرها صدقة وفي باطنها لا شيء لان ذلك القول المعروف فيه اجر وهذه لا اجر فيها والمغفرة الستر
للخلة وسوء حالة المحتاج ومن هذا قول الاعرابي وقد سال قوما بكلام فصيح فقال له قائل ممن الرجل فقال اللهم
غفرا سوء الاكتساب يمنع من الانتساب وقال النقاش يقال معناه ومغفرة للسائل ان اغلظ او جفاه
ثم اخبر تعالى بغناه عن صدقة من هذه حاله وحلمه عمن يقع منه هذا وامهاله ومن حديث ابن الجوزي في صفوة
الصفوة بسنده الى حارثة بن النعمان الصحابي رضي الله عنه قال لما كف بصره جعل خيطا في مصلاه الى باب
حجرته ووضع عنده مكتلا فيه تمر وغير ذلك فكان اذا سال المسكين اخذ من ذلك التمر ثم اخذ من ذلك الخيط

سيئا يا رسول الله جاءه الحاجة فيها ولم اسكت وكان اهله يقولون نحن كفيناه فيقول سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان صاحبة المسكين تغني ميتة السوء اه وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
الاية العقيدة ان السيئات لا تبطل الحسنات وقال جمهور العلماء في هذه الاية ان الصدقة التي يعلم الله من
صاحبها انه يمن او يؤذي بها فانها لا تقبل صدقة وقيل بل يجعل الله للملك عليها امارة فهو لا يكتبها قال ع وهذا
احسن لان المان المؤذي لم تكن نيته خالصة لله تعالى فلم تترتب له صدقة فهذا هو بطلان الصدقة بالمن والاذى
وهما لا يبطلان صدقة غيرها سالمة النية ثم مثل الله تعالى هذا الذي يمن ويؤذي بحسب مقدمة نيته
بالذي ينفق رياء لا لوجه الله والرياء مصدر من راءى ويقال الرياء بالتسهيل وتخفيف الياء فيه من الناس
ذا الخصوص والمن كالبطال الذي ينفق رياء وقوله تعالى ولا يؤمن بالله واليوم الاخر يحتمل ان يريد الكافر
او المنافق اذ كل منهما ينفق ليقال جواد ثم مثل سبحانه هذا المنفق رياء بصفوان عليه تراب فيظنه الظان
ارضا منبتة طيبة كما يظن قوم ان صدقة هذا المرائي لها قدر ومعنى فاذا اصاب الصفوان وابل
من المطر انكشف ذلك التراب وبقي صلدا وكذلك هذا المرائي اذا كان يوم القيامة وحصلت الاعمال انكشف
سره وظهر انه لا قدر لصدقته ولا معنى والصفوان الحجر الكبير الاملس والوابل الكثير القوي من المطر وهو
يسيل وجه الارض والصلد من الحجر الاملس الصلب الذي لا شيء فيه ويستعار للبخيل الذي لا خير فيه قوله تعالى
لا يقدرون على شيء الاية يعني الذين ينفقون رياء اي لا يقدرون على الانتفاع بشيء من انفاقهم ذلك وهو كسبهم وقوله تعالى
والله لا يهدي القوم الكافرين اما عموم يراد به الخصوص ويحتمل انه لا يهديهم في كفرهم اذ هو ضلال محض ويحتمل
انه لا يهديهم في صدقاتهم واعمالهم وهم على الكفر وقوله تعالى ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله الاية من
اسلوبه وفصاحة الكلام ان انه يأتي فيه ذكر نقيض ما تقدم ذكره ليتبين حال التضاد بعرضهما على الذهن
والمثل في ذكر الله تعالى صدقات القوم الذين لا خلاق لصدقاتهم ونهى المؤمنين عن مواقعة ما يشبه ذلك
بوجه ما عقب في هذه الاية بذكر نفقات القوم الذين تزكو صدقاتهم على وجهها في الشرع فضرب لها مثلا
وتقدير الكلام ومثل نفقة الذين ينفقون كمثل غارس جنة او تقدير لا اضمار فيه على نحو الكلام اضمار تقديره في اوله
كانه قال كمثل غارس جنة وابتغاء معناه طلب وهو مصدر في موضع الحال وتثبيتا مصدر ومرضات مصدر
من رضي وقال ص وابتغاء مرضات الله وتثبيتا كلاهما مفعول من اجله وقاله مكي ورد ع بان
الابتغاء لا يكون مفعولا من اجله لعطف وتثبيتا عليه ولا يصح في تثبيتا ان يكون مفعولا من اجله لان
الانفاق ليس من اجل التثبيت واجيب بانه يمكن ان يقدر مفعول التثبيت الثواب اي وتحصيلا لانفسهم
الثواب على تلك النفقة فيصح ان يكون مفعولا لاجله قال ابو حيان يقر الكلام والمعنى انهم يثبتون من

من انفسهم

من انفسهم على الايمان وما يرجونه من الله تعالى بما ذا العمل اه قال قتادة وغيره وتثبيتا معناه
وتيقنا اي ان نفوسهم لها بصائر متاكدة فهي تثبتهم على الانفاق في طاعة الله تثبيتا وقال مجاهد
والحسن معناه وتثبيتا اي انهم يتثبتون اين يضعون صدقاتهم قال الحسن كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت
فان كان ذلك لله امضاه وان خالطه شيء امسك والقول الاول اصوب لان هذا المعنى الذي ذهب اليه
مجاهد والحسن انما عبارته وتثبتا فان قال محتج ان هذا من المصادر التي خرجت على غير الصدر كقوله
تعالى وتبتل اليه تبتيلا والله انبتكم من الارض نباتا فالجواب ان هذا لا يسوغ الا مع ذكر
المصدر والافصاح بالفعل المتقدم للمصدر واما اذا لم يقع افصاح بفعل فليس لك ان تأتي بمصدر في غير
معناه ثم تقول احمله على فعل كذا وكذا لفعل لم يتقدم له ذكر هذا مهيع كلام العرب فيما علمت والربوة
ما ارتفع من الارض ارتفاعا يسيرا معه في الاغلب كثافة التراب وطيبه وتعمقه وما كان كذلك
فنباته احسن ولفظ الربوة ماخوذ من ربا الذي هو زاد وآتت معناه اعطت والأكل
بضم الهمزة الثمر الذي يؤكل والشيء المأكول من كل شيء يقال له أكل واضافته الى الجنة اضافة
اختصاص كسرج الدابة وباب الدار وضعفين معناه اثنين مما يظن بها ويحتمل من مثلها ثم اكد سبحانه
مدح هذه الربوة بانها ان لم يصبها وابل فان الطل يكفيها وينوب مناب الوابل وذلك لكرم
الارض والطل المستدق من القطر قاله ابن عباس وغيره وهو مشهور اللغة فشبه سبحانه
نمو نفقات هؤلاء المخلصين الذين يربي الله صدقاتهم كتربية الفلو والفصيل حسب الحديث بنمو
نبات هذه الجنة بالربوة الموصوفة وذلك كله بخلاف الصفوان وفي قوله تعالى والله
بما تعملون بصير وعد ووعيد وقوله تعالى ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب الآية
حكى الطبري عن ابن زيد انه قرأ قول الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى الآية ثم قال ضرب في ذلك مثلا فقال ايود احدكم الآية وهذا ابين وهو
مقتضى سياق الكلام وقال ابن عباس هذا مثل ضربه الله كانه قال ايود احدكم ان يعمل عمره
بعمل اهل الخير فاذا فني عمره واقترب اجله ختم ذلك بعمل من عمل اهل الشقاء فرضي ذلك
عمر رضي الله عنه وروى ابن مليكة ان عمر تلا هذه الآية ح وهذا نظر يحمل الآية على كل ما يدخل
تحت الفاظها وقال بنحو هذا مجاهد وغيره ونقل الثعلبي عن الحسن قال هذا والله مثل
قل من يعقله شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احدكم
افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا اه وهو حسن جدا وقال ابو عبد الله

الثمر في هذا المثل لتفسير الطبري وعن ابن عباس وغيره هذا مثل فاعقلوا عن الله تعالى أمثاله هذا رجل كبرت سنه ورق عظمه
وكثر عياله ثم احترقت جنته أحوج ما يكون إليها يقول أيحب أحدكم أن يضل عنه عمله يوم القيامة أحوج ما
يكون إليه وعن الحسن نحوه اهـ وخص هذا المثل بالنخيل والأعناب لشرفهما وفضلهما على سائر الشجر والواو في قوله
وأصابه واو الحال وكذلك قوله وله ذرية ضعفاء جمع ضعيف والإعصار الريح الشديدة العاصفة التي فيها إحراق
لكل ما مرت يكون ذلك في شدة الحر ويكون في شدة البرد وكل ذلك من فيح جهنم ونفسها كما جاء في حديث النبي
أي إذا قام من تبين له هذا البيان رجي له التفكر وكان أهلا له وقال ابن عباس تتفكرون في زوال الدنيا
وفنائها وإقبال الآخرة وبقائها **قوله تعالى** يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم الآية خطاب لجميع
أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهذه صيغة أمر بالإنفاق واختلف المتأولون هل المراد بهذا الإنفاق الزكاة
المفروضة أو التطوع والآية تعم الوجهين لكن صاحب الزكاة يتلقاها على الوجوب وصاحب التطوع يتلقاها
على الندب وجمهور المتأولين قالوا معنى من طيبات من جيد ومختار ما كسبتم وجعلوا الخبيث بمعنى الرديء
وقال ابن زيد معناه من حلال ما كسبتم قال وقوله ولا تيمموا الخبيث أي الحرام **ع** وقول ابن زيد ليس بالقوي من جهة
نسق الآية من معناها في نفسه وكسبتم معناه كانت لكم فيه سعاية ومما أخرجنا لكم من الأرض النباتات
والمعادن والركاز وما ضارع ذلك وتيمموا معناه تعمدوا وتقصدوا والتيمم القصد قال الجرجاني قال فريق من
الناس إن الكلام تم في قوله الخبيث ثم ابتدأ خبرا آخر فقال تنفقون منه وأنتم لا تأخذونه إلا إذا أغمضتم أي تساهلتم
قال **ع** كأن هذا المعنى عتاب للناس وتقريع وعلى هذا فالضمير في منه يعود على الخبيث قال الجرجاني وقال
فريق آخر بل الكلام متصل إلى قوله فيه وعلى هذا فالضمير في منه عائد على ما كسبتم كأنه في موضع نصب
على الحال والنهي في هذه الآية ولا تفعلوا مع الله ما لا ترضونه لأنفسكم واعلموا أن الله غني عن صدقاتكم
من تقرب وطلب مثوبة فليفعل ذلك بما له قدر **قلت** وهذا يقوي القول بأنها في الزكاة المفروضة وحميد
معناه محمود **وقوله تعالى** الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء هذه الآية وما بعدها وإن لم تكن أمرا بالصدقة فهي جالبة
النفوس إلى الصدقة بين عز وجل فيها نزغات الشيطان ووسوسته وعداوته وذكر هو ثوابه سبحانه لا رب
غيره وذكر تفضله بالحكمة وأثنى عليها ونبه أن أهل العقول هم المتذكرون الذين يقيمون بالحكمة وأثنى
عليها ونبه أن أهل العقول فهم الإنفاق فيما يحبه الله وعن ذلك ثم ذكر سبحانه علمه بكل نفقة ونذر وفي ذلك
وعد ووعيد ثم بين الحكم في الإعلان والإخفاء وكذلك إلى آخر المعنى والوعد في كلام العرب إذا أطلق
فهو في الخير وإذا قيد بالموعود فقد يقيد بالخير وقد يقيد بالشر كالبشارة وهذه الآية مما قيد الوعد
فيها بمكروه وهو الفقر والفحشاء كل ما فحش وفحش ذكره روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن للشيطان

لمة من ابن

لمة من بني آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير
وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليستعذ بالله من الشيطان ثم قرأ صلى الله
عليه وسلم الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء الآية **قلت** هذا حديث صحيح خرجه أبو عيسى الترمذي
وقال فيه حسن صحيح **ع** والمغفرة هي الستر على عباده في الدنيا والآخرة والفضل هو الرزق في الدنيا والتوسعة
فيه والتنعيم في الآخرة وبكل قد وعد الله تعالى وذكر النقاش أن في التوراة عبدي أنفق من رزقي أبسط عليك من فضلي
فإن يدي مبسوطة على كل يد مبسوطة وفي القرآن مصداقه وهو وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين أنفقتم
قلت وروى الطبراني أبو سليمان بن أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطعم
أخاه خبزا حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندق مسيرة
خمسمائة عام اهـ **و** عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على
عري كساه الله من خضر الجنة وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيما مسلم
سقى مسلما على ظمإ سقاه الله من الرحيق المختوم وأخرجه أبو داود من حديث أبي خالد هو الدالاني
وفوقه أبو حاتم يزيد بن خالد ووثقه أبو زرعة عن نبيه قال كما تعطيه اهـ من الإلمام في حديث الأحكام لابن دقيق
العيد والواسع لأنه وسع كل شيء رحمة وعلما **يؤتي الحكمة** أي يعطيها لمن يشاء من عباده والحكمة مصدر من
الإحكام وهو الإتقان في عمل أو قول وكتاب الله حكمة وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام حكمة وكل
ما ذكره المتأولون فيها فهو جزء من الحكمة التي هي الجنس قال الإمام الفخر في شرح الأسماء الحسنى قال المحققون
العلماء ثلاثة علماء بأحكام الله فقط وهم الفقهاء وعلماء بذات الله فقط وهم الحكماء وعلماء بهما
بالفقيه وهم الكبراء فالقسم الأول كالسراج يحرق نفسه ويضيء لغيره والقسم الثاني حاله أكمل من الأول لأنه
أشرق قلبه بمعرفة الله وسره بنور جلال الله إلا أنه كالكنز تحت التراب لا يصل أثره إلى غيره وأما القسم الثالث
فهم أشرف الأقسام فهو كالشمس تضيء للعالم لأنه قائم بحق الله اهـ وفي الآية تذكرة بينة وإقامة لهمم
الغفلة بسبب العقول وأحرى بها الألباب **وقوله تعالى** وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر الآية يقال نذر الرجل كذا إذا التزم
فعله **وقوله تعالى** فإن الله يعلمه قال مجاهد معناه يحصيه وفي الآية وعد ووعيد أي من كان خالص النية
فهو مثاب ومن أنفق رياء أو لمعنى آخر مما يكسبه المن والأذى ونحو ذلك فهو ظالم يذهب فعله باطلا
ولا يجد ناصرا فيه **وقوله تعالى** إن تبدوا الصدقات فنعما هي الآية ذهب الجمهور من المفسرين إلى أن هذه الآية
في صدقة التطوع قال ابن عباس جعل الله صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها يقال بسبعين ضعفا وجعل
صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها يقال بخمسة وعشرين ضعفا قال وكذلك جميع الفرائض والنوافل

في ذلك نشاء كله ع ويقوي ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل في بيته أفضل من صلاته في المسجد إلا المكتوبة
وذلك لأن الفرائض لا يدخلها رياء والنوافل عرضة لذلك قال الطبري أجمع الناس على أن الإظهار في الواجب أفضل وقوله
تعالى فنعما هي ثناء على إبداء الصدقة ثم حكم أن الإخفاء خير من ذلك الإبداء والتفضيل يقتضي شيئا أبداه رب والإبداء هو
المخصوص بالمدح وخرج أبو داود في سننه عن أبي أمامة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم انطلق بي جبريل إلى باب الجنة فرفع
رأسه فإذا على باب الجنة مكتوب الصدقة بعشر أمثالها والقرض الواحد بثمانية عشر لأن صاحب القرض لا يأتيك إلا
وهو محتاج والصدقة ربما وضعت في غني وخرج ابن ماجه في سننه قال حدثنا عبيد الله بن عبد الكريم حدثنا هشام بن خالد
حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي على باب
الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فقلت يا جبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة قال لأن
السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة اهـ من التذكرة وفي ابن عطية وغيره
ونكفر بالنون ورفع الراء وقرأ ابن عامر وغيره ويكفر بالياء ورفع الراء وقرأ نافع وغيره بالنون والجزم فأما
رفع الراء فهو على وجهين أحدهما أن يكون الفعل خبر ابتداء تقديره ونحن نكفر أو والله يكفر والثاني القطع
والاستئناف والواو لعطف جملة على جملة والجزم في الراء أفصح هذه القراءات لأنها تؤذن بدخول التكفير في الجزاء
وكونه مشروطا إن وقع الإخفاء وأما رفع الراء فليس فيه هذا المعنى ومن في قوله من سيئاتكم للتبعيض
المحض كما أن ... رفع قوم والله بما تعملون خبير وعد ووعيد وقوله تعالى ليس عليك هداهم سبب الآية ورد
أن النبي صلى الله عليه وسلم منع أهل الذمة من الصدقة فنزلت الآية مبيحة لهم وذكر الطبري أن مقصد النبي
صلى الله عليه وسلم بمنع الصدقة إنما كان ليسلموا ويدخلوا في الدين فقال الله سبحانه ليس عليك هداهم قال ع
وهذه الصدقة التي أبيحت عليهم حسبما تضمنته هذه الآثار إنما هي صدقة التطوع وأما المفروضة فلا يجزئ
دفعها لكافر قال ابن المنذر إجماعا فيما علمت وقول المهدوي رخصت هذه الآية مردود قال ابن العربي وإذا
كان المسلم يترك أركان الإسلام من الصلاة والصيام فلا تصرف إليه الصدقة حتى يتوب وسائر المعاصي
تصرف الصدقة لمرتكبها لدخولهم في اسم المسلمين اهـ من الأحكام ويعني بالصدقة المفروضة والهدى الذي ليس على
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو خلق الإيمان في قلوبهم وأما الهدى الذي هو الدعاء فهو عليه صلى الله عليه وسلم
وليس بداخل في هذه الآية ثم أخبر سبحانه أنه يهدي من يشاء وفي هذه الآية رد على القدرية وطوائف المعتزلة ثم بين
أن النفقة المقبولة ما كان ابتغاء وجه الله وفي الحديث قال ... وهو أن ... من الله تعالى
للصحابة أنهم إنما ينفقون ابتغاء وجهه سبحانه فهو خبر منه لهم فيه تفضيل وما تنفقوا من خير يوف إليكم
أجره في الآخرة وهذا هو بيان قوله وما تنفقوا من خير فلأنفسكم والخير هنا المال لقرينة الإنفاق ومن

ع

لم يعفني في جانب على أنه المال ولا يلزم أن يكون بمعنى المال وهذا الذي قلناه تحرزا من قول عكرمة كل خير في كتاب الله
فهو المال وقوله تعالى للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله حابسه التقدير الإنفاق أو الصدقة للفقراء قال مجاهد وغيره
المراد بهؤلاء الفقراء فقراء المهاجرين من قريش وغيرهم ع ثم تتناول الآية كل من دخل تحت صفة الفقراء غابر الدهر
ثم بين الله سبحانه من أحوال أولئك الفقراء المهاجرين ما يوجب الحنو عليهم بقوله الذين أحصروا في سبيل الله والمعنى
حبسوا ومنعوا وذكر الطبري في هذه الآية أنهم حبسوا أنفسهم عن التصرف في معايشهم خوف العدو
إذا أحاط بهم الكفر فقعودهم خوف العدو عذر أحصرهم وابن ع كأن هذه الآية ... أحصرتهم بالعدو وكل محيط محصر
وقوله تعالى في سبيل الله يحتمل الجهاد ويحتمل الدخول في الإسلام والضرب في الأرض هو التصرف في التجارة وكانوا
لا يستطيعون ضربا فيه لكون البلاد كلها كفرا مطبقا وهذا في صدر الهجرة وكانوا رضي الله عنهم من
الانقباض وترك المسألة والتوكل على الله تعالى بحيث يحسبهم الجاهل بباطن أحوالهم أغنياء قلت واعلم
أن المواساة واجبة وقد خرج مسلم وأبو داود عن أبي سعيد الخدري قال بينما نحن في سفر مع النبي صلى الله عليه
وسلم إذ جاء رجل على راحلة فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا فقال النبي صلى الله عليه وسلم من كان معه فضل ظهر فليعد
به على من لا ظهر له ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له قال فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى
رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل اهـ والتعفف تفعل وهو بناء مبالغة من عف عن الشيء إذا أمسك عنه وتنزه
عن طلبه وبهذا المعنى فسر قتادة وغيره قلت ومدح الله سبحانه هؤلاء الناس دال على ما أعطاهم من
غنى النفس وفي الحديث الصحيح ليس الغنى عن كثرة المال وإنما الغنى غنى النفس وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال
اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا خرجه مسلم وغيره وعندي أن المراد بآل محمد هنا متبعوه صلى الله عليه وسلم وفي
سنن ابن ماجه عن أنس قال قال رسول الله ما من غني ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه أوتي من الدنيا قوتا
وروى مسلم والترمذي عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير
لك وأن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى قال أبو عيسى والفقير
له هذا حديث حسن صحيح اهـ وقوله تعالى تعرفهم بسيماهم السيما مقصورة العلامة واختلف المفسرون في
في تعيينها فقال مجاهد هي التخشع والتواضع وقال الربيع والسدي جهد الحاجة وقضف الفقر في وجوههم
وقلة النعمة وقال ابن زيد هي رثاثة الثياب وقال قوم وحكاه مكي هي أثر السجود قال ع وهذا حسن وذلك أنهم
كانوا متفرغين متوكلين لا شغل لهم في الأغلب إلا الصلاة فكان أثر السجود عليهم أبدا قلت وهذا
هو الذي عليه الجمهور أنهم لا يسألون البتة والإلحاف يعني الإلحاح ومعناه أن لا يظهر لهم سؤال بل هو قليل وبإجمال
قلت وهذا الذي يعسر من العارف ذلك فتأمله قلت وينبغي للفقير أن يتعفف في فقره ويكتفي

يعلى به قال الشيخ ابن ابي جمرة وقد قال الحارث المحاسبي غني بالياس بصبر ليس اه وذكر عبد الملك بن محمد بن ابي القاسم
ابن الكردبوس في الاكتفاء في اخبار الخلفاء قال وذكر ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه تسع كلمات ثلاث في المناجاة وثلاث
في الحكمة وثلاث في الادب اما المناجاة فقال كفاني عزا ان تكون لي ربا وكفاني فخرا ان اكون لك عبدا وانت كما احب فاجعلني
كما تحب. واما الحكمة فقال قيمة كل امرء ما كان يحسنه. وما هلك امرء عرف قدر نفسه. والمرء مخبوء تحت لسانه.
واما الادب فقال استغن عمن شئت فانت نظيره. وتفضل على من شئت فانت اميره. واحتج الى من شئت
فانت اسيره. اه ولما كانت الصدقة تدل على صاحبها وفيه حال اقام الله سبحانه مقام ذكر الاخبار
عن حال صاحبها فقال تعرفهم بسيماهم وقد قال الشيخ العارف بالله صاحب الكلم العارفية والحكم الحقيقية كلاما
معنى تعرفهم عنه ولو كان ما متقاربا اليه ولو كان ما متقاربا اي حصول الفهم والمعرفة بحسب اعتبار المعتبر
ونهي المتامل المتدبر اه وقال ع تعرفهم بسيماهم من سوء حالهم من يسئل الناس الحافا وقال ص وقوله تعالى لا
يسئلون الناس الحافا اي لا يسئلون الناس عن الحاجة بلسانهم ... الاكثر بالعفو والغنى
هاذا الذين سوالهم ويعفو السائل والحاج ويجوز ان يقع الحاجة فيبتغي ذلك الغير فيتبع السؤال والالحاح ولا يظل
اه وقوله تعالى وما تنفقوا من خير فان الله به عليم وعن بعض اي تعلمه ويحصيه فيجازي عليه ويثيب
وقوله تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار قال ابن عباس نزلت هاذه الاية في علي ابن ابي طالب رضي
الله عنه كانت له اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقال
قتادة نزلت هاذه الاية في المنفقين في سبيل الله من غير تبذير ولا تقتير قال ع والاية وان كانت نزلت في علي
رضي الله عنه فمعناها يتناول كل من فعل فعله وكل من مشى بصدقته في الظلام الى مظنة ذي الحاجة وقوله تعالى
الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الاية الربا هو الزيادة ماخوذ من ربا يربو اذا زاد
ونمى على ما كان وغالبه ما كانت العرب تفعله من قولها للغريم اتقضي ام تربي فكان الغريم يزيد في عدد المال
ويصبر الطالب عليه ومن الربا البين التفاضل في النوع الواحد وكذلك البيوع الممنوعة انما تجمع منعها لمعنى
زيادة اما في عينها او في منفعة لاحدهما من تاخير ونحوه ومعنى الاية الذين يكسبون الربا ويفعلونه وانما قصد
الى لفظة الاكل لانه اقوى مقاصد الناس في المال قال ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى لا يقومون اي من قبورهم
في البعث يوم القيامة الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قالوا كانهم يبعثون كالمجنون عقوبة لهم وتمقيتا
عند جميع المحشر ويقوي هاذا التاويل المجمع عليه ان في قراءة عبد الله بن مسعود لا يقومون يوم القيامة الا
كما يقوم وقوله تعالى ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا معناه عند جميع المتاولين في الكفار وانه قول تكذيب
للشريعة ورد عليها والاية كلها في الكفار المربين نزلت ولهم قيل فله ما سلف ولا يقال ذلك لمومن عاص ولا ياخذ العطاء بل
تعالى

بل هي ما من وعيد هاذه الاية ثم حكم الله تعالى بقوله واحل الله البيع وحرم الربا فقيل هاذا من عموم القرآن المخصص وقيل
من مجمله المبين قال جعفر بن محمد الصادق رحمه الله وحرم الله الربا ليتقارض الناس وقوله تعالى فله ما سلف اي من
الربا فلا تباعة عليه في الدنيا والاخرة وهاذا حكم من الله تعالى لمن اسلم من الكفار وقوله تعالى وامره الى الله فيه
اربع تاويلات احدها ان الضمير عائد على الربا بمعنى وامر الربا الى الله في امرار تحريمه او غير ذلك والثاني ان يكون المراد
ان الضمير عائد على ما سلف اي امره الى الله في العفو عنه واسقاط التبعة فيه والثالث ان
الضمير عائد على ذي الربا بمعنى امره الى الله في ان يثبته على الانتهاء او يعيده الى المعصية والرابع ان يعود الضمير على
المنتهي ولكن بمعنى التانيس له وبسط امله في الخير وقوله تعالى ومن عاد يعني الى فعل الربا والقول ان البيع
مثل الربا والخلود في حق الكافر خلود تابيد حقيقي وان لحظنا الاية في مسلم عاص فهو خلود مستعار على معنى
المبالغة وقوله تعالى يمحق الله الربا ويربي الصدقات يمحق معناه ينقص ويذهب ومنه محاق القمر وهو
انتقاصه ويربي الصدقات معناه ينميها ويزيد ثوابها اضعافا تقول ربت الصدقة واربى الله تعالى وذلك هو
التضعيف لمن يشاء وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم ان صدقة احدكم لتقع في يد الله فيربيها له كما يربي احدكم فلوه
او فصيله حتى يجيء يوم القيامة وان اللقمة لعلى قدر احد قال ع وقد جعل الله سبحانه هاذين الفعلين
بعكس ما يظنه الحريص الجاهل من بني ادم اذ يظن الربا يغنيه وهو في الحقيقة ممحق ويظن الصدقة
تفقره وهي في الحقيقة نماء في الدنيا والاخرة وعن يزيد بن ابي حبيب ان ابا الخير حدثه انه سمع عقبة
ابن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس او قال حتى
يحكم بين الناس قال يزيد وكان ابو الخير لا يخطئه يوم لا يتصدق فيه بشيء ولو كعكة او بصلة قال
الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه يعني البخاري ومسلما اه من السلاح وفي احاديثه لا احكام لابن ... قال بعض
قال الشيخ ابن ابي جمرة ولا يعلم الصدقة الا من سعف له سابقة خير اه قال ابو عمر في التمهيد وروي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما احسن عبد الصدقة الا احسن الله الخلافة على تركته وكان في ظل الله يوم
لا ظل الا ظله وحفظه في يوم صدقته من كل آفة وعاهة اه وروى ابو داوود في سننه ان سعد بن عبادة قال
يا رسول الله ان ام سعد ماتت فاي الصدقة افضل قال الماء فحفر بئرا وقال هاذه لام سعد وروى ابو داوود
في سننه عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري كساه الله من خضر
الجنة وايما مسلم اطعم مسلما على جوع اطعمه الله من ثمار الجنة وايما مسلم سقى مسلما على ظما سقاه الله
من الرحيق المختوم اه وقوله تعالى والله لا يحب كل كفار اثيم يقتضي ان الاية في الكفار المستحلين للربا ووصفه
الكفار بانه اثيم انما مبالغة من حيث اختلاف اللفظين والاثيم هو الذي يكثر ذنبه الذي في كفاره يقع على النوع الذي
يفنى الصحابة ولا رضي قاله ابن فورك ولما انقضى ذكر الكافرين عقب سبحانه بذكر ضدهم ليبين ما بين الحالتين وقال

أي الذين آمنوا الآية وقد تقدم تفسير هذه الألفاظ وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا الآية سبب هذه الآية أنه لما افتتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة قال في خطبته في اليوم الثاني من الفتح ألا كل ربا في الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربا العباس فبدأ صلى الله عليه وسلم بعمه وأخص الناس به وهذه من سنن العدل للإمام أن يفيض العدل على نفسه وخاصته فيستفيض في الناس ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة واستعمل على مكة عتاب بن أسيد فلما استنزل صلى الله عليه وسلم أهل الطائف بعد ذلك إلى الإسلام اشترطوا شروطا وكان في شروطهم أن كل ربا لهم على الناس فإنهم يأخذونه وكل ربا عليهم فهو موضوع فيروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرر لهم هذه ثم ردها الله بهذه الآية كما رد صلحه لكفار قريش في رد النساء إليهم عام الحديبية وذكر النقاش رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يكتب في أسفل الكتاب لثقيف لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم فلما جاءت آجال رباهم بعثوا إلى مكة للاقتضاء وكانت على بني المغيرة المخزوميين فقال بنو المغيرة لا نعطي شيئا فإن الربا قد وضع ورفعوا أمرهم إلى عتاب بن أسيد بمكة فكتب به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية وكتب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عتاب فعلمت بها ثقيف فكفت هذا سبب الآية على اختصار مما روى ابن إسحاق وابن جريج والسدي وغيرهم فمعنى الآية اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية بترككم ما بقي لكم من ربا وصفحكم عنه ثم توعدهم تعالى إن لم يذروا الربا بحرب منه ومن رسوله وأمته والحرب داعية القتل وقوله فأذنوا قال سيبويه آذنت أعلمت **قلت** وهكذا فسره البخاري فقال قال أبو عبد الله فأذنوا فاعلموا وقال ابن عطية هي عندي من الإذن وقال ابن عباس وغيره معناه فاستيقنوا بحرب ثم ردهم سبحانه مع التوبة إلى رؤوس أموالهم وقال لهم لا تظلمون في أخذ الربا ولا تظلمون في أن يتمسك بشيء من رؤوس أموالكم ويحتمل لا تظلمون في مطل لأن مطل الغني ظلم كما قال عليه السلام فالمعنى أنه يكون القضاء مع وضع الربا وهكذا سنة الصلح وهذا أشبه شيء بالصلح ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أشار على كعب بن مالك في دين ابن أبي حدرد بوضع الشطر فقال كعب نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم للآخر قم فاقضه فتلقى العلماء أمره بالقضاء سنة في المصالحات **وقوله تعالى** وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة حكم الله تعالى لأرباب الربا برؤوس أموالهم عند الواجدين للمال ثم حكم في ذي العسرة بالنظرة إلى حالة اليسر والعسر ضيق الحال من جهة عدم المال والنظرة التأخير **قلت وفي الصحيح** عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان رجل يداين

الناس

الناس فكان يقول لفتاه إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا قال فلقي الله فتجاوز عنه وفي صحيح مسلم من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه وفي رواية من أنظر معسرا أو وضع عنه أنجاه الله من كرب يوم القيامة وفي رواية من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله والميسرة مصدر بمعنى اليسر وارتفع ذو عسرة بكان التامة التي هي بمعنى وجد وحدث وارتفع قوله فنظرة على خبر ابتداء مقدر تقديره فالواجب نظرة واختلف أهل العلم هل هذا الحكم بالنظرة إلى الميسرة واقف على أهل الربا خاصة وهو قول ابن عباس وشريح أو هو منسحب على كل دين حال وهو قول جمهور العلماء **ع** وما قاله ابن عباس إنما يترتب إذا لم يكن فقر مدقع وأما مع العدم والفقر الصريح فالحكم هي النظرة ضرورة **قلت** وما نقله عن ابن عباس في ذلك **وقوله تعالى** وأن تصدقوا خير لكم ندب الله بهذه الألفاظ إلى الصدقة على المعسر وجعل ذلك خيرا من إنظاره قاله جمهور العلماء وروى سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب أنه قال كان آخر ما نزل من القرآن آية الربا وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفسرها لنا فدعوا الربا والريبة وقال ابن عباس آخر ما نزل آية الربا قال **ع** ومعنى هذا عندي أنه من آخر ما نزل لأن جمهور الناس كابن عباس والسدي والضحاك وابن جريج وغيرهم قالوا آخر آية نزلت قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله وروي أن قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله نزلت قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بتسع ليال ثم لم ينزل بعدها شيء وروي بثلاث ليال وروي أنها نزلت قبل موته بثلاث ساعات وأنه صلى الله عليه وسلم قال اجعلوها بين آية الربا وآية الدين وحكى مكي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال جاءني جبريل فقال اجعلها على رأس مائتين وثمانين آية من البقرة **وقوله تعالى** واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله الآية وعظ لجميع الناس وأمر يخص كل إنسان **قلت** حق على من أوتي فهم الآية أن يجلس عين نشخ من الآن أطال يحود عليه الفي ان وفي أنما عليه هذه الآية فيقلب عينيه ثم يبكي إلى أن فاضت نفسه ومات رحمه الله ونفع به فإذا من حاله من شكى هواه وجهله حتى في نهار الصوم والحج من مصارعة نظر قلبه وتمكن صورة حالة في عينيه نفوس الأغنياء والجهال غافلة عن العظمة والجلال ولا هيبة عن أهوال الميعاد والأشغال مشغولة بذاتها بالآمال وفضول العمل والغالة لاستبداله والاحتيال لازدياد الأموال ولا يعلمون أنها فتنة ووبال وطول حساب وبلاء اغتنموا يا ذوي البطالة نعمة الإمهال والمهل حوادث الدهر كانا فرحمات هواجم الآجال من الحكيم المتعال رفيعة في الحكم الحقيقية ويوما نصب على المفعول لا على الظرف وجمهور العلماء على أن هذا اليوم المحذر منه هو يوم القيامة والحساب والتوفية وقال قوم هو يوم الموت والأول أصح وهو يوم تنفطر لذكره القلوب وفي هذه

النظرة

والآية تدل على أن الشهود والعقلاء متعلقان بالكسب والإنسان وهذا رد على الجبرية وقوله تعالى ولا يأب الذين
دعوا إذا ما دعوا قال ابن عباس هذه الآية في التحمل خاصة قال ع معناه أي سئل أهل المدينة
كان سبب هذه الآية في تناول جميع الديانات إجماعا ووصية الحاضر مع الغفلة الأمة متعلقة عن أداء
متعلقة عن أداء وكذا كل الغرض وقعت الحاجة فما عدا إذا كانت متعلقة عن أداء ثم تنظر في أصل العلماء من الصحابة
ودليل على أن الجهالة لا تجوز قال جمهور العلماء الأمر بالكتب ندب إلى حفظ المال وإزالة الريب وإذا كان الغريم تقيا
فما يضره الكتب وإن كان غيره فالكتب ثقاف في دينه وحاجة صاحب الحق قال بعضهم إن أشهدت فحزم وإن ائتمنت
ففي حل وسعة وهذا هو القول الصحيح ثم علم تعالى أن يستغنى لا يملي فقال أي وقع هاهنا في الآية بعد هذه
وصية للذين عليهم الديون واختلف في قوله تعالى وليكتب بينكم كاتب بالعدل فقال عطاء والشعبي واجب
على الكاتب أن يكتب ذلك فرض وقال السدي هو واجب مع الفراغ وقوله بالعدل معناه بالحق ثم نهى تعالى
الكاتب عن الإباية وحكى المهدوي عن الربيع والضحاك أن قوله تعالى ولا يأب منسوخ بقوله ولا يضار كاتب
ولا شهيد ع إذا أراد الكاتب فليس يجب الكتب على معين بل إلا إذا الاحتياج وأما إذا عدم
الكاتب فيتوجه وجوب الندب حينئذ على الكاتب وقوله تعالى وليملل الذي عليه الحق أمر الله تعالى الذي
عليه الحق بالإملال لأن الشهادة إنما تكون بحسب إقراره وإذا كتبت الوثيقة وأقر بها فهي كإملاله
النفس بنوع من المخادعة والمراوغة وهذا الإملال يملي ولا يبخس أي ينقص
تعالى ثلاثة أنواع تقع الذي عليه الحق سفيها والسفيه الجاهل
في المال الذي لا يحسن الأخذ لنفسه ولا الإعطاء منها متشبه بالثوب السفيه وهو الخفيف النسج والشيء
الخفيف وهذه الصفة في الشريعة لا تخلو من حجر أب أو وصي وذلك هو وليه ثم قال أو ضعيفا هو المدخول
في العقل وهذا أيضا قد يكون وليه أبا أو وصيا والذي لا يستطيع أن يمل هو الصبي وولده وصيه أو أبوه
والغائب عن موضع الإشهاد من الأعذار ووليه وكيله وأما الأخرس فيسوغ أن يكون
من الضعفاء والأولى أنه ممن لا يستطيع وقوله بالعدل معناه بالحق وقصد الصواب وقوله تعالى
واستشهدوا شهيدين الاستشهاد طلب الشهادة وعبر ببناء مبالغة في شهيدين دلالة على من
قد شهد وتكرر ذلك منه فكأنه إشارة إلى العدالة أحكامه والتحليل
بالاستشهاد وقوله تعالى من رجالكم نص في رفض الكفار والنساء والصبيان وأما
العبيد فاللفظ يتناولهم واختلف العلماء فيهم فقال مالك والشافعي وأبو حنيفة وجمهور العلماء شهادتهم
لا تجوز وغلبوا لفظ الأحرار وقوله في قول الجمهور المستشهد

اجمل

رجلين وقال قوم بل المعنى فإن لم يوجد رجلان ولا يجوز استشهاد المرأتين إلا مع عدم الرجال قال ع وهذا
قول ضعيف ولفظ الآية لا يعطيه بل الظاهر منه قول الجمهور وقوله فرجل وامرأتان فليستشهد أو فليكن رجل
وامرأتان وقوله تعالى ممن ترضون من الشهداء رفع في موضع الصفة لقوله فرجل وامرأتان وهذا الخطاب
لجميع الناس لكن المتلبس بهذه القضية هم الحكام وهذا كثير في كتاب الله يعم الخطاب فيما يتلبس به البعض وفي
قوله ممن ترضون دليل على أن في الشهود من لا يرضى فيجيء من ذلك أن الناس ليسوا محمولين على العدالة حتى تثبت
لهم وقوله تعالى أن تضل إحداهما الآية أي مفعول من أجله والشهادة لم تقع لأن تضل إحداهما وإنما وقع إشهاد
امرأتين لأن تذكر إحداهما إن ضلت الأخرى قال سيبويه وهذا كما تقول أعددت هذه الخشبة أن يميل
الحائط فأدعمه ع ولما كانت النفوس مستشرفة إلى معرفة أسباب الحوادث قدم في هذه العبارة ذكر سبب
الأمر المقصود أن تخبر به وهذا من أبرع الفصاحة إذ لو قال رجل لك أعددت هذه الخشبة أن أدعم بها هذا
الحائط لقال السامع ولم تدعم حائطا قائما فيجب ذكر السبب فيقال إذا مال فجاء في كلامهم تقديم السبب أخصر من هذه
المحاورة قال أبو عبيدة ومعنى تضل تنسى ع والضلال عن الشهادة إنما هو نسيان جزء منها وذكر جزء ويبقى
المرء بين ذلك حيران ضالا وقوله تعالى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا قال قتادة والربيع معنى الآية إذا دعوا
أن يشهدوا وقال الحسن بن أبي الحسن الآية جمعت أمرين فلا تأب إذا دعيت إلى تحصيل الشهادة ولا إذا دعيت إلى أدائها
وقاله ابن عباس وقال مجاهد لا تأب إذا دعيت إلى أداء شهادة قد حصلت عندك واستند النقاش إلى النبي صلى
الله عليه وسلم أنه فسر الآية بهذا قلت وهذا هو الحقيق بالآية وأما تسميتهم شهداء بما يؤول
إليه مجازا والشاهد حقيقة من حصل له الشهادة قال مجاهد وأما إذا دعيت أولا فإن شئت فاذهب
وإن شئت فلا تذهب وقاله جماعة قال ع والآية كما قال الحسن جمعت أمرين والمسلمون مندوبون إلى معونة إخوانهم
فإذا كانت الفسحة لكثرة الشهود والأمن من تعطيل الحق فالمدعو مندوب وإن خيف تعطل الحق أدنى خوف قوي الندب
وجب عليه القيام بها سيما إن كانت محصلة وكان الداعي فلازم في العنق
ص ولا يأب الشهداء قال أبو البقاء مفعول يأب محذوف أي ولا يأب الشهداء إقامة الشهادة أو تحمل الشهادة
وإذا ظرف ليأب ويحتمل أن يكون ظرفا للمفعول المحذوف اه وتسئموا معناه تملوا وقدم الصغير اهتماما به والنهي
معناه الندب وأقوم أي أشد إقامة وقيل قوم من قام بمعنى اعتدل وأدنى معناه أقرب وألا ترتابوا معناه تشكوا
قال ابن هشام إلى أجله لا يصح تعلقه بتكتبوه لاقتضائه استمرار الكتابة إلى أجل الدين وإنما هو حال أي مستقرا
في الذمة إلى أجله اه وقوله تعالى إلا أن تكون تجارة حاضرة لما علم الله سبحانه مشقة الكتب
عليهم نص على ترك ذلك ورفع الجناح فيه في كل مبايعة بنقد وذلك في الأغلب إنما هو في قليل كالمطعوم ونحوه

بما يحكم ما الاملاك ونحوها وقال الزمخشري والظاهر هذا وعيد لان يكون بيعين داخرون وقوله تعالى نجوى ونهى تقتضي التعامل
والبيوت في المقبوض وقوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم اختلف هل ذلك على الوجوب او على الندب والوجوب في ذلك قلق
فلو اما في الدقائق فصعب شاق واما ما كثر فربما يقصد التاجر الاستيلاف بترك الاشهاد لكن في ذلك من المصالح
فلا يشهد ويدخل ذلك كله في الايتمان ويبقى الامر بالاشهاد ندبا لما فيه من المصلحة في الاغلب وحكى المهدوي
عن قوم انهم قالوا واشهدوا اذا تبايعتم منسوخ بقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا الآية وذكره مكي عن ابي سعيد الخدري واختلف
الناس في معنى قوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد هل الفعل مسند الى الفاعل فاصله ولا يضارر كاتب ولا شهيد بكسر الراء
وقيل مسند الى المفعول الذي لم يسم فاعله فاصله ولا يضارر بفتحها ع ووجوه المضارة لا تنحصر وفك الفعل لغة الحجاز
والادغام لغة تميم وقوله انه حال [illegible] وفي الآية الوعيد لمن اتقى على العلم والعمل قلت وفي العتبية من سماع ك
ابن القاسم قال سمعت مالكا يقول سمعت انه يقال ما زهد عبد واتقى الله الا انطقه الله بالحكمة والمراد بهذا العلم
العلم النافع الذي يورث الخشية قال ابو عمر بن عبد البر [illegible] عن مسروق قال كفى بالمرء علما ان يخشى الله وكفى بالمرء جهلا
ان يعجب بعلمه [illegible] وقوله تعالى وان كنتم على سفر الآية ذكر الله تعالى الندب
الى الاشهاد والكتب لمصلحة حفظ الاموال والاديان عقب ذلك بذكر حال الاعذار المانعة من الكتب وجعل لها الرهن ونص
على السفر اذ هو الغالب من الاعذار [illegible] ع الرهن في كلام العرب معناه الدوام والاستمرار
ولما كان الرهن بمعنى الثبوت والدوام [illegible] بطل الرهن عند الفقهاء اذا خرج من يد المرتهن الى يد الراهن [illegible] ما جعل
له وقوله تعالى مقبوضة يقتضي بينونة المرتهن بالرهن واجمع الناس على صحة قبض المرتهن وكذلك [illegible] وكيله فيما علمت
واختلفوا في قبض عدل يوضع الرهن على يديه فقال مالك وجميع اصحابه وجمهور العلماء قبض العدل قبض وقال الحكم بن
عتيبة وغيره ليس بقبض وقول الجمهور اصح من جهة المعنى في الرهن وقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا الآية شرط ربط به
وصية الذي عليه الحق بالاداء قال ابن العربي في احكامه قوله تعالى فان امن بعضكم بعضا معناه ان اسقط الكتب
والاشهاد والرهن وعول على امانة المعامل فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه وهذا يبين ان الاشهاد ليس بواجب اذ لو كان
واجبا لما جاز اسقاطه [illegible] من الله تعالى [illegible]
[illegible] قال ابن العربي وقد روي
عن ابي سعيد الخدري انه قال في هذه الآية [illegible] هذه نسخ لكل ما تقدم يعني من الامر بالكتب والاشهاد والرهن ع
وقوله تعالى فليؤد [illegible] الوجوب وقوله امانته مصدر [illegible] الذي في الذمة وقوله تعالى ولا تكتموا
الشهادة الآية نهي فيه تهديد ووعيد وخص تعالى ذكر القلب اذ الكتم من افعاله واذ هو المضغة التي بصلاحها
يصلح الجسد كله كما قال صلى الله عليه وسلم وفي قوله تعالى والله بما تعملون عليم توعد وان كان لفظها يعم الوعد والوعيد

وروي

وروى ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مشى الى غريمه بحقه صلت عليه دواب الارض ونون الماء
ونبت له بكل خطوة شجرة تغرس في الجنة وذنب يغفر له من الكبائر الذي قوله تعالى لله ما في السماوات وما في
الارض الآية المعنى جميع ما في السماوات وما في الارض ملك له سبحانه وتعالى قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم الآية
قوله في انفسكم يقتضي قوة اللفظ انه ما تقرر في النفس واستصحب الفكر فيه واما الخواطر التي لا يمكن دفعها
فليس في النفس [illegible] الا بتجوز واختلف في معنى هذه الآية فقال [illegible] وغيره هي في معنى الشهادة التي نهى
عن كتمها [illegible] الآية على هذا [illegible] العموم ومعناه الخصوص [illegible] وقال ابن عباس وابو هريرة
وجماعة من الصحابة [illegible] لما نزلت هذه الآية شق ذلك على الصحابة وقالوا هلكنا يا رسول الله ان حوسبنا
بخواطر انفسنا وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] فقال لهم اتريدون ان تقولوا كما قالت بنو اسرائيل
سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا فقالوها فانزل الله بعد ذلك لا يكلف الله نفسا الا وسعها ونسخ بها
[illegible] هذا معنى الحديث الصحيح وله طرق من جهات [illegible] عبارته [illegible] القائلين بالنسخ
النسخ في هذه الآية [illegible] وقال ابن عباس لما شق ذلك عليهم انزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها الآية فنسخت
الوسوسة وثبت القول والفعل وقال آخرون هذه الآية محكمة غير منسوخة والله تعالى يحاسب خلقه على ما
عملوا واضمروه وارادوه ويغفر للمومنين ويأخذ به اهل الكفر والنفاق ورجح الطبري ان الآية محكمة غير منسوخة
ع وهذا هو الصواب وانما هي مخصصة وذلك ان قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه معناه بما هو
في وسعكم وتحت كسبكم وذلك استصحاب المعتقد والفكر فيه فلما كان اللفظ مما يمكن ان يدخل فيه الخواطر اشفق
الصحابة والنبي صلى الله عليه وسلم فبين الله تعالى لهم ما اراد بالآية الاولى وخصصها ونص على حكمه انه لا يكلف
نفسا الا وسعها والخواطر ليست هي ولا دفعها في الوسع بل هي امر غالب وليست مما يكسب ولا يكتسب وكان
في هذا البيان فرجهم وكشف كربهم وباقي الآية محكمة لا نسخ فيها ومما يدفع امر النسخ ان الآية خبر والخبر
لا يدخله النسخ فان ذهب ذاهب الى تقرير النسخ فانما يترتب له في الحكم الذي لحق الصحابة حين فزعوا من الآية وذلك
ان قول النبي صلى الله عليه وسلم لهم قولوا سمعنا واطعنا يجيء منه الامر بان يبنوا على هذا ويلتزموه وينتظروا
لطف الله تعالى في الغفران فاذا قرر هذا الحكم فصحيح وقوع النسخ فيه وتشبه الآية حينئذ قوله تعالى ان يكن منكم
عشرون صابرون يغلبوا مائتين فهذا لفظ الخبر ولكن معناه التزموا هذا وابنوا عليه واصبروا بحسبه
ثم نسخ ذلك [illegible] وقوله تعالى ويغفر لمن يشاء [illegible]
وتعلق قوم بهذه الآية ممن قال بجواز تكليف ما لا يطاق وقال ان الله قد كلفهم امر الخواطر وذلك مما لا يطاق قال
ع وهذا غير بين وانما كان امر الخواطر تأولا من الصحابة [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] تكليف [illegible]

الذي ذكره من تعدي الرسول صلى الله عليه وسلم إياها هي عادته قال الشيخ العارف بالله ابن أبي جمرة والقوة الظاهر عندي
ستة يعني عند العلماء بالله وهي بالله الإيمان الرحمة ثم اللطف ثم المغفرة وهذه الثلاثة عندهم غير موافقين
ثم نيته ثم إرادته ثم حكمته وهذه الثلاثة هي موافقين اهـ وقوله تعالى آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه الآية
سبب هذه الآية أنه لما نزلت وإن تبدوا ما في أنفسكم أشفق منها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم تقرر الأمر
على أن قالوا سمعنا وأطعنا ورجعوا إلى التضرع والاستكانة فمدحهم الله تعالى وأثنى عليهم في هذه الآية
وقدم ذلك بين يدي رفقه بهم من جمعه لهم تعالى التشريف بالمدح والثناء ورفع المشقة في أمر الخواطر وهذه ثمرة
الطاعة والانقطاع إلى الله تعالى كما قال بنو إسرائيل سمعنا وعصينا فأعقبهم ضد ذلك وهذه ثمرة العصيان
فأما الله من نقضه وآمن معناه صدق وأين سوا محمد صلى الله عليه وسلم ومازال الرب الغفران ومسلم ما أوحى الله إليه لهاذ
من حملة ذلك وكل لفظة تصلح للإحاطة وهي كل الحمد هنا والإيمان بالله هو التصديق به أي بوجوده
وصفاته ورفض كل معبود سواه والإيمان بملائكته هو اعتقاد أنهم عباد الله مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم
ويفعلون ما يؤمرون والإيمان بكتبه هو التصديق بما أنزل سبحانه على أنبيائه وفي الجمهور كتبه بالتوحيد
والمعنى يقولون لا نفرق ومعنى هذه الآية أن المؤمنين ليسوا كاليهود والنصارى في أنهم يؤمنون ببعض ويكفرون
ببعض وقوله تعالى وقالوا سمعنا وأطعنا مدح يقتضي الحض على هذه المقالة وأن يكون المؤمن يمتثلها غابر
الدهر والطاعة قبول الأوامر وغفرانك مصدر العامل فيه فعل تقديره نطلب أو نسأل غفرانك قال ع وزاد ابن
حبان قال وجوز بعضهم الرفع فيه على أن يكون مبتدأ أي غفرانك بغيتنا اهـ وإليك المصير إقرار بالبعث والوقوف
بين يديه سبحانه وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية قال له جبريل يا محمد إن الله قد أحسن الثناء
عليك وعلى أمتك فسل تعطه فسأل إلى آخر السورة وقوله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها الآية خبر
جزم نص على أنه لا يكلف العباد من وقت نزول الآية عبادة من أعمال القلب والجوارح إلا وهي في وسع المكلف
وفي مقتضى إدراكه وبنيته وبهذا انكشفت الكربة عن المسلمين في تأولهم أمر الخواطر وهذا المعنى الذي
ذكرناه في هذه الآية يجري مع معنى قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى ما جعل عليكم
في الدين من حرج وقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم قال ابن عباس وسعها أي طاقتها اهـ قال ع واختلف الناس
في جواز تكليف ما لا يطاق في الأحكام التي هي في الدنيا بعد اتفاقهم على أنه ليس واقعا الآن في الشرع وأن هذه
الآية أذنت بعدمه واختلف القائلون بجوازه هل وقع في رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أم لا فقالت
فرقة وقع في نازلة أبي لهب لأنه كلفه بالإيمان بجملة الشريعة ومن جملتها أنه لا يؤمن لأنه حكم عليه بتب اليدين وصلي النار وذلك مؤذن بأنه لا يؤمن فقد كلفه الشرع
الإيمان بأنه لا يؤمن فكأنه كلفه أن يؤمن وأن لا يؤمن في إيمانه بأنه لا يؤمن لأنه إذا آمن فلا محالة أن يؤمن بسورة تبت

بل البعض

بل البعض وقالت فرقة لم يقع قط وقوله تعالى سيصلى نارا إنما معناه إن وافى على كفره ع وما لا يطاق على أقسام منه
المحال عقلا كالجمع بين الضدين ومنه المحال عادة كرفع الإنسان جبلا ومنه ما لا يطاق من حيث هو مهلك كالاحتراق
بالنار ونحوه ومنه ما لا يطاق للاشتغال بغيره وهذا إنما يقال فيه ما لا يطاق على تجوز كثير وقوله تعالى لها ما كسبت
يريد من الحسنات وعليها ما اكتسبت يريد من السيئات قاله جماعة المفسرين لا خلاف في ذلك والخواطر ونحوها
ليست من كسب الإنسان وجاءت العبارة في الحسنات بلها من حيث هي مما يفرح الإنسان بكسبه ويسر بها فتضاف
إلى ملكه وجاءت في السيئات بعليها من حيث هي أوزار وأثقال ومتحملات صعبة وهذا كما تقول لي مال
وعلي دين وكرر فعل الكسب فخالف بين التصريف حسنا لنمط الكلام كما قال فمهل الكافرين أمهلهم رويدا
هذا وجه ع والذي يظهر لي في هذا أن الحسنات مما يكسب دون تكلف إذ كاسبها على جادة أمر الله تعالى ورسم
شرعه والسيئات تكتسب ببناء المبالغة إذ كاسبها يتكلف في أمرها خرق حجاب نهي الله تعالى ويتخطاه إليها
فيحسن في الآية مجيء التصريفين بحسب هذا المعنى وقال المهدوي وغيره معنى الآية لا يؤاخذ أحد بذنب أحد قال
ع وهذا صحيح في نفسه لكن من غير هذه الآية وقوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا معناه قولوا واختلف الناس في
معنى قوله تعالى إن نسينا أو أخطأنا فذهب كثير من العلماء إلى أن هذا الدعاء في النسيان الغالب والخطإ غير
المقصود وهو الصحيح عندي قال قتادة في تفسير الآية بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى تجاوز لأمتي
عن نسيانها وخطئها وقال السدي لما نزلت هذه الآية فقالوها قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم قد فعل الله
ذلك يا محمد قال ع فظاهر قوليهما ما صححته وذلك أن المؤمنين لما كشف عنهم ما خافوه في قوله تعالى يحاسبكم به الله
أمروا بالدعاء في دفع ذلك النوع الذي ليس من طاقة الإنسان دفعه وذلك في النسيان والخطإ والإصر الثقيل وما لا
يطاق على أتم أنواعه وهذه الآية على هذا القول تقضي بجواز تكليف ما لا يطاق ولذلك أمر المؤمنون بالدعاء في أن لا يقع
هذا الجائز الصعب ومذهب أبي الحسن الأشعري وجماعة من المتكلمين أن تكليف ما لا يطاق جائز عقلا ولا يخرم ذلك
شيئا من عقائد الشرع وذهب الطبري وغيره إلى أن تكليف ما لا يطاق غير جائز وأن النسيان في هذه الآية بمعنى
الترك أي إن تركنا شيئا من طاعتك والخطأ هو المقصود من العصيان والإصر هي العبادات الثقيلة كتكاليف
بني إسرائيل وما لا طاقة لنا به هو عندهم على تجوز كما تقول لا طاقة لي على خصومة فلان ولا طاقة لنا به من
حيث هو مهلك كعذاب جهنم وغيره ثم قال تعالى فيما أمر المؤمنين بقوله واعف عنا أي فيما واقعناه واغفر لنا أي استر
علينا ما علمت منا وارحمنا أي تفضل مبتدئا برحمة منك وأنت مولانا مدح في ضمنه تقرب إليه وشكر على نعمه ومولى المؤمن ولي
وفي الحديث أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم قل ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا فقالها
فقال جبريل قد فعل وقال قل كذا وكذا فيقولها فيقول جبريل قد فعل إلى آخر السورة وتظاهرت بهذا المعنى أحاديث

وروى ابو مسعود عقبة بن عامر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة
كفتاه يعني عن قيام الليل قال صاحب سلاح المؤمن هذا الحديث رواه الجماعة يعني من الستة ومعنى كفتاه اجزأتاه
عن قيام الليل وقيل كفتاه من كل شيطان فلا يقربه ليلته وقيل كفتاه ما يكون من الآفات تلك الليلة وقيل حسبه
بهما فضلا واجرا ويحتمل الجميع والله تعالى اعلم اهـ من سلاح المؤمن وذكر علي رضي الله عنه ما اظن احدا عقل ادرك
الاسلام ينام حتى يقرأهما وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اوتيت هؤلاء الآيات من آخر سورة البقرة
من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي كمل تفسير البقرة والحمد لله بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على
سيدنا ومولانا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين سورة آل عمران هذه السورة
مدنية باجماع فيما علمت قوله جل من قائل بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحي القيوم لا بد في نفي لا اله ان يكون
الله لا اله الا هو الحي القيوم كلاما مبتدأ جملة رادة على نصارى نجران الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحاجوه في عيسى ابن مريم وقالوا انه الله الى ما هو معلوم في السير فنزل فيهم صدر هذه الآية اي السورة
الى نيف وثمانين آية منها الى دعائه صلى الله عليه وسلم الى الابتهال وقد تقدم تفسير قوله الحي القيوم في آية الكرسي
والآية هنا اخبار لجميع الناس وكشف لهؤلاء النصارى وهي دليل اذ هذه الصفات لا يمكنهم
ادعاؤها لعيسى عليه السلام لانهم يقولون انه صلب فذلك موت في معتقدهم واذ من البشر انه ليس بقيوم
المجهول القيوم وفي بعض مخارج الشيخ القيام والقيم وهذا كله من قام بالامر يقوم به اذا اضطلع
بحفظه وبجميع ما يحتاج الشيء في وجوده فالله تعالى القائم على كل شيء بما يحتاج اليه او عليه قلت
وقد تقدم ما نقلناه في هذا الاسم انه اسم الله الاعظم قال النووي وروينا في كتاب الترمذي
عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا كربه امر قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث قال الحاكم هذا حديث كان اذا
صحيح الاسناد اهـ قال صاحب سلاح المؤمن وعن علي رضي الله تعالى عنه قال لما كان يوم بدر قاتلت شيئا
من قتال ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ما صنع فجئت فاذا هو ساجد يقول يا حي يا قيوم
يا حي يا قيوم ثم رجعت الى القتال ثم جئت فاذا هو ساجد لا يزيد على ذلك ثم ذهبت الى القتال ثم جئت فاذا هو
ساجد يقول ذلك ففتح الله عليه رواه النسائي والحاكم في المستدرك واللفظ للنسائي وعن اسماء بنت يزيد
رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين والهكم اله واحد لا اله الا
هو الرحمن الرحيم وفاتحة آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم رواه ابو داود واللفظ له والترمذي
وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وعن ابي امامة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال اسم الله الاعظم في ثلاث سور سورة البقرة وآل عمران وطه قال القاسم فالتمستها انه الحي

الحي القيوم

الحي القيوم اهـ وقوله بالحق يحتمل معنيين احدهما ان يكون المعنى ضمن الحقائق من خبره وامره ونهيه ومواعظه
والثاني ان يكون المعنى انه نزل الكتاب باستحقاق ان ينزل لما فيه من المصلحة الشاملة وليس ذلك على انه واجب
على الله تعالى ان يفعله قلت اذ لا يجب عليه سبحانه فعل قال ع فالباء في هذا المعنى على حد قوله سبحانه
ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق وقيل معنى بالحق اي مما اختلف فيه اهل الكتاب واضطرب فيه هؤلاء النصارى
الوافدون قال ع وهذا داخل في المعنى الاول وقوله مصدقا حال مؤكدة لانه لا يمكن ان يكون غير مصدق لما
بين يديه من كتب الله سبحانه وما بين يديه هي التوراة والانجيل وسائر كتب الله التي تلقيت من شرعنا وقوله تعالى
من قبل يعني من قبل القرآن وقوله هدى للناس معناه دعاء للناس والناس بنو آدم . بل في هذا الموضع
وان كان المراد انهما هدى في ذاتهما مدعو اليهما فرعون وغيره فالناس عام في كل من شاء حينئذ ان يهتدي
والفرقان القرآن لانه فرق بين الحق والباطل ثم توعد سبحانه الكفار عموما بالعذاب الشديد والمشار اليهم
بهذا التوعد عبدة عيسى نصارى نجران وعزيز معناه غالب والانتقام معاقبة المذنب بمبالغة في
ذلك قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هذه الآية خبر عن الله تعالى باحاطته بالاشياء
على التفصيل وهذه صفة لم تكن لعيسى ولا لاحد من المخلوقين ثم اخبر سبحانه عن تصويره للبشر في ارحام
الامهات وذلك امر لا ينكره عاقل ولا ينكر ان عيسى وسائر البشر لا يقدرون عليه ولا ينكر احد ان عيسى
من المصورين كغيره من سائر البشر فهذه الآية تعظيم لله جل قدره في ضمنها الرد على نصارى
نجران وفي قوله ان الله لا يخفى عليه شيء وعيد وقد شرح النبي صلى الله عليه وسلم كيفية التصوير في الحديث
الذي رواه ابن مسعود وغيره ان النطفة اذا وقعت في الرحم مكثت اربعين يوما ثم تكون علقة اربعين يوما
ثم مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا فيقول يا رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد الحديث بطوله على اختلاف
الفاظه وفي مسند البزار حديث ان الله سبحانه يخلق عظام الجنين وغضاريفه من مني الرجل وشحمه ولحمه
وسائر ذلك من مني المرأة وصوره مبالغة من صار يصور اذا مال وثنى الى حال ما فلما كان التصوير امالة الى حال
واثباتا فيها جاء بناؤه على المبالغة والكتاب في هذه الآية القرآن باجماع والمحكمات المفصلات المبينات
الثابتة الاحكام والمتشابهات هي التي تحتاج الى نظر وتأويل ويظهر فيها ببادي النظر اما تعارض مع
اخرى واما مع العقل الى غير ذلك من انواع التشابه فهذا الشبه الذي من اجله توصف متشابهات انما هو
بينها وبين المعاني الفاسدة التي يظنها اهل الزيغ ومن لم يمعن النظر وهذا نحو الحديث الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات اي يكون الشيء حراما في نفسه فيشبه عند من لم
يمعن النظر شيئا حلالا وكذلك الآية يكون لها في نفسها معنى صحيح فيشبه عند من لم يمعن النظر او عند الزائغ

معنى واحد فالسراج عبارات لا اعتراض بها على كتاب الله هاذا عندي معنى الاحكام والمتشابه في هاذه الآية
قال ع واحسن ما قيل في هاذه الآية قول محمد بن جعفر بن الزبير ان المحكمات هي التي فيها حجة الرب وعصمة العباد
ودفع الخصوم والباطل ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعت عليه والمتشابهات لهن تصريف وتحريف وتاويل
ابتلى الله فيهن العباد قال ابن الحاجب في منتهى السول مسألة في القرآن محكم ومتشابه قال تعالى منه آيات محكمات
هن ام الكتاب واخر متشابهات فالمحكم المتضح المعنى قال الشيخ يعني نصا كان او ظاهرا والمتشابه مقابله
اما للاشتراك مثل ثلاثة قروء او للاجمال مثل الذي بيده عقدة النكاح وما ظاهره التشبيه مثل ويبقى وجه ربك
بيمينه ونفخت فيه ومكر الله ونحوه والظاهر الوقف على والراسخون في العلم لانه خطاب لما لا يفهم بغيره وقال
الشيخ سمي ما ذكر متشابهات لاشتباههما على السامع قال الشيخ والوقف على وما يعلم تاويله الا الله
وهو المروي عن جماعة منهم ابن عباس وابن عمر وابن مسعود ومالك وغيرهم وفي مصحف ابي وما يعلم تاويله الا الله
ويقول الراسخون امنا به اه وقوله تعالى هن ام الكتاب اي معظم الكتاب وعمدة ما فيه اذ المحكم في ايات الله كثير وقد
فصل ولم يفرط فيه بشيء. منه قال يحيى بن يعمر كما يقال لمكة ام القرى قال ع وكما يقال ام الراس لمجمع الشؤون لمجمع
الحكم هو ام الكتاب ومعنى الاية ما ذهب اليه اهل الزيغ والريبة منهم ولا نشاء ان تميل اما الى نصارى نجران والى اليهود
الذين كانوا معاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يعترضون معاني القرآن ثم يعم بعد ذلك كل زائغ فذكر تعالى انه
نزل الكتاب على نبيه صلى الله عليه وسلم تفضلا منه ونعمة وان محكمه وبينه الذي لا اعتراض فيه هو معظمه
والغالب فيه وان متشابهه الذي يحتمل التاويل ويحتاج الى التفهيم هو قليل ثم اعلم ان اهل الزيغ يتركون المحكم
الذي فيه غنيتهم ويتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة وان يفسدوا ذات البين ويردوا الناس الى زيغهم ص قال ابو
البقاء والذي معطوف على ام ومنه نعت لاخر اه قوله تعالى الذين في قلوبهم زيغ الزيغ الميل
ورسيل وجار هاجر طاحب برعفه واتبع الميل وانتفاء نصب على المفعول من اجله ومعناه طلب الفتنة قال ابن ع
والفتنة هنا الشرك وقال مجاهد الفتنة الشبهات واللبس على المؤمنين ثم قال وابتغاء تاويله والتاويل هو مورد
الكلام ومرجعه والشيء الذي يقف عليه من المعاني وهو من آل اذا رجع فالمعنى وطلب تاويله على منازعتهم
هاذا فيما له تاويل حسن وان كان مما ليس له تاويل يوقف فيه كالكلام في معنى الروح ونحوه فيعرض لطلب تاويله هو اتباع
ما تشابه ثم قال تعالى وما يعلم تاويله الا الله اي وما يعلم تاويله الا الله على الكمال واختلف في قوله والراسخون
في العلم فرقة ان رفع الراسخون هو بالعطف على اسم الله تعالى وانهم مع علمهم بالمتشابه
يقولون امنا به وقالت طائفة اخرى والراسخون رفع بالابتداء وهو مقطوع من الكلام
الاول وخبره يقولون والمنفرد بعلم المتشابه هو الله وحده ع وهذه المسألة اذا تأملت

اذا تاملت فيها الخلاف فيها من الانتقاد وذلك ان الله تعالى قسم اي الكتاب قسمين
محكما ومتشابها فالمحكم هو المتضح المعنى لكل من يفهم كلام العرب لا يحتاج
فيه الى نظر ولا يتعلق به شيء يلبس ويستوي في علمه الراسخ وغيره والمتشابه
على نوعين منه ما لا يعلم البتة كامر الروح وآماد المغيبات التي قد اعلم الله
بوقوعها الى سائر ذلك ومنه ما يحمل على وجوه في اللغة ومناح في كلام العرب
فيتاول ويعلم تاويله ولا يسمى احد راسخا الا بعلم من هذا النوع كثيرا
بحسب ما قدر له فمن قال ان الراسخين يعلمون تاويل المتشابه فمراده النوع
الثاني الذي ذكرناه ومن قال ان الراسخين لا يعلمون تاويل المتشابه فمراده النوع
الاول كامر الروح ووقت الساعة تخصيص المتشابه بهذا النوع
غير صحيح بل هما نوعان كما ذكرنا والضمير في تاويله عائد على جميع متشابه
القرآن وهما نوعان كما ذكرنا والضمير في تاويله عائد على جميع متشابه القرآن وهما نوعان كما
ذكرنا والرسوخ الثبوت في الشيء وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الراسخ في العلم فقال هو من برت يمينه
وصدق لسانه واستقام قلبه قلت ومن جامع العتبية وسئل مالك عن تفسير الراسخين في العلم فقال
العاملون بما علموا المتبعون له قال ابن رشد قول مالك هاذا هو معنى ما روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم وسئل عن الراسخ في العلم فقال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام به قلبه وعف بطنه فذلك الراسخ
قال ابن رشد ويشهد لصحة هاذا قول الله عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء لانه لا يكون عالما حتى
يخشى الله فليس بعالم اه قلت وقد جاء في فضل العلم اثار كثيرة من احسنها ما رواه ابو عمر بن عبد البر بسنده
عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح
والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل اهل الجنة
وهو الانيس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الاعداء
والزين عند الاخلاء يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة وائمة تقتص اثارهم ويقتدى بفعالهم وينتهى الى رايهم
وترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر
وانعامه لان العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الابصار من الظلم يبلغ العبد بالعلم منازل الاخيار والدرجات
العلى في الدنيا والاخرة التفكر فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام به توصل الارحام وبه يعرف الحلال من الحرام
هو امام العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء قال ابو عمر وهاكذا حدثنيه عبيد بن محمد مرفوعا بالاسناد الذي

الذي رويناه بهذه وهو غريب حسن جدا لكن لم يتصل اسناده بنبي ورويناه من طريق نشر موقوفا على معاذ ابن
كتاب بغض العلم قال الشيخ العارف بالله ابو القاسم عبد الرحمن بن يوسف البخاري رحمه الله ومن علامة نور العلم
اذا حل بالقلب المعرفة والمراقبة والحياء والتوبة والورع والزهد والتوكل والصبر والرضا والانس والمجاهدة والصبر
والزهد والخوف والقناعة وذكر الموت اه قوله تعالى كل من عند ربنا فيه حجة على ان علم كتاب الله محكمه ومتشابهه
والتبري كله من عند ربنا ثم قال تعالى وما يذكر الا اولوا الالباب اي ما يقول هذا ويؤمن ويقف ويدع اتباع المتشابه
الا ذو لب وهو العقل ولو اجمع ذو قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا الآية ذكر ان الله تعالى عن الراسخين وذكر ربه
تفيضهم ونظمهم ما يزال ابن عطية ان الله يعلمه عباده الدعاء اليه في ان لا يكونوا من الطائفة الزائغة المذكورة
وتبين اهل التيغ ويحتمل ان يكون هذا من تمام قول الراسخين ومعنى تزغ قلوبنا على الهدى والحق ومن لدنك
معناه من عندك تفضلا لا عن سبب منا ولا عمل وهذا استسلام وتطرح والمراد هب لنا نعيما صادرا عن الرحمة قوله
تعالى ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه اي لا ريب فيه ليوم القيامة والريب الشك والمراد به في نفسه حق لا ريب
فيه وقوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد يحتمل ان يكون اخبارا منه سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلم وامته ويحتمل ان يكون
حكاية من قول الداعين في ذلك اي ان صفته ذات الله تعالى والميعاد من الوعد قوله تعالى ان الذين كفروا لن تغني عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا الآية اشارة بهذه الآية الى معاصري النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يفخرون باموالهم
وابنائهم وهي بعد ذلك تتناول كل كافر والوقود بفتح الواو ما يتقد في النار من حطب ونحوه والدأب بسكون
الهمزة وفتحها مصدر دأب يدأب اذا لازم فعل الشيء ودام عليه مجتهدا فيه ويقال للعادة دأب والمعنى في هذه الآية تشبيه
هؤلاء في لزومهم الكفر ودوامهم عليه باولئك المتقدمين وآخر الآية يقتضي الوعيد بان يصيب هؤلاء مثل ما اولئك
والكاف في قوله كدأب في موضع رفع التقدير دأبهم كدأب والضمير في قبلهم عائد على آل فرعون ويحتمل على معاصري رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الكفار وقوله كذبوا بآياتنا يحتمل ان يريد الآيات المتلوة ويحتمل العلامات المنصوبة قوله تعالى
قل للذين كفروا ستغلبون الآية اختلف في تعيين هؤلاء الذين امر صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم فقيل هم جميع معاصريه
امر ان يقول لهم هذا الذي فيه اعلام بغيب وقع كما اخبر الله تعالى فغلبوا وطارت ثم انه نهم على الكفر الى جهنم
ونظاهرت روايات عن ابن عباس وغيره بان المراد يهود المدينة لما قدم صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر جمعهم
وقال يا معشر يهود اسلموا من قبل ان يصيبكم ما اصاب قريشا فقالوا يا محمد لا تغرنك نفسك ان قتلت نفرا من قريش
كانوا اغمارا لا يعرفون القتال انك لو قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس فانزل الله فيهم هذه الآية والحشر الجمع
والانطار وقوله تعالى وبئس المهاد يعني جهنم هذا ظاهر الآية وقال مجاهد المعنى بئس ما مهدوا لانفسهم قال
ع فكان المعنى بئس فعلهم الذي ادى الى جهنم وقوله تعالى قد كان لكم آية في فئتين يحتمل ان يخاطب بها

المؤمنون

المؤمنون تثبيتا لهم نفوسهم وتشجيعا لهم وان يخاطب بها جميع الكفار وان يخاطب بها يهود المدينة وبكل احتمل من
قال قوم وفي كل شاذ انه ويتم بعض القول وكان معناه ان لا اعتقاد للتصحيح فيه جميع الكفار اذ كان فيهم ولهذا قيل
تقليلا وذلك ان ابن جرير الطبري تعول فيما يقر عنده فيه نظر والى بعض الطبري تعول فيما اقرح نظر فيه وقيل
هذا التشبيه ابو العالية وهو صحيح والمراد بالفئتين جماعة المؤمنين وجماعة الكفار يوم بدر وقال ع ولا خلاف ان الاشارة
بهاتين الفئتين هي الى يوم بدر ويؤيد معناه يقوي من النصر وهو القوة قوله تعالى زين للناس حب الشهوات الآية
هذه الآية ابتداء وعظ لجميع الناس في ضمن ذلك توبيخ والشهوات ذميمة واتباعها مردود وكلا عنده مهلكة وقد
قال صلى الله عليه وسلم حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره فحسبك ان النار حفت بها فمن واقعها خلص
الى النار قلت وقد جاءت احاديث كثيرة في النهي عن الزينة ذكرنا من صحيحها وحسنها ما اذا تتبع
جملة صالحة لا توجد في غيره من الكتب ينبغي تعليقه بتحصيله فيطلع فيه على جواهر نفيسة لا توجد مجموعة
في غيره كما هي بحمد الله حاصلة فيه وكيف لا يكون هذا المجموع فائقا في الحسن واحاديثه بحمد الله منقولة كلها
من اصول الاسلام الستة البخاري ومسلم وابي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وهذه الاصول
الاسلام الستة غير من غيرها كصحيح ابن حبان وصحيح الحاكم اعني المستدرك على الصحيحين وابي عوانة وابن
خزيمة والدارمي والموطا وغيرها من المسانيد المشهورة بين ائمة الحديث حسبما هو معلوم في علم الحديث
وقد من هذه النسخ من اطلع على هذا الكتاب يعلم قدر ما انعم الله به عليه وان التوفيق نعم الله
شكره ولنرجع الى ما قصدناه من نقل الاحاديث روى الترمذي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اردت اللحوق بي فليكفيك من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة الاغنياء
ولا تستخلقي ثوبا حتى ترقعيه قال الترمذي حديث غريب وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المرأة من سادات في جنة
ابو داود وقد نقله البغوي في مصابيحه والمرأة في زمن النبي هي الصحيحة والقناطير جمع قنطار
وهي العقدة الكبيرة من المال واختلف الناس في تحرير حده وكله اقوال فيها ما رواه ابي بن كعب عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال القنطار الف ومائتا اوقية لكن القنطار على هذا يختلف باختلاف البلاد في قدر الاوقية
وقوله المقنطرة قال الطبري معناه المضعفة وقال الربيع معناه المال الكثير بعضه على بعض المقنطرة مفعلة
ومفعالة من القنطار ومعناه المجتمع ص ابو البقاء ومن الذهب في موضع الحال من المقنطرة اه وقوله تعالى
المسومة قال مجاهد معناه المطهمة الحسان وقال ابن عباس وغيره معناه الراعية وقيل المعلمة ولا نعلم
لا عند الا ان ذكر تخصيصه بالابل والبقر والضأن والمعز ص ولا نعم واحدها نعم والنعم الابل فقط واذا جمع
انطلق على الابل والبقر والغنم اه والحرث هنا اسم لكل ما يحرث من حب وغيره والمتاع ما يستمتع به

المطهمة

ويتبع مرة ما مغفرة والمنزلة التي هي جمع معنى الآية تقليل أمر الدنيا وتحقيرها والتي غيبه في حسن المرجع إلى
الله تعالى **قوله تعالى** قل أؤنبئكم بخير من ذلكم الآية هذه الآية تسلية عن الدنيا وتقوية
لنفوس تاركيها ذكر تعالى حال الدنيا وكيف استقر بين شهوات ثم جاء بالإنباء بخير من ذلكم هازا
للنفوس وجامعها لتستبح هذا الزهد المستحب الثالث مع عقل وإنما معناه أخبر **قوله تعالى**
ورضوان من الله الرضوان مصدر من رضي وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة إذا استقروا
فيها وحصل لكل واحد منهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال الله تعالى لهم أتريدون أن أعطيكم
ما هو أفضل من هذا فقالوا يا ربنا وأي شيء أفضل من هذا فيقول الله سبحانه أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم
أبدا هذا سياق الحديث وقد يجيء مختلفا بالعبارة والمعنى قريب بعضه من بعض قال الفقيه وذلك أن معرفة
أهل الجنة مع هذا النعيم العظيم أن الله تعالى راض عنهم مثن عليهم أنس عليهم في أحد التنعم وراءه وبالغ لأنه يشير فيه
تفرقه في سورة العقود بيانه **قوله تعالى** الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا الآية
الذين بدل من الذين اتقوا وفيه تنبيه في هذه الآية أحوال المتقين الموعودين بالجنات والصبر في هذه الآية
معناه على الطاعات وعن المعاصي والشهوات والصدق معناه في الأقوال والأفعال والقنوت الطاعة والدعاء أيضا
ويكمل ذلك بتخصيص المتقين والإنفاق معناه في سبيل الله ومظان الأجر والاستغفار طلب المغفرة من الله سبحانه
وخص تعالى السحر لما فيه من الفضل حسبما ورد فيه من صحيح الأحاديث كحديث النزول وأهل من داع فأستجيب
له هل من مستغفر فأغفر له إلى غير ذلك مما ورد في فضله **قلت تنبيه** قال الفقيه قصي
في تذكرته وقد جاء حديث التنزل وأنها مثبتا فيما خرجه النسائي عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديا يقول هل من داع
يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى له صححه أبو محمد عبد الحق ونحوه أبو بكر الخطيب
بسنده عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا فيقول من
ني والله والسحر آخر الليل قال نافع كان ابن عمر يحيي الصلاة بالليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا
فيعاود الصلاة ثم يسأل فإذا قلت نعم قعد يستغفر قال ع وحقيقة السحر في هذه الأحكام الشرعية
من الاستغفار المحمود وسحور الصائم ومن يمين لو وقعت إنما هي من نصف الليل الآخر إلى الفجر **قوله**
تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو الآية معنى شهد الله أعلم عباده بهذا الأمر الحق قال ع شهد
معنى علم وحضر ثم صار في عرف الأداء وأنشد أبو بكر بن عبد البر في كتاب فضل العلم عن غالب
القطان قال كنت أختلف إلى الأعمش في أيام فقال لي يوما في هذه الآية شهد الله أنه

كمل الربع الثالث

ما لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام قال الأعمش
وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة فقلت له إنك سمعت في هذه الآية شيئا ودليل
فيها فقال حدثني أبو وائل عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجاء بصاحبها يوم القيامة
فيقول الله سبحانه عبدي عهد إلي وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة وفتح جميع القراء أنه
الهمزة وكسروا من قوله إن الدين على الاستئناف في الكلام وقرأ الكسائي وحده أن الدين بفتح الألف من أنه
لا إله والملائكة وأولوا العلم عطف على اسم الله قال الفقيه المراد بأولوا العلم هنا الذين عرفوا الله بالأدلة القطعية
لأن الشهادة إنما تكون مقبولة إذا كانت عن علم وفائدة بالعلم وهذه الآية تتضمن الشيء بعينه ليست
إنما العلماء بالأصول وذكر فيه كلام الإمام قال الله هنا وفائدة هذا التكرير للإعلام بأن المسلم ينبغي أن يكون أبدا في ذكر
هذه الكلمة فإن الشيء في كلمة يذكر ربه لما يسهل هذه الكلمات وإذا كان في أكثر الأوقات مشتغلا بذكر ربه
وذكرها كان مشتغلا بأعظم أنواع العبادات وكان من التكرير في هذه الآية لإفحام العبادة على ذكرها
وصح في البخاري عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا
من قبل نفسه وروى زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه دخل
الجنة قيل يا رسول الله وما إخلاصها قال أن تحجزه عن محارم الله خرجه الترمذي قوله شهد الله أو من قوله لا
هو والقسط العدل **قوله تعالى** إن الدين عند الله الإسلام الآية الدين في هذه الآية الطاعة والملة والمعنى
أن الدين المقبول أو النافع هو الإسلام والإسلام في هذه الآية هو الإيمان والطاعات قاله أبو العالية
وعليه جمهور المتكلمين وحديث بني الإسلام على خمس وحديث جبريل كلاهما يقتضي ذلك ثم
أخبر تعالى أن أهل الكتاب لم يختلفوا إلا بعد علمهم بالحقائق وأنه كان بغيا وطلبا للدنيا قاله ابن عمر وغيره والذين أوتوا الكتاب
لفظ يعم اليهود والنصارى لكن الربيع بن أنس قال المراد بهذه الآية اليهود اختلفوا بعد موسى مرسلا وبعد ثلاثة
قرون وقيل الآية توبيخ للنصارى في أمر عيسى وسريع الحساب يحتمل أن يراد به يوم القيامة والحساب إذ كل آت قريب
ويحتمل أن يراد سريع الحساب أي أن الله تعالى بإحاطته بكل شيء علما لا يحتاج إلى عد ولا فكرة قاله مجاهد
قوله تعالى فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن الآية الضمير في حاجوك لليهود والنصارى نجران والمعنى
إن جادلوك وتعنتوا بالأقاويل المزورة والمغالطات فاستسلم إلى ما كلفت من الإيمان والتبليغ وعلى الله نصرك
قوله تعالى وجهي يحتمل أن يراد به المقصود أي جعلت مقصدي لله ويحتمل أن يراد به الذات أي أسلمت شخصي وذاتي لله وسلمت
في هذا الموضع بمعنى دفعت وأمضيت وليست بمعنى دخلت في السلم لأن تلك لا تتعدى ومن اتبعن في موضع رفع
عطفا على الضمير في أسلمت والذين أوتوا الكتاب في هذا الموضع يجمع اليهود والنصارى باتفاق والأميون الذين لا

عن الخلاف

يكتمون وهم اليهود في هذه الآية، وقوله: أأسلمتم تقرير في ضمنه الأمر، وقال ابن حاج: أسلمتم تهديد وهو حسن، والبلاغ
مصدر بلغ بتخفيف عين الفعل ع. قوله تعالى: والله بصير بالعباد وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين. قوله تعالى: إن الذين يكفرون
بآيات الله الآية، هذه الآية نزلت في اليهود والنصارى وتعم كل من كان بهذه الحالة، وجاء توبيخ للمعاصرين لرسول
الله صلى الله عليه وسلم. وروى أبو عبيدة بن الجراح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن بني إسرائيل قتلوا ثلاثة وأربعين
نبيا فاجتمع من عبادهم وأحبارهم مائة وعشرون ليغيروا المنكر وينكروا فقتلوا أجمعين، كل ذلك في يوم واحد، وذكر ذلك
الله تعالى عليهم. قوله تعالى: ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وحبطت معناه بطلت. قوله تعالى: ألم تر إلى
الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله الآية، قال ابن عباس: نزلت هذه الآية بسبب أن النبي صلى
الله عليه وسلم دخل بيت المدراس على جماعة من يهود فدعاهم إلى الله تعالى، فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد: على أي دين
أنت يا محمد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني على ملة إبراهيم صلى الله عليه وسلم، فقالا: إن إبراهيم كان يهوديا، فقال لهم
النبي صلى الله عليه وسلم: فهلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم، فأبيا عليه، ونزلت الآية. قال ع: والكتاب في قوله: من
الكتاب اسم جنس، والكتاب في قوله: إلى كتاب الله هو التوراة، وقال قتادة وابن جريج: هو القرآن، ورجح الطبري الأول.
وقوله تعالى: ذلك بأنهم قالوا الإشارة فيه إلى التولي والإعراض، أي إنما تولوا وأعرضوا لاغترارهم بأقوالهم وافترائهم، ثم
قال تعالى خطابا لنبيه صلى الله عليه وسلم وأمته على جهة التوقيف والتعجيب: فكيف حال هؤلاء المغترين بالأباطيل
إذا حشروا يوم القيامة، واضمحلت تلك الزخارف والدعاوي، وجوزوا بما اكتسبوه من كفرهم وأعمالهم القبيحة. قال ع: والصحيح
في يوم القيامة أنه يوم لأن قبله ليلة وفيه شمس، وقال النقاش: المراد باليوم الوقت. قوله تعالى: قل اللهم مالك الملك
الآية، هو سبحانه وتعالى مالك الملك كله مطلقا في جميع أنواعه، وأشرفه ملك يؤتيه عباده سعادة الآخرة، وروي أن
الآية نزلت بسبب أن النبي صلى الله عليه وسلم تمنى لأمته ملك فارس وغيره، فقالت اليهود والمنافقون: هيهات
هيهات، وكذبوا بذلك، ومذهب الخليل وسيبويه أن الميم في اللهم بدل عوض من يا النداء مشددة، ومالك نصب
على النداء، وخص تعالى الخير بالذكر وهو تعالى بيده كل شيء، إذ الآية في معنى دعاء ورغبة، فكأن المعنى بيدك الخير
فأجزل حظي منه. قال النووي: وروينا في كتاب الترمذي وغيره عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال: من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت بيده الخير
وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة. رواه
الحاكم أبو عبد الله في المستدرك على الصحيحين من طرق كثيرة، وزاد فيه في بعض طرقه: وبنى له بيتا في الجنة. قال الحاكم
في الباب عن جابر وأبي هريرة وأنس. انتهى من الحلية. وقال ابن عباس وغيره في معنى قوله تعالى: يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل: إنه ما ينقص من النهار فيزيد في الليل وما ينقص من الليل فيزيد في النهار دأبا كل فصل من السنة، وتحتمل ألفاظ الآية

أن يتوغل

أن يدخل فيها تعاقب الليل والنهار، كأن زوال أحدهما ولوج في الآخر. واختلف في معنى قوله تعالى: وتخرج الحي من الميت الآية،
فقال الحسن: معناه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن، وروي نحوه عن سلمان الفارسي، وروى الزهري أن النبي صلى الله
عليه وسلم لما سمع نغمة خالدة بنت الأسود بن عبد يغوث فقال: من هذه؟ فأخبر بها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: سبحان
الذي يخرج الحي من الميت، وكانت امرأة صالحة وكان أبوها كافرا، والمراد على هذا موت قلب الكافر وحياة قلب المؤمن،
وذهب جمهور كثير إلى أن الحياة والموت في الآية حقيقة لا استعارة، ثم اختلفوا في المثل التي فسروا بها، فقال ابن
مسعود: هي النطفة تخرج من الرجل وهي ميتة وهو حي، ويخرج الرجل منها وهي ميتة. وقال عكرمة: هو إخراج الدجاجة
وهي حية من البيضة وهي ميتة، وإخراج البيضة وهي ميتة من الدجاجة وهي حية. وروى السدي عن أبي مالك قال:
هي الحبة تخرج من السنبلة، والسنبلة تخرج من الحبة، وكذلك النوات. قوله تعالى: لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء الآية،
هذا النهي عن الاتخاذ إنما هو عن إظهار اللطف للكافر والميل إليهم، فأما أن يتخذوا بالقلب فلا يفعله مؤمن، ولفظ
الآية عام في جميع الأعصار. واختلف في سبب نزولها، فقال ابن عباس: في كعب بن الأشرف وغيره، قد
بطنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فنزلت في ذلك الآية، وقال قوم: نزلت في قصة حاطب بن أبي
بلتعة وكتابه إلى أهل مكة، والآية عامة في جميع هذا. قوله تعالى: فليس من الله في شيء، معناه في شيء
مرضي، كقوله صلى الله عليه وسلم: من غشنا فليس منا. ثم أباح سبحانه إظهار اتخاذهم بشرط الاتقاء، فأما إبطانه
فلا يجوز أن يتصف به مؤمن في حال. قوله تعالى: ويحذركم الله نفسه، أي عقابه، وعيد وتنبيه ووعظ وتذكير بالآخرة، وقوله
نفسه نائبة عن إياه، وهذه مخاطبة على معهود ما يفهمه البشر، والنفس في مثل هذا راجع إلى الذات، وفي
الكلام حذف مضاف لأن التحذير إنما هو من عقاب وتنكيل ونحوه، فقال ابن عباس والحسن: ويحذركم الله عقابه. وقوله
تعالى: قل إن تخفوا ما في صدوركم الآية، الضمير في تخفوا هو للمؤمنين الذين نهوا عن اتخاذ الكافرين، والمعنى أنكم إن أبطنتم الحرص
على إظهار موالاتهم فإن الله يطلع على ذلك ويكرهه منكم. قوله تعالى: يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية، قال الزجاج:
في العامل في يوم نصب بتحذروا، تقديره: اذكروا واحذروا، ولا يصح أن يكون نصبه بيحذركم كما زعم بعضهم لأن التحذير في الدنيا ووقع
ما في ذلك اليوم. قوله تعالى: وما عملت من سوء يحتمل أن تكون ما معطوفة على ما الأولى، فهي في موضع
نصب، ويكون تود في موضع الحال، وإليه ذهب الطبري وغيره، ويحتمل أن تكون ما رفعا بالابتداء والخبر في
قوله: تود، وما بعده، والأمد: الغاية المحدودة من المكان أو الزمان. قوله تعالى: والله رؤوف بالعباد يحتمل أن
يكون إشارة إلى أن تحذيره رأفة منه سبحانه بعباده، ويحتمل أن يكون ابتداء إعلام بهذه الصفة، وهي الرأفة مقتضية
ذلك التأنيس لئلا يفرط الوعيد على نفس مؤمن، وسبحانه ما أرحمه بعباده. وعن منصور بن عمار أنه قال [illegible] الناس
مسرجا بقوا جمهور الناس مسيئين، أمن. فلما سمع عبد الملك بن مروان منه هذا الكلام بكى حتى بل ثيابه ثم قال [illegible]

يا منصور نشبا من كتاب الله قبل عليه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية فقال عمر المكلم فلتتر يا منصور ثم عيشي
عليه اه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية قال الشيخ العارف بالله ابن ابي جمرة رضي الله عنه من
علامة السعادة للشخص ان يكون معتنيا بمعرفة السنة في جميع تصرفاته والذي يكون كذلك هو دائما في عبادة في كل
حركاته وسكناته وهذا امر لا يعرفه الا اهل الفضل حتى حكي عن بعضهم انه لم ياكل البطيخ سنين لانه لم يبلغه كيفية السنة
في اكله وكيف لا والله سبحانه يقول قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله والمتابعة الكاملة انما تتم بان
تكون عامة في كل الاشياء يعني الا ما خصصه الدليل جعلنا الله ممن اطلعه على الدليل اه قال ع قال الحسن بن ابي الحسن
وابن جريج ان قوما على عهد النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد انا نحب ربنا فنزلت هذه الاية وقيل امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يقول هذا القول لنصارى نجران قال ع ويحتمل ان تكون الاية عامة لاهل الكتاب اليهود والنصارى
لانهم كانوا يزعمون انهم يحبون الله ويحبهم قال عياض اعلم ان من احب شيئا اثره واثر موافقته والا لم يكن
صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه واولها الاقتداء
به واتباع سنته واتباع اقواله وافعاله والتادب بادابه في عسره ويسره قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
الاية قال عياض وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القران
ومن تهاون بالقران وحديثي خسر الدنيا والاخرة ابن العربي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال المتمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة شهيد وقال ابن ابي كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على
الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه ففاضت عيناه من خشية الله فيعذبه الله ابدا وما
على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة
قد يبس ورقها فهي كذلك اذا اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الا حط الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة
ورقها اه بنقل قال عياض ومن علامة محبته صلى الله عليه وسلم زهد مدعيها في الدنيا وايثاره الفقر واتصافه
به وفي حديث ابي سعيد ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلى الوادي او الجبل الى اسفله وفي حديث
عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اني احبك فقال انظر ما تقول فقال والله اني لاحبك ثلاث مرات قال
ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه اه من الشفاء قال والمحبة ارادة تقع عن
اقبال من النفس وميل بالمعتقد وقد تكون الارادة المجردة فيما يكره المريد والله تعالى يريد وقوع الكفر ولا يحبه ومحبة
العبد لله تعالى يلزم عنها ولا بد ان يطيعه ومحبة الله تعالى امارة للمتاول ان يرى العبد مهديا مسددا ذا لطف
في الدارين فلطف الله تعالى بالعبد ورحمته اياه هي ثمرة محبته وبهذا النظر يتفسر لفظ المحبة حيثما وقعت من كتاب
الله عز وجل قوله تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا الاية قال مكي معنى هذه المحاجة لنصارى نجران والرد عليهم

وبيان فساد

وبيان فساد ما هم عليه جاءت هذه الاية معلمة بصورة الامر الذي فرضوا فيه وضلوا عن حقيقته كيف كانت
فبين انه تعالى اصطفى ادم ومن جاء بعده ثم خص امراة عمران التي كانت العصبة وصفوة القوم الى ان بين امر عيسى
عليه السلام وكيف كان واصطفى نوحا مع ذريته وقوله فيه صفته ذلك ليس كهود ولوط قال الفخر هذا على ان الانبياء
افضل من جميع المكلفين وغير مكلفين واتفقوا على ان الملائكة افضل من غير الملائكة واتفقوا على ان اصلح الخلائق بعد الملائكة هو
الانس والجن والشياطين قلت ذلك جعل الشياطين فيما يجري وبالجملة فالخوض في هذا لا ينبغي وبقدر الكفاية نقنع
واهل الطاعة اه قال ع والاية تحتمل الوجهين فان اريد بالعالمين العالم باسره فالمعنى ان الله اصطفى هؤلاء على عالمي زمانهم
او على العالمين جميعا بان يقدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من ال ابراهيم وان اريد بالعالم عالم زمانهم فيستقيم دخول
امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في العالمين على مراد ابراهيم وقوله تعالى ذرية بعضها من بعض الاية اي متشابهين
في الدين والحال وعمران هو رجل من بني اسرائيل وامراته حنة اي اسمها حنة ومعنى نذرت جعلت لك ما في بطني محررا
اي حبسا على خدمة بيتك محررا اي من كل خدمة وشغل من اشغال الدنيا والبيت الذي نذرته له هو بيت المقدس فتقبل
مني اي ارض عني في هذا واجعله فعلا مقبولا مجازا به والسميع اشارة الى دعائها والعليم اشارة الى نيتها
قوله تعالى فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت الوضع الولادة وقولها رب اي وضعتها
انثى لفظ خبر في ضمنه التحسر والتلهف وبين الله ذلك بقوله والله اعلم بما وضعت وقوله وليس الذكر كالانثى
يبين امتناع نذرها اذ الانثى تحيض ولا تصلح لصحبة الرهبان قاله قتادة وغيره وبدات حنة بذكر العلة في نفسها
ولا قبيلا في فضيلتها بقضائها انى تقول وليس الذكر كالانثى وفي قولها وسميتها مريم سنة تسمية الاطفال قرب الولادة
ونحوه قول النبي صلى الله عليه وسلم ولد لي الليلة مولود فسميته باسم ابي ابراهيم ويبلغ ذلك الى يوم سابعه قال النووي وروينا
في سنن ابي داوود باسناد جيد عن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم
واسماء ابائكم فاحسنوا اسمائكم وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احب اسمائكم الى الله تعالى
عبد الله وعبد الرحمن وفي سنن ابي داوود والنسائي وغيرهما عن ابي وهب الجشمي قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم تسموا باسماء الانبياء واحب الاسماء الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن واصدقها حارث وهمام واقبحها حرب ومرة
اه وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية ابي هريرة قال كل مولود من بني ادم له طعنة من الشيطان وبها
يستهل الصبي الا ما كان من مريم ابنة عمران وابنها فان امها قالت حين وضعتها واني اعيذها بك وذريتها
من الشيطان الرجيم فضرب بينهما حجاب فطعن الشيطان في الحجاب وقد اختلفت الفاظ هذا الحديث والمعنى واحد كما ذكرته
قال النووي باب ما يقوله عند الولادة ويتلبس بها روينا في كتاب ابن السني عن فاطمة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما دنا ولادها امر ام سلمة وزينب بنت جحش ان ياتيا فيقرءا عندها اية الكرسي وان ربكم الله الذي خلق

دائبة ونعوذ ان بالمعوذتين اه قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن اخبار منه سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلم انه
في مريم عن فعله المستجيب دعاء امرأة عمران وسمعها ما املت في ذلك قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا عبارة عن حسن النشأة
في خلقة وخلق ص بقبول حسن اي بتقبل [illegible] نباتا مصدر منصوب بانبت
على غير المصدر قوله تعالى سبحانه وكفلها زكريا معناه ضمها الى انفاقه وحضنه والكافل هو المربي قال السدي
وغيره ان زكريا كان زوج اختها ويعضد هذا القول قوله عليه الصلاة والسلام في يحيى وعيسى ابني الخالة
والذي عليه الناس ان زكريا انما كفلها بالاستهام لتشاحهم حينئذ في كفالة المحرر قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا
المحراب وجد عندها رزقا المحراب المبنى الحسن [illegible] وهو موضع
[illegible] رزقا اي طعاما يتغذى به لم يعهده ولا عرف كيف جلب اليها قال مجاهد وغيره كان يجد عندها فاكهة
الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ونحوه عن ابن عباس الا انه قال ثمار الجنة وقوله تعالى انى لك هذا معناه
كيف ومن اين قولها من عند الله دليل على انه ليس من جلب بشر قال الزجاج وهذا من الآية [illegible] قال تعالى
وجعلناها وابنها آية للعالمين وقوله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير لكون ذلك الرزق من عند
الله وذهب الطبري الى ان ذلك ليس من قولها وانه خبر من الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم والله سبحانه
لا تنقص خزائنه فليس يحسب ما خرج منها وقد يعبر بهذه العبارة عن المكثرين من الناس انهم ينفقون بغير
حساب وذلك مجاز وتشبيه والحقيقة هي فيما ينفق من خزائن الله سبحانه قال الشيخ ابن ابي جمرة رضي الله عنه
وقد قال العلماء في معنى قوله عز وجل والله يرزق من يشاء بغير حساب انه الفتوح اذا كان على وجهه [illegible]
[illegible] قوله صلى الله عليه وسلم لو [illegible] الى ذراع او كراع لاجبت وقوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه [illegible]
هنالك في كلام العرب اشارة الى مكان او زمان فيه بعد ومعنى هذه الآية ان في الوقت الذي رأى زكريا رزق الله لمريم
ومكانتها من الله وفكر في انها جارية انثى [illegible] وان الله تقبلها وجعلها من الصالحات [illegible]
لطلب الولد وقوي رجاؤه وذلك منه على حال سن ووهن عظم واشتعال شيبة فدعا ربه ان يهب له ذرية طيبة
[illegible] والذرية اسم جنس يقع على واحد فصاعدا كما ان الولد اسم جنس كذلك وطيبة معناه سليمة في الخلق والدين تقية
ثم قال تعالى فنادته الملائكة وثم محذوف كثير دل عليه ما ذكر تقديره فقبل الله دعاءه ونعت الملك او الملائكة
فنادته وذكر جمهور المفسرين ان المنادي انما هو جبريل وقال قوم بل نادته ملائكة كثيرة حسبما تقتضيه الفاظ
الآية قلت وهذا هو الظاهر ولا يعدل عنه الا بحجة [illegible] عنه صلى الله عليه وسلم فيتبع وقوله تعالى
فنادته عبارة تستعمل في التبشير وفيما ينبغي ان يسرع به وينهى الى نفس السامع ليسر به فلم يكن هذا من الملائكة اخبارا
على عادة الوحي بل نداء كما نادى الرجل [illegible] كعب بن مالك من اعلى الجبل وقوله تعالى وهو قائم يصلي في المحراب

يعني

يعني بالمحراب في هذا الموضع موقف الامام من المسجد ويحيى اسم سمي به قبل ان يولد وهو فعل منصوب على الحال قال
ابن عباس وغيره الكلمة هنا يراد بها عيسى ابن مريم قال ع وسمى الله عيسى كلمة اذ صدر عن كلمة منه تعالى وهي كن لا بسبب دون
انسان وقوله تعالى وسيدا قال قتادة وغيره في العلم والعبادة والورع قال ع من فسر السؤدد بالحلم فقد احرز اكثر معنى
السؤدد ومن جرد تفسيره بالعلم والتقى ونحوه فلم يفسر بحسب كلام العرب وقد تحصل للعلماء ليحيى عليه السلام بقوله
مصدقا بكلمة من الله وتحصيل التقوى [illegible] وخصه الله بذكر السؤدد الذي هو الاعتمال في رضا الناس على اشرف
الوجوه دون ان يقع في باطل هذا لفظ جامع للسؤدد وتفصيله ان يقال بذل الندى وهذا هو الكرم وكف الاذى
وهذه هي العفة بالفرج واليد واللسان واحتمال العظائم وهذا هو الحلم وغيره من تحمل الغرامات والانقاذ من
المهلكات وهي [illegible] على المسترشدين ونحو هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وذكر حديث [illegible]
في اطلاق الموقف وذلك منه اعتناء بالشفاعة في الناس ثم قال ابن عطية [illegible] يحسن [illegible] من السؤدد [illegible]
بعلم وتقى وهكذا كان يحيى عليه السلام قوله تعالى وحصورا اصل هذه الكلمة الحبس والمنع ومنه حصر العدو قال
ع واجمع من يعتد بقوله من المفسرين على ان هذه الصفة ليحيى عليه السلام انما هي الامتناع من وطء النساء الا ما
حكى مكي من قول من قال انه الحصور عن الذنوب وذهب بعض العلماء الى ان حصره بانه كان يحبس نفسه [illegible]
طاعة الله تعالى وكانت به القدرة على جميع النساء قالوا وهذا مدح له قال [illegible] وهذا القول هو اختيار
المحققين انه لا يأتي النساء لا لعجز بل للعصمة والزهد قلت قال عياض اعلم ان ثناء الله على يحيى عليه السلام
بانه حصور ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له فقد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا
هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وانما معناه معصوم من الذنوب اي لا يأتيها كانه
حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليس له شهوة في النساء كما بينه من ان لكونه مشتغلا
[illegible] في حق من اقدر عليها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه وهي درجة علياء
وهي درجة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] من النساء [illegible] من صلاحه عليه
السلام انه كان يعيش من العشب وانه كان يكثر البكاء من خشية الله حتى اتخذ الدمع في وجهه اخدودا ص ومن
الصالحين من اصلاب الانبياء او صالحا من الصالحين فيكون صفة لموصوف محذوف اه قلت والاول احسن [illegible]
تحصيل [illegible] فتأمله قوله تعالى قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر الآية ذهب الطبري وغيره
الى ان زكريا لما [illegible] واحال نفسه وحال امرأته وانه ليست بحال نسل سأل عن الوجه الذي يكون به الغلام ابتداء
خلقته ام كيف يكون قال ع وهذا تأويل حسن لائق بزكريا عليه السلام واني معناه كيف ومن اين [illegible]
بلغني الكبر من حيث هي عبارة مفعل وقوله تعالى كذلك الله اي كهذه القدرة المستغربة [illegible]

ذلك اشارة الى حال زكرياء وحال امراته كانه قال رب على اي وجه يكون لنا غلام ونحن بحال كذا فقال له كما انتما يكون لكما
الغلام والكلام تام على هذا التاويل في قوله كذلك وقوله الله يفعل ما يشاء جملة مبينة مقررة في النفس وقوع هذا
الامر المستغرب وقوله قال رب اجعل لي آية اي علامة قالت فرقة من المفسرين لم يكن هذا من زكرياء على جهة الشك ه
وانما سال علامة على وقت الحمل قوله تعالى الا تكلم الناس ثلاثة ايام قال الطبري وغيره لم يكن منعه الكلام لآفة ولكنه
منع محاورة الناس وكان يقدر على ذكر الله ثم استثنى الرمز وهو استثناء منقطع والكلام المراد في الآية انما هو النطق
باللسان لا الاعلام بما في النفس والرمز في اللغة حركة تعلم بما في نفس الرامز كانت الحركة من عين او حاجب او شفة او يد او عود
وغير ذلك وقد قيل الكلام المحرم عن ظاهره رموزا امره تعالى بالذكر ثم كتبه لهم ولم يكلمهم وبين ذكر الله وهذا قول
لم تدرك دافعه وما علمه في نسيانه قال محمد بن كعب القرظي لو كان الله رخص لاحد في ترك الذكر لرخص لزكرياء عليه السلام
حيث قال الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا لكنه قال له واذكر ربك كثيرا قال الامام المحقق في هذه الآية تاويلان احدهما
ان الله تعالى حبس لسانه عن امور الدنيا واقدره على الذكر والتسبيح والتهليل والتكبير ليكون في تلك المدة مشتغلا
بذكر الله وطاعته شكرا لله تعالى على هذه النعمة ثم اعلم ان هذه الواقعة كانت مشتملة على المعجزة من وجوه
احدها ان قدرته على التسبيح والذكر وعجزه عن التكلم بامور الدنيا من المعجزات وثانيها تحصول ذلك المعجز مع صحة
البنية من المعجزات وثالثها ان اخباره بانه متى حصلت تلك الحالة فقد حصل الولد ثم ان الامر خرج على وفق هذا الخبر
يكون ايضا من المعجزات والثاني وهو قول ابي مسلم ان المراد منه الذكر بالقلب وذلك لان المستغرقين في بحار معرفة الله
عادتهم في اول الامر ان يواظبوا على الذكر اللساني مدة فاذا امتلا القلب من نور ذكر الله تعالى سكتوا باللسان وبقي الذكر بالقلب
ولذلك قالوا من عرف الله كل لسانه فكان زكرياء عليه السلام امر بالسكوت باللسان واستحضار معاني الذكر والمعرفة
واستمدادها بالقلب اه وقوله تعالى وسبح معناه قل سبحان الله وقال قوم معناه صل والقول الاول اصوب
لانه يناسب الذكر ويستغرب مع امتناع الناس من الكلام والعشي في اللغة من زوال الشمس الى مغيبها
والابكار مصدر ابكر الرجل اذا بادر امره من لدن طلوع الفجر الى طلوع الشمس وتمادى البكور شيئا بعد طلوع
الشمس يقال ابكر الرجل وبكر قوله تعالى واذ قالت الملائكة العامل في اذ العامل في هذه الآية قبلها اذ هي
اخبارات يعطف بعضها على بعض مختصرة ... هو ما ظهر في حقيقة الكلام واصطفيك معناه
تخيرك لطاعته وطهرك معناه في كل ما يصم النساء في خلق وخلق ودين فقال مجاهد وغيره وقول الزجاج
نزهك في التطهير ان معناه طهرك من الحيض والنفاس يحتاج الى سند قوي وما احفظه والعالمين يحتمل عالم
زمانها قاله ابن عطية وسائغ ان يتناول العموم لا اصطفاك على العالمين وقد قال بعض الناس ان مريم نبية من
اجل مخاطبة الملائكة لها وجمهور الناس على انه لم تتنبا امراة وانما معناه الصبر والصبح

فاذا المر

قاله بعض وغيره ويحتمل ان يكون معناه اطيلي القيام في الصلاة وهذا هو قول الجمهور وهو المناسب
في المعنى لقوله واسجدي وروى مجاهد انه لما خوطبت قامت حتى ورمت قدماها وروي انها ورمت حتى سال
الدم والقيح من قدميها وروي ان الطير كانت تنزل على راسها تظنها جمادا واختلف المتاولون لم قدم السجود
على الركوع فقال قوم كان ذلك في شرعهم والقول عندي في ذلك ان مريم امرت بفصلين ومعلمين من معالم الصلاة
وهما طول القيام والسجود وخصا بالذكر لشرفهما وهذا في تمكن بصلاة زكرياء معها ثم امرت بلزوم صلاة الجماعة
فليس يقع الامر الكل فيها معلم ثم امرت بعد بالصلاة في الجماعة فقيل لها واركعي مع الراكعين وقصد منها معلما اخر
من معالم الصلاة لئلا يتكرر اللفظ ولم يرد في الآية الركوع والسجود الذي هو منتظم في ركعة واحدة
والله اعلم وقال ص واركعي اتى به ولا يشكل في تقدم السجود الا من حمل على البيان وجواب انه قدم لانه
اقرب ما يكون العبد فيه من ربه وكان الترتيب وقيل كان مقدما في شرع اه وقوله تعالى ذلك من انباء الغيب ه
توجيه الخطاب في هذه الآية انما هو لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم والاشارة بذلك الى ما تقدم ذكره من القصص
والانباء الاخبار والغيب ما غاب عن مدارك الانسان والوحي معناه القاء المعنى في النفس في خفاء وحد الوحي
القاء المعنى في النفس في خفاء فمنه بالملك ومنه بالالهام ومنه بالاشارة ومنه بالكتابة وفي هذه
الآية بيان لنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاء بهذه الغيوب لا يعلمها الا من شاهدها وهو لم يكن لديهم
او من قرا في كتبهم وهو صلى الله عليه وسلم امي من قوم اميين او من اعلمه الله بها وهو محمد صلى الله
عليه وسلم ولديهم معناه عندهم ومعهم وقوله اذ يلقون اقلامهم الآية جمهور العلماء على انهم استهموا
على اخذها والمنافسة فيها من يكفلها وان الاقلام هي التي كانوا يكتبون بها التوراة في التهيئ على ان قلم
زكرياء صعد في الجرية ومضت اقلام الآخرين وقيل غير هذا قلت واما ابن العربي في احكامه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم يجري الاقلام وعلا قلم زكرياء واذا ثبت الحديث فلا نظر لاحد معه ويختصمون معناه
يتراجعون القول الجهير في امرها وفي هذه الآية استعمال القرعة والقرعة سنة وكان النبي صلى الله
عليه وسلم اذا سافر اقرع بين نسائه وقال صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في الصف الاول لاستهموا عليه واختلف
ايضاحها قال وجيها اي ذا جاه ومنزلة عند الله ومن المقربين وهو وجيه ونصب على الحال وهو من
الوجه اي له وجه ومنزلة عند الله وقال البخاري وجيها شريفا ومن المقربين معناه من الله تعالى
وكلامه في المهد آية دالة على براءة امه واخبر تعالى عنه انه يكلم الناس كهلا وفائدة ذلك الاخبار
انه يعيش الى سن الكهولة قال جمهور الناس الكهل الذي بلغ سن الكهولة وقال مجاهد الكهل الحليم
قال ع وهذا تفسير للكهولة بعرض مصاحب لها في الاغلب واختلف الناس في حد الكهولة فقيل

اربعين وقيل ابن خمسين وثلاثين وقيل ابن ثلاثة وثلاثين وقيل ابن ثلاث وثلاثين هذا حال اوله واما اخره فبالثاني
وخمسين ثم يدخل سن الشيخوخة وقول مريم انى يكون لي ولد استبعاد من جهة حملها واستغراب المجمل على نكاح زوج ولمسيس
معناه نكاح ومجامع ص والبشر يطلق على الواحد والجمع اهو الكلام في قوله كذلك الله كل الكلام في امر زكريا وجاءت العبارة في
في امر زكريا يفعل وجاءت هنا يخلق من حيث ان امر زكريا داخل في الامكان الذي يتعارف وان قل وقصة مريم ليس
تتعارف البتة فلفظ الخلق اقرب الى الاختراع وادل عليه قوله تعالى اذا قضى امرا معناه اذا اراد ايجاده والامر واحد
الامور وهو مصدر سمي به والقضاء فيه هو له تعالى على بعض الامر والقول على جهة المخاطبة وقوله كن خطاب للمقضي
وقوله فيكون بالرفع خطاب المخبر وقوله تعالى ويعلمه الكتاب الكتابة هنا هو الخط باليد وهو مصدر كتب
يكتب قال جمهور المفسرين وقوله تعالى ورسولا الى بني اسرائيل وجعله رسولا وكانت رسالة عيسى عليه السلام
الى بني اسرائيل مبينا حكم التورية ونادبا الى العمل بها ومحللا اشياء مما حرم فيها كالثروب ولحوم الابل واشياء
من الحيتان والطير ومن اول القول الى قوله اسرائيل خطاب لمريم ومن قوله اني قد جئتكم الى قوله مستقيم
يحتمل ان يكون خطابا لهم على معنى يكون من قوله ليس اسرائيل وكيفا وكيف يكون فيه اي الكلام محذوف يدل عليه
الظاهر تقديره فجاء عيسى بني اسرائيل رسولا فقال لهم ما تقدم ذكره ويحتمل ان يكون المحذوف مقدرا بعد الكلام
بعد قوله الى بني اسرائيل اني قد جئتكم ويكون قوله اني قد جئتكم ليس بخطاب لهم وسائر القصص وقوله اني اخلق
لكم من الطين كهيئة في موضع اي اخلق لكم بكن الهيئة وفي بابها الشيعة بفتحها بوجه في انه موضع اما الفصيح
واستيناف واما انه فبدل من اية بقوله اني قد جئتكم في قوله كمثل ادم ووجه في انه بدل من اية
كانه قال وجئتكم باني اخلق لكم واخلق معناه اقدر واهيئ بيدي ص كهيئة الهيئة الشكل والصورة وهي مصدر
هاء الشيء يهيئ هيئة وهيئا اذا تهيأ واستعمل على حال ما وتعديه بالتضعيف فالفعل ويهيئ لكم من امركم
مرفقا وهو في ابل وفي مده فيكون طائرا باذن الله في اداء يكون طائرا من الطيور وفي الثانية فيكون طائرا اي الجمع
وكل الطير صورة المائدة والطير اسم جمع وليس من ابنية الجموع وانما البناء في جمع طائر الطير وجمع الجمع طيور
وقوله تعالى فانفخ فيه ذكر الضمير لانه يحتمل ان يعود على الطير ويحتمل ان يعود على المذكور وانث الضمير في
سورة المائدة لانه يحتمل ان يعود على الهيئة او على تانيث لفظ الجماعة ويكون عيسى يخلق بيده وينفخ فيه
انما هو ليتبين تلبسه بالمعجزة وانها جاءت من قبله وانما الايجاد من العدم وخلق الحياة في ذلك الطير من الله تعالى
وحده لا شريك له وروي في قصص هذه الاية ان عيسى عليه السلام كان يقول لبني اسرائيل اي الطير اشد خلقة
واصعب ان يحكى فيقولون الخفاش لانه لحم لا ريش له وكان يصنع من الطين خفاشا ثم ينفخ فيه فيطير وكل ذلك
بحضرة الناس ومعاينتهم فكانوا يقولون هذا ساحر وابرئ معناه ازيل المرض والاكمه هو الذي يولد اعمى ممسوح

العين

العين قاله ابن عباس وقتادة وقال ع والاكمه في اللغة هو الاعمى وقد كان عيسى عليه السلام
يبرئ بدعائه ومسح يده على كل علة ولا تحتمل عليه الا ان اريد به معنى التنبوة وانما يقوم ساد
ذكرها لانها من العلل التي لا يبرئ منها طبيب بوجه وروي في احيائه الموتى انه كان يضرب بعصاه
الميت او القبر او الجمجمة فيحيي الانسان ويكلمه باذن الله وفي قصص ذلك احاديث كثيرة لا يوقف على
صحتها وروي ان عيسى عليه السلام انما خص بهذه المعارض لانه لما علم الطب كان شغل الناس في
ذلك الزمان وشغلهم وحبسهم ابدانهم فيه المعاني فلما جاء عيسى عليه السلام بغرائب لا تقتضيها
الا من جهة واصول الطب وذلك احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص علمت الاطباء ان هذه القوة
من عند الله وهذا كالامر السحرة مع موسى والفصحاء مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ووقع في
التواريخ التي جمعت عن الاطباء ان جالينوس كان في زمن عيسى عليه السلام وانه رحل من رومية
الى الشام فمات في طريقه ذلك وقوله تعالى وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم
الاية قال مجاهد وعطاء كان عيسى عليه السلام من لدن طفوليته وهو في الكتاب يخبر الصبيان
بما يفعل اباؤهم في منازلهم وبما يوكل من الطعام ويدخر وكذلك الى ان نبئ فكان يقول لكل من سال عن
بما ذا تغدى البارحة وبما ذا اكلت وكذا وقال قتادة انما هذا في المائدة عليها وذلك انها
نزلت اخذ عليهم عهدا ان ياكلوا ولا يخبئوا شيئا ولا يدخروه وحملوا الى بيوتهم فخانوا وجعلوا
يخبئون فكان عيسى عليه السلام يخبر كل احد عما اكل وعما ادخر في بيته من ذلك وعوقبوا على
ذلك وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون تحذير ودعاء الى الله عز وجل قوله هذا صراط
مستقيم اشارة الى قوله ان الله ربي وربكم فاعبدوه لان العبادة جمعت الايمان والطاعة
والصراط الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه قوله تعالى فلما احس عيسى منهم الكفر الاية في
قبل هذه الاية محذوف به يتم اتساق الاية تقديره فجاء عيسى كما بشر الله به فقال جميع
ما ذكر لبني اسرائيل فلما احس ومعنى احس ادرك علم من جهة الحواس بما يسمع من اقوالهم في
تكذيبهم ورد ما في ازاحوالهم ويشق عليهم واعراضهم قال من انصاري الى الله وقوله الى
الله يحتمل معنيين احدهما من يتبعني في السبيل الى الله والثاني ان يكون التقدير من يضيف
نصرته الى نصرة الله لي فالى دالة على الغاية في كلا التقديرين وليس مباح ان يقال الى
بمعنى مع كما غلط في ذلك بعض الفقهاء في قوله تعالى وايديكم الى المرافق فقال الى بمعنى
مع وهذه عجمة واختلف فقوم قالوا تهيأ عيسى فدعاهم الى نصرته واتباع ملته فاجابوه

وقالوا هو ابن الله جل وعلا وصبي وابن داود السيد واختلف لم قيل لهم حواريون فقال ابن جبير لبياض ثيابهم
وقال أبو أرطاة لأنهم كانوا قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها وقال قتادة الحواريون أصحاب الأنبياء الذين تصلح لهم
الخلافة قال ع وهذا القول تقرير حال القوم وليس بتفسير اللفظة وعلى هذا الحد شبه النبي صلى الله عليه
وسلم ابن عمته الزبير في قوله وحواري الزبير والأقوال الأول هي تفسير اللفظة إذ هي من الحور وهو البياض وحورت
الثوب بيضته ومنه الحواري وقد تسمي العرب النساء الساكنات في الأمصار الحواريات لغلبة البياض عليهن
ومنه قول أبي جلدة اليشكري فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا يبكنا إلا الكلاب النوابح وقول الحواريين واشهد
يحتمل أن يكون خطابا لعيسى عليه السلام أي اشهد لنا عند الله ويحتمل أن يكون خطابا لله تعالى كقوله صلى الله
عليه وسلم في حجة الوداع اللهم اشهد وقولهم ربنا آمنا بما أنزلت يريدون الإنجيل وآيات عيسى واكتبنا مع الشاهدين
أي في عداد من شهد بالحق من مؤمني الأمم ثم أخبر تعالى عن بني إسرائيل الكافرين بعيسى عليه السلام فقال ومكروا
أي في قتله بزعمهم فجازاهم الله هو مكر الله بهم مجازاتهم الله تعالى بأن طرح شبه عيسى على أحد الحواريين في قول
الجمهور أو على يهودي منهم كان جاسوسا وأعقب بني إسرائيل مذلة وهوانا في الدنيا والآخرة وهذه العقوبة
التي سماها الله تعالى مكرا في قوله والله مكرهم أي تسمية العقوبة باسم الذنب وقوله والله خير الماكرين
معناه فاعل حق في ذلك وذكر أبو القاسم القشيري في تحبيره قال سمعت ميمون قال الحسين بن منصور عن قوله
تعالى ومكروا ومكر الله قال تخليته إياهم مع مكرهم هو مكره بهم اهـ ونحوه عن الجنيد قال العراقي المكر من الخلق
الخب والحيلة ومن الله الاستدراج قال الله تعالى سنستدرجهم قال ابن عباس كلما أحدثوا خطيئة
أحدثنا لهم نعمة اهـ وقوله تعالى إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك الآية اختلف في هذا التوفي فقال الربيع
هي وفاة نوم وقال الحسن وغيره هو توفي قبض وتحصيل أي قابضك من الأرض ومحصلك في السماء
وقال ابن عباس هي وفاة موت ونحوه لمالك في العتبية وقال وهب بن منبه توفاه الله بالموت ثلاث
ساعات ورفعه فيها ثم أحياه بعد ذلك وقال الفراء هي وفاة موت ولكن المعنى إني متوفيك في آخر أمرك عند
نزولك وقتلك الدجال ففي الكلام تقديم وتأخير قال ع وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن
عيسى عليه السلام في السماء حي وأنه ينزل في آخر الزمان فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويقتل الدجال
ويفيض العدل وتظهر به هذه الملة ملة محمد صلى الله عليه وسلم ويحج البيت ويعتمر ويبقى في الأرض أربعا
وعشرين سنة وقيل أربعين سنة ثم يميته الله تعالى قال ع فقول ابن عباس هي وفاة موت لابد أن
يتمم إما على قول وهب بن منبه وإما على قول الفراء وقوله تعالى ورافعك إلي عبارة عن نقله من سفل إلى علو
وإضافة الله سبحانه إضافة تشريف وإلا فمعلوم أنه سبحانه غير متحيز في جهة ومطهرك أي من دعاوى

الكفرة

الكفرة ومعاشرتهم وقوله وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الآية قال جمهور المفسرين بعموم اللفظ في المتبعين
فيشمل من في أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه متبع لعيسى قاله قتادة وغيره وكذلك قال بعموم اللفظ
في الكافرين فمقتضى الآية إعلام عيسى عليه السلام أن أهل الإيمان به كما يجب هم فوق الذين كفروا بالحجة
والبرهان والعز والغلبة ويظهر من عبارة ابن جريج وغيره أن المراد المتبعون له في وقت استنصاره
وهم الحواريون وقوله تعالى ثم إلي مرجعكم خطاب لعيسى والمراد الإخبار بالقيامة والحشر وبلغ ذلك فيه
وتوفية الأجور فيه لفظ الأجر في الجنة فذلك هو بسبب الأعمال وأما نفس دخول الجنة فبرحمة الله وتفضله
سبحانه وقوله تعالى ذلك نتلوه عليك من الآيات الآية ذلك إشارة إلى ما تقدم من الأنباء ونتلوه
معناه نسرده من الآيات ظاهره وآيات القرآن ويحتمل أن يريد من المعجزات والمستغربات أنا نأتيهم بهذه
الغيوب من قبلنا بسبب تلاوتنا والذكر ما ينزل من عند الله قال ابن عباس الذكر القرآن والحكيم الذي قد
كمل في حكمته وقوله تعالى إن مثل عيسى عند الله الآية قال ابن عباس وغيره سبب نزولها محاجة نصارى
نجران في أمر عيسى وقولهم يا محمد هل رأيت بشرا قط جاء من غير فحل أو سمعت به ومعنى الآية أن المثل الذي
يتصور في النفوس والعقول هو كما تتصور من آدم إذ الناس مجمعون أن الله تعالى خلقه من تراب من
غير فحل وفي هذه الآية صحة القياس وقوله تعالى ثم قال له كن فيكون الإخبار ها هنا عن محمد صلى الله عليه وسلم المعنى خلقه
من تراب ثم كان من أمره في الأزل أن قال له كن وقت كذا وقوله تعالى الحق من ربك أي هذا هو الحق والممترين
هم الشاكون ونهي النبي صلى الله عليه وسلم في عبارة اقتضت ذم الممترين وهذا يدل على أن المراد بالامتراء
غيره وضمير الأمة أي مع تجرد عنده على حجة التثبت والدوام على حاله وقوله تعالى فمن حاجك
فيه أي في عيسى ويحتمل في الحق والعلم الذي أشير إليه بالمجيء هو ما تضمنته هذه الآيات المتقدمة
وقوله تعالى فقل تعالوا الآية استدعاء للمباهلة وتعالوا تفاعلوا من العلو وهي كلمة قصد بها أولا تحسين
الأدب مع المدعو ثم اطردت حتى يقولها الإنسان لعدوه وللبهيمة ونبتهل معناه نلتعن ويقال عليه
بهلة الله والابتهال الجد في الدعاء بالبهلة وروى محمد بن جعفر بن الزبير وغيره أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما دعاهم إلى المباهلة قالوا دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نفعل فذهبوا
إلى العاقب وهو ذو رأيهم فقالوا يا عبد المسيح ما ترى فقال يا معشر النصارى والله لقد عرفتم
أن محمدا النبي المرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم
ولا نبت صغيرهم وإنه الاستئصال إن فعلتم فإن أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في
صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم حتى يريكم زمن رأيه فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا

بالامم الخالية فمرادنا ان لا نقتل عنكم وان نبقى على ديننا وما نحن عليه من اموالنا ولو الى بعث مقدار حلية من

الصابئة ترضاه لنا فيجعل بيننا وبينك الشيء فرارا خذ منا فيها من اموالنا فلا يأتي عنقك رضا قال ع وفي ترك النصارى

الملاعنة لعلمهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم شاهد عظيم على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم عندهم ودعاء

النساء والابناء اهز للنفوس واداعي للرحمة لله للمحق وبغضبه على المبطلين وقوله عز وجل ان هذا

لهو القصص الحق الآية هذا خبر من الله تعالى جزم مؤكد فصل به بين المختصمين والاشارة بهذا هو الى

ما تقدم من امر عيسى عليه السلام والقصص معناه الاخبار وقال ص اي هذا الذي هو هذا والاشارة الى

القرآن او اختلف المفسرون فمن المراد باهل الكتاب هنا فروى قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم

انهم يهود المدينة وقال ابن زيد وغيره المراد نصارى نجران قال ع والذي يظهر لي ان الآية في النبي وفد

نجران لكن لفظ اهل الكتاب يعمهم وسواهم من النصارى واليهود وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية

الى هرقل عظيم الروم وكذا ينبغي ان يدعى بها اهل الكتاب الى يوم القيامة والكلمة هي عند الجمهور عبارة

عن الالفاظ التي تتضمن المعاني المدعو اليها وهي ما فسر بعد ذلك وهذا كما تسمي العرب القصيدة

كلمة وقوله سواء نعت للكلمة قال قتادة والربيع معناه الى كلمة عدل وفي مصحف ابن مسعود الى

كلمة عدل وفسر قتادة قال ع والذي اقوله في لفظة سواء انه ينبغي ان تفسر بحسب التي في هذا

الموضع وهو انه دعاهم الى معان جميع الناس فيها مستوون وقوله الا نعبد الا الله هو في

موضع خفض على البدل من كلمة او في موضع رفع بمعنى هي الا نعبد الا الله واتخاذ بعضهم بعضا اربابا

هو على مراتب اشدها اعتقادهم فيهم الالوهية وعبادتهم لهم كعزير وعيسى ومريم وادنى ذلك

طاعتهم لاساقفتهم في كل ما امروا به من الكفر والمعاصي والتزامهم طاعتهم شرعا ع ابو البقاء فان تولوا

فعل ماض ولا يجوز ان يكون التقدير تتولوا لفساد المعنى لان قوله فقولوا اشهدوا خطاب للمؤمنين وتتولوا

للمشركين انتهى وقوله فقولوا اشهدوا بانا مسلمون امر باعلان بمخالفتهم ومواجهتهم بذلك واشهادهم على

معنى التوبيخ والتهديد وقوله تعالى يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم الآية قال ابن عباس وغيره

اجتمعت نصارى نجران واحبار يهود عند النبي صلى الله عليه وسلم فتنازعوا عنده فقالت الاحبار

ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فانزل الله الآية ومعنى

قوله تعالى فيما لكم به علم اي على زعمكم وفي الطبري في هذا الموضع دائم فيما لكم به علم من جهة كتبكم

وانبيائكم مما ايقنتموه وثبتت عندكم صحته قال ع وذهب عنه رحمه الله ان ما كان هكذا فلا

يحتاج معهم فيه الى محاجة لانهم يجدونه عند محمد صلى الله عليه وسلم كما كان هنالك على حقيقته قلت

وما قاله

وما قاله الطبري بين وهو ظاهر الآية ومن المعلوم ان الكل احتجاجهم انما كانت تعنتا ومجرد التموه

وقوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية اخبر الله تعالى في هذه الآية عن حقيقة امر ابراهيم

عليه السلام ونفى عنه اليهودية والنصرانية والاشراك ثم اخبر تعالى اخبارا مؤكدا ان اولى الناس

بابراهيم هم القوم الذين اتبعوه بشرط في ذلك الحكم من اتبع الحنيفية في الفترة وهذا النبي يعني محمدا صلى

الله عليه وسلم لانه بعث بالحنيفية والذين آمنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء على ما يجب

ثم اخبر سبحانه انه ولي المؤمنين وعدا منه لهم بالنصر في الدنيا والنعيم في الآخرة وروى عبد الله بن مسعود

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لكل نبي ولاة من النبيين وان وليي منهم ابي وخليل ربي ابراهيم ثم قرأ

ان اولى الناس بابراهيم وقوله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم الآية قيل ان هذه الآية

عني بها حذيفة وابن اليمان وعمار ومعاذ بن جبل ص قوله تعالى ودت طائفة ود بمعنى تمنى

وتستعمل معها ان ولو وربما جمع بينهما فيقال وددت لو ان ولو مصدرية وقوله تعالى وما يضلون الا

انفسهم اعلام بان سوء فعلهم عائد عليهم وانهم ببعدهم عن الاسلام هم الضالون ثم اعلم انهم لا يشعرون بذلك

اي لا يتفطنون ثم وقفهم تعالى موبخا لهم على لسان نبيه والمعنى قل لهم يا محمد لم تكفرون بآيات الله التي

هي آيات القرآن وانتم تشهدون ان امره وصفة محمد في كتابكم قال هذا المعنى قتادة وغيره ويحتمل ان

يريد بآيات الله ما ظهر على يدي محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات قلت ويحتمل الجميع من الآيات المتلوة

والمعجزات التي شاهدوها منه صلى الله عليه وسلم وقال قوم وانتم تشهدون جملة حالية ومفعول تشهدون

محذوف اي انها آيات الله او ما يدل على صحتها من كتابكم او مماثلها من آيات الانبياء وقوله لم تلبسون

معناه تخلطون تقول لبست الامر بفتح الباء بمعنى خلطته ومنه قوله تعالى وللبسنا عليهم ما يلبسون

وفي قوله وانتم تعلمون توقيف على العناد ظاهر وباقي الآية تقدم بيانه في سورة البقرة قوله تعالى

وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار الآية اخبر الله سبحانه في

هذه الآية ان طائفة من اليهود من احبارهم ذهبت الى خديعة المسلمين بهذا المنزع قال قتادة

وغيره قال بعض الاحبار لنظهر الايمان لمحمد صدر النهار ثم لنكفر به آخر النهار فسيقول المسلمون عند ذلك

ما بال هؤلاء كانوا معنا ثم انصرفوا عنا ما ذاك الا انهم انكشفت لهم حقيقة في الامر فيشكون ولعلهم

يرجعون عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم قال ع وفي اخبار الله تعالى عن تواطئهم على هذه الحيلة

من البلاغة وجوه منها ان هذه الحيلة كانت مخفية بينهم فلما اخبر بها عنهم كان اخبارا بالغيب ويكون

معجزا الثاني انه تعالى لما اطلع على تواطئهم هذه الحيلة لم يحصل لهذه الحيلة مقصودها

لانه في قلوب المومنين ولولا هذه الآية علم لا تمكن ان يدعى فيه من ضعف ايمانه انتقال اي القوم لما افتضحوا به
في هذه الحيلة نزلت الآية ردا عليهم عز وجل افتراءهم على رسله من الحيل والتلبيس اهـ وذكر الله تعالى عن هذه الطائفة
من اهل الكتاب انهم قالوا ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم ولا خلاف ان هذا القول هو من كلام الطائفة واختلف الناس
في قوله تعالى ان يوتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم فقال مجاهد وغيره من اهل التاويل الكلام كله من
قول الطائفة لاتباعهم وقوله تعالى قل ان الهدى هدى الله اعتراض بين الكلامين قال ع والكلام على هذا
التاويل يحتمل معاني احدها ولا تصدقوا وتومنوا الا لمن جاء بمثل دينكم حذار ان يوتى احد من النبوة والكرامة مثل ما اوتيتم
وحذار ان يحاجوكم بتصديقكم اياهم عند ربكم اذا لم تستمروا عليه وهذا القول على هذا المعنى ثمرة الحسد
والكفر مع المعرفة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون الكلام معناه ولا تومنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا تقروا بنبوته اذ قد علمتم صحتها الا لليهود الذين هم منكم وان يوتى احد مثل ما اوتيتم
صفة لحال محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى تستروا واخفوا ان يوتى احد مثل ما اوتيتم او فانهم يعنون العرب يحاجوكم
بالاقرار عند ربكم وفي الآخرة وحرف من [illegible] ان يوتى بالمد على جهة الاستفهام الذي هو تقرير وقيل
امرا على قراءة ابن كثير على ان الكلام كله من قول الطائفة ولا اعتراض الذي هو قل ان الهدى هدى الله
فانه لا يحتمل الا انه من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قال ولا يجوز مع الاستفهام ان يحمل ان يوتى على
ما قبله من الفعل لان الاستفهام قاطع فيجوز ان تكون ان في موضع رفع بالابتداء والخبر محذوف
تقديره تصدقون به او تعترفون او تذكرونه لغيركم ونحوها ذا مما يدل عليه الكلام قال ع ويكون يحاجوكم
على هذا معطوفا على ان يوتى قال ابو علي ويجوز ان تكون موضع ان نصبا فيكون المعنى اتشيعون او تذكرون
ان يوتى احد مثل ما اوتيتم ويكون ذلك بمعنى قوله تعالى عنهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم وعلى كلا
الوجهين معنى الآية توبيخ من الاحبار للاتباع على تصديقهم بان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي مبعوث قال ع
ويكون قوله تعالى او يحاجوكم في هذا [illegible] اي بعض او يحاجوكم وقال السدي وغيره الكلام كله
من قوله قل ان الهدى هدى الله الى آخر الآية هو مما امر به النبي صلى الله عليه وسلم ان يقوله لامته
وحكى الزجاج وغيره ان المعنى قل ان الهدى هدى الله لا يوتى احد مثل ما اوتيتم ومعنى الآية على قول السدي
او ان يعطى احد مثل ما اوتيتم اي مثل حظكم ولا فليحاجوكم من ادعى سوى ذلك او يكون المعنى او يحاجوكم على
معنى الازدراء باليهود كانه قال اوهل لهم ان يحاجوكم او يخاصموكم فيما وهبه الله وفضلكم به وقال قتادة والربيع
الكلام كله من قوله قل ان الهدى هدى الله الى آخر الآية هو مما امر به النبي صلى الله عليه وسلم ان يقوله للطائفة
قال ع ويحتمل ان يكون قوله ان يوتى بدلا من قوله هدى الله قلت وقد طال الكلام هنا وفيما ذكرناه كفاية

وقوله

وقوله تعالى قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم
في هذه الآية تكذيب لليهود في قولهم ان يوتى احد مثل ما اوتيتم [illegible] للنبوة والشرع وبلغ في هذه تقدم
تفسيره قريبا وقوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يوده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يوده اليه
في هذه الآية اخبر تعالى عن اهل الكتاب انهم قسمان في الامانة ومقصد الآية ذم الخونة منهم والتغليب لهم وكذبهم
على الله في استحلال اموال العرب قال [illegible] في هذه الآية ثلاثة اقوال الاول ان اهل الامانة منهم الذين اسلموا اما الذين بقوا
على اليهودية فهم مصرون على الخيانة لان من مذهبهم انه يحل قتل كل من خالفهم في الدين واخذ ماله الثاني
ان اهل الامانة منهم هم النصارى واهل الخيانة هم اليهود الثالث قال ابن عباس اودع رجل عبد الله بن
سلام الفا ومائتي اوقية من ذهب فاداه اليه واودع آخر فنحاص اليهودي دينارا فخانه فنزلت الآية اهـ
قال ابن العربي في احكامه قال المفسرون وفائدة هذه الآية النهي عن ائتمانهم على مال وقال [illegible] الله
المعنى انه لا يوتمن [illegible] عليه ما [illegible] في قوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب والصحيح عندي
ان في الآية نص تنبيه وفائدة التعبير بهذا المعنى اي الوجهين قال ابن العربي ولا امانة عظيمة في القنطار
ومن عظيم قدرته [illegible] جنس [illegible] من الجواز ذلك من حفظه ولهذا الوجه عليك ان
تؤديه الى من ائتمنك ولا تخن من خانك فتقابل المعصية بالمعصية وكذلك يجوز ان تغرم من غرمك
قاله البخاري [illegible] والقنطار في هذه الآية مثل للمال الكثير يدخل فيه اكثر من
القنطار واقل واما الدينار فيحتمل ان يكون كذلك مثالا لما قل ويحتمل ان يريد طائفة [illegible] في دينار
فما زاد ولم يعنهم [illegible] طعام [illegible] معناه [illegible] وقوله فيها [illegible] قال قتادة
ومجاهد [illegible] معناه [illegible] من الحلم [illegible]
[illegible] وقوله ذلك بانهم قالوا ليس علينا
في الاميين سبيل [illegible] يقولون [illegible] والعرب [illegible]
[illegible] وقوله تعالى
ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون [illegible] على الله تعالى [illegible]
[illegible] وهم يعلمون [illegible] قولهم ليس علينا [illegible]
بلى اي عليهم سبيل وحجة [illegible] ان من اوفى بالعهد واتقى [illegible]
وانه محبوب عند الله وقوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا [illegible]
[illegible]

قال ابن العربي في احكامه وقد اختلف الناس في سبب نزول هذه الآية والذي يصح من ذلك ما روي عن عبد الله بن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين صبر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان
فانزل الله في تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية قال فجاء الاشعث بن قيس فقال في
نزلت كانت لي بئر في ارض عم لي وفي رواية كان بيني وبين رجل من اليهود ارض فجحدني فقال النبي صلى الله
عليه وسلم بينتك او يمينه فقلت اذا يحلف يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث اهـ وان منهم
لفريقا يلوون السنتهم الآية يلوون معناه يحرفون ويتحيلون لتبديل المعاني من جهة اشتباه الالفاظ
واشتراكها وتشعب التأويلات كقولهم راعنا واسمع غير مسمع ونحو ذلك وليس التبديل المحض بلي وحقيقة
اللي في الثياب والحبال ونحوها وهو فتلها وارغامها ومنه لي العنق ثم استعمل ذلك في الحجج والخصومات
والمجادلات والكتاب في هذا الموضع التوراة والضمير في تحسبوه للمسلمين وقوله وما هو من عند الله
نفي ان يكون منزلا من عند الله كما ادعوا وهو من عند الله بالخلق والاختراع والايجاد ومنهم التكسب وقوله
تعالى ما كان لبشر الآية معناه النفي التام لان الله تعالى لا يؤتي النبوة للكذبة والمدعين والكتاب هنا اسم
جنس والحكم بمعنى الحكمة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكما وقال الطبري هذه لغة اهل الحجاز
والتعبير على هذا الحكم هو العلم قال قتادة واتيناه الحكم صبيا يعني العلم والفهم ثم في قوله ثم يقول معطيته
تعطي الذي في القول تعم معانيه من هذه الاقسام وقوله عبادا جمع عبد ومن جموعه عبيد وعبدى قال
ع والذي استقريت من لفظ العباد انه جمع عبد متى سيقت اللفظة في مضمار الترفيع والدلالة على الطا
عة دون ان يقترن بها معنى التحقير وتصغير الشأن واما العبيد فيستعمل في التحقير قال ع ونوقش ابن عطية
بان عبيد الله جمع ونقض به من عباد وعبيد اهـ قلت وقوله تعالى اانتم اضللتم عبادي هؤلاء
ونحوه يوهم اهـ ومعنى الآية ما كان لبشر من الناس ان يقول اعبدوني واجعلوني الها قال النقاش وغيره
وهذه اشارة الى عيسى والآية رادة على النصارى وقال ابن عباس وجماعة من المفسرين بل الاشارة الى النبي
صلى الله عليه وسلم وسبب نزول الآية ان ابا رافع القرظي قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين اجتمعت الاحبار من يهود
والوفد من نصارى نجران يا محمد انما تريد ان نعبدك ونتخذك الها كما عبدت النصارى عيسى وقال الرئيس
من نصارى نجران او ذلك تريد يا محمد واليه تدعونا فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ الله ما بهذا امرت ولا
اليه دعوت فنزلت الآية قال بعض العلماء ارادت الاحبار ان تلزمه هذا القول لما نزل قوله صلى الله عليه
وسلم قل لهم فان كنتم تحبون الله فاتبعوني وانما معنى الآية فاتبعوني فيما ادعوكم اليه من طاعة الله
فتأولوه بجهلهم وهذا من نوع ليهم الكتاب بالسنتهم قال النحاس وقال ابن عباس ان الآية نزلت بسبب قول
النصارى

النصارى المسيح ابن الله وقول اليهود عزير ابن الله وقيل ان رجلا من المسلمين قال يا رسول الله الا نسجد لك فقال
عليه السلام ما ينبغي السجود الا لله فنزلت وقوله تعالى ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون يقوي هذا القول وجل
اهـ وقوله تعالى ولكن كونوا ربانيين الآية المعنى ولكن يقول كونوا ربانيين وهو جمع رباني قال قوم منسوب
الى الرب من حيث هو عالم ما علمه عامل بما علمه معلم للناس ما امر به وزيدت فيه النون مبالغة وقال قوم منسوب
الى ربان وهو معلم الناس ماخوذ من رب يرب اذا اصلح وربى وزيدت النون ايضا كزيادتها في غضبان وعطشان
وفي البخاري الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره قال ع فجملة ما يقال في الرباني انه العالم بالرب والشرع
المصيب في التقدير من الاقوال والافعال التي يحاولها في الناس وقوله تعالى بما كنتم معناه بسبب كونكم عالمين
دارسين والمصدقة وان سند ابو عمر بن عبد البر في كتاب فضل العلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم علمان علم في
القلب فذلك العلم النافع وعلم في اللسان فذلك حجة الله على ابن ادم ومن حديث ابن وهب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هلاك امتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء اهـ ومن
جمهور الناس يدرسون بضم الراء من درس اذا ادمن قراءة الكتاب وكرره وقرأ نافع وغيره ولا يامركم بالرفع
الا انه على القطع قال سيبويه المعنى ولا يامركم الله وقال ابن جريج وغيره المعنى ولا يامركم هذا البشر الذي
اوتي هذه النعم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ [illegible] من نصب الراء وهو حمزة وغيره فهو عطف على قوله
ان يؤتيه الله المعنى ولا له ان يامركم قاله ابو علي وغيره وهو الصواب لا ما قاله الطبري من انه عطف
على قوله ثم يقول والارباب في هذه الآية بمنزلة الالهة وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من
كتاب وحكمة الآية المعنى واذكر يا محمد يحتمل ان يكون اخذ هذا الميثاق حين اخرج بني ادم من ظهر ادم نسما
ويحتمل ان يكون هذا الاخذ على كل نبي في زمانه ووقت بعثه والمعنى ان الله تعالى اخذ ميثاق كل نبي بانه
ملتزم هو ومن امن به بالايمان بمن اتى بعده من الرسل والنصر له وقال ابن عباس اخذ الله ميثاق النبيين
على قومهم فهو اخذ لميثاق الجميع وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا ادم فمن بعده الا اخذ عليه
العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وامره باخذه على قومه ثم تلا هذه
الآية وقاله السدي وغيره وفي احدى القراءات بكسر اللام وهي قراءة حمزة والمعنى لاجل ما اتيتكم اذ انتم القادة
والرؤوس ومن كان بهذه الحال فهو الذي يؤخذ ميثاقه وما في هذه القراءة بمعنى الذي والعائد اليها من
الصلة تقديره ومن لبيان الجنس وثم جاءكم الآية جملة معطوفة على الصلة ولا بد في هذه الجملة من ضمير
يعود على الموصول وانما حذف تخفيفا لطول الكلام وتقديره عند سيبويه رسول به مصدق لما معكم واللام
في لتؤمنن به هي اللام المتلقية للقسم الذي تضمنه اخذ الميثاق وفصل بين القسم والمقسم عليه بالجار والمجرور

وذلك جائز وفي أسباب التشبعة لما بمعنى اللام وذلك يتم على وجهين أحدهما أن تكون ما موصولة في موضع رفع
بالابتداء واللام لام الابتداء وهي متلقية لما أجري مجرى القسم من قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين وخبر المبتدأ
قوله لتؤمنن به قاله أبو علي وهو متمم بأن الجملة تدفع مرتين والوجه الثاني أن تكون للجزاء شرطا فتكون في موضع
نصب بالفعل الذي بعدها وهو مجزوم وجاءكم معطوف في موضع جزم واللام الداخلة على ما ليست المتلقية
للقسم ولكنها الموطئة المؤذنة بمجيء لام القسم فهي بمنزلة اللام في قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون لأنها مؤذنة بمجيء
المتلقية للقسم في قوله لنغرينك بهم وكذلك هذه مؤذنة بمجيء المتلقية للقسم في قوله لتؤمنن به وفي إقامة
وحده اكتفاء بالنون وفي الكلام حذف ابتقى بالقاء ورسول في هذه الآية اسم جنس وقال كثير من المفسرين
هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري هذه الآية هي وصف توقيف للأنبياء
عليهم السلام على إقرارهم بهذا الميثاق والتزامهم له وأخذهم في هذه الآية عبارة عما تحصل لهم من إنفاذ
الكتاب والحكمة من جهة أخذ عليهم أخذوا هم أيضا وقال الطبري أخذتم في هذه الآية معناه قبلتم والإصر
العهد لا تفسير له في هذا الموضع إلا ذلك وقوله تعالى فاشهدوا يحتمل معنيين أحدهما فاشهدوا على أممكم المؤمنين
بكم وعلى أنفسكم بالتزام هذا العهد قاله الطبري وجماعة والمعنى الثاني بثوا الأمر عند أممكم واشهدوا
به وشهادة الله على هذا التأويل على إعطاء المعجزات وإقرار نبوءاتهم هذا قول الزجاج وغيره قال ع
فتأمل أن القول الأول هو إيداع الشهادة واستحفاظها والقول الثاني هو الأمر بأدائها وحكم تعالى بالفسق
على من تولى من الأمم بعد هذا الميثاق قاله علي بن أبي طالب وغيره وقرأ أبو عمرو يبغون بالياء من أسفل
مفتوحة وترجعون بالتاء وقرأ عاصم من فوق مضمومة وقرأ الباقون بالياء من أسفل فيهما وفي الرواية
بالتاء فيهما ووجوه هذه القراءات لا تخفى بأدنى تأمل وتبغون معناه تطلبون قال النووي وروينا في
كتاب ابن السني عن الشيخ الجليل المجمع على جلالته وحفظه وديانته وورعه يونس بن عبيد بن دينار البصري
التابعي المشهور رحمه الله قال ليس رجل يكون على دابة صعبة فيقول في أذنها أفغير دين الله تبغون وله أسلم
من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون إلا وقفت بإذن الله تعالى وروينا في كتاب ابن السني
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا
يا عباد الله احبسوا يا عباد الله مرتين فإن لله حاضرا في الأرض حاضر سيحبسه قال النووي حكى لي
بعض شيوخنا أنه انفلتت له دابة أظنها بغلة وكان يعرف هذا الحديث فقاله فحبسها الله عليه
في الحال وكنت أنا مرة مع جماعة فانفلتت منها بهيمة وعجزوا عنها فقلته فوقفت في الحال بغير سبب
سوى هذا الكلام انتهى وأسلم معناه استسلم عند الجمهور واختلفوا في معنى قوله طوعا وكرها فقال

مجاهد

مجاهد هذه الآية كقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله فالمعنى أن إقرار كل منهم
بالصانع هو إسلام كرها ونحوه لأبي العالية وعبارته كل آدمي فقد أقر على نفسه بأن الله ربي وأنا
عبده فمن أشرك في عبادته فهو الذي أسلم كرها ومن أخلص فهو الذي أسلم طوعا قال ع والمعنى في هذه
الآية يفهم أن الجن خاصة بأهل الأرض وقوله تعالى أفغير دين الله توقيف لمعاصري نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم من الأحبار والكفار قوله تعالى قل آمنا بالله وما أنزل علينا الآية المعنى قل يا محمد أنت وأمتك آمنا بالله
الآية وقد تقدم بيان ذلك في البقرة ثم حكم تعالى في قوله ومن يبتغ غير الإسلام دينا الآية بأنه لا يقبل
من آدمي دينا غير دين الإسلام وهو الذي وافق في معتقداته دين كل من سمي من الأنبياء وهو الحنيفية
السمحة وقال بعض المفسرين إن ومن يبتغ الآية نزلت في الحارث بن سويد قلت وعلى تقدير صحة هذا
النقل فهي تتناول العموم من سواه إلى يوم القيامة وقوله تعالى كيف يهدي الله قوما كفروا بعد
إيمانهم الآية قال ابن عباس نزلت هذه الآية من قوله كيف يهدي الله في الحارث بن سويد الأنصاري كان
مسلما ثم ارتد ولحق بالشرك ثم ندم وأرسل إلى قومه أن سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من توبة فنزلت
الآية إلى قوله إلا الذين تابوا فأرسل إليه قومه فأسلم قاله مجاهد وحسن إسلامه وقال ابن عباس أيضا
والحسن إن الآية نزلت في اليهود والنصارى شهدوا ببعث النبي صلى الله عليه وسلم وآمنوا به فلما جاء
من العرب حسدوه وكفروا به ورجحه الطبري وقال النقاش نزلت في طعيمة بن أبيرق قال ع وكل من
ذكر فالألفاظ الآية تعمه وقوله تعالى كيف سؤال عن حال لكنه سؤال توقيف على جهة الاستبعاد
للأمر فالمعنى أنهم لشدة هذه الجرائم يبعد أن يهديهم الله جميعا وقوله في الآية بعد قال العلماء واستبعد
تعالى كيف هدايتهم بعد حصول هذه الخصال الثلاثة كما في مثل هذا الكلام يكون كالمعاندين والجحود
وهذا بيان على أن رتبة التعليق إليه من رتبة الأعمال وقوله تعالى إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا
الآية قال أبو العالية نزلت في اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم بصفاته وإقرارهم أنها
في التوراة ثم ازدادوا كفرا بالذنوب التي أصابوها في خلاف النبي صلى الله عليه وسلم من الافتراء
والبهت والسعي على الإسلام وغير ذلك قال ابن عطية وعلى هذا الترتيب يدخل في هذه الآية المرتدون اللاحقون
بقريش وغيرهم وقال مجاهد معنى قوله ثم ازدادوا كفرا أي تمادوا على كفرهم وبلغوا الموت به قال ابن عطية رحمه الله
فيدخل في هذا القول اليهود والمرتدون وقال السدي نحوه ثم أخبر تعالى أن توبتهم لن تقبل
وقد قيل في الشيء بعينه أن توبتهم كلا جاءت تقبل بل يقال هذه الآية من غضب الله عليه وبخه به
ثم صحبوا التوبة فقال الحسن وغيره المعنى لن تقبل توبتهم عند الغرغرة والمعاينة وقال أبو العالية المعنى

المعنى لن تقبل توبتهم من ذنوبهم التي تابوا منها مع إقامتهم على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قال ع وتحتمل
الآية عندي أن تكون إشارة إلى قوم بأعيانهم من المرتدين ختم الله عليهم بالكفر وهم الذين أشار إليهم بقوله تعالى كيف يهدي الله قوما
كفروا فأخبر عنهم أنهم لا تكون منهم توبة فيتصور قبولها وكأنه أخبر عن هؤلاء المعينين أنهم يموتون
كفارا ثم أخبر الناس عن حكم كل من يموت كافرا والملء ما شحن به الوعاء وقوله ولو افتدى به قال الزجاج
المعنى أن يقبل منه حال إنفاقه ونفقته في الدنيا ولو أنفق ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به في الآخرة
لم يقبل منه قال فأعلم الله أنه لا يثيبهم على أعمالهم من الخير ولا يقبل منهم الافتداء من العذاب قال ع وهذا
قول حسن وقال قوم الواو زائدة وهذا قول مردود ويحتمل المعنى نفي القبول على كل وجه ثم خص من تلك
الوجوه أليقها وأحراها بأن يقبل وباقي الآية وعيد بين عافانا الله من عذابه ونفعنا بما خص به
الصالحين من عباده ~ وقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون خطاب لجميع
المؤمنين فيحتمل ذلك أن يريد لن تنالوا بر الله بكم أي رحمته ولطفه ويحتمل أن يريد لن تنالوا درجة
الكمال من فعل البر حتى تكونوا أبرارا بالإنفاق المنضاف إلى سائر أعمالكم قال ع وقوله مما تحبون
من للتبعيض يدل عليه قراءة عبد الله بعض ما تحبون اه قال البغوي وقال نافع كان ابن عمر مريضا فاشتهى
سمكة طرية فحملت إليه على رغيف فقام سائل بالباب فأمر بدفعها إليه ثم قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر الله له اه من الإحياء
قال ع وسبب نزول هذه الآية تصدق أبو طلحة بحائطه المسمى بيرحاء وتصدق زيد بن حارثة بفرس
كان يحبه وكان عبد الله بن عمر يشتري أكل السكر باللوز وكان يشتهي ذلك ويتصدق به قال البغوي
والنفقة في هذه الآية ... الزكاة الواجبة اه ~ وقوله تعالى وما
تنفقوا من شيء فإن الله به عليم شرط وجواب فيه وعد أي عليم مجاز به وإن قل ~ وقوله تعالى كل
الطعام كان حلا لبني إسرائيل الآية إخبار بغيب عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلمه إلا الله وعلماء
أهل الكتاب وحل معناه حلال والآية رد على اليهود في زعمهم أن كل ما حرموه على أنفسهم أنه هو
بأمر الله تعالى في التوراة فأكذبهم الله بهذه الآية ~ وقوله تعالى إلا ما حرم إسرائيل على نفسه أي
فهو محرم عليهم في التوراة هذا قول الزجاج وقوله تعالى من قبل أن تنزل التوراة
المعنى أن قبل نزول التوراة كان حلا لبني إسرائيل كل أنواع المطعومات سوى ما حرم إسرائيل
على نفسه فأما بعد نزول التوراة فلم يبق كذلك بل حرم الله عليهم أنواعا كثيرة بسبب بغيهم
وذلك هو عين النسخ الذي ينكرونه اه قال ع ولم يختلف فيما علمت أن سبب تحريم يعقوب

ما حرمه

ما حرمه على نفسه هو مرض أصابه فجعل تحريم ذلك شكرا لله إن شفي وقيل هو عرق النسا وفي
حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أن عصابة من بني إسرائيل قالوا له يا محمد ما الذي حرم إسرائيل على نفسه فقال
لهم أنشدكم بالله هل تعلمون أن يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا إن عافاه
الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه وكان أحب الطعام إليه لحوم الإبل وأحب
الشراب إليه ألبانها قالوا اللهم نعم قال ع وظاهر الأحاديث والتفاسير في هذا الأمر أن يعقوب
عليه السلام حرم لحوم الإبل وألبانها وهو يحبها تقربا بذلك إذ ترك الترفه والتنعم من القرب وهذا
هو الزهد في الدنيا وإليه نحا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله إياكم وهذه المجازر فإن لها ضراوة
كضراوة الخمر ومن ذلك قول أبي حازم الزاهد وقد مر بسوق الفاكهة فرآها فاشتهاها فقال موعدك
الجنة إن شاء الله ~ وقوله تعالى قل فأتوا بالتوراة فاتلوها الآية قال الزجاج وفي هذا تعجيز لهم وإقامة
الحجة عليهم ~ وقوله تعالى فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك أي من بعد ما بين لهم الحق وقيل
الحجة فهو الظالم وقوله قل صدق الله أي الأمر كما وصف الله سبحانه لا كما تكذبون فاتبعوا
ملة إبراهيم فاتبعوا ملته على ما ذكر الله ~ وقوله تعالى إن أول بيت وضع للناس للذي
ببكة الآية لا خلاف أن إبراهيم وضع بيت مكة وإنما الخلاف هل هو أول وضع بناء أو وضع تخصيص
قال البغوي يحتمل أوليته في الوضع والبناء ويحتمل أوليته في كونه مباركا وهذا تفصيل للمعنى في
الآية اه قال ابن العربي في أحكامه وكون البيت الحرام مباركا قيل إن كثرة ثواب الأعمال هناك وقيل
ثواب قاصده وقيل أمن الوحش فيه وقيل عزوف النفس عن الدنيا عند رؤيته قال ابن
العربي والصحيح عندي أنه مبارك من كل وجه من وجوه الدنيا والآخرة وذلك بجميعه
موجود فيه اه قال مالك بلغني أن الغاية من العقبة بكة موضع البيت ومكة
غيره من المواضع قال ابن القاسم يريد القرية قلت قال ابن رشد في البيان أي ما كان
أخرج الله من قول نبيه جعلها قال الثعلبي بكة أي أول بيت وضع للناس للذي
ببكة مباركا وهو أيضا وضع بموضع الذي وقع فيه سواء من الفقه وقال
في مكة وهو الذي كتب إليه عنها وأبين له غير بطن مكة وذلك أنها كلها فيه الفقه
أي موضع البيت اه ~ وقوله تعالى فيه أي في البيت آيات بينات ذكر منها
قال ع والمترجح عندي أن المقام وأمن الداخل جعلا مثالا مما في حرم الله من الآيات
وخصا بالذكر لعظمهما ومقام إبراهيم هو الحجر المعروف قاله الجمهور وقال قوم

والبيت كله مقام ابراهيم وقال قوم الحرم كله مقام ابراهيم والصحيح في قول من يرى ان داخله آيات على البيت
في قول الجمهور ومجاهد على الحرم في قول من قال مقام ابراهيم هو الحرم وقوله كان آمنا قال الحسن
وغيره هذا وصف حال كانت في الجاهلية اذا دخل رجل الحرم فلا يعرض له جان في الاسلام فان
الحرم لا يمنع من حد من حدود الله وقال يحيى بن جعدة معنى الآية ومن دخل البيت كان آمنا
من النار وحكى النقاش عن بعض العباد قال كنت اطوف حول الكعبة ليلة فقلت يا رب انك
قلت ومن دخله كان آمنا فمما ذا هو آمن فسمعت مكلما يكلمني وهو يقول من النار
فنظرت وتأملت وما كان في المكان احد قال ابن العربي في احكامه وقول بعضهم ومن دخله كان
آمنا من النار لا يصح حمله على عمومه ولكنه ثبت انه من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه
كيوم ولدته امه والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة قاله كله رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقوله تعالى ولله على الناس حج البيت الآية هو فرض الحج في كتاب الله باجماع وقرأ
حمزة والكسائي وحفص عن عاصم حج البيت بكسر الحاء وقرأ الباقون بفتحها فبكسر
الحاء يريدون عمل سنة واحدة وقال الطبري هما لغتان الكسر لغة نجد والفتح لغة اهل
العالية وقوله تعالى من استطاع اليه سبيلا من في موضع خفض بدل من الناس وهو
بدل البعض من الكل وقال الكسائي وغيره هي شرط في موضع رفع بالابتداء والجواب
محذوف تقديره فعليه الحج ويدل عليه عطف الشرط الآخر بعده في قوله ومن كفر واسند الطبري
الى النبي صلى الله عليه وسلم قال من ملك زادا وراحلة ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا
وذهب جماعة من العلماء الى ان قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا كلام عام لا يتفسر بزاد
وراحلة ولا غير ذلك بل اذا كان مستطيعا غير شاق على نفسه فقد وجب عليه الحج
والمعنى عن مالك في سماع اشهب وقال ذلك اصبغ في هذا الحديث قال ابن عطية وهذا اقبل
الاقوال وهذه من الامور التي يتصرف فيها فقه الحال والتخمين في المسافر على البيت
ويتعين الحج وقوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين قال ابن عباس وغيره
المعنى من زعم ان الحج ليس بفرض عليه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما نزلت الآية
قال رجل من هذيل يا رسول الله من كفر قال النبي صلى الله عليه وسلم من تركه لا يخاف عقوبته ومن حجه ترك
لا يرجو ثوابه فهو ذلك وقال معنى هذا الحديث ابن عباس وغيره وقال الشعبي وجماعة من اهل العلم معنى
الآية ومن كفر بان وجد ما يحج به ثم لم يحج قال السدي من كان بهذه الحال فهو كافر يعني كفر معصية والله

ان من

فتبين لتعدد الآية قال ابن عطية وهذا هو الاقوى والله اعلم اهـ

ان من انعم الله عليه بمال وصحة جسم ولم يحج فقد كفر النعمة وقال الضحاك وجماعة معنى الآية ومن كفر بالله
واليوم الآخر فقال الطبري والآية [illegible] حمله العموم على من كفر باعتقاد وجوب الحج [illegible] لعامل الآية
الحج فجمع النبي صلى الله عليه وسلم اهل الملل فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمن به المسلمون وكفرت به الملل
قوله تعالى غني عن العالمين الوعيد لمن كفر والقصد بالكلام فان الله غني عنه ولكن عم اللفظ ليبرع المعنى وتنتبه
الفكر على قدرته سبحانه وعظيم سلطانه واستغنائه من جميع خلقه سواه وقوله تعالى قل يا اهل الكتاب لم تكفرون
بآيات الله والله شهيد على ما تعملون هذه الآية توبيخ لليهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم والكفر
المتوجه عليهم بآيات الله يحتمل ان يريد القرآن ويحتمل ان يريد العلامات الظاهرة على يد النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى
والله شهيد على ما تعملون وعيد محض قال الطبري هاتان الآيتان من قل يا اهل الكتاب لم تكفرون والتي بعدها
وما بعدهما الى قوله ولهم عذاب عظيم نزلت بسبب رجل من اليهود حاول الاغراء بين الاوس والخزرج قال
ابن اسحاق حدثني الثقة عن زيد بن اسلم قال مر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا قد عسا في الجاهلية عظيم الكفر
شديد الضغن على المسلمين والحسد لهم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاوس والخزرج وهم في
مجلس يتحدثون فغاظه ما راى من جماعتهم وصلاح ذات بينهم بعد ما كان بينهم من العداوة فقال قد اجتمع ملأ بني
قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمع ملأهم بها من قرار فامر شابا من يهود فقال اعمد اليهم واجلس معهم
وذكرهم يوم بعاث وما كان قبله من الحرب وانشدهم ما قالوه من الاشعار في ذلك ففعل الفتى فتكلم
القوم عند ذلك فتفاخروا وتنازعوا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب اوس بن قيظي من الاوس وجبار
ابن صخر من الخزرج فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان
وقالوا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة يريدون الحرة فخرجوا اليها وتحاور الناس على دعواهم التي
كانوا عليها في الجاهلية وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين فقال يا معشر
المسلمين الله الله أبدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم ووعظهم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان فالقوا
السلاح وبكوا وعانق الناس بعضهم بعضا من الاوس والخزرج وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
مطيعين فانزل الله في شأن ابن قيس وما صنع هذه الآية وقال الحسن وغيره نزلت في احبار اليهود
الذين يصدون المسلمين عن الاسلام ويقولون ان محمدا ليس بالموصوف في كتابنا قال ابن عطية ولا شك في وقوع
هذين السببين وما شاكلهما من اقوال اليهود وافعالهم فنزلت الآية في جميع ذلك ومعنى تبغونها
تطلبون لها عوجا والعوج الاعوجاج والانفساد والشهداء جمع شاهد اي شهداء على ما في التوراة من صفة
النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه ونبوته وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا الآية

خطابا على وجه التوبيخ للمؤمنين وما أشار به نزلت الطائفة في وقت ولد إلى الأوس والخزرج بسبب ما فعل شاس بن قيس قال ع
وقوله تعالى يردوكم بعد إيمانكم كافرين ذلك يعني بعيد من العود من الإسلام إلى الكفر والثاني الكفر بن كقوله

فرد شعورهن السود بيضا ... ورد وجوههن البيض سودا

اه ويعتصم معناه يتمسك وعصم الشيء إذا امتنع وحمي ومنه قوله يعصمني من الماء ... العافية بعض
وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن مسعود حق تقاته هو أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر
فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر وكذلك عبر الربيع بن خثيم وقتادة والحسن وقالت فرقة نزلت الآية على
عموم لفظها من لزوم غاية التقوى حتى لا يقع إخلال في شيء من الأشياء ثم نسخ ذلك بقوله تعالى
فاتقوا الله ما استطعتم وبقوله لا يكلف الله نفسا إلا وسعها وقالت جماعة لا نسخ هنا وإنما المعنى
اتقوا الله حق تقاته فيما استطعتم وهذا هو الصحيح وخرج الترمذي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه
وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الأرض لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه قال أبو عيسى هذا
حديث حسن صحيح اه من الجامع الكبير اه وقوله تعالى ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون معناه دوموا على الإسلام
حتى يوافيكم الموت وأنتم عليه وفي هذه الآية معنى الاستعارة قال ابن مسعود حبل الله الجماعة وروى أنس بن
مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتي ستفترق
على اثنين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة فقيل يا رسول الله وما هذه الواحدة فقبض يده وقال
الجماعة وقرأ واعتصموا بحبل الله جميعا وقال قتادة وغيره حبل الله الذي أمر بالاعتصام به هو القرآن وروى
أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد هو الإسلام وقيل غير هذا مما هو كله قريب بعضه
من بعض قوله تعالى ولا تفرقوا يريد التفرق الذي لا يتأتى معه الائتلاف كالتفرق بالفتن والافتراق في العقائد
وأما الافتراق في مسائل الفروع والفقه فليس يدخل في هذه الآية بل ذلك هو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم
خلاف أمتي رحمة وقد اختلف الصحابة في الفروع أشد اختلاف وهم يد واحدة على كل كافر وقوله تعالى واذكروا
نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم هذه الآية تدل على أن الخطاب إنما هو للأوس والخزرج
كما تقدم وكانت العداوة قد دامت بين الحيين مائة وعشرون سنة حتى رفعها الله بالإسلام فجاء النفر الستة
من الأنصار إلى مكة حجاجا فعرض النبي صلى الله عليه وسلم نفسه عليهم وتلا عليهم القرآن كما كان يصنع
مع قبائل العرب فآمنوا به وأراد الخروج معهم فقالوا يا رسول الله إن قدمت بلدنا على ما بيننا من العداوة والحرب
خشينا ألا يتم ما نريد منك ولكن نرجع ونشيع أمرك ونداخل الناس وموعدنا وإياك العام القابل فكانت العقبة

الثانية

الثانية وكانوا اثني عشر رجلا فيهم خمسة من الستة الأولين ثم جاء ومن العام الثالث فكانت بيعة
العقبة الكبرى إذ حضرها سبعون وفيهم اثنا عشر نقيبا ووصف القصة مستوعب في السير ويسر
الله تعالى الأنصار للإسلام بوجهين أحدهما أن بني إسرائيل كانوا مجاورين لهم وكانوا يقولون لهم
لم يتوعدونهم من العرب ببعث نبي الآن قد أظل زمانه فنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم فلما رأوا النفر من الأنصار النبي صلى
الله عليه وسلم قال بعضهم لبعض هذا والله النبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه والوجه
الثاني الحرب التي كانت أفنت سراتهم وأفنت سن القوم في جوانب يجمع الله به وكان الأمر كما رجوا فعدد الله تعالى
سبحانه نعمه عليهم في تأليفهم بعد العداوة وذكرهم بها قال العلماء كانت الأنصار قبل الإسلام أعداء فجمعهم
الله بالإسلام وصاروا إخوانا لله متحابين واعلم أن من كان وجهه الدنيا كان معاديا لأكثر الخلق ومن
كان وجهه إلى خدمة المولى سبحانه لم يكن معاديا لأحد لأنه يرى الكل أسيرا في قبضة القضاء والقدر ولهذا
قيل إن العارف إذا أمر أمر برفق ونصح لا بالعنف والتعيير وهو مستبصر بسر الله في القدر اه وقوله تعالى
وأصبحتم عبارة عن الاستمرار قال ع أصبح تستعمل للإعلام بالموصوف بصفته ووقت الصباح بل تطلق
للانتقال والتصيير ورده من حال إلى حال وأصبح هنا بمعنى صار وما ذكره ع من أن أصبح للاستمرار لم يعرج عليه
أحد من النحويين اه قلت وفي ادعاء هذا نظر وهي ثابتة عن بعض كلام ع واضح من جهة المعنى والشفا
حرف كل جرم له مهوى كالحفرة والبئر والجرف والسقف والجدار ونحوه ويضاف في الاستعمال إلى الأعلى كقوله
شفا جرف وإلى الأسفل كقوله شفا حفرة فشبه الله كفرهم الذي كانوا عليه وأقرب حالهم كانوا
يسقطون في جهنم دأبا إذ أنقذهم الله بالإسلام وقوله تعالى فأنقذكم منها أي من النار ويحتمل من الحفرة
وما أريد الحسن قال العبادي أنقذكم أي خلصكم اه وقوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير أمر
الله تعالى الأمة بأن يكون منها علماء يفعلون هذه الأفعال على وجوهها ويحفظون قوانينها
ويكون سائر الأمة متبعين لأولئك إذ هذه الأفعال لا تكون إلا بعلم واسع وقد علم الله سبحانه أن
الكل لا يكون عالما فمن هنا للتبعيض وهذا هو تأويل الطبري وغيره وذهب الزجاج وغير واحد
إلى أن المعنى ولتكونوا كلكم أمة يدعون ومن لبيان الجنس ومعنى الآية على هذا أمر الأمة بأن يكونوا
يدعون جميع العالم إلى الخير فيدعون الكفار إلى الإسلام ويدعون العصاة إلى الطاعة ويكون كل واحد في
هذه الأمور على منزلته من العلم والقدرة وروى الليث بن سعد قال حدثني محمد بن عجلان وارد
عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ليوقفن رجال يوم القيامة ليسوا بأنبياء ولا
شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لمنازلهم من الله يكونون على منابر من نور قالوا ومن هم يا رسول الله قال

قال هم الذين يحببون الله الى الناس ويحببون الناس الى الله ويمشون لله في الارض نصحا قلنا يا رسول الله
هذا الذين يحببون الله الى الله قال يامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فاذا اطاعوهم احبهم الله تعالى اه
من التذكرة للقرطبي قال ع قال اهل العلم وفرض الله سبحانه بهذه الاية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو
من فروض الكفاية اذا قام به قائم سقط عن الغير وقال النبي صلى الله عليه وسلم من راى منكم منكرا فليغيره بيده
فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان والناس في الامر بالمعروف وتغيير المنكر
على مراتب ففرض العلماء فيه تنبيه الولاة وحملهم على جادة العلم وفرض الولاة تغييره بقوتهم وسلطانهم
ولهم هي اليد وفرض سائر الناس رفعه الى الولاة والحكام بعد النهي عنه قولا وهذا في المنكر الذي
له دوام واما ان راى احد نازلة بديهة من المنكر كالسلب والزنا ونحوه فيغيره بنفسه بحسب الحال والقدرة
ويحسن لكل مومن ان يغير وان يغير المنكر وان ناله بعض الاذى ويويد هذا المنزع ان في قراءة عثمان وابن
مسعود وابن الزبير يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما اصابهم فهذا وان لم
يثبت في المصحف ففيه اشارة الى التعرض لما يصيب عقب الامر والنهي كما هي في قوله وامر بالمعروف وانه
عن المنكر واصبر على ما اصابك وقوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الاية قال ابن عباس اشارة الى الا
من المتفرقة من الامم مثل الذين جا هلك الله بالاختلاف وقال الحسن اشارة الى اليهود والنصارى قلت
وروى ابو داود في سننه عن معاوية بن ابي سفيان قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان من قبلكم من اهل
الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان
وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة وروى ابو هريرة نحوه ولم يذكر النار اه وقوله تعالى يوم
تبيض وجوه وتسود وجوه الاية بياض الوجوه عبارة عن اشراقها واستنارتها وبشرها برحمة الله
قاله الزجاج وغيره وقوله تعالى اكفرتم تقرير وتوبيخ متعلق بمحذوف تقديره فيقال لهم اكفرتم وفي هذا
المحذوف هو جواب اما وهذا هو فحوى الخطاب وهو ان يكون في الكلام شي مقدر يستغني المعنى عنه كقوله
تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر المعنى فافطر فعدة وقوله تعالى بعد ايمانكم يقتضي ان
لهولاء المذكورين ايمانا متقدما واختلف اهل التاويل في تعيينهم فقال ابي بن كعب هم جميع الكفار وايمانهم
هو اقرارهم يوم قيل لهم الست بربكم قالوا بلى وقال اكثر المتاولين انما عني اهل القبلة من هذه
الامة ثم اختلفوا فقال الحسن الاية في المنافقين وقال قتادة هي في اهل الردة وقال ابو امامة هي في الخوارج
وقوله تعالى تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق الاشارة بتلك الى هذه الايات المتضمنة تعذيب الكفار

وتنعيم المومنين

وتنعيم المومنين ولما كان في هذا ذكر التعذيب اخبر سبحانه انه لا يريد ان يقع منه ظلم لاحد من العباد واذا لم يرد
ذلك فلا يوجد البتة لانه لا يقع من شي الا ما يريد سبحانه وتعالى وقوله بالحق معناه بالاخبار الحق ويحتمل ان
يكون المعنى نتلوها عليك مضمنة الافعال التي هي حق في تنعيم من كان اهل فوز وتعذيب من اجرم ولما كان
للظن ان يقع في هذا الوجه الذي يخص الله قوما بعذاب لجرمهم من اجرامهم ولا يحمل يعذبهم عليه ذكر سبحانه
الحجة القاطعة في ملكه جميع المخلوقات وان الحق لا يعترض عليه وذلك في قوله ولله ما في السموات وما في
الارض الاية وقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس اختلف في تاويل الاية وقيل ان هذه في الصحابة وقال الحسن
ابي الحسن وجماعة من اهل العلم دلالة خطاب لجميع الامة بانهم خير امة اخرجت للناس ويويد هذا التاويل
كونهم شهداء على الناس واما قوله كنتم على صيغة المضي فانها التي بمعنى الدوام كما قال وكان الله غفورا رحيما
وقال قوم المعنى كنتم في علم الله وهذه الخيرية التي خص الله بها هذه الامة انما يأخذ بحظه منها من عمل بهذه
الشروط من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان بالله وقد جاء في فضل هذه الامة ما خرجه مسلم
في صحيحه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضي
لهم قبل الخلائق وفي رواية المقضي بينهم اه وخرج ابن ماجه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن اخر
الامم واول من يحاسب يقال اين الامة الامية ونبيها فنحن الاخرون الاولون وفي رواية عن ابن عباس فتفرج لنا الامم
عن طريقنا فنمضي غرا محجلين من اثار الطهور فتقول الامم كادت هذه الامة ان تكون انبياء كلها وخرج
ايضا ابو داود الطيالسي في مسنده اه من التذكرة وروى ابو داود في سننه قال حدثنا عثمان بن ابي شيبة
عن ابيه عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتي هذه امة مرحومة ليس عليها عذاب في الاخرة
عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل اه وقد ذكرنا هذا الحديث ايضا عن غير ابي داود وهذا الخبر انما ليس
هو على عمومه في جميع الامة لثبوت الوعيد في طائفة من العصاة اه وقوله يامرون بالمعروف وما بعده
احوال في موضع نصب وفي الحديث خير الناس اتقاهم لله وامرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واوصلهم
للرحم رواه البغوي في مختصره اه من الكوكب الدري وقوله تعالى منهم المومنون كعبد الله بن سلام
واخيه وثعلبة بن سعية وغيرهم ممن امن وقوله تعالى لن يضروكم الا اذى اي لا اذى بالسنة فحسب واخبر
سبحانه في قوله وان يقاتلوكم يولوكم الادبار بحكم غيب صحح الوجود فيما بين الديانات في حياة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وما بعد المعنى هو في قوله ثم لا ينصرون اي لا تكون حرب اليهود معكم سجالا وحظا ولا دبار والادبار دون
الظفر تخسيسا للكفار وهكذا هو حيث تعرض وقوله تعالى ضربت معناه اثبتت بشدة والتزامهم وهذا
وصف حال تقررت على اليهود في اقطار الارض قبل مجي الاسلام وثقفوا معناه اخذوا الحال المذنب

والمستيقظ للصلاة وقوله آناء الليل من أنث في الكلام محذوفا يدل عليه التضامن تقديره ولا يخلو أحد من الفضل والحا
ورا ستحال آناء الليل وهو العهد وعمر الله بان يسلموا وعمر المؤمنين بان يؤدوا الحق إليه أو يؤمنوا وقوله
ذلك إشارة إلى الغضب وما ذكر من الذلة والمسكنة وباء بما تقدم تفسيره وقوله تعالى ليسوا سواء
الآية قال ابن عباس رضي الله عنه لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية ومن أسلم
من اليهود معهم قال الكفار من أحبار يهود ما آمن بمحمد إلا شرارنا ولو كانوا خيارا ما تركوا دين آبائهم فأنزل
الله سبحانه ليسوا سواء الآية وقال مثله قتادة وابن جريج وهذا الذي اختاره وبلت في الآية واختلف
في قوله قائمة فقال ابن عباس وغيره معناه قائمة على كتاب الله وحدوده مهتدية وقال السدي القائمة القانتة
المطيعة وهذا كله يرجع إلى معنى واحد وتحمل الآية أن تكون صفة حال التلاوة والدعاء وإناء الليل ومن كانت
حالته هذه فلا محالة أنه مقبل على أمر الله وإرادة الله في هذه الآية كتبه ورسله والقيام
واحدها أنى بكسر الهمزة وسكون النون وحكى هذه اللغة أيضا في شعر بان يكون كل واحد على جميع
ساعات الليل وإنما يقوم هذا الأمر من جماعة الأمة إذ بعض الناس يقوم أول الليل وبعضهم آخره وبعضهم
بعد هجعة ثم يعود إلى نومه فيأتي من مجموع الأمة في العرف إحياء ساعات الليل بالقيام وهكذا
كان صدر هذه الأمة وعرف الناس القيام في أول الثلث الأخير من الليل وما يليه وحيث كان يقوم
وهي الآن والقيام طول الليل فالليل وقد كان في الصالحين من يلتزمه وقد ذكر الله سبحانه القصص من ذلك
في سورة المزمل وقيام الليل لقراءة العلم المبتغى به وجه الله داخل في هذه الآية وهو أفضل من التنفل لمن
يرجى انتفاع المسلمين بعلمه قلت وقد تقدم أول السورة ما جاء من التلاوة في جوف الليل والسحر
وما رود في تكراره ثم وقيه من الفضل روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى
كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني
فأغفر له رواه الجماعة أصحاب الكتب الستة البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه
وفي بعض الروايات حتى يطلع الفجر زاد ابن ماجه فلذلك كانوا يستحبون صلاة آخر الليل على أوله وعن عمرو بن عبسة
أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فإن استطعت
أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن رواه أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم في المستدرك واللفظ
للترمذي وقال حسن صحيح وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم اهـ من السلاح وعن أبي أمامة قلت يا رسول الله أي
الدعاء أسمع قال جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبة رواه الترمذي والنسائي قال الترمذي هذا حديث
حسن وفي رواية جوف الليل الآخر الدعاء فيه ونحو هذا اهـ من السلاح ومما يدخل في ضمن قوله تعالى ويسارعون

في الخيرات

في الخيرات أن يكون لهم مغتنما للفرص قال النبي صلى الله عليه وسلم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك
وصحتك قبل سقمك ومن الخ قبل شغلك وحياتك قبل موتك وغناك قبل فقرك فيكون متى أراد أن
يصنع خيرا بادر إليه ولم يسوف نفسه بالأمل فهذه أيضا مسارعة في الخيرات وذكر بعض الناس قال دخلت
مع بعض الصالحين في مركب فقلت له ما تقول أصلحك الله في الصوم في السفر فقال لي إنها المبادرة يا ابن أخي قال
المحدث وهذا والله جواب ليس من أجوبة الفقهاء قال ص قوله من الصالحين للتبعيض ع ويحتمل أيضا أن
تكون لبيان الجنس ويحتمل أنه لم يتقدم شيء يبين به إبهام فيبين جنسه اهـ قوله تعالى وما تفعلوا من خير فلن
تكفروه أي فلن يعطل دونه فلا تثابون عليه وفي قوله تعالى والله عليم بالمتقين وعد ووعيد قوله تعالى مثل
ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح الآية وقع في هذه الآية التشبيه بين شيئين وشيئين ذكر من كل منهما
ما ذكر على الكلام وهذه عادة بلغاء العرب والعلماء وجمهور المفسرين أي ينفقون يريدون الأموال التي كانوا
ينفقون في التجارة أي لتحصيل كل ما يعني يبطل التحاد(؟) الزرع والصر البرد الشديد المحرق لكل ما يهب والجمهور
على أن اللفظ والصر والتمار وقوله تعالى ظلموا أنفسهم قيل على أهل العلم من حرث الكفار لما ظلموا الآية أيضا
وقيل معنى ظلموا أنفسهم في ذلك من عمل ما لا يرتضيه الشرع أي فيستفيد ما فوقهم أي كل حرث الظلمة إنما هو من
قطع نفسه والظلم في قوله وما ظلمهم الله للكفار الذين تقدم ذكرهم في ينفقون والظلم هو للقوم ذوي الحرث وقوله
تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة أي لا تتخذوا من الكفار واليهود والمنافقين أخلاء تأنسون بهم في الباطن
وتفاوضونهم في الآراء قوله من دونكم يعني من دون المؤمنين قوله لا يألونكم خبالا معناه لا يقصرون لكم
فيما فيه فساد عليكم تقول ما ألوت في كذا أي ما قصرت بل اجتهدت قال ابن عباس كان رجال من المؤمنين يواصلون
رجالا من اليهود للحلف والجوار الذي كان بينهم في الجاهلية فنزلت الآية في ذلك وقال أيضا ابن عباس وقتادة
والربيع والسدي في المنافقين قال ع ويدخل في هذه الآية استكتاب أهل الذمة وتصريفهم في البيع
والشراء ونحو ذلك وما في قوله ما عنتم مصدرية فالمعنى ودوا عنتكم والعنت المشقة والمكروه يلقاه المرء
وعقبة عنوة أي شاقة قال ص قال الزجاج عنتم أي مشقتكم وقال ابن جرير ضلالكم وقال الزمخشري العنت الهلاك
اهـ وقوله تعالى قد بدت البغضاء من أفواههم أي بدت من أفواههم مع الشتم الذي فيه البغضاء بينهم وحكم سبحانه بما
هو أشد فيما بالأفكار وفيه السنة إشارة إلى تشتيتهم وتوهين أمرهم في أقوالهم هذه ثم قال سبحانه قد بينا لكم الآيات
لعلكم تعقلون تحذيرا وتنبيها وقد علم سبحانه أنهم عقلاء لكن هذا أهل المتنوسر كما تقول إن كنت رجلا
فافعل كذا وكذا وقوله تعالى ها أنتم أولاء تحبونهم الضمير في تحبونهم للذين تقدم ذكرهم في قوله بطانة من دونكم
قال ص وتؤمنون بالكتاب كله قال أبو البقاء الكتاب هنا جنس أي بالكتب كلها اهـ وقوله تعالى عضوا عليكم الأنامل
من الغيظ عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه ومنه قول أبي طالب يعضون غيظا خلفنا بالأنامل

قوله تعالى قل موتوا بغيظكم قال فيه الطبري وكثير من المفسرين هو دعاء عليهم وقال قوم امر النبي صلى
الله عليه وسلم وامته ان يواجهوهم بهذا فعلى هذا زال معنى الدعاء وبقي معنى التقريع وقوله تعالى ان
الله عليم بذات الصدور وعيد وذات الصدور ما تنطوي عليه وقوله تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم
الاية الحسنة والسيئة في هذه الاية لفظ عام في كل ما يحسن ويسيء قلت ويجب على المؤمن ان يجتنب هذه
كما خلاف الاوصاف وروينا في كتاب الترمذي عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تظهر
الشماتة لاخيك فيرحمه الله ويبتليك اه والكيد الاحتيال بالباطل وقوله تعالى والله بما يعملون محيط انما هي تسمية
للعقوبة باسم الذنب وقوله تعالى واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال هذه الاية عتب للمؤمنين
في امر احد وقصته انه هذه الاية كلها وكان من غزوة احد ان المشركين اجتمعوا في ثلاثة الاف رجل وقصدوا
المدينة ليأخذوا بثأرهم في يوم بدر فنزلوا عند احد يوم الاربعاء الثاني عشر من شوال سنة ثلاث من الهجرة
على راس احد وثلاثين شهرا من الهجرة واقاموا هنالك يوم الخميس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يدبر
وينتظر امر الله سبحانه فلما كان في صبيحة يوم الجمعة جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس واستشارهم
واخبرهم انه كان رأى في منامه بقرا تذبح وثلما في ذباب سيفه وانه ادخل يده في درع حصينة وانه تأولها المدينة
وقال لهم اري ان لا نخرج الى المدينة هؤلاء الكفار فقال له عبد الله بن ابي بن سلول اقم يا رسول الله ولا تخرج اليهم بالناس
فانهم ان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا علينا المدينة قاتلهم الرجال في وجوههم في الابنية
ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من الاطام فوالله ما حاربنا عدو قط في هذه المدينة الا غلبناه وسار
معه جماعة الى هذا الراي اي راي النبي صلى الله عليه وسلم وراى جماعة عظيمة من المهاجرين
والانصار وقال قوم من صلحاء المؤمنين ممن فاتته بدر يا رسول الله اخرج بنا الى عدونا وشجعوا الناس
ودعوا الى الحرب فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس صلاة الجمعة وقد حضهم هؤلاء الداعون الى
الحرب فدخل اثر صلاته بيته ولبس سلاحه فندم اولئك القوم وقالوا اكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خرج
عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في سلاحه قالوا يا رسول الله اقم ان شئت فانا لا نريد ان نكرهك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لنبي اذا لبس سلاحه ان يضعها حتى يقاتل ثم خرج بالناس وسار حتى قرب من
عسكر المشركين هنالك وبات تلك الليلة وقد غضب عبد الله بن ابي بن سلول وقال اطاعهم وعصاني فلما
كان في صبيحة يوم السبت اعتزم النبي صلى الله عليه وسلم على المسير الى مناجزة المشركين فنهض وهو في
الف رجل فانخزل عنه عبد الله بن ابي بن سلول بثلاثمائة رجل من منافق ومتبع وقالوا [illegible] لما نعلم قتالا
ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعمائة فهمت طائفتان بنو حارثة من الاوس وبنو
سلمة من الخزرج بالانصراف وراوا كثافة المشركين وقلة المسلمين وكادوا ان يجبنوا ويفشلوا فعصمهم الله تعالى
ودعا

وقوى بعضهم بعضا ونهضوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى اطل على المشركين فتصاف الناس وكان النبي
صلى الله عليه وسلم قد امر على الرماة عبد الله بن جبير وكانوا خمسين رجلا وجعلهم يحمون الجبل وراء المسلمين
واسند هو الى الجبل فلما التقى الجمعان انكشف المشركون وانهزموا وجعل نساء المشركين يشتددن في
الجبل وقد رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن فجعل الرماة يطلب الغنيمة الغنيمة وكان النبي صلى الله عليه
وسلم قد قال لهم لا تبرحوا من هنا ولو رأيتمونا تخطفنا الطير فقال لهم عبد الله بن جبير وقوم منهم
اتقوا الله واثبتوا لما امركم نبيكم فعصوا وخالفوا وانهزموا الى جهة الغنائم وخلوا ظهور المسلمين
للخيل وجاء خالد بن الوليد في خيل من خلف المسلمين حيث كان الرماة فحمل على الناس ووقع القتل واصيب
المسلمون من مقدمتهم ومن ساقتهم ووصل خارج فنال محمد صلى الله عليه وسلم فتفرق الناس واستشهد من المسلمين
سبعون ونجا رسول الله صلى الله عليه وسلم في اعلى الجبل وفاء الناس هنالك ومنهم من الفضة [illegible] بن كعب
عليه تقصيص وايات وامور مستوعبة في السير وليس هذا التعليق مما يقتضي ذكرها وتبوئ معناه
تعين لهم مقاعد يتمكنون فيها ويثبتون وقوله سبحانه مقاعد جمع مقعد وهو مكان القعود وهذا بمنزلة
قولك مواقف ولكن لفظة القعود ادل على الثبوت ولا سيما ان الرماة انما كانوا قعودا وكذلك كانت صفوف
المسلمين اولا والمبارزة والسرعان يجولون وقوله تعالى والله سميع عليم اي سميع لما تقولونه عليم بما في قلوبكم من المشاورة
وغيرها وهمت معناه ارادت ولم تفعل والعامل في اذ في هذا الموضع هو العامل الذي كان يعمل في تبوئ في البخاري
وغيره عن جابر قال فينا نزلت هذه الاية اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا بني سلمة من الخزرج وبني حارثة من الاوس
وما احب انها لم تنزل والله يقول والله وليهما وقوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة امر الله تعالى
بالتوكل عليه ذكر بامر بدر الذي كان فيه ثمرة التوكل على الله سبحانه والثقة به وقوله تعالى وانتم اذلة
معناه قليلون وانتم اذلة في هذا الموضع مستعار اذ نسبتهم الى عدوهم والى جميع الكفار في اقطار الارض
تقتضي عند التأمل ذلتهم وانهم مغلوبون وروي ان عدد اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلاثمائة وبضعة
عشر فقال صلى الله عليه وسلم اللهم انهم حفاة فاحملهم اللهم انهم عراة فاكسهم اللهم انهم جياع فاشبعهم ففتح
الله عليهم يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رجل الا وقد رجع بجمل او جملين واكتسوا وشبعوا رواه
ابو داود والحاكم في المستدرك واللفظ له وقال صحيح على شرط الشيخين اه من السلاح وقوله
تعالى اذ تقول للمؤمنين العامل في اذ فعل مضمر ويحتمل ان يكون العامل نصركم وعلى هذا قول الجمهور ان هذا القول
من النبي صلى الله عليه وسلم كان ببدر قال ابن عباس وغيره لم تقاتل الملائكة في يوم من سائر الايام الا يوم بدر وكانت
يكونون في سائر الايام عددا ومددا لا يضربون قال الشعبي وحميد بن [illegible] وعد المسلمين الى يوم

الى يوم القيامة قال قتادة امد الله المؤمنين يوم بدر بخمسة آلاف قال عكرمة كان الوعد يوم بدر فلم يصبروا يوم
احد ولم يتقوا فلم يمدوا ولو مدوا لم يهزموا وقال الضحاك بن مزاحم كان هذا الوعد والمقالة للمؤمنين يوم احد ففر الناس
وولوا مدبرين فلم يمدهم الله وانما مدوا يوم بدر بالف من الملائكة مردفين والفور النهوض المسرع الى الشيء
مأخوذ من فور القدر والماء ونحوه ومنه الفور في الحج والوضوء ومسومين معناه معلمين بعلامات وروي ان
الملائكة اعلمت يوم بدر بعمائم بيض الا جبريل فانه كان بعمامة صفراء على مثال عمامة الزبير بن العوام
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للمسلمين يوم بدر سوموا فان الملائكة قد سومت وقوله سبحانه وما
جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم الضمير في جعله عائد
على الانزال والامداد ومعنى الآية وما كان هذا الامداد الا لتستبشروا به وتطمئن به قلوبكم وتروا
حماية الله لكم والا فالكثرة لا تغني شيئا الا ان ينصر الله واللام في قوله ليقطع متعلقة بقوله وما
النصر ويحتمل ان تكون متعلقة بجعله ويكون قطع الطرف المشار اليه من قتل ببدر على قول ابن اسحاق
وغيره او الى من قتل باحد كما قال السدي وقتل من المشركين يوم بدر سبعون وقتل منهم يوم احد اثنان
وعشرون رجلا والطرف الفريق وقوله تعالى او يكبتهم معناه يخزيهم والكبت الصرع لليدين وقال ص
الكبت الهزيمة وقيل الصرع للوجه اه وقوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم روي في سبب هذه
الآية انه لما هزم اصحابه صلى الله عليه وسلم وشج وجهه وكسرت رباعيته وجعل يمسح الدم ويقول كيف يفلح
من فعلوا هذا بنبيهم وفي بعض طرق الحديث كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى الله فنزل
ليس لك من الامر شيء اي عواقب الامور بيد الله فامض انت لشانك ودم على الدعاء الى ربك قلت وقد فعل
ذلك صلى الله عليه وسلم ممتثلا امر ربه قال عياض روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج
وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه وقالوا لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة
اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه بابي
يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا لهلكنا من عند
آخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم
لا يعلمون اه قال الطبري وغيره من المفسرين ويتوب عطف على يكبتهم والمعنى او يتوب عليهم فيسلمون او
يعذبهم ان تمادوا على كفرهم فانهم ظالمون ثم اكد سبحانه معنى قوله ليس لك من الامر شيء بذكر الحجة
الساطعة في ذلك وهي ملكه الاشياء فقال سبحانه ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من
يشاء اي ملك سبحانه ان يفعل بحق ملكه ما يشاء لا اعتراض عليه ولا معقب لحكمه وذكر سبحانه ان الغفران

والتعذيب

والتعذيب انما هو بمشيئته وحسب السابق في علمه ثم رجى سبحانه بقوله والله غفور رحيم تأنيسا للنفوس وقوله سبحانه
يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة قال ع هذا النهي عن اكل الربوا اعترض اثناء قصة
احد ولا احفظ في سببه ذلك مرويا ومعناه الربا الذي كانت العرب تضعف فيه الدين وقد تقدم الكلام على الربا في
سورة البقرة وقوله تعالى اعدت للكافرين اي انهم المقصود والمراد الاول وقد يدخلها سواهم من العصاة هذا
مذهب اهل السنة في هذه الآية وحكى الماوردي وغيره عن قوم انهم ذهبوا الى ان اكلة الربا انما توعدهم الله
بنار الكفرة لا بنار العصاة وقوله سبحانه واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون قال ابن اسحاق هذه الآية
من قوله تعالى واطيعوا الله هي ابتداء المعاتبة في امر احد وانهزام من فر وزوال الرماة عن مراكزهم وقوله تعالى
سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض في احد قراءتي ابن عباس سارعوا بغير واو وكذلك
هي في مصاحف اهل المدينة والشام ومن اثبت الواو جاء بها عطفا والمسارعة المبادرة وهي مفاعلة اذ
الناس كان كل احد يسارع ليصل قبل غيره فبينهم في هذا مفاعلة الا ترى الى قوله تعالى فاستبقوا الخيرات
والمعنى سارعوا بالطاعة والتقوى والتقرب الى ربكم الى حال يغفر الله لكم فيها قلت وحق لكل
مؤمن عاقل ... ان يبادر ويسارع الى ما قدم العبد ربه ... في تعطيل الاوقات في الشرع
قال النووي رحمه الله اعلم انه ينبغي لمن بلغه شيء من فضائل الاعمال ان يعمل به ولو مرة ليكون من اهله ولا
ينبغي ان يتركه مطلقا بل يأتي بما تيسر منه لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته واذا امرتكم بشيء
فافعلوا منه ما استطعتم اه من الحلية وقوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض اي كعرض السموات
قال ابن عباس في تفسير الآية تقرن السموات والارض بعضها الى بعض كما تبسط الثياب فذلك عرض
الجنة ولا يعلم طولها الا الله سبحانه وفي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ان بين المصراعين
من ابواب الجنة مسيرة اربعين سنة وسياتي عليها يوم وهي ... رحمة الله ... فاذا كانت ...
... وفي الصحيح ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وهذا كله يقوي قول ابن عباس
وهو قول الجمهور ان الجنة اكبر من هذه المخلوقات المذكورة وهي ممتدة على السماء حيث شاء الله تعالى وذلك لا
ينكر فان في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع والارضون السبع في الكرسي الا كحلقة
ملقاة من الارض قال ع فهذه مخلوقات اعظم بكثير من السموات والارض وقدرة الله اعظم من ذلك كله قلت
قال الفخر وفي الآية وجه ثان ان الجنة خلقت لانه عرضها مثل عرض السموات والارض انما يكون ...
... يكون ملكا له ... تخصيص الجنة المذكورة لكل واحد ... وفضل الله تعالى اوسع
وفضله اعظم وفي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة في سؤال موسى ربه عن ادنى اهل الجنة

منزلة وانه رجل يأتي بعد ما يدخل أهل الجنة الجنة فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا فيقول
رضيت أي رب فيقال لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت أي رب فيقال لك
ذلك وعشرة أمثاله فيقول رضيت أي رب فيقال لك مع هذا ما اشتهت نفسك ولذت عينك قال أبو عيسى
هذا حديث حسن صحيح وفي البخاري من طريق ابن مسعود رضي الله عنه أن آخر أهل الجنة دخولا الجنة
وآخر أهل النار خروجا من النار رجل يخرج حبوا فيقول له ربه ادخل الجنة فيقول رب الجنة ملأى فيقال له
إن لك مثل الدنيا عشر مرات اهـ وفي جامع الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم
على الله تعالى من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية الحديث قال أبو عيسى وقد روي هذا الحديث من غير
وجه مرفوعا وموقوفا وفي الصحيح ما معناه إذا دخل أهل الجنة الجنة يبقى فيها فضلة فينشئ الله لها
خلقا أو كما قال اهـ قال ع وخص العرض بالذكر لأنه متى ذكر دل على الطول والطول إذا ذكر لا يدل على قدر العرض
بل قد يكون الطويل يسير العرض كالخيط ونحوه ثم وصف سبحانه المتقين الذين أعدت لهم الجنة بقوله ينفقون في
السراء والضراء أي في العسر واليسر قال ابن عباس علما أن مع العسر اليسر وسمي والكاظمين ومع
العسر اليسرى الجنة وضبط النفس وكظم الغيظ رده في الجوف إذا كاد أن يخرج من كثرته فضبطه ومنعه كظم له والكظام
السير الذي يشد به فم الزق والقربة والغيظ أصل الغضب وكثيرا ما يتلازمان ولذلك فسر بعض الناس الغيظ
بالغضب وليس تحرير الأمر كذلك بل الغيظ حال للنفس لا تظهر على الجوارح والغضب حال لها تظهر في الجوارح
وفعل ما ولا بد ولهذا جاز إسناد الغضب إلى الله سبحانه وهو عبارة عن أفعاله في المغضوب عليهم ولا
يسند إليه تعالى غيظ ووردت في كظم الغيظ وملك النفس عند الغضب أحاديث وذلك من أعظم العبادة وجهاد
النفس مع حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأه الله أمنا
وإيمانا إلى غير ذلك من الأحاديث إلى غير ذلك من الأحاديث قلت وروى أبو داود والترمذي عن
معاذ بن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق
يوم القيامة حتى يخيره في أي الحور شاء قال أبو عيسى هذا حديث حسن اهـ وفي رواية لأبي داود ملأه
الله أمنا وإيمانا ومن ترك لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه قال بشر أحسبه قال تواضعا كساه الله حلة الكرامة
وحدث الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كف غضبه كف الله
عنه عذابه ومن حفظ لسانه ستر الله عورته ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره اهـ من صفوة التصوف
والعفو عن الناس من أجل ضروب فعل الخير ثم قال سبحانه والله يحب المحسنين فعم أنواع البر وظاهر الآية

أنه

أنه مدح بفعل المندوب وقوله تعالى والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله الآية ذكر الله
سبحانه في هذه الآية صنفا هو دون الصنف الأول فألحقهم بهم برحمته ومنه وهم التوابون وروي في
سبب نزول هذه الآية أن الصحابة قالوا يا رسول الله كانت بنو إسرائيل أكرم على الله منا حين كان
المذنب منهم يصبح وعقوبته مكتوبة على باب داره وفي رواية أن الله أنزل هذه الآية توسعة ورحمة وعوضا من ذلك
الفعل ببني إسرائيل وروي أن إبليس بكى حين نزلت هذه الآية والفاحشة لفظ يعم جميع المعاصي وقد
كثر استعماله في الزنا حتى قال جابر بن زيد والسدي الفاحشة هنا الزنا وقال قوم الفاحشة هنا إشارة إلى الكبائر
وظلم النفس إشارة إلى الصغائر واستغفروا معناه طلبوا الغفران قال النووي وروينا في سنن ابن ماجه
بإسناد جيد عن عبد الله بن بسر بضم الباء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن وجد في صحيفته
استغفارا كثيرا اهـ من الحلية وذكروا الله معناه بالخوف من عقابه والحياء منه إذ هو المنعم المتطول
ثم اعترض في أثناء الكلام قوله تعالى ومن يغفر الذنوب إلا الله اعتراضا موقفا للنفس داعيا إلى الله تعالى
مرجيا عفوه ثم إذا رجع إليه وجاء اسم الله مرفوعا بعد إلا استثناء والكلام موجب حملا على المعنى
إذ هو بمعنى وما يغفر الذنوب إلا الله قال الشيخ علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال حدثني أبو بكر وصدق أبو
بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يذنب ذنبا فيقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر
الله إلا غفر له ثم قرأ هذه الآية رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه
وقال الترمذي واللفظ له حديث حسن اهـ من السلاح وقوله تعالى ولم يصروا والإصرار هو المقام على الذنب
واعتقاد العودة إليه وقوله وهم يعلمون قال السدي معناه وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا وقال ابن
إسحاق معناه وهم يعلمون بما حرمت عليهم وقيل وهم يعلمون أن باب التوبة مفتوح وقيل وهم يعلمون
أنه يعاقب على الإصرار ثم شكر سبحانه الطائفتين المذكورتين في قوله أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم الآية
قال ص وقوله ونعم المخصوص بالمدح محذوف أي المغفرة والجنة وقوله تعالى قد خلت من قبلكم سنن فسيروا
في الأرض الآية تعزية المخاطب للمؤمنين والمعنى لا يذهب بكم أن ظهر الكفار المكذبون عليكم فإن العاقبة للمتقين
وقديما أدال الله المكذبين على المؤمنين ولكن انظروا كيف هلك المكذبون بعد ذلك فكذلك تكون عاقبة هؤلاء
وقال النقاش المخاطبة بقد خلت للكفار قال ع وأهل اللغة فسروا قد خلت معناه مضت والسنن الطرائق قال ابن زيد
معناه أمثال وهذا تفسير لا يخص اللفظة وقوله فانظروا هو عند الجمهور من نظر العين وقال قوم هو بالفكر
وقوله تعالى هذا بيان للناس يريد به القرآن قاله الحسن وغيره وقال جماعة من المتأولين الإشارة إلى قوله تعالى
قد خلت من قبلكم سنن وقال الحسن يعني بقوله هذا بيان ما تقدم من أمره سبحانه ونهيه ووعده ووعيده

وذلك كله أنواع البليات وما جانس ذلك ثم نهى سبحانه المؤمنين عن الوهن وهو الضعف وآنسهم بأنهم الأعلون أصحاب
العاقبة ومن كرم الخلق أن لا يهن الإنسان في حربه إذا كان محقا وإنما يحسن الجنوح إلى السلم والرفق ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم المؤمن هين لين وقوله سبحانه وأنتم الأعلون إخبار بعلو كلمة الإسلام هذا قول الجمهور وهو ظاهر
اللفظ قال ع وأنتم الأعلون في موضع نصب على الحال وقوله سبحانه إن كنتم مومنين المقصود هز النفوس وإقامتها ويترتب
من ذلك الطعن على من نجم في ذلك اليوم نفاقه واضطرب يقينه أي لا يتحصل الوعد إلا بالإيمان فالزموه ثم قال
تعالى تسلية للمؤمنين إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله والأسوة مسلاة للبشر ومنه قول الخنساء

ولولا كثرة الباكين حولي … على إخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي ولكن … أعزي النفس عنه بالتأسي

والقرح القتل والجراح قاله مجاهد وغيره وقوله تعالى وتلك الأيام نداولها بين الناس أخبر سبحانه على جهة التسلية
أن الأيام على قديم الدهر وغابره أيضا إنما جعلها دولا بين البشر فلا تنكروا أن يدال عليكم الكفار وقوله تعالى وليعلم
الله الذين آمنوا التقدير وليعلم الله الذين آمنوا فعل ذلك والمعنى ليظهر في الوجود إيمان الذين قد علم أزلا أنهم يومنون
وإلا فقد علمهم في الأزل ويتخذ منكم شهداء معناه أهل فوز في سبيله حسبما ورد في فضائل الشهداء وذهب كثير
من العلماء إلى أن التمحيص هنا للمومنين بالنقص وعن ذلك الكافرين بالإهلاك وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في
ذلك الحديث أنه ... كما ينقص الورق والتمحيص التخليص قال الخليل التمحيص التخليص من العيب فتمحيص
المومنين هو تنقيتهم من الذنوب والمحق الإذهاب شيئا فشيئا ومنه محاق القمر وقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا
الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين أم أيضا حسبتم معناه ظننتم وهذه الآية وما
بعدها عتب وتقريع لطوائف من المومنين الذين وقعت منهم الهفوات المشهورة في يوم أحد ثم
خاطب الله سبحانه المومنين بقوله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه والسبب في ذلك أن النبي
صلى الله عليه وسلم خرج يوم بدر مبادرا لم يوعب الناس معه إذ كان الظن أنه لا يلقى
حربا فلما قضى الله ببدر ما قضى وفاز حاضروها بالمنزلة الرفيعة كان المتخلفون من المومنين عنها يتمنون
حضور قتال الكفار ليكون منهم في ذلك غناء يلحقهم عند ربهم ويحظيهم بمنزلة أهل بدر فلما جاء أمر أحد لم يصدق
كل المومنين فعاتبهم الله بهذه الآية وألزمهم تمني الموت من حيث تمنوا أسبابه وهو لقاء العدو ومضاربتهم
ولا محيص في قتال المشركين المحيط بجواره يتمنى من حيث هو مظنة لما يلحقه من الشهادة والتنعيم قلت
وفي كلام ع بعض إجمال وقد خرج البخاري تمني الشهادة ثم أسند عن أبي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول والذي نفسي بيده لولا أن رجالا من المومنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت

عن سرية

عن سرية تغزو في سبيل الله والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم
قلت وخرجه أيضا مسلم وخرج البخاري ومسلم عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من
عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما
يرى من فضل الشهادة فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لما يرى من الكرامة انتهى وفيه
يبين لك تمني القتل في سبيل الله لما فيه من الكرامة وصواب كلام ابن عطية أن يقول وإنما
تمني القتل لما يلحقه من الشهادة والتنعيم وقوله تعالى فقد رأيتموه أي رأيتم أسبابه وقوله وأنتم تنظرون
تأكيد للرؤية وإخراج لها من الاشتراك الذي بين رؤية القلب ورؤية العين وقوله تعالى وما محمد إلا رسول
قد خلت من قبله الرسل هذه الآية في عتبهم وإقامة الحجة عليهم المعنى أن محمدا صلى الله عليه وسلم
رسول كسائر الرسل قد بلغ كما بلغوا ولزم أيها المومنون العمل بمضمن الرسالة وليست حياته وبقاؤه
بين أظهركم شرطا في ذلك لأنه يموت كما ماتت الرسل قبله ثم توعد سبحانه المنقلب على عقبيه بقوله فلن
يضر الله شيئا لأن المعنى إنما يضر نفسه وإياها يوبق ثم وعد الشاكرين وهم الذين صدقوا ومضوا
في دينهم ووفوا الله بعهدهم كسعد بن الربيع ووصيته يوم أحد للأنصار وأنس بن النضر وغيرهما ثم
بين خلاف الشاكرين إلى يوم القيامة وقال علي رضي الله عنه في تفسير هذه الآية الشاكرين الثابتين
على دينهم أبو بكر وأصحابه وكان يقول أبو بكر أمير الشاكرين إشارة منه إلى صدع أبي بكر بهذه الآية
يوم موت النبي صلى الله عليه وسلم وثبوته في ذلك الموطن وثبوته في أمر الردة وسائر المواطن التي ظهر
فيها شكره وشكر الناس بسببه ثم أخبر عز وجل عن النفوس أنها إنما تموت بأجل مكتوب محتوم عند
الله أي فالجبن والخور لا يزيد في الأجل والشجاعة والإقدام لا ينقص منه وفي هذه الآية تقوية للنفوس
في الجهاد وفيها رد على المعتزلة في قولهم بالأجلين وقوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا نوته منها الآية
أي نوته منها ما قدر له بين ذلك قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد
وفي بنية الكلام تقتضي أنه لا يوتى شيئا من الآخرة لأن من كانت نيته من عمله مقصورة على طلب الدنيا فلا نصيب
له في الآخرة والأعمال بالنيات وفي بنية الكلام من قوله ومن يرد ثواب الآخرة نوته منها للتقسيم أي نوتي
نصيبا من الدنيا قال ابن فورك في قوله تعالى وسنجزي الشاكرين إشارة إلى أنه ينعمهم بنعيم الدنيا لأنهم لا
يقفون عند ذلك ثم ضرب سبحانه المثل للمومنين بمن سلف من صالحي الأمم الذين لم يثنهم عن دينهم قتل
الكفار لأنبيائهم فقال وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير الآية وفي كأين لغات وهذه اللغة أصلها أي
كاف التشبيه دخلت على أي وكأين في هذه الآية في موضع رفع بالابتداء وهي بمنزلة كم وبمعناها تعطي

في ذلك قبله القتل كثير وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو قتل مبنيا للمفعول بمعنى قتل والباقون قاتل فقوله قتل قال فيه جماعة من المفسرين منهم الطبري انه مسند الى ضمير نبي والمعنى عندهم ان النبي قتل ونقل عن ابن عباس وادا كان هذا في بيوت مرتفع بالظرف بلا خلاف وهو متعلق بمحذوف وليس متعلقا بقتل وقال الحسن ابن ابي الحسن وجماعة ان قتل انما هو مسند الى قوله ربيون وهم المقتولون قال الحسن وابن جبير لم يقتل نبي في حرب قط قال ع فعلى هذا القول يتعلق قوله معه بقتل ورجح الطبري القول الاول بدلالة نزلت الآية في قصة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان المومنين انما تخاذلوا يوم احد لما قيل قتل محمد وفي الكلام ايهام وقد ورد في النبي حسن وبين ذلك ما تقرر من قوله افائن مات او قتل ووجه من قرا قاتل انه اعم في المدح لانه يدخل فيه من قتل ومن بقي قال ع وحسن عندي على هذه القراءة اسناد الفعل الى الربيين قوله ربيون قال ابن عباس وغيره معناه جموع كثيرة وهو من الربة بكسر الراء وهي الجماعة الكثيرة وروي عن ابن عباس والحسن ابن ابي الحسن وغيرهما انهم قالوا الربيون معناه علماء ويقوي هذا القول قراءة من قرا ربيون بفتح الراء منسوبون الى الرب اما لانهم مطيعون له او من حيث انهم علماء بما شرع قوله تعالى وما استكانوا ذهبت طائفة الى انه من السكون وذهبت طائفة الى انه ماخوذ من كان اي يكون اصله استكون والمعنى انهم لم يضعفوا ولا كانوا في بعض ذلك قلت واعلم رحمك الله ان اصل الوهن والضعف عن الجهاد ومكافحة العدو هو حب الدنيا وكراهية بذل النفوس لله وبذل مهجها للقتل في سبيل الله الا ترى الى حال الصحابة رضي الله عنهم وقلتهم في صدر الاسلام وكيف فتح الله لهم البلاد ودان لدينهم العباد لما بذلوا لله انفسهم في الجهاد وحالنا اليوم كما ترى عدد اهل الاسلام كثير ونكايتهم في الكفار قليل وقد روى ابو داود في سننه عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الامم ان تداعى عليكم كما تداعى الاكلة الى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل انتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت اه فانظر رحمك الله فهل هذا الزمان الا زماننا بعينه وتامل حال ملوكنا انما همتهم جمع المال من حرام وحلال واعراضهم عن امر الجهاد فانا لله وانا اليه راجعون على مصيبة الاسلام وقوله تعالى وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا الاية هذه الاية في ذكر الربيين اي هذا كان قولهم لا ما قاله بعضكم يا اصحاب محمد لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ها هنا الى غير ذلك مما اقتضته تلك الحال من الاقوال قلت وهذه

المقالة

المقالة التي جرت من المنافقين في تفسير الاية هذه المقالة انما صدرت من اهل النفاق لا من المومنين قال ع واستغفار هولاء القوم الممدوحين في هذه المواطن ينحو الى انهم راوا ان ما نزل بهم من مصائب الدنيا انما هو بذنوبهم من الجنس كما نزلت قصة احد بعصيان من عصى وقولهم ذنوبنا واسرافنا في امرنا عبارتان عن معنى قريب بعضه من بعض جاء للتاكيد ولتعم مناحي الذنوب وكذلك فسره ابن عباس وغيره وقال الضحاك الذنوب عام والاسراف في الامر اسم الكبائر خاصة فاتاهم الله ثواب الدنيا بان اظهرهم على عدوهم وحسن ثواب الاخرة الجنة بلا خلاف قال النخعي ويحتمل ان ثواب الاخرة هو الجنة وذلك غير حاصل في الحال فيكون المراد انه سبحانه لما حكم لهم بحصولها في الاخرة قام حكمه لهم بذلك مقام الحصول في الحال وقوله وانهم انه سيوتيهم فيكون المتبع ان تكون هذه الاية خاصة بالشهداء وانه تعالى حال في حال هذه الاية كان قد اتاهم حسن ثواب الاخرة اه وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا الاية يعني المنافقين الذين خذلوا المسلمين وقالوا في امر احد لو كان محمد نبيا لم يهزم وقوله تعالى بل الله مولاكم وهو خير الناصرين هذا تثبيت لهم وقوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب الاية سبب هذه الاية انه لما ارتحل ابو سفيان بالكفار رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فتجهز واتبع المشركين وكان معبد بن ابي معبد الخزاعي قد جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا محمد والله لقد ساءنا ما اصابك وكانت خزاعة تميل الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركب معبد الى ان لحق ابا سفيان فلما راه ابو سفيان معبدا قال ما وراءك يا معبد قال محمد في اصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله يتحرقون عليكم قد اجتمع معه من كان تخلف عنه وندموا على ما صنعوا قال ويلك ما تقول قال والله ما ارى ان ترتحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة اليهم قال فاني انهاك عن ذلك والله لقد حملني ما رايت على ان قلت فيهم ابياتا من شعر قال وما قلت قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتي … اذ سالت الارض بالجرد الابابيل

تردي باسد كرام لا تنابلة … عند اللقاء ولا ميل معازيل

فظلت عدوا اظن الارض مائلة … لما سموا برئيس غير مخذول

الى اخر الشعر فالقى الله الرعب في قلوب الكفار وقال صفوان بن امية لا ترجعوا فاني ارى انه سيكون في القوم قتال غير الذي كان فنزلت هذه الاية وفي هذه الالفاظ وفي تعرضها ما لم يكن من قال النبي كانهما اجر لهم اي الاسلام وفي قلبه خوف من الرعب الا انما عند الحرب وانما عند الملحمة اه وقوله تعالى بما اشركوا بالله هذه باء السبب والسلطان الحجة والبرهان قال ص قوله وبيس المخصوص بالذم محذوف اي النار وقوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه جاء الخطاب لجميع المومنين وان كانت الامور التي عاتبهم الله

سبحانه عليهم لم يقع من جميعهم ولذلك وجه من الفصاحة مذهب وعم الجميع ذكره اذ من لم يفعل
معرض ان يفعل ان لم ينه ومنه التشنيع على من فعل وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد وعد المؤمنين
بالنصر يومئذ على حسب الله ان صبروا وجدوا فصدقهم الله وعده وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم صاف
المشركين يومئذ ورتب الرماة على ما قد ذكرنا قبل هذا واستعلت نار الحرب وابلى حمزة بن عبد المطلب
وابو دجانة وعلي وعاصم بن ابي الاقلح وغيرهم بلاء وانهزم المشركون وقتل منهم اثنان وعشرون وهذا
معنى قوله سبحانه اذ تحسونهم باذنه والحس القتل الذريع يقال حسهم اذا استأصلهم قتلا وحس البرد
النبات وقوله تعالى حتى اذا فشلتم يحتمل ان تكون حتى غاية كانه قال الى ان فشلتم [illegible]
ان اذا على بابها تحتاج الى الجواب ومذهب الخليل وسيبويه وفرسان الصناعة ان الجواب محذوف مقدر
يدل عليه المعنى تقديره انهزمتم ونحوه والفشل استشعار العجز وترك الجد والتنازع هو الذي وقع بين
الرماة وعصيتم عبارة عن ذهاب من ذهب من الرماة وتأمل رحمك الله ما يوجبه الركون الى الدنيا وما
ينشأ عنها من الضرر واذا كان مثل هؤلاء السادات على جلالتهم وعظيم منزلتهم قد نالهم بسببها ما حصل
من الفشل والهزيمة فكيف بامثالنا وقد حذر الله تعالى ونبيه عليه الصلاة والسلام من الدنيا واغوائها
بما لا يخفى على ذي لب وقد ذكرنا في هذا المختصر جملة كافية لمن وفقه الله تعالى وشرح صدره وقد خرج البغوي
في المسند المنتخب له عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الا ان الدنيا على احسن ما كانت يتمنى العارف
والبغضاء الى يوم القيامة الا من الكوكب الدري وقد قال عليه الصلاة والسلام لما ذكرت تعارضوا المراد
سمعوا بقدوم ابي عبيدة بمال البحرين الحديث واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى
ان تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما
اهلكتهم اخرجه البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له وقال هذا حديث حسن صحيح واعلم رحمك الله ان تيسير
اسباب الدنيا مع اعراضك عن امر آخرتك ليس ذلك من علامة الفلاح وقد روى ابن المبارك في رقائقه قال
اخبرنا ابن لهيعة قال حدثني سعيد بن ابي سعيد ان رجلا قال يا رسول الله كيف لي ان اعلم كيف انا قال اذا رأيت
كلما طلبت شيئا من امر الآخرة وابتغيته يسر لك واذا اردت شيئا من الدنيا وابتغيته عسر عليك فانت
على حال حسنة واذا رأيت كلما طلبت من امر الآخرة وابتغيته عسر عليك واذا اردت شيئا من امر الدنيا
وابتغيته يسر لك فانت على حال قبيحة اهـ فتأمله راشدا وقوله منكم من يريد الدنيا يعني حمية الدنيا هم
قال الداودي والله لقد انتهى اهل الى قوم هند بنت عتبة وصواحباتها منهم ان هو ... ما دون اخذهن فلما
وما كنت اظن ان ما لك الرماة الى العسكر حين كشف القوم عنهم يريدون النهب وخلوا ظهور الخيل واتينا من

ادبارنا

ادبارنا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وانكفأ علينا القوم وقوله تعالى منكم من يريد الدنيا يعني بهم الذين
حرصوا على الغنيمة وكان المال همهم قاله ابن عباس وسائر المفسرين وقال عبد الله بن مسعود
ما كنت ارى ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم احد منكم من يريد
الدنيا وقوله تعالى ومنكم من يريد الآخرة اخبار عن ثبوت من ثبت من الرماة مع عبد الله بن جبير امتثالا للامر
حتى قتلوا ويدخل في هذا انس بن النضر وكل من جد ولم يضطرب من المؤمنين وقوله تعالى اذ تصعدون ولا
تلوون على احد العامل في اذ قوله عفا وقرأ الجمهور تصعدون بضم التاء وكسر العين من اصعد ومعناه
ذهب في الارض والصعيد وجه الارض فاصعد معناه دخل في الصعيد كما ان اصبح دخل في الصباح وقوله
تعالى ولا تلوون على احد مبالغة في صفة الانهزام وقرأ حميد بن قيس على احد بضمتين والمراد الجبل
والمعنى بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم فانه كان على الجبل والقراءة المشتهرة اقوى لان النبي صلى الله عليه
وسلم لم يكن على الجبل الا بعدما فر الناس وهذه الحال من اصعادهم انما كانت وهو يدعوهم وروي انه
كان ينادي صلى الله عليه وسلم الي عباد الله والناس يفرون وفي قوله تعالى في اخراكم مدح له صلى الله عليه
وسلم فان ذلك هو موقف الابطال في اعقاب الناس ومنه قول الزبير بن باطيا ما فعل مقدمتنا اذا حملنا
وحاميتنا اذا فررنا وكذلك كان صلى الله عليه وسلم اشجع الناس ومنه قول سلمة بن الاكوع كنا اذا احمر البأس
اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى فاثابكم معناه جازاكم على صنيعكم واختلف في معنى قوله
غما بغم فقال قوم المعنى اثابكم غما بسبب الغم الذي ادخلتموه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر المؤمنين
بفشلكم وتنازعكم وعصيانكم قال قتادة ومجاهد الغم الاول ان سمعوا الا ان محمدا قد قتل والثاني القتل والجراح
وقوله تعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم اي من الغنيمة ولا ما اصابكم اي من القتل والجراح وذل الانهزام واللام
من قوله لكيلا متعلقة باثابكم المعنى لتعلموا ان ما وقع بكم انما هو بجنايتكم فانتم اذ بدأتم الفعل وعادة
البشر ان جاني الذنب يصبر للعقوبة واكثر قلق المعاقب وحزنه انما هو مع ظنه البراءة بنفسه ثم ذكر
سبحانه امر النعاس الذي امن به المؤمنين فغشي اهل الاخلاص قلت وفي صحيح البخاري عن انس بن مالك ان ابا
طلحة قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم احد قال فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ويسقط وآخذه
ونحوه عن ابن عباس وابن مسعود وابي داود في قوله وطائفة قد اهمتهم انفسهم هم المنافقون واولئك ذهب اكثر التعبير الا ان
اللفظ من الهم الذي هو بمعنى الغم والحزن وقوله تعالى يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا
هي مقالة سمعت من معتب بن قشير المغموص عليه بالنفاق وبلغ الامر بين وليبتلي الله ما في صدوركم
اللام في ليبتلي متعلقة بفعل متأخر تقديره وليبتلي وليمحص فعل هذه الامور الواقعة والابتلاء هنا الاختبار

وقوله تعالى: إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان، قال عمر رضي الله عنه: المراد بهذه الآية جميع من تولى ذلك
اليوم عن العدو، وقيل: نزلت في الذين فروا إلى المدينة، قال ابن زيد: فلا أدري هل عفي عن هذه الطائفة خاصة أم عن
المؤمنين جميعا. وقوله تعالى: إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا، ظاهره عند جمهور المفسرين أنه كانت
لهم ذنوب عاقبهم الله عليها بتمكين الشيطان من استزلالهم بوسوسته وتخويفه، والعفو الذي حط من
الكبائر بإجماع فيما علمت، وعده صلى الله عليه وسلم من الموبقات. وقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا
كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم الآية، نهى الله المؤمنين أن يكونوا مثل الكافرين المنافقين في هذا المعتقد الفاسد
الذي هو أن من سافر في تجارة ونحوها ومن قاتل فقتل لو قعد في بيته لعاش ولم يمت في ذلك الوقت الذي
عرض نفسه للسفر أو للقتال، وهذا هو معتقد المعتزلة في القول بالأجلين أو نحو منه، وصرح بهذه المقالة
عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق وأصحابه، قاله مجاهد وغيره، والضرب في الأرض السير في التجارة، وغزى جمع
غاز. وقوله سبحانه: ليجعل الله ذلك حسرة، الإشارة بذلك إلى هذا المعتقد الذي جعل الله ذلك حسرة لأن الذي
يتيقن أن كل موت وقتل فهو بأجل سابق يجد برد اليأس والتسليم لله سبحانه على قلبه، والذي يعتقد أن
حميمه لو قعد في بيته لم يمت يتحسر ويتلهف، وعلى هذا التأويل مشى المتأولون وهو الأظهر ما
في الآية، والتحسر التلهف على الشيء والغم به. وقوله تعالى: والله بما تعملون بصير توعد للمؤمنين في قوله
ولا تكونوا، ووعد لمن خالفه، ووعيد لمن امتثله. وقوله تعالى: ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم، اللام في قوله تعالى
ولئن قتلتم في الموطئة المؤذنة بمجيء القسم، واللام في قوله لمغفرة هي المتلقية للقسم، والتقدير والله لمغفرة
وقدم الموت في قوله: ما ماتوا وما قتلوا مراعاة لتقدم الكافرين في السفر والغزو، وقدم القتل
هنا لأنه ... ثم قدم الموت في قوله تعالى: ولئن متم أو قتلتم لأنه الأغلب، وعلى حال الأخرى والحشر
والرجوع في حين الدنيا والحياة، وفي الآية تحقير لأمر الدنيا وحض على طلب الشهادة، والمعنى إذا كان الحتم
لا بد منه فالقتل في حال الشهادة أولى. وعن سهل بن حنيف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه، رواه الجماعة إلا البخاري.
وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من طلب الشهادة صادقا أعطيها ولو لم تصبه، رواه
مسلم. انتهى من سلاح المؤمن. وقوله تعالى: فبما رحمة من الله لنت لهم، معناه فبرحمة. قال الفخر (؟) في
التحبير: واعلم أن الله سبحانه يحب من عباده من يرحم خلقه ويأبى رحمة العبد إلا إذا رحم الله سبحانه، قال الله
تعالى لنبيه عليه السلام: فبما رحمة من الله لنت لهم الآية. قال ع: ومعنى هذه الآية التقريع لكل من أخل يوم
أحد، أي كانوا يستحقون الملام منك ولكن برحمة منه تعالى لنت لهم وجعلك على خلق عظيم

وبعظم

وبعظم لينك لهم مما لست (؟) أخلاق، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ونقصوا عنك، والفظ الجافي
في منطقه ومقاطعه، وفي صفته صلى الله عليه وسلم في الكتب المنزلة: ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق،
والفظاظة الجفوة في المعاشرة قولا وفعلا، وغلظ القلب عبارة عن تجهم الوجه وقلة الانفعال في الرغائب
وقلة الإشفاق والرحمة، والانفضاض افتراق الجموع. وقوله عز وجل: فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم
في الأمر، أمر سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام بهذه الأوامر التي هي بتدريج بليغ، فأمره أن يعفو
عنهم فيما له عليهم من حق، ثم يستغفر لهم فيما لله عليهم من تبعة، فإذا صاروا في هذه الدرجة كانوا
أهلا للاستشارة. قال ع: ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، هذا ما لا خلاف فيه، وقد وردت
أحاديث كثيرة في الاستشارة، ومشاورته عليه الصلاة والسلام إنما هي في أمور الحرب والبعوث ونحوه
من أشخاص النوازل، فأما في حلال أو حرام أو حد فتلك قوانين شرع، ما فرطنا في الكتاب من شيء، والشورى
مبنية على اختلاف الآراء، والمستشير ينظر في ذلك الخلاف ويتخير، فإذا أرشده الله إلى ما شاء منه عزم عليه
وأنفذه متوكلا على الله، إذ هي غاية الاجتهاد المطلوب منه، وبهذا أمر الله سبحانه نبيه عليه الصلاة
والسلام في هذه الآية. وصفة المستشار في الأحكام أن يكون عالما دينا، وقلما يكون ذلك إلا في
عاقل، فقد قال الحسن بن أبي الحسن: ما كمل دين امرئ لم يكمل عقله. قال ع: والتوكل على الله من فروض الإيمان
وفصوله، ولكنه مقترن بالجد في الطاعة والتشمير والحزامة بغاية الجهد، وليس الإلقاء باليد وما أشبهه
يسمى توكلا، كما قال عليه الصلاة والسلام: قيدها وتوكل. وقوله تعالى: إن الله يحب المتوكلين، هذه
غاية في الرفعة وشرف المنزلة، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة بفضل التوكل وعظيم منزلة المتوكلين، ففي صحيح مسلم
عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب،
قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون. وخرج
أبو عيسى الترمذي عن أبي أمامة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي
سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفا، وثلاث حثيات من حثياته. خرجه
ابن ماجه أيضا، وخرج أبو بكر البزار وأبو عبد الله الترمذي الحكيم عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي
الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله أعطاني سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب، فقال
عمر: يا رسول الله فهلا استزدته؟ قال: استزدته فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا، قال
عمر: يا رسول الله فهلا استزدته؟ قال: قد استزدته فأعطاني هكذا، وفرج أبو وهب بين يديه، قال أبو وهب: قال
هشام: وهذا من الله لا يدرى ما عدده. وخرج أبو نعيم عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: وعدني ربي

أي يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا فقال أبو بكر يا رسول الله زدنا قال وهكذا وأشار سليمان بن حرب بيده فقال أبو
بكر يا رسول الله زدنا فقال عمر رضي الله عنه إن الله عز وجل قادر أن يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم صدق عمر اه من الترمذي وما وقع من ذكر الحثية والحفنة ليس هو على ظاهره بل الله
سبحانه منزه عن صفات الأجسام وقوله تعالى وإن يخذلكم أي يترككم والخذل الترك والضمير في من بعده يعود على
اسم الله ويحتمل على الخذل وقوله تعالى وما كان لنبي أن يغل قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم أن يغل بفتح الياء
وضم الغين وقرأ باقي السبعة أن يغل بضم الياء وفتح الغين والمعنى يعني الغلول في خفاء تقول العرب أغل
الرجل يغل إغلالا إذا خان واختلفوا في معنى الآية فقال ابن عباس وغيره نزلت بسبب قطيفة حمراء
فقدت في المغانم يوم بدر فقال بعض الناس لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها وقيل كانت المغانم
من موضع لم يتضح بعد الطرح بها وقيل كانت من متاع قيس وقد روي أن المفقود إنما كان سيفا قال النقاش
ويقال إنما نزلت لأن الرماة قالوا يوم أحد الغنيمة الغنيمة فإنا نخشى أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ
شيئا فهو له وقال ابن إسحاق الآية إنما نزلت إعلاما بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتم شيئا مما أمر بتبليغه
وأما على القراءة الثانية فمعناها عند الجمهور أي ليس لأحد أن يغل النبي أي يخونه في الغنيمة فالآية في معنى
نهي الناس عن الغلول لتعين توقيره قال ابن العربي في أحكامه وهذا القول هو الصحيح وذلك أن قوما غلوا من الغنائم
أو هموا فأنزل الله الآية فيهما بهم [illegible] رواه الترمذي رواه الترمذي اه وقوله تعالى ومن يغلل
يأت بما غل يوم القيامة الآية وعيد لمن يغل من الغنيمة أي يحركانه بالفضيحة يوم القيامة على رؤوس
الأشهاد قال الفخر [illegible] قال علماؤنا رحمهم الله في قوله تعالى ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة أي ذلك
على الحقيقة كما بينه صلى الله عليه وسلم أي يأتي بما غل حاملا له على ظهره ورقبته معذبا بحمله وثقله
ومرعوبا بصوته وموبخا بإظهار خيانته اه وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أدوا الخيط والمخيط فإن
الغلول عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة رواه مالك في الموطأ قال أبو عمر في التمهيد الشنار لفظة
جامعة لمعنى العار والنار ومعناها الشين والنار يريد أن الغلول شين وعار ومنقصة في الدنيا
ونار وعذاب في الأخرى اه وفي الباب أحاديث كثيرة في الغلول وفي منع [illegible] وقوله تعالى هم درجات
عند الله قال ابن إسحاق وغيره المراد بذلك الجمعان المذكوران أهل الرضوان وأصحاب السخط أي لكل صنف
منهم تباين في نفسه في منازل الجنة وفي أطباق النار أيضا وقال مجاهد والسدي ما ظاهره أن المراد بقوله
هم إنما هو لمتبعي الرضوان أي لهم درجات كريمة عند ربهم وفي الكلام حذف تقديره هم ذوو درجات والدرجات
المنازل بعضها أعلى من بعض في المسافة أو في التكرمة أو في العذاب وفي الآية وعيد ووعد

وقوله تعالى

وقوله تعالى لقد من الله إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم الآية اللام في لقد لام
القسم ومن في هذه الآية معناه تطول وتفضل سبحانه وقد يقال من بمعنى كدر معروفه بالذكر فهي لفظة
مشتركة وقوله من أنفسهم أي في الجنس واللسان والمجاورة فكونه من الجنس يوجب الأنس به وكونه بلسانهم
يوجب حسن التفهيم وكونه جارا وربيا يوجب التصديق والطمأنينة إذ قد خبروه وعرفوا صدقه وأمانته
ثم وقف الله سبحانه المومنين على الخطإ في قلقهم للمصيبة التي نزلت بهم وإعراضهم عما نزل بالكفار فقال أولما أصابتكم
مصيبة يوم أحد قد أصبتم مثليها يوم بدر إذ قتل من الكفار سبعون وأسر سبعون وهذا تفسير ابن
عباس والجمهور وقال الزجاج أحد المثلين هو قتل السبعين يوم بدر والمثل الثاني هو قتل اثنين وعشرين
يوم أحد [illegible] وأنى معناها كيف ومن أين قل هو من عند أنفسكم أي حين
خالفتم النبي صلى الله عليه وسلم في الرأي حين رأى أن يقيم بالمدينة ويترك الكفار [illegible] إلى الخروج وبهذا
قال الجمهور وقالت طائفة هو من عند أنفسكم إشارة إلى عصيان الرماة وتسبيبهم الهزيمة على المومنين
وقال علي والحسن بل ذلك لما قبلوا الفداء يوم بدر وذلك أن الله سبحانه خيرهم على لسان نبيه بين قتل الأسارى
أو يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدة الأسارى فاختاروا أخذ الفداء ورضوا بالشهادة فقتل منهم يوم
أحد سبعون قلت وهذا الحديث رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحديث
[illegible] قال ابن عباس قل هو من عند أنفسكم عقوبة
لمعصيتكم النبي عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى وما أصابكم يوم التقى الجمعان يعني يوم أحد وقوله
وليعلم المومنين أي ليعلم الله المومن من المنافق والإشارة بقوله تعالى فقالوا وقيل لهم هي إلى عبد الله
[illegible] وذلك أن عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر بن عبد الله قال لهم
تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا ونحو هذا من القول فقال ابن [illegible] ما أرى أن
يكون قتال ولو علمنا أن يكون قتال لكنا معكم فلما يئس منهم عبد الله قال اذهبوا أعداء الله فسيغني
الله رسوله عنكم ومضى مع النبي صلى الله عليه وسلم فاستشهد رحمة الله عليه وقوله أو ادفعوا قال ابن
جريج وغيره معناه كثروا السواد وإن لم تقاتلوا فيندفع القوم لكثرتكم وذهب بعض المفسرين
إلى أن قول عبد الله بن عمرو أو ادفعوا استدعاء للقتال حمية إذ ليسوا أهلا للقتال في سبيل الله
وقاتلوا [illegible] عن الحوزة [illegible] قاتلت [illegible] حمية [illegible] وقوله
[illegible] وقوله تعالى الذين
قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا الذين بدل من الذين [illegible] لإخوانهم أي لأجل إخوانهم [illegible]

لإخوانهم المقتولين ويحتمل أن يريد بإخوانهم الأحياء من المنافقين ويكون الضمير في أطاعونا للمقتولين
وقعدوا جملة في موضع الحال معترضة أثناء الكلام وقوله لو أطاعونا يريدون في أن لا يخرجوا وبالغ الآية
يبين تعالى عن الشهداء أنهم في الجنة أحياء يرزقون وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
إن ربك يطلع على الشهداء فيقول أي عبادي ما تشتهون فأزيدكم فيقولون يا ربنا ما فوق ما أعطيتنا
هذه الجنة نأكل منها حيث نشاء ولكنا نريد أن ترد أرواحنا إلى الدنيا فنقاتل في سبيلك فنقتل مرة أخرى
فيقول سبحانه وتعالى قد سبق أنهم لا يرجعون والأحاديث في فضل الشهداء كثيرة قال الفخر والروايات
في هذا الباب كأنها بلغت حد التواتر ثم قال بعض المفسرين أرواح الشهداء أحياء وهي تركع وتسجد
تحت العرش إلى يوم القيامة اهـ والصحيح أن الأرواح كلها أحياء سواء في ذلك الشهداء وغيرهم
وفي ذلك ما خص الله به الشهداء من زيادة الكرامة والحياة التي ليست لغيرهم وفي صحيح مسلم عن مسروق
قال سألنا ابن مسعود عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون
فقال أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة
بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل الحديث إلى آخره ومن الأخبار الصحيحة
الدالة على فضل الشهداء ما رواه مالك في الموطأ أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصار
يين ثم السلميين كانا قد حفر السيل قبرهما وكان قبرهما مما يلي السيل وكانا في قبر واحد وهما ممن استشهد
يوم أحد فحفر عنهما ليغير من مكانهما فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس وكان أحدهما قد جرح فوضع
يده على جرحه فدفن وهو كذلك فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين أحد
وبين يوم حفر عنهما ست وأربعون سنة قال أبو عمر في التمهيد حديث مالك هذا يتصل من وجوه
صحاح بمعنى واحد متقارب وعبد الله بن عمرو هذا هو والد جابر بن عبد الله وعمرو بن الجموح هو ابن عمه
ثم أسند أبو عمر عن جابر بن عبد الله قال لما أراد معاوية أن يجري العين التي بأحد نودي بالمدينة من كان له قتيل
فليأت قتيله قال جابر فأتيناهم فوجدناهم رطابا يتثنون فأصابت المسحاة أصبع رجل منهم فانفطرت
دما قال أبو سعيد الخدري لا ينكر بعد هذا منكر أبدا وفي رواية فاستخرجهم يعني معاوية بعد ستة
وأربعين سنة لينة أجسادهم تتثنى أطرافهم قال أبو عمر الذي أصابت المسحاة إصبعه هو حمزة رضي الله
عنه ثم أسند عن جابر قال رأيت الشهداء يخرجون على رقاب الرجال كأنهم رجال نوم حتى إذا أصابت
المسحاة قدم حمزة رضي الله عنه فانبعثت دما اهـ قوله تعالى ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم
الآية معناه يسرون ويفرحون وذهب قتادة وغيره إلى أن استبشارهم هو أنهم يقولون إخواننا

الذين تركنا

الذين تركناهم في الدنيا خلفنا يقاتلون في سبيل الله مع نبيهم فيستشهدون فينالون من الكرامة مثل
ما نلنا نحن فيسرون لهم بذلك إذ يلحقون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وذهب فريق من العلماء إلى أن
الإشارة في قوله بالذين لم يلحقوا بهم إلى جميع المؤمنين الذين لم يلحقوا بهم في فضل الشهادة وذلك لما عاينوا
من ثواب الله فهم فرحون لأنفسهم بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون للمؤمنين بأنهم لا خوف عليهم ولا
هم يحزنون ثم أكد سبحانه استبشارهم بقوله يستبشرون بنعمة من الله ثم بين سبحانه بقوله وفضل أن بدء
إدخاله إياهم الجنة هو تفضل منه لا بعمل أحد وأما النعمة في الجنة والدرجات فقد أخبر تعالى أنها على قدر
الأعمال فائدة وخرج أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن حرب صاحب ابن المبارك في رقائقه بسنده عن عبد
الله بن عمرو بن العاصي أن الشهداء في قباب من حرير في رياض خضر عندهم حوت وثور يظل الحوت يسبح
في أنهار الجنة يأكل من كل رائحة في أنهار الجنة فإذا أمسى وكزه الثور بقرنه فيذكيه فيأكلون لحمه يجدون
في لحمه طعم كل رائحة ويبيت الثور في أفناء الجنة فإذا أصبح غدا عليه الحوت فوكزه بذنبه فيذكيه فيأكلون
لحمه يجدون في لحمه طعم كل رائحة من الجنة ثم يعودون وينظرون إلى منازلهم من الجنة ويدعون الله عز وجل
أن تقوم الساعة اهـ مختصرا وذكره صاحب التذكرة مطولا في الكتابين وأن الله يكشف الحجب
عن سمعهم الأخبار … ذلك داخل فيما يستبشرون به وقوله تعالى الذين استجابوا
يحتمل أن يكون صفة للمؤمنين على قراءة من كسر الألف من إن وسائرهم أن الذين ابتداء وخبره في قوله للذين
أحسنوا الآية والمستجيبون لله والرسول هم الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد في طلب
قريش وقوله تعالى الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم الآية الذين صفة للمحسنين وهذا القول هو الذي
قاله الركب من عبد القيس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعاده حين جاءهم أبو سفيان بذلك فالناس الأول هم
الركب والناس الثاني عسكر أبي سفيان هذا قول الجمهور وهو الصواب وقول من قال إن الآية نزلت في خروج النبي
صلى الله عليه وسلم إلى بدر الصغرى لميعاد أبي سفيان وأن الناس هنا هم نعيم بن مسعود قول ضعيف وعن
ابن عباس قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم
حين قالوا إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل رواه البخاري ومسلم اهـ وقوله
تعالى إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه الآية الإشارة إلى جميع ما جرى من إخبار الركب عن رسالة أبي سفيان
ومن جزع من الخبر وقرأ الجمهور يخوف أولياءه فقال قوم يخوف المنافقين ومن في قلبه مرض وحكى أبو الفتح
ابن جني عن ابن عباس أنه قال معنى يخوف أولياءه يخوفكم أولياءه ثم حذف … المفعولان وهي معتبرة لغيره
الجماعة وفي قراءة أبي بن كعب يخوفكم بأوليائه وفي هذه الآية … إلى الله تعالى للمؤمنين وكلما عظمت هيبة الله

عني وجل في صدر الآية ولم يتعلق بهما نوا معه شيء حياء منه عني وخجل ان يجاهر مواجهة سواه اهـ وقوله تعالى ولا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر يعني المبادرة الى اقوالهم وافعالهم والحزن في ذلك وتسلى النبي عليه الصلاة والسلام بهذه الآية
عن حال المنافقين والمجاهرين يزادهم كلهم مسارع وقوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه ليذر المؤمنين مختلطين
بالمنافقين مشكلا امرهم حتى يميز بعضهم من بعض بما يظهر من هؤلاء وهؤلاء في احد من الاقوال والافعال
هذا تفسير مجاهد وغيره وقوله تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب اي في امر احد وما كان من الفتح لكم
وانتظار وما كان الله ليطلعكم على المنافقين تصريحا وتسميتهم لكم ولكن بقرائن اقوالهم وافعالهم قال الفخر وذلك
ان سنة الله جارية بانه لا يطلع عوام المسلمين على غيبه اي لا سبيل لكم الى معرفة ذلك الامتياز الا بامتحانات
كما تقدم فاما معرفة ذلك على سبيل الاطلاع من الغيب فهو من خواص الانبياء فلهذا قال ولكن الله
يجتبي من رسله من يشاء اهـ وقال ابن جريج وغيره روي ان بعض الكفار قالوا لم لا يكون جميعنا انبياء فنزلت
هذه الآية ويجتبي معناه يختار ويصطفي وقوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية
قال السدي وجماعة من المتأولين الآية نزلت في البخل بالمال والانفاق في سبيل الله واداء الزكاة المفروضة
ونحو ذلك قال السدي ومعنى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة هو الذي ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه فيسأله عن فضل ما عنده فيبخل عليه الا اخرج له يوم القيامة شجاع من النار يتلمظ
حتى يطوقه قلت وفي البخاري وغيره عنه صلى الله عليه وسلم قال من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعا
اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا هذه الآية
ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية قلت واعلم انه قد وردت آثار صحيحة بتعذيب العصاة
بنوع ما عصوا به كحديث من قتل نفسه بحديدة فهو يجأ بها نفسه بحديدته في نار جهنم والذي قتل نفسه بالسم فهو
يتحساه في نار جهنم ونحو ذلك قال الغزالي في الجواهر واعلم ان المعاني في عالم الآخرة تستتبع الصور وتنبعث
فيتمثل كل شيء بصورة توازي معناه فيتمثل المنفق يزجي صرة الذهب بحالهم من البخل والمتواضعون
اهـ وهو كلام صحيح يشهد له صحيح الآثار ويوضح الفهم وما اختاره الله سبحانه وتعالى قال ابن العربي في
احكامه قال علماؤنا البخل منع الواجب والشح منع المستحب والصحيح المختار ان هذه الآية في الزكاة لان هذا
وعيد لتعذيب والوعيد انما يكون على ترك الواجب عند الفقهاء على الوجوب والتحريم وتعميمها في
جميع انواع الواجبات احسن وقوله تعالى ولله ميراث السموات والارض خطاب على ما يفهمه البشر دال على فناء
الجميع وانه لا يبقى مالك الا الله تعالى وقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء
الآية نزلت بسبب فنحاص اليهودي واشباهه كحيي بن اخطب وغيره لما نزل من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا

حسنا قالوا يستقرض منا ربنا انما يستقرض الفقير الغني وهذا من تحريف اليهود للتأويل على نحو ما صنعوا
في توراتهم وقوله تعالى قول الذين قالوا دال على انهم جماعة وقوله تعالى سنكتب ما قالوا الآية وعيد لهم اي سنحصي عليهم
قولهم ونحفظه لنعاقبهم به وقتلهم الانبياء بغير حق وقوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد اي بان الله ليس بظلام للعبيد
قال ص قيل اتى هنا فعال لنفي القليل والكثير من الظلم كقوله

ولست بحلال التلاع مخافة ... ولكن متى يسترفد القوم ارفد

ولا يريد انه قد يحل التلاع قليلا وراء ابو البقاء وجها آخر وهو ان يكون على النسب اي لا ينسب سبحانه الى الظلم
فيكون من باب بزاز وعطار اهـ قلت وهذا القول احسن ما قيل هنا معنى وما رئي بظلام اي بذي ظلم
وقوله تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا الآية هذه المقالة قالتها احبار اليهود مدافعة لامر النبي صلى
الله عليه وسلم والمعنى انهم لم تأتنا بقربان تأكله النار فنحن قد عهد الينا ان لا نؤمن لك وقوله تعالى قد جاءكم
رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم والمعنى ان هذا منهم تعلل وتعنت ولو اتيتهم
بقربان لتعللتم بغير ذلك ثم انس سبحانه نبيه بالاسوة والقدوة بمن تقدم من الانبياء قال الفخر والمراد
بالبينات المعجزات اهـ والزبر الكتب المكتوبة قال الزجاج زبرت كتبت وقوله كل نفس ذائقة الموت الآية
وعظ فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته عن امر الدنيا واهلها ووعد بالفلاح في الآخرة فبالفكرة
في الموت يهون امر الكفار وتكذيبهم وانما توفون اجوركم اي على الكمال لان المعنى ان يوم القيامة تقع
فيه توفية الاجور وتوفية العقوبات وزحزح معناه ابعد والمكان الذي زحزح عنه البعير وفاز معناه نجا
من خوفه وحصل مرغوبه والغرور الخدع والتمني حسبة بالباطل والحياة الدنيا وكل ما فيها من الاموال
متاع قليل يخدع المرء ويمنيه الاباطيل وعلى هذا فسر الآية جمهور المفسرين وقال النبي صلى الله
عليه وسلم لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ثم تلا هذه الآية قلت واستعمل ابو بكر
ابن الخطيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما سكن حب الدنيا قلب عبد قط الا التاط منها بخصال ثلاث امل
لا يبلغ منتهاه وفقر لا يدرك غناه وشغل لا ينفك عناه اهـ وقوله تعالى لتبلون في اموالكم وانفسكم الآية
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته والمعنى لتختبرن ولتمتحنن في اموالكم بالمصائب والارزاء وبالانفاق
في سبيل الله وفي سائر تكاليف الشرع والابتلاء في الانفس بالموت والامراض وفقد الاحبة قال الثعلبي
قال الواحدي الابتلاء لتبلون لا يقع الا بالخير اهـ وقوله ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب الآية قال عكرمة
وغيره السبب في نزول هذه الآية قول فنحاص وقال الزهري وغيره نزلت بسبب كعب بن الاشرف فانه كان يهجو
النبي صلى الله عليه وسلم من قبله والاذى اسم جامع في معنى الضرر وهو هنا يشمل قولهم فيما يخص

النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من سبب ارفوائهم في جمع الله سبحانه وانبيائه وندبه سبحانه الى الصبر
والتقوى واخبر انه من عزم الامور اي من اشدها واحسنها والعزم امضاء الامر المروي المنقح وليس
ركوب الراي دون روية عزما وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الاية توبيخ لمعاصري النبي
صلى الله عليه وسلم ثم هو مع ذلك خبر عام لهم ولغيرهم قال جمهور من العلماء الاية عامة في كل من
علمه الله علما وعلماء هذه الامة داخلون في هذا الميثاق وقد قال صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم
فكتمه الجمه الله بلجام من نار والضمير في لتبيننه ولا تكتمونه عائد على الكتاب وقيل على النبي صلى الله عليه وسلم ح والظاهر في الاقوال
في هذه الاية انها نزلت في اليهود وهم المعنيون ثم كل كاتم من هذه الامة ياخذ بحظه من هذه المذمة
وقوله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا الاية ذهب جماعة الى ان الاية في
المنافقين وقالت جماعة كثيرة انما نزلت في اهل الكتاب احبار اليهود قال سعيد بن جبير الاية في اليهود
فرحوا بما اعطى الله ال ابراهيم من النبوءة والكتاب فهم يقولون نحن على طريقهم ويحبون ان يحمدوا بذلك وهم
ليسوا على طريقهم وفي قراءة سعيد بن جبير اوتوا بمعنى اعطوا بضم الهمزة والطاء وعلى قراءته يستقيم
المعنى الذي قال والمفازة مفعلة من فاز يفوز اذا نجا وقوله الاية بين ثم دل سبحانه على مواضع النظر
والعبرة فقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار اي تعاقب الليل والنهار اذ جعلهما سبحانه
خلفة ويدخل تحت اختلافهما قصر احدهما وطول الاخر وبالعكس واختلافهما بالنور والظلام والايات العلامات
لاولي الالباب وحظ عظيم من نظر سبحانه قال الفخر واعلم ان المقصود من هذه الكتب الدعاء الى حضرة القلوب
والارواح عن الاشتغال بالخلق والاستغراق في معرفة الحق فلما طال الكلام في تقرير الاحكام والجواب عن
شبهات المبطلين عاد الى انارة القلوب بذكر ما يدل على التوحيد والكبرياء والجلال وذكر الاذكار ونحو هذه
الايات نحو ما في سورة البقرة اه وقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا الذين في موضع خفض صفة
لاولي الالباب وهذا وصف ظاهره استعمال التحميد والتهليل والتكبير ونحوه من ذكر الله وان يحضر القلب مع
اللسان وذلك من اعظم وجوه العبادات والاحاديث في ذلك كثيرة وابن ادم متنقل في هذه الثلاث الهيئات
لا يخلو في غالب امره منها فكانها تحصر زمنه وكذلك جرت عائشة رضي الله عنها الى حصر الزمان
في قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه قلت خرجه ابو داود وفيه دخل في ذلك
كونه على الخلاء وغيره وذهب جماعة الى ان قوله تعالى الذين يذكرون وغيره انما هو عبارة عن الصلاة اي لا
يضيعونها في حال العذر يصلونها قعودا وعلى جنوبهم ثم عطف على هذه العبادة التي هي ذكر الله باللسان
او الصلاة فرضها وندبها بعبادة اخرى عظيمة وهي التفكر في قدرة الله تعالى ومخلوقاته والعبر الذي بث

وفي كل

وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد قال الغزالي ونهاية ثمرة الدين في الدنيا معرفة الله تعالى وتحصيل
الانس بذكر الله تعالى والانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر اه من الاحياء ومر النبي
صلى الله عليه وسلم على قوم يتفكرون في الله فقال تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون قدره
قال ع وهذا هو قصد الاية ويتفكرون في خلق السموات والارض وقال بعض العلماء المتفكر في ذات الله
كالناظر في عين الشمس لانه سبحانه ليس كمثله شيء وانما التفكر وانبساط الذهن في المخلوقات وفي احوال
الاخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عبادة كتفكر وقال ابن عباس وابو الدرداء فكرة ساعة خير
من قيام ليلة وقال فكرة ساعة خير من عبادة سنة ما هو الا ان تحل اطناب خيمتك فتجعلها
في الاخرة اي في ذاتها وقال الحسن بن ابي الحسن الفكرة مراة المؤمن ينظر فيها الى حسناته وسيئاته واخذ ابو
سليمان الداراني قدح الماء ليتوضا لصلاة الليل وعنده ضيف فراه لما ادخل اصبعه في اذن القدح اقام لذلك
مفكرا حتى طلع الفجر فقال له ما هذا يا ابا سليمان فقال انه لما طرحت اصبعي في اذن القدح تذكرت قول الله تعالى
اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل تفكرت في حالي وكيف اتلقى الغل ان طرح في عنقي يوم القيامة فما زلت في ذلك
حتى اصبحت قال ع وهذا نهاية الخوف وخير الامور اوسطها وليس علماء الامة الذين هم الحجة على هذا
المنهاج وقراءة علم كتاب الله ومعاني سنة رسوله لمن يفهم ويرجى نفعه افضل من هذا لكن يحسن الا تخلو
البلاد من مثل هذا قال ع وحدثني ابي رحمه الله تعالى عن بعض علماء المشرق قال كنت بائتا في مسجد الاقدام
بمصر فصليت العتمة فرايت رجلا قد اضطجع في كساء له حتى اصبح وصلينا نحن تلك الليلة وسهرنا فلما اقيمت صلاة
الصبح قام ذلك الرجل فاستقبل القبلة وصلى مع الناس فاستعظمت جراته في الصلاة من غير وضوء
فلما فرغت الصلاة خرج فتبعته لاعظه فلما دنوت منه سمعته وهو ينشد

منسجن الجسم غائب حاضر ... منتبه القلب صامت ذاكر
منقبض في الغيوب منبسط ... كذاك من كان عارفا ذاكر
يبيت في ليله اخا فكر ... فهو مدى الليل نائم ساهر

قال فعلمت انه ممن يعبد الله بالفكرة فانصرفت عنه قال الفخر ودلت الاية على ان اعلى مراتب الصديقين
التفكر في دلائل الذات والصفات قال مالك قيل لام الدرداء ما كان اكثر شان ابي الدرداء قالت كان اكثر شانه التفكر
قال مالك وهو من الاعمال وهو اليقين قال الله عز وجل ويتفكرون في خلق السموات والارض قال ابن رشد
والتفكر من الاعمال كما قال مالك رحمه الله وهو من اشرفها لانه من اعمال القلوب التي هي اشرف الجوارح
الا ترى انه لا يثاب احد على عمل من اعمال الجوارح من سائر الطاعات الا مع مشاركة القلوب لها بان

بالاخلاص لتثبيته لنا على تحقيق تعلمه اه من البيان والتفصيل قال ابن أي الانسان اذا كمل ايمانه وكثر تفكره
كان الغالب عليه الاشتياق والشوق اه قال ابن عطاء الله الفكرة هي القلب مبادي الاعتبار والفكرة سراج القلب
فاذا ذهبت فلا اضاءة له قلت قال بعض المتقدمين ان الانسان اذا تفكر علم واذا علم عمل قال ابن عباد قال
الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله تعالى التفكر نعت كل طالب وثمرته الوصول بشرط العلم فكر الزاهدين في فناء
الدنيا وقلة وفائها للطلاب فيزدادون بالفكر زهدا وفكر العابدين في جميل الثواب فيزدادون نشاطا عليه ورغبة
فيه وفكر العارفين في الآلاء والنعماء فيزدادون محبة للحق سبحانه وقوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا
أي يقولون ربنا على الثناء ما خلقت هذا باطلا بل لحكم عظيمة منصوبة من خلقته وخلقت البشر لينظروا
فيه فيوحدوك ويعبدوك فمن بعد ذلك نعمته ومن ظن غير ذلك عذبته وقوله سبحانك أي ننزهك عما يقول
المبطلون وقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته أي فلا تفعل ذلك بنا والخزي الفضيحة المخجلة الهادمة
لقدر المرء قال انس بن مالك والحسن بن ابي الحسن وابن جريج وغيرهم هذه اشارة الى من يخلد في النار واما من يخرج
منها بالشفاعة والايمان فليس بمخزي أي وما اضر بهم من عذاب انما هو تمحيص لذنوبهم وقوله تعالى وما للظالمين
من انصار هو قول الداعين وقوله تعالى ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان الآية حكاية عن اولي الالباب
قال ابو الدرداء يرحم الله المؤمنين ما زالوا يقولون ربنا ربنا حتى استجيب لهم قال ابن جريج وغيره المنادي محمد صلى
الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي المنادي كتاب الله وليس كلهم رأى النبي صلى الله عليه وسلم وسمعه وقوله
ما وعدتنا على رسلك معناه على السنة رسلك وقوله ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد اشارة الى قوله
تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه فهذا وعد تعالى وهو دال على ان الخزي انما هو مع الخلود قاله ص قال ابو
البقاء الميعاد مصدر بمعنى الوعد اه وقوله تعالى فاستجاب لهم ربهم الآية استجاب بمعنى اجاب روي ان ام سلمة
رضي الله عنها قالت يا رسول الله قد ذكر الله تعالى رجالا في الهجرة ولم يذكر النساء في شيء من ذلك فنزلت
الآية وفي رواية وعرض الله أي هذا المعاد سبحانه مع الذين يدعون بما ذكر قال الغزالي روي عن جعفر الصادق
انه قال من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وفي هذه الآية قال ابن عطية
تعالى حكى عنهم انهم قالوا ربنا خمس مرات ثم اخبر انه استجاب لهم اه وقوله تعالى بعضكم من بعض أي بعضكم
او مثل بعض والمعنى انه لا تفاوت في الثواب بين الذكر والانثى اذا استووا في الطاعة وهذا يدل على ان الفضل
في باب الدين انما هو بالاعمال الصالحة لا بسائر صفات العاملين لان كونهم ذكرا او انثى ومن نسب خسيس او شريف لا تأثير له في
هذا الباب اه وبين سبحانه حال المهاجرين ثم الآية بعد تقسيم على كل منها وقتل في الله وهاجر ايضا الى الله الى
يوم القيامة وقوله تعالى واخرجوا من ديارهم عبارة فيها الزام الذنب للكفار والزام في قوله سائغ الزام القسم

ثوابا

ثوابا مصدر مؤكد وهذه الآية بين وقوله تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد نزلت لا يغرنك نظير في هذه
الآية منزلة لا قدر حال الكفار حسنة والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته والتقلب التصرف في التجارات
والارباح والحروب وسائر الآمال وقوله تعالى متاع قليل معناه ذلك متاع وقوله تعالى وما عند الله خير للابرار يحتمل ان
يريد خيرا مما هؤلاء فيه من التقلب والتنعم ويحتمل ان يريد خيرا مما هم فيه في الدنيا وفي الحديث عنه صلى الله
عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر قال الغزالي ابن الطيب هذا بالاضافة الى ما يجده بعد من احسن
منهما في الآخرة وقيل المعنى ان المؤمن ساجن نفسه موضع تعبه في الطاعة وقوله تعالى وان من اهل الكتاب
لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم الآية قال جابر بن عبد الله وغيره هذه الآية نزلت بسبب
اصحمة النجاشي سلطان الحبشة امن بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم واصحمة تفسيره بالعربي عطية قاله
سفيان وغيره وقال قوم نزلت في عبد الله بن سلام وقال ابن زيد ومجاهد نزلت في جميع من امن من اهل
الكتاب وقوله تعالى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا مدح لهم وذم لسائر كفار اهل الكتاب لتبين الحم وايثارهم
متاع الدنيا على آخرتهم وعلى آيات الله سبحانه ثم ختم الله سبحانه السورة بهذه الوصاة التي جمعت
الظهور في الدنيا على الاعداء والفوز بنعيم الآخرة فحض سبحانه وتعالى على الطاعات وعن القصص والشهوات
وامر بالمصابرة فقيل معناه مصابرة الاعداء قاله زيد بن اسلم وقيل معناه مصابرة وعد الله في النصر قاله محمد بن كعب
القرظي أي لا تسأموا وانتظروا الفرج وقد قال صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة قال الغزالي والمصابرة
عبارة عن تحمل المكاره الواقعة بين الانسان وبين الغير اه وقوله تعالى ورابطوا معناه عند الجمهور رابطوا
اعداءكم الخيل أي ارتبطوها كما يرتبطها اعداؤكم قلت وروى مسلم في صحيحه عن سلمان قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله واجري عليه
رزقه وامن الفتان وخرج الترمذي عن فضالة بن عبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا الذي مات مرابطا في
سبيل الله فانه ينمو له عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وخرجه ابو داود
قال ويأمن من فتاني القبر وخرجه ابن ماجه باسناد صحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات
مرابطا في سبيل الله اجري عليه اجر عمله الصالح الذي كان يعمل واجري عليه رزقه وامن من الفتان وبعثه الله امنا يوم
القيامة أي يوم الفزع الاكبر وروى مسلم والبخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رباط يوم في سبيل الله خير
من الدنيا وما فيها اه وجاء في فضل الرباط احاديث كثيرة ليس هذا محل ذكرها قاله صاحب التذكرة وروى انس بن كعب
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الرباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبا من غير شهر رمضان
اعظم اجرا من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ورباط يوم في رمضان افضل عند الله واعظم اجرا

قال من عبادة الله التي سنة صيامها وقيامها الحديث ذكره الطيبي مستندا اه وان بالطاهر هو الملازمة في سبيل
الله امارات من رباط الخيل ثم جعل كل ملازم لثغر من ثغور الاسلام مرابطا فارسا كان او راجلا واللفظة
ماخوذة من الربط قلت وقال الشيخ زين الدين العراقي في اختصاره لغريب القرءان اي صابروا عدوكم ورابطوا
دوموا واثبتوا ومعنى ذلك العراقي اي هاذه المشتبه اه وروى ابن المبارك في رقائقه ان هاذه الاية في
اصبروا وصابروا ورابطوا انما انزلت في انتظار الصلاة خلف الصلاة قاله ابو سلمة بن عبد الرحمان قال ولم يكن
يومئذ غزو يرابط فيه اه قوله تعالى لعلكم تفلحون تم بحمد الله النصف الاول والحمد لله حق حمده بسم الله الرحمان الرحيم
صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم سورة النساء مدنية كلها الا اية واحدة نزلت بمكة عام الفتح وهي ان
الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما نزلت سورة
النساء الا وانا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قد بنى بها قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الاية
هاذه الاية تنبيه على الصانع وعلى افتتاح الوجود وفيها حض على التواصل لحرمة هاذا النسب والمراد
بالنفس ادم صلى الله عليه وسلم وقال واحد على تانيث لفظ النفس وزوجها يعني حواء قال ابن عباس وغيره
خلق الله ادم وحشا في الجنة وحده ثم نام فانتزع الله احد اضلاعه القصيرى من شماله وقيل من يمينه
وخلق منه حواء ويعضد هاذا الحديث الصحيح في قوله صلى الله عليه وسلم ان المراة خلقت من ضلع اعوج الحديث
الحديث وبث معناه نشر كقوله تعالى كالفراش المبثوث اي المنتشر وفي تكرير الامر بالتقوى تاكيد لنفوس
المامورين وتساءلون معناه تتعاطفون به فيقول احدكم اسالك بالله وقوله والارحام اي واتقوا الارحام
وفي قراءة حمزة والارحام بالخفض عطفا على الضمير كقولهم اسالك بالله وبالرحم قاله مجاهد وغيره قال ع وهاذه
القراءة عند نحاة البصرة لا تجوز لانه لا يجوز ان يعطف ظاهر على مضمر مخفوض قال الزجاج وغيره الا في الشعر كقوله
فاذهب فما بك والايام من عجب لان الضمير المخفوض لا ينفصل فهو كحرف من الكلمة ولا يعطف على حرف واستسهل
بعض النحاة هاذه القراءة اه كلام ابن عطية قال ص والصحيح جواز العطف على الضمير المجرور من غير اعادة
الجار كمذهب الكوفيين لان في القراءة المتواترة ما يبطل مذهب البصريين قال وقدمنا معنى الكلام عليه في قوله تعالى
وكفر به والمسجد الحرام اه وهو حسن ونحوه للامام العجي وفي قوله تعالى ان الله كان عليكم رقيبا ضرب من الوعيد
قال المحاسبي سالت ابا جعفر محمد بن موسى فقلت اجمل حالات العارفين ما هي فقال ان الحالة التي تجمع لك الحالات المحمودة كلها
في حالة واحدة هي المراقبة فالزم نفسك وقلبك دوام العلم بنظر الله اليك في حركتك وسكونك وجميع احوالك
فانك بعين الله عز وجل في جميع تقلباتك وانك في قبضته حيثما كنت وان عين الله على قلبك وناظر اليك الخ
وعلامة ثبته بهاذه الصفة يا بني نحو لشيء لم يبق حتى يعني منه الشواغل والاذكار وتنسيه هذه الشعب الى معادن
العيش

العيشة اه من كتاب الفصول الى الله سبحانه وقوله تعالى واتوا اليتامى اموالهم الاية قال ابن زيد هاذه مخاطبة لمن كانت
عادته من العرب ان لا يورث الصغير من الاولاد وقالت طائفة هاذه مخاطبة للاوصياء قال ابن العربي اه
وذلك بعد الابتلاء والارشاد اه وفي البغوي يونس وقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال ابن المسيب وغيره
هو ما كان يفعله بعضهم من ابدال الشاة السمينة من مال اليتيم بالهزيلة من ماله والدرهم الطيب بالزايف
وقيل المراد لا تاكلوا اموالهم خبيثا وتدعوا اموالكم طيبا وقيل غير هاذا والطيب هنا الحلال والخبيث الحرام
وقوله الى اموالكم التقريب ولا تضيفوا اموالهم الى اموالكم في الاكل والضمير في انه عائد على الاكل والحوب الاثم
قال ابن عباس وغيره ونحوه التوكل الى الحوب غير نقيصة وكذالك تحنث وتاثم وتحرج فان هاذه الاربعة
بخلاف تفعل كله فان تفعل معناه الدخول في الشيء كتعبد وتكسب وما اشبهه ويلحق بهاذه الاربعة
تفكهون في قوله تعالى لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون اي تطرحون الفكاهة عن انفسكم وقوله
كبيرا نص على ان اكل مال اليتيم من الكبائر وقوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى الاية قال ابو
عبيدة خفتم هاهنا بمعنى ايقنتم قال ع وما قاله غير صحيح ولا يكون الخوف بمعنى اليقين بوجه وانما
هو من افعال التوقع الا انه قد يميل فيه الظن الى احد الجهتين قلت وكلام الداودي على ابي عبيدة وعليه
غالب عبيدة فان خفتم الا تعدلوا ومجازه ايقنتم قال ابو جعفر بل هو على الظاهر من الخوف اه وتقسطوا معناه
تعدلوا يقال اقسط الرجل اذا عدل وقسط اذا جار قالت عائشة رضي الله تعالى عنها نزلت هاذه الاية في
اولياء اليتامى الذين يعجبهم اي يعجبهم جمال ولياتهم فيريدون ان يبخسوهن في المهر لمكان ولايتهم عليهن فقيل
لهم اقسطوا في مهورهن فمن خاف الا يقسط فليتزوج ما طاب له من الاجنبيات اللواتي يكايسن في حقوقهن
وقاله ربيعة قال الحسن وغيره ما طاب معناه ما حل وقيل ما طاب قلته اي دمتم تستحسنون النكاح وضعفه قلت
وفي تضعيفه نظر فتامله قال الامام البلخي وفي تفسير ما طاب بما حل نظر وذالك ان قوله تعالى فانكحوا امر
اباحة فلو كان المراد بقوله ما طاب لكم اي ما حل لكم لتنزلت الاية منزلة ما يقال انكحوا نكاحا من يكون نكاحه
مباحا لكم وذالك يخرج الاية عن الفائدة ويصيرها مجملة لا علاقة الا اذا حملنا طاب على استطابة النفس ومثل
الميل كانت الاية عامة دخلها التخصيص وقد ثبت في اصول الفقه انه اذا وقع التعارض بين الاجمال والتخصيص
كان رفع الاجمال اولى لان العام المخصص حجة في غير محل التخصيص والمجمل لا يكون حجة اصلا اه وهو حسن ومثنى
وثلاث ورباع موضعها من الاعراب نصب على البدل من ما طاب وهي نكرات لا تنصرف لانها معدولة وصفة
وقوله فواحدة اي فانكحوا واحدة او ما ملكت ايمانكم يريد به الاماء والمعنى ان خاف الا يعدل في عشرة واحدة
فما ملكت يمينه وانشرف الماله الى اليمين اذ هي صفة مدح واليمين مخصوصة بالمحاسن لتمكنها الى ان المنفعة

كما قال عليه الصلاة والسلام حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وهي المعاهرة المباركة قال ابن العربي قال
علماؤنا في هذه الآية دليل على أن ملك اليمين لا حق له في القسم والوطء لأن المعنى فإن خفتم أن لا تعدلوا في القسم
فواحدة أو ما ملكت أيمانكم فجعل سبحانه ملك اليمين كله بمنزلة الواحدة فانتفى بذلك أن يكون للأمة حق في وطء
أو قسم اهـ من الأحكام وقوله تعالى ذلك أدنى أن لا تعولوا أدنى معناه أقرب وتعولوا أي تميلوا قاله ابن عباس
وغيره والآية خطاب للأزواج وقال أبو صالح هي خطاب للأولياء في النساء لأن عادة بعض العرب كانت أن يأكل ولي
المرأة مهرها فرفع الله ذلك بالإسلام وقيل إن الآية في المتشاغرين الذين كانوا يتزوجون امرأة بأخرى فأمروا أن
يضربوا المهور قال ابن عطية والآية تتناول هذه الفرق الثلاث ونحلة أي عطية منكم لهن وقيل
نحلة معناه شرعة مأخوذ من النحل وقيل النحلة نحلة من الله لهن قال ابن العربي وذلك أن النحلة في اللغة العطية
من غير عوض اهـ وقوله تعالى فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا الآية الخطاب حسبما تقدم من الاختلاف والمعنى أن
وهبن غير مكرهات طيبة نفوسهن والضمير في منه يعود على الصداق قاله عكرمة وغيره ومن تتضمن الجنس
ها هنا ولذلك يجوز أن تهب المهر كله وقوله هنيئا مريئا قال اللغويون الطعام الهنيء هو السائغ المستحسن
الحميد المغبة وكذلك المريء وقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال أبو موسى الأشعري وغيره هي عامة في كل من
اقتضى الصفة التي شرط الله من السفه كان من كان وقوله أموالكم يريد أموال المخاطبين قاله أبو موسى
الأشعري وابن عباس والحسن وغيرهم وقال ابن جبير يريد أموال السفهاء وأضافها إلى المخاطبين إذ هي كأموالهم
وقياما جمع قيمة وقوله تعالى وارزقوهم فيها واكسوهم الآية قيل معناه فيمن يلزم الرجل نفقته وقيل في المحجورين من أموالهم
ومعروفا قيل معناه ادعوا لهم وقيل معناه عدوهم وعدا حسنا أي إن رشدتم دفعنا إليكم أموالكم ومعنى اللفظة
كل كلام تعرفه النفوس وتأنس إليه ويقتضيه الشرع وقوله تعالى وابتلوا اليتامى الآية الابتلاء الاختبار
وبلغوا النكاح معناه بلغوا مبلغ الرجال بحلم أو حيض أو غير ذلك ومعناه جربوا عقولهم وقرائحهم وتصرفهم وآنستم
معناه علمتم وشعرتم وخبرتم ومالك رحمه الله يرى الشرطين البلوغ والرشد المختبر وحينئذ يدفع المال قال ع والبلوغ
لم تسقه الآية سياق الشرط ولكنها حالة الغالب على بني آدم أن تلتئم عقولهم فيها فهو الوقت الذي لا يعتبر
شرط الرشد إلا فيه فقال إذا بلغ ذلك الوقت فلينظر إلى الشرط وهو الرشد حينئذ وفصاحة الكلام تدل على ذلك
لأن التوقيت بالبلوغ جاء بإذا والشرط جاء بإن التي هي قاعدة حروف الشرط وإذا ليست بحرف شرط لحصول ما بعدها
ضرورة الشرع قال ابن عباس الرشد في العقل وتدبير المال لا غير وهو قول ابن القاسم في مذهبنا وقال قتادة الرشد
في العقل والدين قال وهي رواية ابن القاسم عن مالك وقوله تعالى ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا نهي منه تعالى للأوصياء
عن أكل أموال اليتامى بغير الواجب المباح لهم والإسراف الإفراط في الفعل والسرف الخطأ في مواضع الإعطاء وبدارا

معناه مبادرة

معناه مبادرة كبرهم أي الوصي يستغنم مال المحجور وأن يكبر وأن يصير رشيدا ويجوز أن يكون التقدير مخافة أن يكبروا
وقوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف يقال عف الرجل عن الشيء واستعف إذا أمسك فأمر الغني بالإمساك
عن مال اليتيم وأباح الله للوصي الفقير أن يأكل من مال يتيمه بالمعروف واختلف العلماء في حد المعروف فقال
ابن عباس وغيره إنما يأكل الوصي إذا اشتد من اللبن ويأكل من الثمر بما يهنأ الجرباء ويلط الحوض ويجذ التمر وما
أشبهه قلت يقال للقطران الهناء في لغة العرب كذا رأيته منصوصا عليه وقوله تعالى فإذا دفعتم إليهم
أموالهم فأشهدوا عليهم أمر من الله تعالى بالتحرز والحزم وهذا هو الأصل في الإشهاد في المدفوعات كلها إذا
إذا كان حبسها أولا معروفا قال ع والأظهر أن حسيبا هنا معناه حاسبا أعمالكم ومجازيا بها ففي هذا وعيد
لكل جاحد حق وقوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون الآية قال قتادة وغيره سبب نزول هذه
الآية أن العرب كان منها من لا يورث النساء ويقول لا يرث إلا من طاعن بالرمح وقاتل بالسيف وقوله تعالى وإذا
حضر القسمة أولو القربى الآية اختلف فيمن خوطب بهذه الآية فقيل الخطاب للوارثين وقيل للمحتضرين
والمعنى إذا حضركم الموت أيها المؤمنون وقسمتم أموالكم بالوصية وحضركم من لا يرث من القرابة واليتامى
فارزقوهم منه قاله ابن عباس وغيره واختلف هل هي منسوخة بآية المواريث أو هي محكمة وعلى أنها محكمة
فقال الجمهور على الوجوب فيعطى لهم ما خف أو على الندب خلاف والضمير في قوله فارزقوهم وفي قوله لهم عائد على
الأصناف الثلاثة والقول المعروف كل ما يؤنس به من دعاء أو عدة أو غير ذلك وقوله تعالى وليخش الذين لو
تركوا من خلفهم الآية اختلف من المراد في هذه الآية فقال ابن عباس وغيره المراد من حضر ميتا حين يوصي فيقال
له قدم لنفسك وأعط لفلان أو فلان ويؤذي الورثة بذلك فكأن الآية تقول لهم كما كنتم تخشون على ورثتكم
وذريتكم بعدكم فكذلك فاخشوا على ورثة غيركم ولا تحملوه على تبذير ماله وتركهم عالة وقال مقسم وحضرمي
نزلت في عكس ذلك وهو أن يقول للمحتضر أمسك على ورثتك وأبق لولدك وينهاه عن الوصية فيضر بذلك ذوي القربى
واليتامى والمساكين وكل من يستحق أن يوصى له فقيل لهم كما كنتم تخشون على ذريتكم وتسرون بأن يحسن
إليهم فكذلك فسددوا القول في جهة اليتامى والمساكين قال ع والقولان لا يطرد كل واحد منهما في كل الناس بل الناس صنفان
يصلح لأحدهما القول الأول وللآخر القول الثاني وذلك أن الرجل إذا ترك ورثة أغنياء حسن أن يندب إلى الوصية ويحمل على
أن يقدم لنفسه وإذا ترك ورثة ضعفاء مقلين حسن أن يندب إلى الترك لهم والاحتياط فإن أجره في قصد ذلك كأجره
في المساكين فالمراعى إنما هو الضعف فيجب أن يمال معه وقال ابن عباس أيضا المراد بالآية من ولي يتيما والمعنى أحسنوا
إليهم وسددوا القول لهم واتقوا الله في أكل أموالهم كما تخافون على ذريتكم أن يفعل بهم خلاف ذلك وقالت فرقة
بل المراد جميع الناس فالمعنى أمرهم بالتقوى في الأيتام وأولاد الناس وإن لم يكونوا في حجورهم

كما يصير كل احد اي يعطي بولده بعده واستبشر معناه مصيب الحق وقوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى الاية
ظلما الاية قال مقاتل بن حيان نزلت في الاوصياء الذين ياكلون ما لا يحل لهم من اموال اليتامى وهي تتناول كل اكل وان
لم يكن وصيا وورد في هذا ابو عبيد احاديث منها حديث ابي سعيد الخدري قال حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم
عن ليلة اسري به قال رايت قوما لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من ياخذ بمشافرهم ثم يجعل في افواههم
حجرا من نار يخرج من اسافلهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما قلت تامل
رحمك الله حسن هذه الصورة معظمة انما هي في شان الاجوفين البطن والفرج مع اللسان وهما
المهلكان واعظم الجوارح اذية وجناية على الانسان وقد روي بمعناه من طريق الموطأ عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال من وقاه الله شر اثنين ولج الجنة ما بين لحييه وما بين رجليه قال ابو عمر بن عبد البر في
التمهيد معلوم انه اراد صلى الله عليه وسلم بما بين لحييه اللسان وما بين رجليه الفرج والله اعلم ولذا اتبعه
اردفه مالك بحديث هذا اذ جعل حديثه عن زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على ابي بكر الصديق
رضي الله عنه وهو يجبذ لسانه فقال له عمر مه غفر الله لك فقال ابو بكر ان هذا اوردني الموارد قال ابو عمر
وفي اللسان اثار كثيرة ثم قال ابو عمر وعن ابي هريرة ان اكثر ما يدخل الناس النار الاجوفان البطن والفرج
ثم اسند ابو عمر عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من يتكفل لي بما بين لحييه وما بين رجليه اضمن
له الجنة ومن طريق جابر نحوه اه والصلي هو التسخن بقرب النار او بمباشرتها والسعير الذي يوقد
المجمر ليس يصلاه الا ابن دارة واهل جهنم لانهم فيها صالون اعاذنا الله منها بجوده وكرمه والسعير
الجمر المشتعل وهذه اية من ايات الوعيد والذي يعتقده اهل السنة ان ذلك نافذ على بعض العصاة
لئلا يقع الخبر بخلافه وهي ساقطة بالمشيئة عن بعضهم قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم الاية تتضمن
الفرض والوجوب وقيل انها نزلت بسبب بنات سعد بن الربيع وقيل بسبب جابر بن عبد الله قوله تعالى للذكر
مثل حظ الانثيين اي حظ مثل حظ الانثيين وقوله فوق اثنتين معناه اثنتين فما فوقهما يقتضي ذلك قوة الكلام وانما
الوقوف مع اللفظ فيسقط معه النص على الاثنتين وحكم الثلثان لهما بالاجماع ولم يحفظ فيه خلاف الا ما
روي عن ابن عباس انه يرى لهما النصف ويثبت لهما ايضا ذلك بالقياس على الاختين وفي حديث الترمذي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى للابنتين بالثلثين قوله تعالى فان لم يكن له ولد المعنى ولا ولد ولد ذكرا كان او
انثى فلامه الثلث اي وللاب الثلثان وقوله تعالى فان كان له اخوة فلامه السدس كانوا اشقاء
او لاب او لام والاجماع على انهم يحجبون السدس الذي يحجبون الام عنه وكذا اجمعوا على ان الاخوين فصاعدا
يحجبون الام عنه الا ما روي عن ابن عباس من ان الاخوين في حكم الواحد وقوله من بعد وصية يوصي بها اجماعا

ان

بهم ونزول الشيطان اذ هي اهل لو ماتوا من الذرية وايضا فقدمت الاشياء فرضت عليه فليتقوا والذين قبلكم في
وقت ان يكون وايضا فقدمت اذ هي حق المساكين وضعفاء نواحي الذرية لانه حق عم بطلبهم بعونه وامر فيه مقال
واجمع العلماء على ان الذرية مقدمة على الوصية والاجماع على انه لا يوصي باكثر من الثلث واستحب كثير منهم
ان لا يبلغ الثلث وقوله تعالى اباؤكم وابناؤكم رفع بالابتداء والخبر مضمر تقديره هم المقسوم عليهم او هم
المعطون وهذا عرض الحكمة في ذلك وتانيس للعرب الذين كانوا يورثون على غير هذه الصفة قال ابن زيد
وقوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا يعني في الدنيا والاخرة قال الطبري الاية اشارة الى ان نفعا في الدنيا ومن هو
ما يميل اليه الطبع اه وقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد الاية الولد هنا في هذه الاية وفي
التي بعدها هم بنو الصلب وبنو ذكورهم وان سفلوا والكلالة خلو الميت عن الوالد والولد هذا هو الصحيح
وقوله تعالى وله اخ او اخت الاية الاجماع على ان الاخوة في هذه الاية الاخوة للام واما حكم سائر الاخوة
سواهم فهم المذكورون في اخر السورة وقرأ سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت لام والانثى والذكر في هذه النازلة
سواء بالاجماع وقوله تعالى غير مضار قال ابن عباس الضرار في الوصية من الكبائر ورواه عن النبي صلى الله عليه
وسلم وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ضار في وصية القاه الله تعالى في واد في جهنم قال
ع ووجوه المضارة كثيرة منها ذلك ان يقر بحق ليس عليه او يوصي باكثر من ثلثه او لوارثه قال ص غير مضار
منصوب على الحال اي غير مضار ورثته اه قلت وتقرير ابي حيان وتقريره باباه فقط حقه العالم ذا ذكره
اذ مقتضاه العموم فلو قال غير مضار ورثة او غير مضار لكان احسن لكن الغالب مضارة الورثة فلهذا افردهم
وقوله تعالى تلك حدود الله الاية تلك اشارة الى القسمة المتقدمة في المواريث وما في الاية بين وقوله تعالى
واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم الاية الفاحشة في هذا الموضع الزنا وقوله من نسائكم اضافة في معناها
الاسلام وجعل الله الشهادة على الزنا خاصة اربعة تغليظا على المدعي وسترا على العباد
قلت ومن هذا المعنى اشترط كونهم ذكورا في المجلس قال ع وكانت اول عقوبة الزناة الامساك في البيوت
ثم نسخ ذلك بالاذى الذي بعده ثم نسخ ذلك باية النور وبالرجم في الثيب قال عبادة بن الصامت وغيره عن
عمران بن حصين انه قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي اقلع عنه ووجهه محمر فقال قد جعل الله لهن
سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم خرجه مسلم وهو حسن واما ورد في
الخبر المتواتر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ولم يجلد فقال ان السنة المتواترة تنسخ القرآن ان يفعل رجم
الرسول دون جلد فانه نسخ جلد الثيب وهذا الذي عليه الامة ان السنة المتواترة تنسخ القرآن اذ هما جميعا وحي من
الله تعالى ويوجبان جميعا العلم والعمل ويتجه عندي في هذه النازلة بعينها ان يقال ان الاية نسخت قبل الحلق

هو الذي وان اشفق على ربع لعظمه ونقاء حكم في قوله تعالى الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما وهذا نسخ في الرجم وفرق كثير من
على المنع لحمل الصحابة والتابعين لكلام في مسلم والسنة في السنة وامر البخاري او يجعل الله لهن سبيلا الرجم للثيب
والجلد للبكر اه وقوله تعالى واللذان يأتيانها منكم فآذوهما الآية قال مجاهد وغيره كالآية الاولى في النساء
عموما وهذه في الرجال معقوبة النساء الحبس وعقوبة الرجال الاذى وهذا قول يقتضيه اللفظ ويستوفي
نص الكلام اصناف الزناة ويؤيده من جهة اللفظ قوله في الاولى من نسائكم وقوله في الثانية منكم واجمع
العلماء على ان هاتين الآيتين منسوختان كما تقدم وقوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء
بجهالة الآية قال ص التوبة مبتدأ على حذف مضاف اي قبول التوبة اه قال ع انما حاصرة وهو مقصد المتكلم بها
ابدا فقد تصادف من المعنى ما يقتضي العقل فيه الحصر كقوله انما الله اله واحد وقد لا تصادف ذلك كقوله انما الشجاع عنترة
وهي في هذه الآية حاصرة اه ليست التوبة لسائر الذين يعملون المذكور وتصح التوبة وان نقضت التائب في ثاني حال
بمعاودة الذنب فان التوبة الاولى طاعة قد انقضت وصحت وهو محتاج بعد مواقعة الذنب الى توبة اخرى
مستأنفة وتصح ايضا التوبة من ذنب مع الاقامة على غيره من غير نوعه خلافا للمعتزلة في قولهم لا يكون تائبا
من اقام على ذنب وقوله تعالى على الله اي على فضل الله ورحمته لعباده وهذا نحو قوله صلى الله عليه وسلم ما
حق العباد على الله انما معناه ما حقه على فضله ورحمته والعقيدة انه لا يجب على الله تعالى شيء عقلا
والسوء في هذه الآية يعم الكفر والمعاصي وقوله تعالى بجهالة معناه بسفاهة وقلة تحصيل ادى الى المعصية
وليس المعنى ان تكون الجهالة بان ذلك الفعل معصية لان المتعمد للذنوب كان يخرج من التوبة وهذا فاسد اجماعا
وما ذكرته في الجهالة قاله اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك عنهم ابو العالية وقال قتادة اجمع اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم على ان كل معصية فهي بجهالة عمدا كانت او جهلا وقال به ابن عباس ومجاهد والسدي وروي
عن مجاهد والضحاك انهما قالا الجهالة هنا العمد وقال عكرمة امور الدنيا كلها جهالة قال ع يريد الخاصة بها الخارجة
عن طاعة الله تعالى وهذا المعنى عندي جار مع قوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو واختلف المتأولون
في قوله من قريب فقال ابن عباس والسدي معنى ذلك قبل المرض والموت وقال الجمهور معنى ذلك قبل المعاينة
للملائكة والسوق وان يغلب المرء على نفسه وروى ابو قلابة ان الله تعالى لما خلق آدم فرآه ابليس اجوف
ثم جرى له ما جرى ولعن وانظر قال وعزتك لا برحت من قلبه ما دام فيه الروح وقال الله تعالى وعزتي لا احجب عنه التوبة
ما دام فيه الروح قال ع فابن عباس رضي الله عنه ذكر احسن اوقات التوبة والجمهور حددوا آخر وقتها وروى بشير
ابن كعب والحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ويغلب على عقله قال ع لان الرجاء
فيه باق ويصح منه الندم والعزم على ترك الفعل وقوله تعالى من قريب انما معناه من قريب الى وقت الذنب ومدة الحياة

كلها

كلها قريب والمبادرة في الصحة افضل قلت بل المبادرة واجبة وقوله تعالى وكان الله عليما اي بمن يتوب وييسره
هو للتوبة حكيما فيما ينفذه من ذلك وفي تأخير من يؤخر حتى يهلك ثم نفى بقوله تعالى وليست التوبة
الآية ان يدخل في حكم التائبين من حضره موته وصار في حيز اليأس كما كان فرعون حين صار في غمرة الماء والغرق
فلم ينفعه ما ظهر من الايمان وبهذا قال ابن عباس وجماعة المفسرين قال ع والعقيدة عندي في هذه الآية انه
من تاب من قريب فله حكم التائب فيغلب الظن عليه انه ينعم ولا يعذب هذا مذهب ابي المعالي وغيره وقال غيرهم
بل هو مغفور له قطعا لاخبار الله تعالى بذلك وابو المعالي يجعل تلك الاخبار ظواهر مشروطة بالمشيئة ومن
لم يتب حتى حضره الموت فليس في حكم التائبين فان كان كافرا فهو مخلد وان كان مؤمنا فهو عاص في المشيئة
لكن يغلب الخوف عليه ويقوى الظن في تعذيبه ويقطع من جهة السمع ان من هذه الصيغة من يغفر الله
تعالى له تفضلا منه ولا يعذبه واعلم الله تعالى ايضا ان الذين يموتون وهم كفار فلا مستعتب لهم ولا توبة في الآخرة
وقوله تعالى اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما ان كانت الاشارة الى الذين يموتون وهم كفار فقط فالعذاب عذاب
خلود مؤبد وان كانت الاشارة اليهم والى من ينفذ عليه الوعيد ممن لا يتوب الا مع حضور الموت فهو في جهة
هؤلاء عذاب لا خلود معه واعتدنا معناه يسرنا واحضرنا وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا
النساء كرها الآية قال ابن عباس كانوا في الجاهلية اذا مات الرجل كان اولياؤه احق بامرأته من اهلها ان
شاءوا تزوجها احدهم وان شاءوا زوجوها من غيرهم وان شاءوا منعوها الزواج فنزلت الآية [illegible]
وقال بعض المتأولين معنى الآية لا يحل لكم عضل النساء اللواتي انتم اولياء لهن وامساكهن دون تزويج حتى يمتن
فتورث اموالهن قال ع فعلى هذا القول فالموروث مالها لا هي وروي نحو هذا عن ابن عباس وقوله تعالى ولا
تعضلوهن الآية قال ابن عباس وغيره هي ايضا في اولياء الازواج الذين كانوا يحبسون المرأة لانهم كانوا يتزوجون
اذا كانت جميلة ويمسكونها حتى تموت اذا كانت ذميمة وقال نحوه الحسن وعكرمة وقال ابن عباس هو ايضا في وعكرمة
الازواج في الرجل يمسك المرأة ويسيء عشرتها حتى تفتدي وهذا القول اصح الاقوال وقال مثله قتادة وهو اقوى
الاقوال ودليل ذلك قوله الا ان يأتين بفاحشة مبينة واذا اتت بفاحشة مبينة فليس للولي حبسها حتى
يذهب بمالها اجماعا من الامة وانما ذلك للزوج على ما يأتي ان شاء الله وكل الطول قوله وعاشروهن الآية
يعني منه تقوية ما ذكرته واختلفوا في معنى الفاحشة فقال الحسن بن ابي الحسن هو الزنا وقال ابو قلابة اذا زنت
امرأة الرجل فلا بأس ان يضارها ويشق عليها حتى تفتدي منه وقال السدي اذا فعلن ذلك فخذوا مهورهن
قلت وحديث المتلاعنين يضعف هذا القول لقوله صلى الله عليه وسلم في ذلك بما استحللت من فرجها الحديث
وقال ابن عباس وعائشة الفاحشة في هذه الآية البغض والنشوز فاذا نشزت حل له ان يأخذ مالها قال ع

وهو مذهب مالك وقد وقع المعنى الخيار ... باللسان وسوء العشرة قولا وفعلا وهذا في معنى النشوز قال ع
والزنا أصعب على الزوج من النشوز والأذى وكل ذلك فاحشة تحل أخذ المال وقوله تعالى وعاشروهن بالمعروف أمر
للأزواج والأولياء ولكن المتلبس بهذا الأمر في الأغلب الأزواج والعشرة المخالطة والممازجة وقوله تعالى
فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا قال السدي الخير الكثير في المرأة الولد وقال نحوه
ابن عباس قال ع ومن فصاحة القرآن العموم الذي في لفظة شيء لأنه يطرد هذا النظر في كل ما يكرهه
الإنسان مما يجمل الصبر عليه ويحسن إذ عاقبته إلى خير إذا أريد به وجه الله وقوله تعالى وإن أردتم استبدال
زوج مكان زوج الآية لما مضى في الآية المتقدمة حكم الفراق الذي سببه المرأة وأن للزوج أخذ المال منها
عقب ذلك بذكر الفراق الذي سببه الزوج والمنع من أخذ ماله مع ذلك وقال بعض الناس يؤخذ من هذه الآية
جواز المغالاة في المهور وقال قوم لا تعطي الآية ذلك لأن التمثيل إنما جاء على جهة المبالغة والبهتان مصدر
في موضع الحال ومعناه مبهتا ... وأفضى معناه باشر وقال مجاهد وغيره الإفضاء في هذه الآية
الجماع ولكن الله كريم يكني واختلف في المراد بالميثاق الغليظ فقال الحسن وغيره هو قوله تعالى فإمساك بمعروف
أو تسريح بإحسان وقال مجاهد وابن زيد الميثاق الغليظ هو عقدة النكاح وقال ابن زيد ... وملكت النكاح
ونحو هذا ... وقال عكرمة والربيع الميثاق الغليظ ... قول النبي صلى الله عليه
وسلم استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان عندكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقوله
تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف سبب الآية ما اعتادته بعض قبائل العرب أن يخلف الرجل على امرأة
أبيه وقد كان في العرب من تزوج امرأة أبيه ... واختلف في مقتضى ألفاظ الآية فقالت فرقة قوله ما نكح
يريد النساء أي لا تنكحوا النساء اللواتي نكح آباؤكم وقوله إلا ما قد سلف معناه لكن ما قد سلف فدعوه وقال بعضهم
المعنى لكن ما قد سلف فهو معفو عنه وقال ابن زيد معنى الآية النهي عن أن يطأ الرجل امرأة وطئها أبوه إلا ما
قد سلف من الآباء في الجاهلية من الزنا بالنساء لا على وجه المناكحة فإن ذلك جائز لكم ... ذلك الزنا كان فاحشة
والمقت البغض والاحتقار بسبب رذيلة يفعلها الممقوت وساء سبيلا أي بئس المنهج والطريق
لمن يسلكه إذ عاقبته إلى عذاب الله تعالى قال ص ساء للمبالغة في الذم كبئس وسبيلا تمييز والمخصوص بالذم
محذوف أي ساء سبيل هذا النكاح كقوله تعالى بئس الشراب أي ذلك الماء اهـ وقوله تعالى حرمت عليكم أمهاتكم
الآية حرم الله سبحانه بهذه الآية سبعا من النسب وستا من بين رضاع وصهر وألحقت السنة المتواترة سابعة
وهي الجمع بين المرأة وعمتها ونص عليه الإجماع وروي عن ابن عباس أنه قال حرم الله من النسب سبعا ومن
الصهر سبعا وتلا هذه الآية وقال عمرو بن سالم مثل ذلك وجعل السابعة قوله تعالى والمحصنات وقوله
تعالى

تعالى وأمهات نسائكم أي سواء دخل بالبنت أو لم يدخل فبالعقد على البنت حرمت الأم هذا الذي عليه الجمهور
وقوله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم ذكر الأغلب من هذه الأمور إذ هذه حالة الربيبة في الأكثر وهي
محرمة وإن لم تكن في الحجر ويقال حجر بكسر الحاء وفتحها وهو مقدم ثوب الإنسان وما بين يديه منه ثم استعملت اللفظة
في الحفظ والستر وقوله تعالى اللاتي دخلتم بهن قال ابن عباس وغيره الدخول هنا الجماع وجمهور العلماء يقولون
يقولون إن جميع أنواع التلذذ بالأم يحرم البنت كما يحرمها الجماع والحلائل جمع حليلة لأنها تحل مع الزوج حيث
حل فهي فعيلة بمعنى فاعلة وذهب الزجاج وقوم إلى أنها من لفظة الحلال فهي حليلة بمعنى محللة وقوله
تعالى الذين من أصلابكم يخرج من كانت العرب تتبناه ممن ليس للصلب وحرمت حليلة الابن من الرضاع وإن لم يكن للصلب
بالإجماع المستند إلى قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقوله تعالى وأن تجمعوا بين الأختين
لفظ يعم الجمع بنكاح أو بملك يمين وأجمعت الأمة على منع جمعهما بنكاح ولا خلاف في جواز جمعهما بالملك ومذهب
مالك أن له أن يطأ أيتهما شاء والكف عن الأخرى موكول إلى أمانته فإن أراد وطء الأخرى فيلزمه أن يحرم فرج الأولى
بعتق أو كتابة أو غير ذلك وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة
وخالتها وأجمعت الأمة على ذلك وقوله تعالى والمحصنات عطف على المحرمات قبل والتحصن التمنع ومنه
الحصن وحصنت المرأة امتنعت بوجه من وجوه الامتناع وأحصنت نفسها وأحصنها غيرها والإحصان
تستعمله العرب في أربعة أشياء وعلى ذلك تصرفت اللفظة في كتاب الله عز وجل فتستعمله في الزواج لأن
ملك الزوج منعة وحفظ وتستعمله في الحرية لأن الإماء كان عرفهن في الجاهلية الزنا والحرة بخلاف ذلك
ألا ترى إلى قول هند وهل تزني الحرة وتستعمله في الإسلام لأنه حافظ وتستعمله في العفة لأنه إذا ارتبطت
بها الإنسان وظهرت على شخص ما وتخلق بها فهي منعة وحفظ وحيثما وقعت اللفظة في القرآن فلا تجدها
تخرج عن هذه المعاني لكنه قد تقوى فيها بعض هذه المعاني دون بعض بما يتبين بعد إن شاء الله وقد
أي شاء الله تعالى بقوله سبحانه في هذه الآية والمحصنات قال ابن عباس وغيره هن ذوات الأزواج
فهي محرمة إلا ما ملكت اليمين وروي عن ابن شهاب أنه سئل عن هذه الآية والمحصنات من النساء فقال نرى أنه
حرم في هذه الآية ذوات الأزواج والعفائف من حرائر ومملوكات ولم يحل شيء من ذلك إلا بنكاح أو شراء
أو تملك وهذا قول حسن عمم لفظ الإحصان ولفظ ملك اليمين وذلك راجع إلى أن الله تعالى حرم الزنا قال
عبيدة السلماني وغيره قوله تعالى كتاب الله عليكم إشارة إلى ما ثبت من القرآن من قوله تعالى مثنى
وثلاث ورباع وفي هذا بعد والأظهر أن قوله كتاب الله عليكم إنما هو إشارة إلى التحريم الحاجز بين الناس وبين
ما كانت الجاهلية تفعله قال الطبري وكتاب الله عليكم مصدر من غير لفظه العامل فيه وقال الزجاج ويجوز أن يكون

منصوبا على حذف الامر ويكون عليكم اغراء ويكون المعنى الزموا كتاب الله فيهن وفي التفسير اي عمر بن عبد
الذي كتاب الله عليكم اي حكمه فيهن وفرضه عليكم اهـ وقوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم قال عطاء وغيره المعنى
واحل لكم ما وراء من حرم قلت اي على ما عدا المعدود من النساء بعضه قال ع وان تبتغوا باموالكم يجمع التسري والتزويج
والشراء ومحصنين معناه متحصنين اي متعففين اي تحصنون انفسكم بذلك غير مسافحين اي غير زناة والسفاح
الزنى اهـ وقوله تعالى فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن قال ابن عباس وغيره المعنى فاذا استمتعتم بالزوجة
ووقع الوطء ولو مرة فقد وجب اعطاء الاجر وهو المهر كله وقال ابن عباس ايضا وغيره ان الاية نزلت في
نكاح المتعة قال ابن المسيب ثم نسخت قال ابن عطية وقد كانت المتعة في صدر الاسلام ثم نهى عنها النبي صلى
الله عليه وسلم وقوله تعالى ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به اي من حط وتاخير بعد استقرار الفريضة ومن قال
ان الاية المتقدمة في المتعة قال ذلك اشارة بهذا الى ما تراضيا عليه من زيادة في مدة المتعة وزيادة في الاجر
جائز وقوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا الاية قال ابن عباس وغيره الطول هنا السعة في المال وقال
مالك في المدونة معنى هذا الاية وقيل ان يجد للحرة والامة رشا باجتماع شي طيف عدم السعة في المال
وهو ما اللغة وهذا هو نص مالك في المدونة قال مالك في المدونة وليست الحرة تحته بطول الا حسنى العنت اهـ
وقال ابو حنيفة اي محمد ما يقتضي ان الحرة تحته لا بد الطول قال الشيخ ابو الحسن اللخمي وهو ظاهر القرآن وقال ابن
حبيب وقال ابو حنيفة وجود الحرة تحته لا يجوز معه نكاح الامة وقاله اللخمي قال ويقول مالك ان الحرة طول الا بعلة
الطاول اذا نقصت وحرو اتسع وطوان يخصه في اصل الفقه والمعلقة في هذا الموضع الحاجب والعناية وان
كانت في اللغة وافعة على البشرة ابدية كانت حرمة عليه الاما وقبح ذلك المؤمنين في هذا الموضع مع
مستثنى كان عندما لكم جمهور اصحابه فلا يجوز نكاح امة كافرة عنده قلت والعلة في منع نكاح
الامة ما يخولهم الشيطان من ان قال الوالد وقوله تعالى والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض معناه والله
اعلم ببواطن الامور ولكم ظواهرها فاذا كانت الفتاة ظاهرة الايمان فنكاحها صحيح وفي الكلام ارتضاء
قلتم من على الله ربما كان ايمان بعض الاماء افضل من ايمان بعض الحرائر فلا تعجبوا المعنى الحرية والنسب
بهذا الكلام ان الناس سواء بنو الحرائر وبنو الاماء الحكم عند الله تعالى وهذه ترطئة لنفوس العرب
الذين كانت تستهجن ولد الامة وقوله تعالى فانكحوهن باذن اهلهن معناه بولاية ارباب الملك واتوهن
اجورهن اي مهورهن بالمعروف معناه بالشرع والسنة ومحصنات الظاهر انه بمعنى عفائف قال
ع محصنات منصوب على الحال والظاهر ان العامل فانكحوهن ويجوز ان يكون العامل فاتوهن محصنات
اي عفائف والمسافحات الزواني المستترات اللواتي هن سوق للزنى ومتخذات اخدان هن المستترات

اللواتي يتخذن واحدا واحدا ومن فيهن خفية وهذا في كلام ابو عبيدة في الجاهلية قال ابن عباس وغيره
وقوله تعالى فاذا احصن الاية قرئ احصن قال الزهري وغيره فالمتزوجة محدودة بالقرآن والمسلمة
غير المتزوجة محدودة بالحديث وفي مسلم والبخاري انه قيل يا رسول الله الامة اذا زنت ولم تحصن فاوجب
عليها الحد والحرة السنة هذا الحديث قال ع وجه اذا ما زنت فليجلدها والمحصنات في هذه الاية
الحرائر اذ هي الصفة المشهورة في الحرائر الكاملة والرجم لا يتبعض فلم يرد في الاية بالاجماع والحد
اللازم المسافحة قال ابن عباس وغيره والعنت هنا الزنا وقوله تعالى وان تصبروا خير لكم يعني عن
نكاح الاماء قاله ابن عباس وغيره وهذا ندب الى الترك وعلته ما يؤدي اليه من استرقاق الولد ومهنته
وقوله تعالى يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم عند سيبويه ان يبين لكم قال المعنى في شرح
السنن الطرق ووجوه الامور والاوامر والنواهي فلسنا بم المومنون في كل شريعة وقوله تعالى والله
يريد ان يتوب عليكم الاية قال هذه الاية الاخبار عن ارادة الذين يتبعون الشهوات فقد مضادة لارادة الله
توطئة مظهرة لعبادة ارادة متبعي الشهوات واختلف المتاولون في تعيين متبعي الشهوات فقال مجاهد
هم الزناة وقال السدي هم اليهود والنصارى وقالت فرقة هم اليهود خاصة لانهم ارادوا ان يتبع
المسلمون في نكاح الاخوات من الاب وقال ابن زيد الحق على العموم في هؤلاء وفي كل متبع شهوة وتحرم
الطبري وقوله تعالى يريد الله ان يخفف عنكم الاية اي لثقلها معيل النفس عن النساء خفيفا عليكم
باطلة ذلكم قاله مجاهد وغيره وهو ظاهر مقصود الاية ثم بعد هذا المعنى جاءت الاية لجميع المعنى
لانها تتناول كل ما خففه الله تعالى عن عباده وجعله الدين يسرا او يقع الاخبار عن ضعف الانسان حسبما
هو في نفسه ضعيفا يستميله هواه في الاغلب وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم
بالباطل الاية ان الاستثناء منقطع لا تكون الا ان تكون تجارة مطلوبة واخرج البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من اخذ اموال الناس يريد اداءها ادى الله عنه ومن اخذها يريد اتلافها اتلفه الله اهـ وقوله تعالى
ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما الجمع المتاولون على ان المقصود بهذه الاية النهي عن ان يقتل
بعض الناس بعضا ثم لفظها يتناول ان يقتل الرجل نفسه بقصد منه للقتل او بان يحملها على غرر ربما مات
منه فهذا كله يتناوله النهي وقد احتج عمرو بن العاص بهذه الاية حين امتنع من الاغتسال بالماء
البارد خوفا على نفسه منه فاقر رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجاجه وقوله تعالى ومن يفعل ذلك
عدوانا وظلما الاية اختلف في المشار اليه بذلك فقال عطاء ذلك عائد على القتل لانه اقرب مذكور وقالت فرقة
ذلك عائد على اكل المال بالباطل وقتل النفس وقالت فرقة ذلك عائد على كل ما نهي عنه من اول السورة

وقال القطبي تُبنى ذلك على ما نهى عنه من الامور وعين ذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا
النساء كرها الى قوله ما نهيتم عنه فقيل الى اول السورة في قول وعبيد قال ابن العربي في احكامه والقول الاول اصح وما عداه
محتمل له والعدوان تجاوز الحد قال ع عدوانا وظلما مصدران في موضع الحال مفعولين وقال مكي ابو البقاء او مفعول
من اجله ولقد اختلف العلماء في الكبائر فقال ابن عباس وغيره الكبائر كل ما ورد عليه وعيد بنار او عذاب او
لعنة او ما اشبه ذلك وقال ابن عباس ايضا كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وعلى هذا القول اخذ الكلام القاضي
ابو المعالي وغيره قالوا انما قيل صغيرة بالاضافة الى اكبر منها وشارفها في نفسها كبيرة من حيث المعصي بالجميع
واحد واختلف العلماء في هذه المسئلة جماعة من الفقهاء والمحدثين يرون ان باجتناب الكبائر تكفر الصغائر
قطعا واما الاصوليون فقالوا محمل ذلك على غلبة الظن وقوة الرجاء لا على القطع ومحمل الكبائر عند الاصوليين
في هذه الاية اجناس الكفر والاية التي قيدت فيها الحكم فيرد اليها هذه المطلقات كلها قوله تعالى ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وكما يقتضي كل ما للعصاة وفي الصحيح ما يقتضي ان ذلك بهم وهذه الاية رجاء وروي انه
حديث في مسند البخاري عن ابي هريرة وابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر ثم قال
والذي نفسي بيده ثلاث مرات ثم سكت فاكب كل واحد منا يبكي حتى نظر الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ما من
عبد يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويجتنب الكبائر السبع الا فتحت له ثمانية ابواب من الجنة يوم القيامة
حتى انها لتصطفق ثم تلا قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم الاية من تذكرة القرطبي
ونحوه ما رواه مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان
الى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنبت الكبائر قال ابن عطية وعلى هذا جماعة اهل السنة وجل وجماعة الفقهاء وهو
الصحيح والصغائر تكفر باجتناب الكبائر قطعا بوعد الله الصادق وقوله الحق سبحانه واما الكبائر فلا يكفرها
الا التوبة منها اه قلت وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله ما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا
بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المومنات اه قوله تعالى ولا تتمنوا
ما فضل الله به بعضكم على بعض الاية سبب نزولها ان النساء قلن ليتنا استوينا مع الرجال في الميراث وشركناهم
في الغزو وروي ان ام سلمة قالت ذلك او نحوه وقال الرجال ليت لنا في الاخرة حظا زائدا على النساء كما لنا عليهن في
الدنيا فنزلت الاية قال ع لان في تمنيهم هذا تحكما على الشريعة وتطرقا الى الدفع في صدر حكم الله وهذا نهي عن
كل تمن بخلاف حكم شرعي ويدخل في النهي ان يتمنى الرجل حال الاخر من دين او دنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم وددت ان اقتل
في سبيل الله ثم احيا فاقتل ثم احيا الحديث وفي غير موضع ولقوله تعالى واسألوا الله من فضله قال العتبي

سمعت

سمعت الشيخ ابا علي يقول من علامات المعرفة ان لا تسأل حوائجك قلت او كثرت الا من الله تعالى مثل موسى
اشتاق الى الرؤية فقال رب ارني انظر اليك واحتاج مرة الى رغيف فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير اه من التيسير قوله تعالى
للرجال نصيب الاية قالت فرقة معناه من الاجر والحسنات وكانه قيل للناس لا تتمنوا في امر خلاف ما حكم الله به
واجتنبوا ذلك فان الله تعالى قد جعل لكل احد نصيبا من الاجر والفضل بحسب اكتسابه فيما شرع له وهذا
قول حسن وفي تعليقه سبحانه النصيب بالاكتساب حض على العمل وتنبيه على كسب الخير قوله تعالى واسألوا الله
من فضله قال ابن جبير وغيره هذا في فضل العبادات والدين لا في فضل الدنيا وقال الجمهور ذلك على العموم وهو الذي
يقتضيه اللفظ وقوله واسألوا يقتضي مفعولا ثانيا تقديره واسألوا الله الجنة او كثيرا من فضله قوله تعالى ولكل
جعلنا موالي الاية اي ولكل احد قال ابن عباس وغيره الموالي هنا العصبة والورثة والمعنى ولكل احد قال ابن عباس
جعلنا له موالي يرثون مما ترك الوالدان والاقربون قوله تعالى والذين عاقدت ايمانكم رفع بالابتداء والخبر في قوله
فاتوهم نصيبهم واختلف في المراد بالذين فقال الحسن وابن عباس وابن جبير وغيرهم هم الاحلاف فان العرب كانت
تتوارث بالحلف ثم نسخت هذه الاية بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقال ابن عباس ايضا هم الذين كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخا بينهم كانوا يتوارثون بهذه الاية حتى نسخ ذلك بما تقدم وقال ابن المسيب هم الذين كانوا
يتبنون قال ع ولفظ المعاقدة والايمان يرجح ان المراد الاحلاف قوله تعالى الرجال قوامون على النساء الاية قوام فعال وهو
ابلغ من قائم وهو الناظر للشيء المعتني به وحفظه فقيام الرجال على النساء هو على هذا الحد وتعليل ذلك
بالفضيلة والنفقة يقتضي ان للرجال عليهن استيلاء وقال ابن عباس الرجال امراء على النساء قال ابن العربي في احكامه
وللرجال عليهن درجة لفضل القوامية فعليه ان يبذل المهر والنفقة وحسن العشرة وتحجبها وتامرها بطاعة
الله وتنهي اليها شعائر الاسلام من صلاة وصيام وما وجب على المسلمين وعليها الحفظ لماله والاحسان الى
اهله والالتزام لامره في الحجبة وغيرها الا باذنه وقبول قوله في الطاعات اه وما مضى في الموضع والصالحات
في قوله فالصالحات هو الخير في الدين وقانتات معناه مطيعات لازواجهن او لله في ازواجهن حافظات للغيب معناه
كل ما غاب عن علم زوجها مما استرعته وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير النساء
امرأة اذا نظرت اليها سرتك واذا امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها ثم قرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه الاية وقوله بما حفظ الله ما مصدرية تقديره بحفظ الله ويصح ان تكون بمعنى الذي ويكون
العائد في حفظ محذوف اي الذي حفظه الله ويكون المعنى اما حفظ الله ورعايته الذي لا يتم امر دونه
واعلم واوامره ونواهيه للنساء فكانت حافظة بمعنى ان النساء يحفظن بازاء ذلك وفرق للنساء فكانت حافظة
بمعنى ان النساء يحفظن بازاء ذلك وفرق قوله تعالى واللاتي تخافون نشوزهن الاية النشوز ان تتعوج المرأة

تتعوج

وإن نوع خلقهن وتستعلي على زوجها واهجروهن في المضاجع قال ابن عباس يضاجعها ويوليها ظهره ولا يجامعها
وقال مجاهد يتنوا مضاجعهن وقال ابن جبير هي هجر الكلام أي لا تكلموهن وأعرضوا عنهن فيقدرن فلا تفعلوا والهجر
في سبب المضاجع حتى يرجعن قوله في المضاجع ذكر أبو البقاء فيه وجهين أحدهما أن في على بابها من الظرفية
أي اهجروهن في مضاجعهن لا مضاجعة أي اتركوا مضاجعتهن دون تركهن مكانا والثاني أن في بمعنى السبب أي اهجروهن
بسبب المضاجع ثم نقول في هذه الحكاية عقوبة اهـ وكونها للظرفية أظهر والله أعلم والضرب في هذه الآية
ضرب لا دق غير المبرح وهو الذي لا يكسر عظما ولا يشين جارحة وقال صلى الله عليه وسلم اضربوا النساء
إذا عصينكم في معروف ضربا غير مبرح قال عطاء قلت لابن عباس ما الضرب غير المبرح قال بالسواك ونحوه
قال ابن العربي في أحكامه قوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
إن لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه وعليهن أن لا يأتين بفاحشة
مبينة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فإن انتهين فلهن
رزقهن وكسوتهن بالمعروف وفي هذا دليل على أن الناشز لا نفقة لها ولا كسوة وأن الفاحشة هي البذاء ليس الزنى
كما قال العلماء ففسر النبي صلى الله عليه وسلم الضرب ونبه أنه لا يكون مبرحا أي لا يظهر له أثر على البدن اهـ قال
ع وهذه العظة والهجر والضرب مراتب إن وقعت الطاعة عند إحداها لم يتعد إلى سائرها ونقول معنى
تطلبوا سبيلا أي إلى الأذى وهو التعنت والتعسف بقول أو فعل وهذا نهي عن ظلمهن وحسن هذا الاتصاف
بالعلو والكبر أي قدره سبحانه فوق كل قدر ويده بالقدرة فوق كل يد فلا يستعلي أحد بالظلم على امرأته والله
بالمرصاد وينظر إلى هذا حديث أبي مسعود قال كنت أضرب غلاما لي فسمعت قائلا يقول اعلم أبا مسعود اعلم
أبا مسعود فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا
الغلام الحديث وقوله تعالى وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا الآية اختلف من المأمور بالبعث فقيل الحكام وقيل
المخاطب الأزواج والأولياء ثم نقول حكم الحكمين وهذا لمذهب مالك وسائر أهل بيعه وغيره ولا يبعث الحكمان إلا مع
شدة الخوف والشقاق ومذهب مالك وجمهور العلماء أن الحكمين ينظران في كل شيء أو يحملان على الظالم ويمضيان
ما رأياه من تفريق أو وفاق وهو قول علي بن أبي طالب في المدونة وغيرها وقوله إن يريدا إصلاحا قال مجاهد
وغيره المراد الحكمان أي إذا نصحا وقصدا الخير بورك في وساطتهما وقالت فرقة المراد الزوجان والأول أظهر وكذلك
التحكيم في بنيهما يحتمل الوجهين والظاهر أنه للتي وجهين والتوفيق بما ذكر من إرادة الإصلاح
قوله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا العبادة التذلل بالطاعة وإحسانا مصدر
والعامل فيه فعل تقديره وأحسنوا بالوالدين إحسانا وبذي القربى هو القريب في النسب من قبل الأب والأم قال ابن

عباس

عباس وغيره والجار ذي القربى القريب في النسب والجار الجنب هو الجار الأجنبي وقالت فرقة الجار ذي القربى هو
الجار القريب في المسكن منك والجار الجنب هو البعيد المسكن منك والمجاورة تتفاضل بعضها أرضى من بعض اهـ
ابن عطية قال ابن العربي وغيره والصاحب بالجنب هو الرفيق في السفر وقال علي وابن مسعود وابن أبي ليلى
وغيرهم هو الزوجة وقال ابن زيد هو الذي يلزمك لتنفعه واستند الطبري إلى أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان معه رجل من أصحابه وهما على راحلتين فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم غيضة فقطع قضيبين أحدهما
معوج وخرج فأعطى صاحبه القويم وحبس هو المعوج فقال له الرجل كنت يا رسول الله أحق بهذا فقال له يا فلان إن
كل صاحب يصحب آخر فإنه مسؤول عن صحبته ولو ساعة من نهار قلت وأسند الحافظ محمد بن طاهر المقدسي عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره اهـ من صفوة
التصوف وفي الترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه
سيورثه أخرجه البخاري وأخرجه أيضا من طريق عائشة رضي الله تعالى عنها اهـ وابن السبيل المسافر سمي ابنه
للزومه له وما ملكت أيمانكم هم العبيد ذكرا قال ابن العربي في أحكامه وقد أمر الله سبحانه بالرفق بهم والإحسان
إليهم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فأطعموهم مما تأكلون واكسوهم
مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فإن كلفتموهم فأعينوهم اهـ ونفى سبحانه محبته عن صفته
الخيلاء والفخر والمختال ذو الخيلاء من التكبر خال يختال إذا تكبر وأعجب بنفسه وخص سبحانه هاتين
الصفتين هنا إذ مقتضاهما العجب والزهو وذلك هو الحامل على الإخلال بالأصناف الذين تقدم أمر الله بالإحسان
إليهم وقوله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل الآية قالت فرقة الذين في موضع نصب بدل من من في قوله من
كان مختالا ومعناه على هذا يبخلون بأموالهم ويأمرون الناس يعني إخوانهم ومن هو مظنة طاعتهم بالبخل
بالأموال أن تنفقوا في شيء من وجوه الإحسان إلى من ذكر ويكتمون ما آتاهم الله من فضله يعني من الرزق والمال
والمال فكلا لا زيادة لعباد المؤمنين وأما الكافرون فما عند ربهم عذابا مهينا وروي أن الآية نزلت في أحبار اليهود بالمدينة
إذ كتموا أمر النبي صلى الله عليه وسلم وبخلوا به والتوعد بالعذاب المهين لهم واعتدنا معناه يسرنا وأحضرنا
والعتيد الحاضر والمهين الذي يقترن به خزي وذل وهو أنكى وأشد على المعذب وقوله تعالى والذين ينفقون أموالهم رئاء
الناس الآية الذين في موضع رفع على القطع والخبر محذوف تقديره بعد اليوم الآخر معذبون والشيطان الذي عليه
الجمهور أن هذه الآية في المنافقين والعرب يجعل بعضها على من المقارنة وهي الملازمة ولا إطعام ولا إنسان
كله ثم ذم الشيطان على الوفق عاصرة وقوله تعالى وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر على سبيل التقوى وأي شيء
عليهم لو آمنوا وفي هذا الكلام تفجع ما عليهم واستدعاء جميل يقتضي حظهم وإشفاقا ولو كان الشيء عليهم

لخبار السحرة وغيرهم ونحو ذلك على سوء بواطنهم اي يجازيهم بما علم الله منهم سبحانه (قوله تعالى) ان الله لا يظلم مثقال ذرة
الذرة مثقال مفعال من الثقل والذرة الصغيرة الحمراء من النمل وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال الذرة راس النملة
وفي قراءة ابن عباس مثقال نملة قال قتادة عن نفسه ورواه عن بعض العلماء لان تفضل حسناتي على سيئاتي بمثقال ذرة
احب الي من الدنيا جميعا (قوله تعالى) وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما وفي صحيح مسلم وغيره من حديث ابي
سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم اللهم سلم
وفيه فيمر المومنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل
ومكدوس في نار جهنم حتى اذا خلص المومنون من النار فوالذي نفسي بيده ما منكم من احد باشد مناشدة لله
في استيفاء الحق من المومنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون
فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه
ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا
كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه
فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد الخدري يقول ان لم تصدقوني في هذا الحديث فاقرءوا
ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة الاية فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المومنون
ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط الحديث وللبخاري مع
انتهى ... ما انتم باشد لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المومنين يومئذ للجبار اذا راوا انهم قد نجوا في اخوانهم الحديث وقرا نافع وابن
كثير بالرفع حسنة على تمام كان التامة وقرا الباقون حسنة بالنصب وقرا ابن كثير يضعفها
وهو بناء تكثير يقتضي التكثير من مرة الى مرات الى ما لا يحصى من العدد قال بعض المتاولين هذه الاية خص بها المهاجرون
لان الله تعالى اعلم في كتابه ان الحسنة لكل مومن مضاعفة عشر امثالها واعلم في هذه الاية انها تضاعف مرارا كثيرة
حسبما روى ابو هريرة من ان الحسنة تضاعف الفي الف مرة وروي غيره الف الف مرة وقال بعضهم بل وعد بذلك جميع
المومنين قال ع والاية تعم المومنين والكافرين فاما المومنون فيجازون في الاخرة على ما قدموا من خير زادوا ما اكتسبوه في
الدنيا ... يجعلون من خير فيما لا يتوقف عليه الاعمال في الدنيا ويأتون يوم القيامة ولا حسنة لهم (قلت) وقد ذكرنا
في هذا المختصر من احاديث الرجاء واحاديث الشفاعة جملة كافية لا توجد مجموعة في غيره ... فيه عسى
الله ان ينفع به الناظر فيه ومن اعظمها احاديث الرجاء ما ذكره عياض في الشفاء قال ومن حديث انس سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر وهذا الحديث
اخرجه الشاميي ولفظه اي لاشفع يوم القيامة لاكثر مما في الارض من حجر ومدر اخرجه ... من الكوكب الدري ومن لدنه

معناه

معناه من عندك والاجر العظيم الجنة قاله ابن مسعود وغيره واذا من الله بتفضله (قوله تعالى) فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا هذه الاية تقتضي ان النبي ... فيما ... ذلك الاحكام يوم القيامة
حسن ... ذلك ... التي يحضر ذلك فيه ... الشهداء على امتهم ومعنى الاية ان الله تعالى
ياتي بالانبياء شهداء على اممهم بالتصديق والتكذيب ومعنى الامة في هذه الاية جميع من بعث اليه من امن منهم
ومن كفر وكذلك قال المتاولون ان الاشارة بهولاء الى كفار قريش وغيرهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا
قرا هذه الاية فاضت عيناه وكذلك ذرفت عيناه عليه السلام حين قراها عليه ابن مسعود حسبما هو مذكور في الحديث
الصحيح وفي صحيح البخاري عن عقبة بن عامر قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى احد صلاته على الميت بعد ثمان سنين كالمودع
للاحياء والاموات ثم طلع المنبر فقال اني بين ايديكم فرط وانا شهيد عليكم وان موعدكم الحوض واني لانظر اليه من
مقامي هذا واني لست اخشى عليكم ان تشركوا ولكني اخشى عليكم الدنيا ان تنافسوها قال فكانت اخر نظرة
نظرتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى (وقوله تعالى) لو تسوى بهم الارض قالت فرقة معناه تسوى بهم الارض
في تستوي هي بانفسهم عليهم وقالت فرقة معناه لو تسوى هي معهم في ان يكونوا ترابا كالبهائم
(وقوله تعالى) ولا يكتمون الله حديثا معناه عند طائفة ان الكفار يودون من هول وشدة المخاوف يودون
لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون ذلك اليوم ثم استانف الكلام فاخبر انهم لا يكتمون الله حديثا لنطق
جوارحهم بذلك كله حين يقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيقول الله سبحانه كذبتم ثم تنطق جوارحهم بذلك كله
فلا يكتمون حديثا وهذا قول ابن عباس وقالت طائفة الكلام كله متصل ومودتهم ان لا يكتمون الله حديثا انما هي ندم
على كذبهم حين قالوا والله ربنا ما كنا مشركين والرسول في هذه الاية الجنس شرف بالذكر وهو مفرد دال على الجمع
(قوله تعالى) يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون الاية نزلت قبل تحريم الخمر
وجمهور المفسرين على ان المراد سكر الخمر الا الضحاك فانه قال المراد سكر النوم وهذا قول ضعيف والمراد بالصلوة
هنا الصلاة المعروفة وقالت طائفة الصلاة هنا المراد بها موضع الصلاة والصلاة معا قال ابن العربي في
احكامه وروي في سبب نزول هذه الاية عن علي رضي الله تعالى عنه انه قال صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما
فدعانا وسقانا من الخمر فاخذت الخمر منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت قل يا ايها الكافرون
لا اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى
الاية خرجه مسلم والترمذي وصححه (وقوله تعالى) ولا جنبا الا عابري سبيل قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وغيره عابر
السبيل المسافر وقال ابن مسعود وغيره عابر السبيل هنا الخاطي في المسجد وعابر السبيل هو من العبور اي
الخطور والجواز والمريض المذكور في الاية هو المجدور ... ما اقتضى من المرض كما يستعمل في فصاد

الفاحشة والملامسة في اللغة لفظ يقع للمس الذي هو الجماع وللمس الذي هو جس اليد والقبلة ونحوه واختلف في موقعها
هنا فمالك رحمه الله يقول اللفظة هنا تقتضي الوجهين فالملامس بالجماع يتيمم والملامس باليد يتيمم ومعنى قوله
تعالى فتيمموا اقصدوا والصعيد في اللغة وجه الأرض قاله الخليل وغيره واختلف العلماء فيه من أجل تقييده
بالطيب فقالت طائفة منهم يتيمم بوجه الأرض ترابا كان أو رملا أو حجارة أو معدنا أو سبخة وجعلت الطيب بمعنى
الطاهر وهذا هو مذهب مالك وقالت طائفة منهم الطيب بمعنى المنبت كما قال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته بإذن
ربه فالصعيد عندهم هو التراب وهذه الطائفة تجيز التيمم بغيره فكأن الإجماع أن يتيمم بتراب منبت طاهر
غير منقول ولا مغصوب وترتيب الفعل أن الوجه قبل اليدين وبعد الجمهور في المدونة أن التيمم في نيات وجمهور
العلماء أن التيمم في مسح اليدين إلى المرافق وقوله تعالى ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة الآية
رؤية القلب وهي علم بالشيء والمراد بالذين اليهود قاله قتادة وغيره ثم اللفظة تتناول معهم النصارى
وقال ابن عباس نزلت في رفاعة بن زيد بن التابوت اليهودي والكتاب التوراة والإنجيل ويشترون عبارة عن إيثارهم
الكفر وتركهم الإيمان وقالت فرقة أراد الذين كانوا يعطون أموالهم للأحبار على إقامة شرعهم فهو شراء على حقيقته ويريدون
أن تضلوا السبيل معناه أن تكفروا وقوله تعالى والله أعلم بأعدائكم خبر في ضمنه التحذير منهم وكفى بالله وليا وكفى
أي اكتفوا بالله وليا وقوله تعالى من الذين هادوا قال بعض المتأولين من راجعة إلى الذين أوتوا وقالت فرقة من
متعلقة بنصيرا والمعنى ينصركم من الذين هادوا فعلى هذا لا يوقف على قوله نصيرا وقالت فرقة هي ابتداء كلام
وفيه إضمار تقديره قوم يحرفون وهذا مذهب أبي علي وعلى هذا التأويل يوقف على نصيرا وقول سيبويه أصوب
لأن إضمار الموصول ثقيل وإضمار الموصوف أسهل وتحريفهم الكلم على وجهين إما بتغيير اللفظ وقد فعلوا ذلك في الأقل
وإما بتغيير التأويل وقد فعلوا ذلك في الأكثر وإليه ذهب الطبري وهذا كله في التوراة على قول الجمهور وقالت
طائفة هو كلم القرآن وقال مكي هو كلام النبي صلى الله عليه وسلم فالتحريف على هذا في التأويل وقوله تعالى سمعنا وعصينا
عبارة عن عتوهم في كفرهم وطغيانهم فيه وغير مسمع يتخرج فيه معنيان أحدهما غير مأمور وغير صاغر كأنهم قالوا
غير أن تسمع مأمورا بذلك والآخر على جهة الدعاء أي لا سمعت كما تقول امض غير مصيب ونحو ذلك فكانت اليهود
إذا خاطبت النبي صلى الله عليه وسلم بغير مسمع أرادوا في الباطن الدعاء عليه وأظهروا أنهم يريدون تعظيمه قال ابن عباس وغيره
ونحوه وكذلك كانوا يريدون منه في قولهم راعنا معنى الرعونة وحكى مكي معنى رعاية الماشية ويظهرون منه
معنى المراعاة فهذا معنى ليا بألسنتهم وقال الحسن ومجاهد غير مسمع أي غير مقبول منك ولينا أصله لويا وطعنا في
الدين أي توهينا له وإظهارا للاستخفاف به وهذا اللي باللسان إلى خلاف ما في القلب موجود حتى الآن
في بني إسرائيل ويحفظ منه في عصرنا أمثلة إلا أنه لا يليق ذكرها بهذا الكتاب قوله تعالى ولو أنهم قالوا سمعنا

وسمعوا

وسمعوا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم معناه أعدل وأصوب وقليلا نعت إما لإيمان وإما لنفي أو لقوم
والمعنى مختلف وقوله تعالى يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم الآية
هذه خطاب لليهود والنصارى ولما معكم معناه من شرع وملة لا لما معهم من مبدل
ومغير والطامس الداثر المغير الأعلام قالت طائفة طمس الوجوه هنا هو خلوه
من الحواس وزوال الخلقة وقال ابن عباس وغيره طمس الوجوه أن تزال العينان
خاصة منها وترد العينان في القفا فيكون ذلك ردا على الأدبار ويمشي القهقرى وقال مالك رحمه الله
كان أول إسلام كعب الأحبار أنه مر برجل من الليل وهو يقرأ هذه الآية يا أيها الذين
أوتوا الكتاب الآية فوضع كفيه على وجهه ورجع القهقرى إلى بيته فأسلم مكانه وقال
والله لقد خفت أن لا أبلغ بيتي حتى يطمس وجهي وأصحاب السبت هم الذين اعتدوا في السبت
في الصيد حسبما تقدم قال قتادة وغيره وأمر الله في هذه الآية واحد الأمور دال على
جنسها لا واحد الأوامر فهي عبارة عن المخلوقات كالعذاب واللعنة هنا أو ما اقتضاه كل
موضع مما يختص به وقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
هذه الآية هي الحاكمة ببيان ما تعارض من آيات الوعد والوعيد وتلخيص
الكلام فيها أن يقال الناس أربعة أصناف كافر مات على كفره فهذا مخلد في النار بإجماع
ومؤمن محسن لم يذنب قط ومات على ذلك فهذا في الجنة محتوم عليه حسب الخبر من الله
تعالى بإجماع وتائب مات على توبته فهو عند أهل السنة وجمهور فقهاء الأمة لاحق بالمؤمن
المحسن إلا أن قانون المتكلمين أنه في المشيئة ومذنب مات قبل توبته فهو محل الخلاف فقالت
المرجئة هو في الجنة بإيمانه ولا تضره سيئاته وجعلوا آيات الوعيد كلها في الكفار وآيات
الوعد عامة في المؤمنين تقيهم وعاصيهم وقالت المعتزلة إذا كان صاحب كبيرة فهو في النار
ولا بد وقالت الخوارج إذا كان صاحب كبيرة أو صغيرة فهو في النار مخلد ولا إيمان له لأنهم يرون
كل الذنوب كبائر وجعلوا آيات الوعد كلها في المؤمن الذي لم يعص قط والمؤمن التائب
وقال أهل السنة هو في المشيئة وهذه الآية هي الحاكمة وهي النص في موضع النزاع وذلك
أن قوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به فصل مجمع عليه وقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء فصل قاطع بالمعتزلة راد عليهم ردا لا محيص لهم عنه ولو وقفنا في هذا الموضع من الكلام
لصح قول المرجئة فجاء لمن يشاء رادا عليهم مبينا أن غفران ما دون الشرك إنما هو لقوم دون قوم
بخلاف ما زعموه من أنه مغفور لكل مؤمن ولما حتم سبحانه على أنه لا يغفر الشرك ذكر قضية

أفعال اليهود وإنما اختلفوا في المعنى الذي به زكوا أنفسهم فقال الحسن وقتادة ذلك
قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى
من غير ربهم قال ويقتضي هذه الآية المنع من أن يزكي أحد نفسه بلسانه والإعلام بما في
الزاكي من حسنات أعماله وزكاء النفس ... وجل قال ابن عباس وغيره الفتيل الخيط
الذي في شق نواة التمرة وذلك راجع إلى الكناية عن تحقير الشيء وتصغيره وأن الله
لا يظلمهم ولا بشيء ما هو دونه فكيف بما فوقه وقوله تعالى انظر كيف يفترون على الله الكذب
الآية يبين أي كيف كذبوا أنفسهم كافة كائنة بالباطل والكذب ويقولون أي أنهم كذبة لما قالوا نحن
أبناء الله وأحباؤه أي لا ترى أو أعظم في هذه المبالغة وكيف بها أي تكون في موضع
رفع بالابتداء والخبر في قوله يفترون ويكفي به إثما مبينا في حقهم في تعجيب
من أمرهم قال ع وكفى به عابد على الافتراء وقيل على الكذب وقوله تعالى ألم تر إلى الذين
أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الآية نزلت في جماعة المتأولون على أن المراد
بها كعب بن الأشرف من اليهود والقول بيين ذلك والجبت والجبس ما دون الله والجبت في الأصل الصنم
والطاغوت يتفق أنه كل ما عبد وأطيع من دون الله تعالى وقوله تعالى ويقولون للذين كفروا
الآية سببها أن قريشا قالت لكعب بن الأشرف حين ورد مكة أنت سيدهم وسيد قومنا
أنا قوم ننحر الكوماء ونقري الضيف ونطلق الأسير ونسقي الحجيج ونعبد الأصنام التي وجدنا
عليها آباءنا وهذا محمد قد قطع الرحم من أهل مكة أو هو فقال كعب أنتم أهدى منه وأقوم
دينا فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس وقال الضحاك في يقولون هذا على كعب وعلى أصحابه من
اليهود حين قال اليهود أيهم أهدى فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم والذين كفروا وفي هذه الآية
هم كفار قريش والإشارة بالذين آمنوا إلى الذين آمنوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأمته
وقالت فرقة بل المراد حيي بن أخطب وأتباعه وهم اليهود المقصودون من أول
الآية قال ع لليهود اللائي التبليغ متعاونة يقولون أبدا وقوله تعالى أم لهم نصيب من الملك
هي أم المنقطعة التي معناها الاستفهام منقطعة كقولهم إنها لإبل أم شاء الإضراب أو أو
وردت وهي يعقوبها استفهام وكما هو مذهب سيبويه إذ أنها مختلفة المعنى من أم
على معنى الكلام الأول والقطع منه وهي متضمنة مع ذلك معنى الاستفهام وهي بمعنى بل
مع همزة الاستفهام كقول العرب إنها لإبل أم شاء التقدير عند سيبويه إنها لإبل بل أهي شاء
وكذلك هذا الموضع بل ألهم نصيب من الملك فإذا عرفت هذا فالمعنى على ما يرجح الذي

هو مذهب

هو مذهب سيبويه والحذاق أن هذا استفهام على معنى الإنكار أي ألهم ملك فإذا
لو كان لبخلوا والنقير هي النكتة التي في ظهر النواة من التمر هذا قول الجمهور وهذا
كناية عن الغاية في الحقارة والقلة وتكتب إذا بالنون وبالألف فالنون هي الأصل
لكن وقف وجاز كتبها بالألف لصحة الوقف عليها وأشبهت نون التنوين ولا يصح الوقف
على غيرهن وقوله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الآية أم هذه
على بابها من القطع بعد الاستفهام وقال ص أم يحسدون أم أيضا منقطعة تتقدر ببل
والهمزة أي بل أيحسدون والظاهر ما قاله ع واختلف في المراد بالناس هنا فقال ابن عباس وغيره هو
النبي صلى الله عليه وسلم والفضل النبوة فقط والمعنى فلم تخصونه بالحسد ولا تحسدون آل إبراهيم
في جميع ما آتيناهم من هذا وغيره من الملك وقال قتادة الناس هنا العرب حسدتها بنو
إسرائيل في أن كان النبي صلى الله عليه وسلم منها والفضل على هذا التأويل هو محمد صلى الله عليه
وسلم قال أبو عمر بن عبد البر وقد ذم الله قوما على حسدهم فقال أم يحسدون الناس الآية ثم حدث
بسنده عن عمرو بن ميمون قال لما رجع الله موسى نجيا رأى رجلا متعلقا بالعرش فقال يا رب
من هذا قال هذا عبد من عبادي صالح إن شئت أخبرتك بعمله قال يا رب أخبرني قال كان
لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ثم حدث أبو عمر بسنده عن أنس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وذكر عبد الرزاق عن معمر
عن إسماعيل بن أمية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يسلم منهن أحد الطيرة
والظن والحسد قيل فما المخرج منهن يا رسول الله قال إذا تطيرت فلا ترجع وإذا ظننت فلا تحقق وإذا
حسدت فلا تبغ انتهى من التمهيد وقوله تعالى فمنهم من آمن به اختلف في الضمير من به فقال الجمهور
هو عائد على القرآن أي الذي في قوله تعالى آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها
وأن على الله سبحانه وتعالى أن فمنهم من آمن كما أمر فلذلك ارتفع الوعيد فالطمس ولم يقع وصار فيه
شيء الوعيد عليهم في الآخرة بقوله سبحانه وكفى بجهنم سعيرا وقيل هو عائد على إبراهيم عليه السلام
وقيل هو عائد على الفضل الذي آتاه الله النبي صلى الله عليه وسلم والعرب على ما تقدم وقوله
تعالى إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا الآية لما تقدم في الآية وصف ذلك من المؤمنين
أتبع ذلك وذكر أعمالهم وشرح جزاءهم هذه الآية في الوعيد النص لهم فلفظ جلي على كل من
كفر وحل فعلهم من الكفرة واختلف في معنى تبديل الجلود فقالت فرقة تبدل عليهم جلود

اعتبار انه يقول سبحانه هي المعرفة والجلود ذائقة للعذاب وقالت فرقة تبديل الجلود هو اعادة ذات الجلد
الجلد بعينه الذي كان في الدنيا وانما سماه تبديلا لان اوصافه تتغير قال الحسن بن ابي الحسن بلغنا
في اليوم سبعين الف مرة علما قال الشيخ من علماء من حمله ولما ذكر الله تعالى وعيد الكفار عقبه بوعد
المؤمنين بالجنة على الايمان والاعمال الصالحة **و** ظليلا معناه عند بعضهم نفي الحر والبرد ودوام
اي ثم من اللفظ كما يستعمل ما يتنقل وينبه ان يصفه بظليل ممتد وقد قال صلى الله عليه وسلم ان في
الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر في ظلها مائة سنة ما يقطعها واقرءوا ان شئتم وظل ممدود وذكر
الطبري في كتابه قال لما خلق الله تعالى ظل الجنة قال لها امتدي قالت يا رب كم والى كم فقال لها امتدي
مائة الف سنة فامتدت ثم قال امتدي فقالت يا رب كم والى كم فقال لها امتدي مائتا الف سنة
فامتدت ثم قال لها امتدي فقالت يا رب كم والى كم فقال لها امتدي مقدار رحمتي فامتدت فهي تمتد ابدا
راين من قليل للجنة ... انه ليس في جنة الشمس ... وهذا يعلم ... جملة الشيخ وهو
مما اطلع الله عليه وهو اعلم ... **قوله تعالى** ان الله
يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها الآية قال ابن جريج وغيره هذه الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
في امر مفتاح الكعبة حين اخذه من عثمان بن طلحة ومن ابن عمه شيبة فطلبه العباس بن عبد المطلب
ليضيف السقاية الى السدانة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة وكسر ما كان فيها من الاوثان
واخرج مقام ابراهيم ونزل عليه جبريل بهذه الآية قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وخرج النبي صلى الله
عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية وما كنت سمعتها قبل فدعا عثمان وشيبة فقال لهما خذاها
خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم ثم الآية بعد تتناول الولاة فيما لديهم من الامانات في قسمة الاموال
ورد الظلامات وعدل الحكومات وتتناول من دونهم من الناس في حفظ الودائع والتحرز في الشهادات
وغير ذلك كالرجل يحكم في نازلة ما ونحوه والصلاة والزكاة والصيام وسائر العبادات امانات
لله تعالى قال ابن العربي في احكامه هذه الآية في اداء الامانات والحكم بين الناس عامة في الولاة
والخلق لان كل مسلم عالم بل كل مسلم حاكم ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم المقسطون يوم القيامة
على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا وقال صلى
الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالرجل راع في اهل بيته وهو مسؤول عنهم
والعبد راع في مال سيده وهو مسؤول عنه وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فهذه الاحاديث
الصحيحة تدل على ما قلناه اه **و** نعما اصله نعم ما سكنت الميم الاولى وادغمت في الثانية وحركت العين

لالتقاء

لالتقاء الساكنين وخصت بالكسر تبعا للنون وما التي دخلت على نعم انما هي المهيئة لاتصال
الفعل بها ومعنى ابن توطئة بمعنى الذي **وقوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول الآية لما تقدم الى الولاة في الآية المتقدمة تقدم في هذه الى الرعية
فامر بطاعته عز وجل وهي امتثال اوامره ونواهيه وطاعة رسوله وطاعة الامراء على
قول الجمهور وهو قول ابن عباس وغيره فالامر على هذا القول في ضمن الامراء ومنهم
... وقال جابر وجماعة اولو الامر هم اهل القرآن والعلم وقال عطاء طاعة
الرسول اتباع سنته يعني بعد موته ولفظ ابن العربي في احكامه قال قوله تعالى
واولي الامر منكم فيها قولان قال ميمون بن مهران هم اصحاب السرايا **و**روي عن البخاري
وهو اختيار البخاري **و**روي عن ابن عباس انها نزلت في عبد الله بن حذافة اذ بعثه النبي
صلى الله عليه وسلم في سرية الثاني هم العلماء وبه قال اكثر التابعين واختاره مالك
والطبري والصحيح عندي انهم الامراء والعلماء جميعا اما الامراء فلان اصل الامر منهم والحكم اليهم واما
العلماء فلان سؤالهم متعين على الخلق وجوابهم لازم وامتثال فتواهم واجب ويدخل فيه
ثانيا الزوج على الزوجة لانه حاكم عليها **قوله تعالى** فان تنازعتم في شيء الآية معنى التنازع
ان كل واحد ينتزع حجة الاخر ويذهبها والرد الى الله تعالى هو النظر في كتابه العزيز
والرد الى الرسول هو سؤاله صلى الله عليه وسلم في حياته والنظر في سنته بعد وفاته
هذا قول مجاهد وغيره وهو الصحيح وقوله تعالى ان كنتم تؤمنون بالله الآية وفيها
وعيد وذلك خير معناه مآلكم قول جماعة وقال قتادة وغيره المعنى احسن عاقبة وقالت
فرقة المعنى ان الله ورسوله احسن نظرا وتأويلا منكم اذا انفردتم بتأويلكم **قوله تعالى** الم تر
الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك الآية تقول العرب زعم فلان كذا في الامر الذي
يضعف فيه التحقيق وتتقوى فيه شبهة الزعم اذا قوي ان يكون مظنونا واذا قال سيبويه
زعم الخليل فانما يستعملها فيما انفرد الخليل به وكان اقوى ... ان يقعي معها عموم الحجة
على الحجة قال عامر الشعبي نزلت في ... رجل من المنافقين ... رجل من اليهود فدعا
اليهودي الى المسلمين لعلمه انهم لا يرتشون ... على ان ... كان بالجرح
في ضياء فنزلت هذه الآية فيهما وفي صفتهما فالذين يزعمون انهم امنوا بما انزل على محمد صلى
الله عليه وسلم هم المنافقون والذين يزعمون انهم امنوا بما انزل من قبله هم اليهود

وكل قوم في كتاب يدعوا بالحكم الى الطاغوت والطاغوت هنا الكاهن المذكور ونحوه قاله الضحاك وقال ابن
عباس الطاغوت هنا هو كعب بن الاشرف وهو الذي تراضيا به وقيل غير ذلك وقوله رايت
هي روية عين لمن صدوا من المنافقين مجاهرة وتصريحا وهي روية قلب لمن صد منهم مكرا وتخابثا ومسارقة
حتى لا يعلم ذلك منه الا بالقرائن الصادرة عنه وقوله تعالى فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت
ايديهم فالآية في قصة في المنافقين الذين احتكموا حسبما تقدم والمعنى فكيف بهم اذا عاقبهم الله
بهذه الذنوب بنقمة منه ثم حلفوا ان اردنا بالاحتكام الى الطاغوت الا توفيق الحكم
والتقريب بينهم قوله تعالى اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم تكذيب لهم وتوعد اي فهو مجازيهم
مجازاتهم فاعرض عنهم وعظهم بالتخويف من عذاب الله وغيره من المواعظ قوله تعالى
وقل لهم في انفسهم قولا بليغا قال ص اي قل لهم خاليا بهم لان النصح اذا كان في السر كان انجع
اي قل لهم في حال انفسهم النجسة المنطوية على النفاق قولا يبلغ منهم الى الحد عن العود الى ما
فعلوا اه واختلف في القول البليغ فقيل هو الزجر والردع والكف بالبلاغة من القول
وقيل هو التوعد بالقتل ان استداموا حالة النفاق قاله الحسن وهذا ابلغ ما يكون في
النفوس والبلاغة مأخوذة من بلوغ المراد بالقول وقوله تعالى وما ارسلنا من رسول
الا ليطاع باذن الله تنبيه على جلالة الرسل اي فانت يا محمد منهم تجب طاعتك وتتعين اجابة
الدعوة اليك وباذن الله معناه بامر الله وظلموا انفسهم اي بالمعصية والنفاق وعن
العتبي قال كنت جالسا عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي فقال السلام
عليك يا رسول الله سمعت الله تعالى يقول ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله
واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئتك مستغفرا من ذنوبي مستشفعا
الى ربي ثم انشأ يقول يا خير من دفنت بالقاع اعظمه فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسي الفداء لقبر انت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم
قال ثم انصرف فحملتني عيناي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي
يا عتبي الحق الاعرابي فبشره ان الله تعالى قد غفر له اه من حلية النووي وسنن الصالحين
للباجي وفيه مستغفرا من ذنوبي مستشفعا بك الى ربي قوله تعالى فلا وربك لا يومنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية قال الطبري قوله فلا رد على ما تقدم تقديره فليس الامر كما يزعمون
انهم آمنوا بما انزل اليك ثم استأنف القسم وقال غيره انما قدم لا على القسم اهتماما بالنفي واظهارا

لقوته

لقوته قال ابن عطية رحمه الله وفي قوله تعالى فلا وربك لا يومنون حتى
يحكموك فيما شجر بينهم الآية دليل على ان الايمان الحقيقي لا يحصل الا لمن حكم الله ورسوله
على نفسه قولا وفعلا واخذا وتركا وحبا وبغضا فيتبين لك من هذا انه لا يحصل الا ...
حقيقة الايمان بالله الا بامرين الامتثال للامر والاستسلام للنهي وشجر
معناه اختلف واختلط من امورهم وهو من الشجر شبه بالتفاف الاغصان والحرج الضيق
والتكلف والمشقة قاله مجاهد حرجا شكا وقوله تعالى تسليما مصدر مؤكد منبئ عن التحقيق
في التسليم لان العرب انما تردف الفعل بالمصدر اذا ارادت ان الفعل وقع حقيقة كما قال تعالى
وكلم الله موسى تكليما قال مجاهد وغيره المراد بهذه الآية من تقدم ذكره ممن اراد التحاكم
الى الطاغوت وفيهم نزلت ورجح الطبري هذا لانه اشبه بنسق الآية وقالت طائفة
نزلت في رجل خاصم الزبير بن العوام في السقي بماء الحرة كما هو مذكور في البخاري وغيره
وان الزبير قال ما احسب هذه الآية نزلت الا في ذلك وكتبنا معناه فرضنا ان
اقتلوا انفسكم معناه يقتل بعضكم بعضا وقد تقدم ذكره في سورة البقرة وسبب الآية
على ما حكي ان اليهود قالوا لما حاج ... المنافق النبي صلى الله عليه وسلم ما رأينا
اسفه من هؤلاء يومنون بمحمد ثم لا يرضون بحكمه ونحن قد امرنا بقتل انفسنا ففعلنا
وبلغ القتل فينا سبعين الفا وقال ثابت بن قيس لو كتب ذلك علينا لفعلناه فنزلت الآية
معلمة حال اولئك المنافقين وانه لو كتب ذلك على الامة لم يفعلوه وما كان يفعله الا
قليل منهم مومنون محققون كثابت قب وفي العتبية عن مالك ان ابا بكر رضي الله عنه قال
نحو مقالة ثابت قال ابن رشد واشار الى ابي بكر من القليل الذي استثنى الله تعالى في الآية
ولا احد احق بهذه الصفة منه اه قال ص الا قليل الجمهور بالرفع على البدل من الواو في فعلوه
عند البصريين انتهى ولو انهم فعلوا ما يوعظون به اي لو انهم ... وفيه ... واذا جواب
لكان ... وتثبيتا معناه يقينا وقصدا ونحو هذا اي يثبتهم الله ثم ذكر تعالى ما كان
يمن به عليهم من تفضله بالاجر ووصفه اياه بالعظيم مقتضاه ما لا يحصيه بشر من النعيم المقيم
والصراط المستقيم الايمان المودي الى الجنة والمقصود تعديد ما كان ينعم به عليهم سبحانه
وقوله سبحانه وتعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الآية لما ذكر
الله تعالى الامر الذي لو فعلوه لانعم عليهم ذكر بعد ذلك ثواب من يفعله وهذه الآية تفسير ...

قوله تعالى الصراط المستقيم هو الطريق الذين أنعمت عليهم وقالت طائفة إنما نزلت هذه
الآية لما قال عبد الله بن زيد الأنصاري الذي أري الأذان يا رسول الله إذا مت ومتنا كنت في
عليين فلا نراك ولا نجتمع بك وذكر حزنه على ذلك فنزلت هذه الآية قال ع ومعنى أنهم
معهم في دار واحدة ومتنعم واحد وكل من فيها قد رزق الرضى بحاله وذهب عنه أن يعتقد أنه
مفضول وإن كنا نحن قد علمنا من الشرع أن أهل الجنة تختلف مراتبهم على قدر أعمالهم وعلى قدر
فضل الله على من يشاء والصديق فعيل من الصدق وقيل من التصديق وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال المصدقون المتصدقون والشهداء في هذه الآية يعم أنواع الشهداء قال ع
وحسن أولئك رفيقا فيه معنى التعجب كأنه قال وما أحسن أولئك رفيقا ومن هذا بكلام ابن الحاج
ما يدل على أن التعجب لازم لفعل المستعمل في المدح والذم على كل حال سواء استعمل استعمال نعم أولا
اه وقوله تعالى ذلك الفضل من الله تأكيد أن الكل إلى كون المطيعين مع المنعم عليهم وقوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم هذا خطاب للمخلصين من أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأمر لهم بجهاد
الكفار والخروج في سبيل الله وحماية الشرع وخذوا حذركم أي أحوطوا فانفروا ثبات أي الانفراد
والأفراد ومعناه أرجعا وثبات معناه جماعات متفرقة فلان وهي الفرقة والثبة حكي أنها فوق وانفروا
العشرة وجميعا معناه الجيش الكبير مع النبي صلى الله عليه وسلم هكذا قال ابن عباس وغيره
وقوله تعالى وإن منكم لمن ليبطئن الخطاب لجماعة المؤمنين والمراد بمن المنافقون وعبر عنهم بمنكم
إذ هم في الظاهر في عداد المؤمنين واللام الداخلة على من لام التوكيد والداخلة على ليبطئن لام
قسم عند الجمهور تقديره وإن منكم لمن والله ليبطئن وليبطئن معناه يبطئ غيره أي يثبطه ويحمله
على التخلف عن مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصيبة يعني من قتال واستشهاد وإنما
هي مصيبة بحسب اعتقاد المنافقين ونظرهم الخاسر وإلا فالشهادة في الحقيقة نعمة من الله
سبحانه وتعالى لحسن مآلها وشهيدا معناه مشاهدا وقوله تعالى ولئن أصابكم فضل من الله أي ظفر
وغنيمة قوم المنافق وقال يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما متمنيا شيئا قد كان عمر أن يفعله ثم
عن بجهده وقوله تعالى كأن لم تكن بينكم وبينه مودة التفاتة بليغة واعتراض بين القائل
والمقول بلفظ يظهر زيادة في قبح فعله وقال ابن جزي قوله تعالى كأن لم تكن بينكم وبينه مودة موضعه
وإنما موضعه فإن أصابتكم مصيبة قال ع وهذا أضعف لأنه يفسد فصاحة الكلام قال ص قوله
فأفوز بالنصب هو جواب التمني اه وقوله تعالى فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا

بالآخرة

بالآخرة هذه الآية أمر من الله تعالى للمؤمنين بالجهاد ويشرون هنا معناه يبيعون ثم وصف تعالى
ثواب المقاتلين وهي الأجر العظيم الجنة وقوله تعالى وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله الآية حض
القتال والمستضعفين عطف على اسم الله عز وجل أي وفي سبيل المستضعفين ليستنقذوا ويعني
بالمستضعفين من كان بمكة تحت إذلال الكفرة في ربقتهم كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم
أنج المؤمنين بل المستضعفين من المؤمنين والولدان عبارة عن الصبيان والقرية هنا مكة بإجماع والآية
تتناول المؤمنين والأسرى في حوزة الشرك إلى يوم القيامة قال ابن العربي في أحكامه قال علماؤنا
رحمهم الله تعالى أوجب الله تعالى في هذه الآية القتال لاستنقاذ الأسارى من يد العدو وقد
روى الأئمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني يعني
الأسير قال مالك رحمه الله تعالى على الناس أن يفكوا الأسارى بجميع أموالهم وكذلك قالوا
عليهم أن يواسوهم اه وقوله تعالى الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله الآية هذه الآية تقتضي
تقوية قلوب المؤمنين وتحريضهم وفي بيانه ذكر الشيطان يعود على أن المراد بالطاغوت هنا الشيطان
وإعلامه تعالى بضعف كيد الشيطان فيه تقوية لقلوب المؤمنين وتجرئة لهم على مقارعة الكيد
الضعيف فإن العزم والتجلد الذي يكون على حقائق الإيمان يكسره ويهده وقوله تعالى ألم
تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة الآية اختلف المتأولون فيمن المراد بقوله الذين قيل
لهم فقال ابن عباس وغيره كان جماعة من المؤمنين قد أنفوا من الذل بمكة قبل الهجرة وسألوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن يبيح لهم مقاتلة المشركين فأمرهم الله تعالى بكف الأيدي فلما كتب عليهم
القتال بالمدينة شق ذلك على بعضهم ولحقهم ما يلحق البشر من الخور والكع عن مقارعة العدو فنزلت
الآية فيهم وقال ابن عباس أيضا ومجاهد إنما الآية حكاية عن حال اليهود أنهم فعلوا ذلك مع نبيهم
في وقته فمعنى الحكاية عنهم تقبيح فعلهم ونهي المؤمنين عن فعل مثله وقيل المراد المنافقون وأوقع
مثل هذا في سورة النحل في قوله تعالى أو أشد خشية لا أن الموضعين سواء وقولهم لم كتبت علينا
القتال ردا صريحا لأمر الله تعالى وقالت لعلهم لا يستلزم الرد الإخلال في دينا يعنون به موتهم على
فرشهم هكذا قال المفسرون قال ع وهذه الخشية إنما هي لأن اليهود وفي المنافقين وأما
إذا كانت في طائفة من الصحابة فإنما هي خور الطبع البشري إلى وقت طموح الإسلام وكثرة عددهم وجنس
القول بأنها في المنافقين المراد ذكر لهم فإنهم يعرضون الآية وقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل
والآية المعنى قل يا محمد لهؤلاء متاع الدنيا أي الاستمتاع بالحياة فيها الذي حرصتم عليه قليل

وما في الآية بقي وهذا إخبار منه تعالى بنقص حقيقة الدنيا وحقارتها ما في الدنيا من الآفات حتى كـ
منها أولياءه وفي الترمذي عن قتادة بن النعمان عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أحب الله عبدا حماه
الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء قال أبو عيسى وفي الباب عن صهيب وأم المنذر وهذا حديث حسن
وفي الترمذي عن ابن مسعود قال نام النبي صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه فقلنا
يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء فقال ما لي وما للدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح
وتركها وفي الباب عن ابن عمر وابن عباس قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقوله تعالى في بروج
مشيدة الذي عليه الجمهور أن المراد بالبروج في الحصون التي في الأرض المبنية لأنها غاية البشر
في التحصن والمنعة فمثل الله لهم قال قتادة المعنى في قصور محصنة وقال ابن جريج والجمهور وبروج
معناه طولى ومنه شيد البناء و مشيدة قال الزجاج وغيره معناه مرفوعة مطولة
ومنه أشاد الرجل ذكر الرجل إذا رفعه وقالت طائفة مشيدة معناه محسنة بالتشييد
وهو الجص روى النسائي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أكثروا ذكر
هادم اللذات يعني الموت وخرجه ابن ماجه والترمذي وخرجه أبو نعيم الحافظ بإسناده
من حديث مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وروى ابن ماجه بسنده عن ابن عمر أنه قال كنت جالسا
مع النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل من الأنصار فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله أي المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا قال فأي المؤمنين أكيس قال أكثرهم
للموت ذكرا وأحسنهم لما بعده استعدادا أولئك الأكياس وأخرجه مالك أيضا من
الترمذي وقوله تعالى وإن تصبهم حسنة الآية الضمير في تصبهم عائد على الذين قيل لهم كفوا أيديكم
وهذا يدل على أنهم المنافقون لأن المؤمنين لا يليق بهم هذه المقالة ولأن اليهود لم يكونوا
للنبي صلى الله عليه وسلم تحت أمر فتصيبهم بسببه أسواء والمعنى إن تصب هؤلاء المنافقين
حسنة من غنيمة أو غير ذلك رأوا أن ذلك بالعرض إنما هي من صنع الله لا ببركة النبي عليه السلام
ولا إيمان به وإن تصبهم سيئة أي هزيمة أو شدة جوع أو غير ذلك قالوا هذه بسببك
وقوله تعالى قل كل من عند الله إعلام من الله تعالى أن الخير والشر والحسنة والسيئة
خلق له ومن عنده لا رب غيره ولا خالق ولا مخترع سواه والمعنى قل يا محمد لهؤلاء كل
وأخبر سبحانه عنهم بالاستبهام على علمهم وقلة فهمهم وتحصيلهم لما يجيء من الحقائق

والعقد

والعقد في اللغة الفهم وفي الشرع الفهم في أمور الدين ثم غلب عليه استعمال المسائل
الأحكامية وقوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله الآية خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم وغيره داخل في المعنى ومعنى الآية عند ابن عباس وغيره على القطع والاستئناف
أنه خبر من الله عز وجل بأن الحسنة منه ومن فضله وبأن السيئة من الإنسان
بإذنابه وهي من الله تعالى بخلقه واختراعه لا خالق سواه سبحانه لا شريك له وفي
مصحف ابن مسعود فمن نفسك وأنا قضيتها عليك وفي رواية ابن عباس وفي رواية وأنا
قدرتها عليك وبعض هذا التأويل أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم معناها
أن ما يصيب ابن آدم من المصائب فإنما هو عقوبة ذنوبه قال أبو جعفر أحمد بن
نصر الداودي قوله تعالى وما أصابك من حسنة فمن نفسك خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم والمراد غيره وقوله تعالى وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا
نوع من التكبير وتهديد لتعصيه فوجه الكلام أن المعنى شهيدا على من كذبك قوله تعالى
من يطع الرسول فقد أطاع الله المعنى أن الرسول عليه الصلاة والسلام إنما يأمر وينهى
بيان الله وتبليغ عن الله عز وجل وتولى معناه أعرض وتولى وحقيقتها يحتمل حفيظا أي لتحفظهم
حتى لا يقعوا في الكفر والمعاصي ونحوهم أو لتحفظ مساويهم وتحسبها عليهم وهذه الآية
تقتضي أنها على إعراض من تولى والترك له وهي قبل نزول القتال وإنما كانت توطئة ورفقا
من الله عز وجل حتى يشتد أمر الإسلام وقوله تعالى ويقولون طاعة ذلك يعني نزلت
في المنافقين باتفاق المفسرين المعنى يقولون لك يا محمد أمرنا طاعة فإذا خرجوا من عندك
اجتمعوا ليلا وقالوا غير ما أعطوك والذي بيت معناه فعل ليلا وهو مأخوذ من بات
أو من البيت لأنه ملتزم بالليل وقوله تقول يحتمل أن يكون معناه تقول أنت وتحتمل
يقول لهم ذا الأمر ولما عرض الله هو عن عاقبتهم ومجازاتهم والإمساك عن عقابهم ودعوتهم
فلازم ثم أمره سبحانه بالتوكل عليه والتمسك بالعروة الوثقى ثقة بإنجاز وعده في النصر
والتوكل على الله بالأمور المطلقات ثقة من عباده وقوله تعالى أفلا يتدبرون القرآن
المعنى ولا تكون أقل تدبرات هؤلاء المنافقين لكلام الله تعالى فتظهر لهم براهينه
وتلوح لهم أدلته أعلم رحمك الله تعالى أن تدبر القرآن حقيقة كل خير وإذا نصره
والعمل بما تعلمت ضعيف قال النووي رحمه الله تعالى وذكر جماعة من المفسرين

الختم في يوم وليلة ويرد عليه ما رويناه قبل انتهى من التهذيب في سنن أبي داود والترمذي
والنسائي وغيرهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث انتهى قال ع والنفي هنا هو النفي في أفعال
الأمور وقلما ولا يفقه ذا الاستثناء وهذا كله يقتضيه قوله تعالى أفلا يتدبرون وما القرآن
وهذا أمر بالتدبر والاستدلال ثم عرف تعالى بمواقع الحجة أي لو كان من كلام البشر لدخله
ما في كلام البشر من القصور وظهر فيه التناقض والتنافي الذي لا يمكن جمعه إذ ذلك موجود
في كلام البشر والقرآن منزه عنه إذ هو كلام المحيط بكل شيء علما سبحانه وتعالى قال ع
فإن عرضت لأحد شبهة وظن اختلافا في شيء من كتاب الله فالواجب أن يتهم نظره ويسأل
من هو أعلم منه وقوله تعالى وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به الآية قال جمهور المفسرين
الآية في المنافقين حسبما تقدم والمعنى أن المنافقين كانوا يتشوفون إلى سماع
ما يسوء النبي صلى الله عليه وسلم فإذا طرأ لهم شيء من أمن للمسلمين أو فتح عليهم حقروه
وصغروا شأنه وأذاعوا ذلك بالتحقير والتصغير وإذا طرأ لهم شيء من خوف للمسلمين أو مصيبة
عظموها وأذاعوا ذلك وأذاعوا به معناه أفشوه وهو فعل يتعدى بحرف جر وبنفسه
أحيانا وقالت فرقة الآية نازلة في المنافقين وفيمن ضعف جلده وقلت تجربته من المؤمنين
وفي البخاري من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه جاء وقوم في المسجد يقولون طلق رسول
الله صلى الله عليه وسلم نساءه ثم قال فقلت يا رسول الله أطلقت نساءك فقال لا فقال عمر
فقمت على باب المسجد فقلت ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطلق نساءه فأنزل الله
تعالى هذه الآية وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به قال وأنا استنبطته وقوله
تعالى ولو ردوه إلى الرسول الآية المعنى لو أمسكوا عن الخوض واستقصوا الأمر من قبل
الرسول وأولي الأمر وهم الأمراء والعلماء لعلمه طالبه من أولي الأمر الباحثين عنه وهم أهل
يستنبطونه كما يستنبط الماء وهو استخراجه من الأرض وقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته
الآية خطاب لجميع المؤمنين بلا خلاف من المتأولين وقوله تعالى إلا قليلا هو مستثنى في قول
جماعة من قوله لاتبعتم الشيطان إلا قليلا وقال ابن عباس وابن زيد ذلك مستثنى من قوله
أذاعوا به إلا قليلا ورجحه الطبري وقال قتادة هو من قوله يستنبطونه إلا قليلا
ت قال الداودي قال أبو عبيد وأكثر العلماء أن يجعلوا الاستثناء من قوله لاتبعتم

الشيطان إلا قليلا

الشيطان إلا قليلا لأن ذكر لا وجه لجعله في ولولا فضل الله ورحمته لاتبعتم الشيطان كلكم اهـ وهو
حسن وأما قول من قال لا وجه له ففيه نظر وقيل وجهه الطائفة بما كان يحلل [illegible] وقوله تعالى
فقاتل في سبيل الله الآية هذا أمر في ظاهر اللفظ للنبي صلى الله عليه وسلم وحده لكن لم نجد
قط خبرا أن القتال فرض على النبي صلى الله عليه وسلم دون الأمة مدة ما فالمعنى والله أعلم
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في اللفظ وهو مثال ما يقال لكل واحد في خاصة نفسه
أي أنت يا محمد وكل واحد من أمتك القول له فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك ولهذا ينبغي لكل
مؤمن أن يستشعر أن يجاهد ولو وحده ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم والله لأقاتلنهم حتى
تنفرد سالفتي وقول أبي بكر رضي الله عنه وقت الردة ولو خالفتني يميني لجاهدتها بشمالي
وعسى إذا وردت من الله تعالى فقال عكرمة وغيره هي واجبة بفضل الله ووعده الجميل
ت أي واقع ما وعد به سبحانه وتعالى والتنكيل الأخذ بأنواع العذاب وقوله تعالى من يشفع
شفاعة حسنة الآية قال مجاهد وغيره هي في شفاعات الناس بينهم في حوائجهم فمن يشفع لينفع
فله نصيب ومن يشفع ليضر فله كفل والكفل النصيب ويستعمل في الخير وفي الشر وفي كتاب
الله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته وروى أبو داود عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال من شفع لأحد شفاعة فأهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب
الربا اهـ ومقيتا معناه قديرا ومنه قول الزبير بن عبد المطلب وذي ضغن كففت النفس عنه
وكنت على إساءته مقيتا أي قديرا وقيل مقيتا معناه شهيدا وقيل حفيظا وذهب مقاتل
إلى أنه الذي يقوت كل حيوان قال الداودي قال الكلبي المقيت هو المقتدر بلغة قريش اهـ وقوله
وإذا حييتم بتحية الآية قالت فرقة معنى الآية تحيتم السلام فإذا قال البادي السلام عليكم
فللآخر أن يقول وعليكم السلام فقط وهذا هو الرد وأما أن يقول وعليكم السلام ورحمة
الله وهذا هو التحية بأحسن وروي عن ابن عباس وغيره الانتهاء بالسلام إلى البركة
وقالت فرقة معنى الآية إذا حييتم بتحية فإن نقص المسلم من البركة فحيوا بأحسن منها وإن انتهى
فردوها كل الكم قال عطاء والآية في المؤمنين خاصة ومن سلم من غيرهم قيل له عليك كما في
الحديث وفي ابن داود والترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أولى الناس بالله من بدأ
بالسلام اهـ وأكثر أهل العلم على أن الابتداء بالسلام سنة مؤكدة ورده فرض [illegible]
حق من الحقوق قاله الحسن وغيره قال النووي وروينا في كتاب ابن السني عن أنس عن النبي صلى

الله عليه وسلم قال ما من عبد يمشي في الله عز وجل يستعمل الحرية ما أحبه فيما يحبه
فيعطيان على النبي صلى الله عليه وسلم إلا يعني فاشفع تشفع جميعهم ما تقدم منه وما تأخر
وروينا فيه عن أنس رضي الله عنه قال ما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل قيل فيه خير قال الله
ما انتفع في الدنيا حسنة بعد حاجة حسنة ومفاخرة النار وروينا فيه عن النبي عن ابن عازب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما مسلم أخذ الشفاعة فقضاها وكان له أجر ونصيب في نار بكت
خطايا من بينهم وعن دار الرفعة قيل إن فيها جمل وحمد الله تعالى واستغفر أعني الله عز
وجل لهم اهـ وحسيبا معناه حفيظا وهو فعيل من الحساب قوله تعالى الله لا إله إلا هو
ليجمعنكم لانتها قسم والتحية التي تنفيذ قوله تعالى إن الله كان على كل شيء حسيبا
فلا ملام الإعلام بصفة الربوبية وحال الوحدانية والإعلام بالحشر والبعث من القبور للثواب والعقاب
إعلام بقسم تقرير وحقه وعظمته ليجمعنكم والجمع بمعنى الحشر وقوله تعالى فما لكم في المنافقين فئتين
عين ذلك أن اختلف في هؤلاء المنافقين وقال ابن عباس هم قوم كانوا بمكة أسلموا والإيمان مع
المهاجرين صلى الله عليه وسلم كتب بعثوا إلى المدينة ثم خرجوا مطلعين إلى الشام
واعطيهم في بيتهم غزوة والمسلمين كانوا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نحو عدوهم بالإظهار الإيمان فاقتل
حتى لم ينل فرقة فاختلف المؤمنون فيهم فقالت طائفة نخرج إليهم فلم يقتلهم معنوق وقال اتقوا
بل هم مؤمنون لا سبيل إليهم فنزلت الآية وعن مجاهد نحوه قال ع وبعض ما في أحواله
من قوله تعالى حتى يهاجروا وقال زيد بن ثابت نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه المنافقين الذين
رجعوا عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وهو في صحيح البخاري مسندا قال ابن العربي في أحكامه
وهذا القول هو اختيار البخاري والترمذي اهـ قال ع وعلى هذا فقوله تعالى حتى يهاجروا
المراد به حتى يهاجروا ما نهى الله عنه كما قال عليه الصلاة والسلام والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه وقيل مضاه
في قتلوا أو كسبهم معناه ردهم في الكفر والضلالة والذين تهمل إلى جميع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
في الروثة إنها ركس وحكى النضر بن شميل والكسائي ركس وأركس بمعنى وأجراي وجعلهم ظال
من المتأولين أهلكهم أو أضلهم فإنما هو بالمعنى وما في الآية بين قال ص أركسهم أي ردهم في الكفر قال
ابن العربي في أحكامه أخبر الله تعالى أنه رد المنافقين إلى الكفر وهو الإركاس وهو عبارة عن
الرجوع إلى الحالة المكروهة كما قال في الروثة إنها ركس أي رجعت إلى حالة مكروهة فنهى الله
سبحانه الصحابة أن يتعلقوا فيهم بظاهر الإيمان إذا كان فعلهم الكفر وأمرهم بقتلهم حيث وجدوهم

اهـ وقوله

اهـ وقوله تعالى إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق الآية قال ع إلا الذين يصلون استثناء
متصل من مفعول فخذوهم واقتلوهم اهـ قال ع وهذه الآية من أيات الموادعة في أول الإسلام
ثم نسختها ما في سورة براءة فالآية تقتضي أن من وصل من المشركين الذين لا عهد بينهم وبين النبي صلى
الله عليه وسلم إلى قوم أهل العهد فحكمه حكمهم في المواد عنه فلا سبيل
عليه وقوله تعالى أو جاؤوكم عطف على يصلون ويحتمل أن يكون على قوله بينكم وبينهم ميثاق
والمعنى في العطفين مختلف وهذا أيضا حكم قبل أن يستحكم أمر الإسلام فكان المشرك إذا اعتزل
القتال أو جاء إلى دار الإسلام مسالما كارها لقتال قومه مع المسلمين ولقتال المسلمين
مع قومه لا سبيل عليه وهذه نسخت أيضا بما في سورة براءة ومعنى حصرت ضاقت وحرجت ومنه
الحصر في القول وهو ضيق الكلام على المتكلم وحصرت في موضع نصب على الحال واللام في قوله لسلطهم
جواب لو والمعنى ولو شاء الله لسلطهم هؤلاء الذين هم بهذه الصفة من المسالمة والمتاركة
عليكم فإن اعتزلوكم أي تاركوكم ووقع هنا فلم يقاتلوكم فلا سبيل لكم عليهم وهذا الحكم والذي في سورة
براءة بل المحكم لا ينسخ الله الآية منسوخ قاله قتادة وغيره والسلم هنا الصلح
وقوله تعالى ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم الآية هو وصف سبحانه المحققين
في المتاركة والملقاء السلم فرقة على أنهم فنزلت الآية كانوا يريدون البقاء في مواضعهم مع أهليهم
يقولون لهم نحن معكم وعلى دينكم ويقولون أيضا للمسلمين نحن معكم وعلى دينكم خبثة منهم وخديعة
وقوله إلى الفتنة معناه إلى الاختبار وحكي أنهم كانوا يرجعون إلى قومهم فيقال لهم قولوا ربي
الخنفساء ربي القرد ربي العقرب ونحوه فيقولونها ومعنى أركسوا أي رجعوا رجع ضلالة
أي أهلكوا في الاختبار بما واقعوه من الكفر وهذه الآية حض على قتل هؤلاء المخادعين إذا لم
يرجعوا عن حالهم وثقفتموهم مأخوذ من الثقاف أي ظفرتم بهم مغلوبين متمكنا منهم والسلطان الحجة
قال عكرمة حيثما وقع السلطان في كتاب الله عز وجل فهو الحجة قوله تعالى أن يقتل مؤمنا إلا خطأ
الآية قال جمهور المفسرين معنى الآية وما كان في إذن الله وفي أمره للمؤمن أن يقتل مؤمنا بوجه
ثم استثنى استثناء منقطعا ليس من الأول وهو الذي تكون فيه إلا بمعنى لكن والتقدير لكن
الخطأ قد يقع ويتجه في معنى الآية وجه آخر وهو أن يقدر كان بمعنى استقر ووجد كأنه
قال وما وجد ولا تقرر ولا ساغ لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ إذ هو مغلوب فيه فالاستثناء
على هذا متصل وتتضمن الآية على هذا إعظام العمد وبشاعة شأنه وقوله تعالى ومن قتل

مؤمنا خطأ فتحرير رقبة ودية حقيقة الخطإ ان لا يقصد بالقتل ووجوه الخطإ كثيرة لا تحصى
يربطها عدم القصد قال ابن عباس وغيره والرقبة المؤمنة هي الكبيرة قد صلت وعقلت الايمان
وقال جماعة منهم مالك بن انس يجزي كل من حكم له بحكم الاسلام في الصلاة عليه ان مات قال مالك ومن
صلى وصام احب الي ولا يجزي ذو العيب الكثير كالقطع والعمى والجنون واما العور فاجاب علماء
ومسلمة معناه مؤداة مدفوعة وهي على العاقلة فيما جاوز ثلث الدية وقوله الا ان يصدقوا يريد اولياء
القتيل وقوله فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن دلالة اي وان كان هذا المقتول خطأ مؤمنا
قد آمن وبقي في قومه وهم كفرة عدو لكم فلا دية فيه وانما كفارته تحرير الرقبة قاله ابن عباس وغيره
وسقطت الدية عنه لوجهين احدهما ان اولياء المقتول كفار فلا يصح ان تدفع اليهم والثاني قلة حرمة هذا المقتول
فلا دية فيه واحتجوا بقوله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وقالت
فرقة بل الوجه في سقوط الدية ان الاولياء كفار فقط وسواء قتل بين اظهر المسلمين او بين قومه
الكفار لانه لا يصح دفعها الى الكفار قال ع وقائل المقالة الاولى يقول ان قتل المؤمن في بلد المسلمين
وقومه حرب ففيه الدية لبيت المال والكفارة وقوله تعالى وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق
فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة قال ابن عباس وغيره المقتول من اهل العهد خطأ لا يبالي مؤمنا
كان او كافرا على عهد قومه فيه الدية والتحرير وقوله فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين اي من لم
يجد الرقبة ولا اتسع ماله لشرائها فيجزيه صيام شهرين متتابعين لا يتخللها فطر وتوبة نصب
على المصدر ومعناه رجوعا بكم الى التيسير والتسهيل وقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه
جهنم الآية المتعمد في لغة العرب القاصد الى الشيء والجمهور ان المتعمد كل من قتل كان القتل بحديدة
او بغيرها وهذا هو الصحيح ورأى الشافعي وغيره ان القتل بغير الحديد المشحوذ هو شبه ال
العمد وراوا فيه تغليظ الدية ومالك لا يرى شبه العمد ولا يقول به وانما القتل عنده ما ذكر الله تعالى
عمدا وخطأ فقط وقوله تعالى فجزاؤه جهنم تقديره عند اهل السنة فجزاؤه ان جازاه بذلك اي هو
اهل لذلك ومستحقه لعظيم ذنبه قال ع ومن اقيم عليه الحد وقتل قودا فهو غير متبع في الآخرة والوعيد
غير نافذ عليه اجماعا وللحديث الصحيح عن عبادة بن الصامت انه من عوقب في الدنيا فهو كفارة
له ومعنى الخلود هنا مدة طويلة ان جازاه الله ويدل على ذلك سقوط لفظ التأبيد
قال ع والجمهور على قبول توبته وروي عن بعض العلماء انهم كانوا يقصدون التغليظ
والتخويف احيانا فيطلقون ان لا تقبل توبته منهم ابن شهاب وابن عباس وكان ابن شهاب

اذا سأله

اذا سأله من يفهم منه انه قد قتل قال له توبتك مقبولة واذا سأله من لم يفعل قال لا توبة
للقاتل وعن ابن عباس نحوه قال الداودي وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي
الدنيا وما فيها اهون اليه من قتل النفس بغير حق ومن اعان على قتل مسلم بشطر كلمة
لقي الله يوم القيامة مكتوب على جبهته آيس من رحمة الله وعن معاوية انه سمع النبي
صلى الله عليه وسلم يقول كل ذنب عسى الله ان يغفره الا من قتل مؤمنا متعمدا او مات كافرا
وعن ابي هريرة انه سئل عن قاتل المؤمن هل له من توبة فقال لا والذي لا اله الا هو
لا يدخل الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط قال ولو ان اهل السموات والارض اشتركوا في دم مؤمن
لاكبهم الله جميعا في النار اهـ وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا
الآية تقول ضربت في الارض اذا سرت لتجارة او غزو او غيره مقترنة بفي وضربت الارض
دون في اذا قصدت قضاء الحاجة قاله ص ص يعني ابي ... ثم قال ع وسبب هذه الآية
ان سرية من سرايا النبي صلى الله عليه وسلم لقيت رجلا له جمل ومتيع وقيل غنيمة فسلم
على القوم وقال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمل عليه احدهم فقتله واختلف
في تعيين القاتل والمقتول في هذه النازلة والذي عليه الاكثر وهو في سير ابن اسحاق وفي
مصنف ابي داود وغيرهما ان القاتل محلم بن جثامة والمقتول عامر بن الاضبط ولا خلاف
ان الذي لفظته الارض حين مات هو محلم بن جثامة وقرأ جمهور السبعة فتبينوا وقرأ
حمزة والكسائي فتثبتوا بالثاء المثلثة في الموضعين وفي الحجرات وقرأ نافع وغيره
السلم ومعناه هنا الاستسلام اي القى بيده واستسلم لكم واظهر دعوتكم وقرأ باقي السبعة
السلام فيحتمل ان يريد سلام ذلك المقتول على السرية لان سلامه بتحية الاسلام مؤذن
بطاعته وانقياده وفي بعض طرق عاصم السلم بكسر السين المشددة وسكون اللام
وهو الصلح والمعنى المراد بهذه الثلاث متقارب وقرئ لست مؤمنا بفتح الميم اي لسنا
نؤمنك وقوله تعالى فعند الله مغانم كثيرة عدة منه سبحانه بما يأتي به من فضله من
الحلال دون ارتكاب محظور اي فلا تتهافتوا واختلف في قوله كذلك كنتم من قبل فقال ابن
جبير معناه كذلك كنتم مستخفين من قومكم باسلامكم فمن الله عليكم باعزاز دينه واظهار
شريعته فهم الآن كذلك كل واحد منهم خائفا من قومه متى لم يبطن ايمانه فلا يصلح اذا وصل
ان تقتلوه حتى تتثبتوا امره وقال ابن زيد المعنى كذلك كنتم كفرة فمن الله عليكم بان اسلمتم

فلا تنكحي وأن يكون هو كما في أنه يسلط عليهم ثم وعن نبأ ذلك وتعطى الوصية بالتبيين ه
واعلم أنه خبير بما يعمله العباد وذلك منه حض ينتقض تحذير لمن أمنه بسمعه أي واحفظوا
أنفسكم وتجنبوا التي لا يلام بالله وقوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير
أولي الضرر الآية في هذه الآية قوله تعالى لا يستوي إيماء على التسامح هو أبلغ من تصريح المنزلة
التي بين المجاهد والقاعد والمتأمل يبقى مع فكره فهو ثان الى فحمل الدرجات بينهم ه
والقاعدون عبارة عن المتخلفين خ وخرج أبو بكر بن الخطيب بسنده عن علي بن أبي طالب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة شجرة تخرج من أعلاها الحلل ومن أسفلها
خيل تلف من ذهب مسرجة ملجمة بالدر والياقوت لا تروث ولا تبول ذوات أجنحة فيجلس
عليها أولياء الله فتطير بهم حيث شاءوا فيقول الذين أسفل منهم يا أهل الجنة ناصفونا يا رب
ما بلغ هؤلاء هذه الكرامة فيقال إنهم كانوا يصومون وكنتم تفطرون وكانوا
يقومون بالليل وكنتم تنامون وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون وكانوا يجاهدون العدو وكنتم
تجبنون اه ومن ابن كثير وأبو عمرو وحمزة غير بالرفع صفة للقاعدين وقرأ نافع وغيره
غير بالنصب استثناء من القاعدين وروي من غير ما طريق أن الآية لما نزلت لا يستوي
القاعدون من المؤمنين والمجاهدون جاء ابن أم مكتوم حين سمعها فقال يا رسول الله هل من
رخصة فإني ضرير البصر فنزلت عند ذلك غير أولي الضرر قال الفلتان بن عاصم رضي
الله عنه كنا قعودا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل عليه وكان إذا أوحي إليه دام
بصره مفتوحة عيناه وفرغ سمعه وبصره لما يأتيه من الله عز وجل وكنا نعرف ذلك في
وجهه فلما فرغ قال للكاتب اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون
الى آخر الآية قال فقام الأعمى فقال يا رسول الله ما ذنبنا قال فأنزل الله فأتى على رسوله
فقلنا للأعمى إنه ينزل عليه قال فخاف أن ينزل فيه شيء فبقي قائما مكانه يقول أتوب الى
رسول الله حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للكاتب اكتب غير أولي الضرر وأهل
الضرر أهل الأعذار إذ قد أضر بهم العذر حتى منعهم الجهاد قاله ابن عباس وغيره وقوله تعالى
بأموالهم وأنفسهم هي الغاية في كمال الجهاد قال ابن جزي ثم فضل الله المجاهدين على القاعدين من أهل
العذر قال ع وكلا من المؤمنين بيانه ثم كما هو مذكور في الحديث الصحيح قال ابن جزي والتفضيل
بالدرجات العظيمة والدرجات هو على القاعدين من غير عذر والحسنى الجنة التي وعدها الله المومنين

وكذلك

وكذلك قال الشعبي وغيره وقال ابن محيريز الدرجات فيه درجات في الجنة سبعون ما بين
الدرجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة خ وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين
الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط
الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة اه وقال ابن زيد الدرجات هي
السبع المذكورة في براءة في قوله تعالى ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ الآية قال ع ودرجات الجهاد لو حصرت
أكثر من هذه لأن التعجيل بذل النفس والاعتمال بالبدن والمال والحال تكون كل نعمة الله هي درجة
لفعلها ولا شك أن بحسب مراتب الأعمال ودرجاتها تكون مراتب الجنة ودرجاتها ه
وأما قوله كل ذلك مغفرة ورحمة وباقي الآية وعد كريم وفاء بتيسيره وقوله تعالى إن الذين توفاهم الملائكة
ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم الآية المراد بهذه الآية الى قوله مصيرا جماعة من أهل مكة كانوا
قد أسلموا فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم أقاموا مع قومهم وفتن منهم جماعة فافتتنوا
فلما كان يوم بدر خرج منهم قوم مع الكفار فقتلوا ببدر فنزلت الآية فيهم قال ع والذي يجري
مع الأصول أن من مات من أولئك بعد أن قبل الفتنة وارتد فهو كافر ومأواه جهنم على جهة الخلود الموجب
وهذا هو ظاهر أمر هؤلاء وإن فرضنا فيهم من مات مؤمنا وأخرج على الخروج كرها
فإنه بحكمه فإنما هو عاص في ترك الهجرة مأواه جهنم على جهة العصيان دون خلود وقوله
تعالى توفاهم يحتمل أن يكون فعلا ماضيا ويحتمل أن يكون مستقبلا على معنى تتوفاهم فحذفت
إحدى التاءين ويكون في العبارة إشارة الى ما يأتي من هذا المعنى في المستقبل بعد
نزول الآية وظالمي أنفسهم نصب على الحال أي ظالميها بترك الهجرة وتوفيهم الملائكة معناه
تقبض أرواحهم قال الزجاج وحذفت النون من ظالمين تخفيفا كقوله بالغ الكعبة وقول
الملائكة فيم كنتم تقرير وتوبيخ وقول هؤلاء كنا مستضعفين في الأرض اعتذار غير صحيح
إذ كانوا يستطيعون الحيل ويهتدون السبيل ثم وقفتهم الملائكة على ذنبهم بقولهم ألم تكن أرض الله
واسعة والأرض الأولى هي أرض مكة خاصة وأرض الله هي الأرض بالإطلاق والمراد
فتهاجروا فيها الى موضع الأمن وهذه المقاولة إنما هي بعد توفي الملائكة لأرواح
هؤلاء وهي دالة على أنهم ماتوا مسلمين وإلا فلو ماتوا كافرين لم يقل لهم شيء من هذا
ثم استثنى سبحانه من كان استضعافه حقيقة من زمناء الرجال وضعفة النساء والولدان

قال ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين والحيلة لفظ عام لانواع اسباب التخلص والسبيل
سبيل المدينة فيما قاله مجاهد وغيره والصواب انه عام في جميع السبل ثم رجى الله سبحانه هؤلاء
بالعفو عنهم والمراغم المتحول والمذهب قاله ابن عباس وغيره وقال مجاهد المراغم المتزحزح
عما يكره وقال ابن زيد المراغم المهاجر وقال السدي المراغم المبتغى للمعيشة قال ع وهذا
كله تفسير بالمعنى فاما الخاص باللفظ فان المراغم هو موضع المراغمة فلو هاجر احد من هؤلاء
المحبوسين بمكة لكان يرغم انوف قريش بحصوله في منعة منهم فتلك المنعة هي موضع المراغمة قال ابن عباس
وغيره والسعة هنا هي السعة في الرزق وقال مالك السعة سعة البلاد قال ع وهذا هو
المشبه لفصاحة العرب ان يريد سعة الارض وبذلك تكون السعة في الرزق والصدر وغير ذلك
من وجوه الفرج وهذا المعنى ظاهر من قوله تعالى الم تكن ارض الله واسعة قال مالك بن
انس رحمه الله هذه الاية تعطي ان كل مسلم ينبغي له ان يخرج من البلاد التي تغير فيها السنن ويعمل
فيها بغير الحق وقوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله الاية حكم الوفاة
المدينة حكم في هذه الاية باق في الجهاد والمشي الى الصلاة والحج ونحوه ت وفي الكتاب حض
اي امامة وسياتي عند قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ابن عطية هذه الاية
نزلت بسبب رجل من كنانة وقيل من خزاعة اسمه ضمرة في قول الاكثر لما سمع قول الله تعالى
الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا قال اني لذو مال وعبيد وكان مريضا فقال احملوني
الى المدينة فاخرج في سرير فادركه الموت بالتنعيم فنزلت هذه الاية بسببه قال ع ومن هذه
الاية راى بعض العلماء ان من مات من المسلمين وقد خرج غازيا فله سهمه من الغنيمة قاسوا
ذلك على الاجر ووقع عبارة عن الثبوت وكذلك وجب لان الوقوع والوجوب ثم وال مجيء
لا جي له نفوه فنسمه لازم الثعالبي ابن النحو ولغة الاية بين وقوله تعالى واذا ضربتم في الارض
فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة الاية ضربتم معناه سافرتم قال مالك رحمه الله
والشافعي واحمد بن حنبل تقصر الصلاة في اربعة برد وهي ثمانية واربعون ميلا وحجتهم
احاديث رويت عن ابن عمر وابن عباس وقال الحسن والزهري تقصر في مسيرة يومين
وروي هذا ايضا عن مالك وروي عنه تقصر في مسافة يوم وليلة وهذه الاقوال
الثلاثة تتقارب في المعنى والجمهور على جواز القصر في السفر المباح وقال عطاء لا تقصر الا
في سفر طاعة وسبيل خير والجمهور انه لا تقصر في سفر معصية والجمهور انه لا يقصر
المسافر

المسافر حتى يخرج من بيوت القرية وحينئذ هو ضارب في الارض وهذا قول مالك وجماعة
المذهب والى ذلك ذهب الجمهور وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالمدينة
اربعا والعصر بذي الحليفة ركعتين ولم يبين قلة يوم ويلحقه من قوله تعالى فليس عليكم
جناح ان تقصروا ان القصر مباح اي مخير فيه وقد روى ابن وهب عن مالك ان المسافر مخير
فيه وقاله الابهري وعليه حذاق المذهب وقال مالك في المبسوط القصر سنة وهو
الذي عليه جمهور المذهب وعليه جواب المدونة فاما عادته في الموطأ فانه سنة وقال
ابن سحنون وغيره لا القصر في شيء وقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا الاية وفي
حديث يعلى بن امية قال قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه انما قال الله ان خفتم وقد
امن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ويفتنكم معناه يمتحنكم بالحمل عليكم واشغال
نفوسكم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الظهر باصحابه قال المشركون
لقد امكنكم محمد واصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم فقال قائل منهم ان لهم اخرى في اثرها
فانزل الله تعالى بين الصلاتين ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا الى اخر صلاة
الخوف وقوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة الاية قال جمهور الامة الاية
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يتناول الامراء بعده الى يوم القيامة وكذلك جمهور
العلماء على ان صلاة الخوف تصلى في الحضر اذا نزل الخوف قال الطبري فاقمت لهم معناه حدودها
وهيئتها وقوله تعالى فلتقم طائفة منهم معك امر بالانقسام اي وسائرهم وجاه العدو
ومعظم الروايات والاحاديث على ان صلاة الخوف انما نزلت الرخصة فيها في غزوة ذات الرقاع
واختلف من المامور باخذ الاسلحة هنا فقيل الطائفة المصلية وقيل بل الحارسة قال ابن عطية
ولفظ الاية يتناول الكل ولكن سلاح المصلين ما خف قف ومن المعلوم ان الكافة الطائفة
المصلية هي المامورة باخذ الاسلحة والحارسة من باب اولى واختلفت الاثار في هيئة
صلاة النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه صلاة الخوف وبحسب ذلك اختلف الفقهاء ففي الموطأ عن يزيد بن
رومان عن صالح بن خوات عمن صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة
الخوف يوم ذات الرقاع فصفت طائفة معه وطائفة وجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى
فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا واتموا لانفسهم ثم سلم بهم وروى القاسم

ابن عمر عن صالح بن خوات عن سهل هذا الحديث بعينه ثم القوم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
حين صلى بالطائفة الثانية ركعة سلم فقضت بعد سلامه وبحديث القاسم بن محمد اخذ مالك واليه
رجع بعد ان كان اولا يميل الى رواية يزيد بن رومان وروى عبد الرزاق عن مجاهد قال لم يصل
النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف الا مرتين مرة بذات الرقاع من ارض بني سليم ومرة
بعسفان والمشركون بضجنان بينهم وبين القبلة قال ع وكثرت اختلافات الروايات عن النبي
صلى الله عليه وسلم في صفة صلاة الخوف في غير هذين الموطنين وقد كان ابن عباس رضي
[illegible] فرد صلاة خوف وقوله تعالى فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم الاية المعنى
فاذا سجدوا معك الركعة الاولى فلينصرفوا هذا على بعض الهيئات المروية وقيل المعنى
فاذا سجدوا ركعة القضاء وهذا على هيئة سهل بن ابي حثمة والضمير في قوله فليكونوا يحتمل
ان يكون للذين سجدوا ويحتمل ان يكون للطائفة القائمة اولا بازاء العدو وفي الكلام [illegible] حال
العدو [illegible] وقوله تعالى ود الذين كفروا لو تغفلون الاية اخبار عن معتقد القوم وتحذير
من الغفلة لئلا ينال العدو امله واسلحة جمع سلاح وفي قوله تعالى ميلة واحدة اي
مبالغة اي مستاصلة لا يحتاج معها الى ثانية وقوله تعالى ولا جناح عليكم الاية رخصة
قال ابن عباس نزلت بسبب عبد الرحمن بن عوف كان مريضا فوضع سلاحه فعنفه بعض الناس
قال ع كانهم تلقوا الامر باخذ السلاح على الوجوب فرخص الله تعالى في هاتين الحالتين وينقاس
عليهما كل عذر يحدث ثم قوى سبحانه وتعالى نفوس المومنين بقوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا
وقوله تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا الاية ذهب جمهور العلماء الى
ان هذا الذكر المامور به انما هو اثر صلاة الخوف على حد ما امروا عند قضاء المناسك
بذكر الله فهو ذكر باللسان والطمانينة في الاية سكون النفس من الخوف وقال بعض
المتاولين المعنى فاذا رجعتم من سفركم الى الحضر فاقيموا الصلاة تامة اربعا وقوله تعالى كتابا
موقوتا يعني منجما في اوقات هذا ظاهر اللفظ وروي عن ابن عباس ان المعنى فرضا مفروضا
معنى وظاهر اللفظان بمعنى واحد كرر مبالغة وقوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم اي لا تلينوا
ولا تضعفوا [illegible] وهذا تشجيع
لنفوس المومنين وتحقير لامر الكفرة ثم ذاكر التشجيع بقوله وترجون من الله ما لا يرجون وهذا برهان
بين ينبغي بحسب قوة نفوس المومنين [illegible] وقوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق

وتحقير

لتحكم بين الناس

لتحكم بين الناس بما اراك الله الاية في هذه الاية تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم وتفويض اليه وتقويم
ايضا على الجادة في الحكم وتانيب ما على قبول ما رفع اليه في امر بني ابيرق بسرعة وقوله تعالى
بما اراك الله معناه على قوانين الشرع اما بوحي ونص او بنظر جار على سنن الوحي وقد تضمن
الله تعالى [illegible] الصحيحة وقوله تعالى ولا تكن للخائنين خصيما قال الهروي خصيما
اي مخاصما ودافعا قال ع سببها باتفاق من المتاولين امر بني ابيرق وكانوا اخوة
بشر وبشير ومبشر وطعمة وكان بشير رجلا منافقا يهجو اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم وينحل الشعر غيره وكان المسلمون يقولون والله ما هو الا شعر الخبيث [illegible]
[illegible] فيه [illegible] قوله اذا قال الرجال قصيدة [illegible] وقالوا ابن الابيرق قالها
قال قتادة بن النعمان وكانوا اهل بيت في الجاهلية وفاقة فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملا من
درمك الشام فجعله في مشربة له وكان في المشربة درع وسيفان فعدي على المشربة
من الليل فلما اصبح اتاني عمي رفاعة فقال يا ابن اخي انه قد عدي علينا في ليلتنا هذه
فنقبت مشربتنا وذهب بطعامنا وسلاحنا قال فتحسسنا في الدار وسالنا فقيل لنا قد
راينا بني ابيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نراه الا على بعض طعامكم قال وقد كان بنو
ابيرق قالوا ونحن نسال والله ما نرى صاحبكم الا لبيد بن سهل رجلا منا له صلاح واسلام فسمع
ذلك لبيد فاخترط سيفه ثم اتى بني ابيرق فقال والله ليخالطنكم هذا السيف او لتبينن هذه
السرقة فقالوا اليك عنا ايها الرجل فوالله ما انت بصاحبها فسالنا في الدار حتى لم نشك
انهم اصحابها فقال لي عمي يا ابن اخي لو اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك
القصة فاتيته صلى الله عليه وسلم وقصصتها عليه فقال انظر في ذلك فلما سمع ذلك بنو ابيرق
اتوا رجلا منهم يقال له اسير بن عروة فكلموه في ذلك واجتمع اليه ناس من اهل الدار فاتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان قتادة بن النعمان وعمه عمدا الى اهل
بيت منا اهل اسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة قال قتادة فاتيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكلمته فقال عمدت الى اهل بيت ذكر منهم اسلام وصلاح ترميهم
بالسرقة من غير بينة قال فرجعت ولوددت اني خرجت عن بعض مالي ولم اكلمه فاتيت
عمي فقال ما صنعت فاخبرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله المستعان
فلم يلبث ان نزل القرآن انا انزلنا اليك الكتاب بالحق الاية قال والخائنون بنو ابيرق [illegible]

الحربي لبيد بن سهل والطايفة التي رمت لبيدا واصحابه قال ع قال قتادة وغيره
واحد هاذه القصة ونحوها انما كان صاحبها طعمة بن ابيرق ويقال فيه طعيمة قال ع وطعمة
ابن ابيرق في صرح نعت الاية فلما نزلت هرب الى مكة فنقب حايط بيت ليسرق فانهدم
الحايط عليه فقتله ويروى انه اتبع قوما من العرب فسرق فقتلوه وقوله تعالى واستغفر
الله ذهب الطبري الى ان المعنى استغفر من ذنبك في خصامك للخائنين قال ع وهاذا ليس
بذنب لان النبي صلى الله عليه وسلم انما دافع عن الظاهر وهو يعتقد براءتهم والمعنى واستغفر
للمؤمنين من امتك والمتخاصمين بالباطل لا ان تكون ذا جدال عنهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم
من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان
في مجلسه ذلك رواه ابو داود والترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان في صحيحيهما وقال الترمذي
واللفظ له حديث حسن صحيح غريب ورواه النسائي والحاكم ايضا من طرق عن عائشة وغيرها
اه من السلاح وقوله تعالى ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم لفظ عام يندرج تحته اصحاب
النازلة ويتقرر به توبيخهم وفي قوله تعالى ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما رفق وابقاء فان
الخوان هو الذي تتكرر منه الخيانة كطعمة بن ابيرق والاثيم هو الذي يقصدها فيخرج من
هاذا الشديد الشافع مرة واحدة ونحو ذلك واختيانهم لانفسهم هو بما يعود عليهم من
الاثم والعقوبة في الدنيا والاخرة وقوله تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله
وهو معهم الاية الضمير في يستخفون للصنف المرتكب للمعاصي ويندرج في طي هاذا العموم
اهل الخيانة في النازلة المذكورة واهل التعصب لهم والتدبير في خدع النبي صلى الله عليه وسلم
والتلبيس عليه ويحتمل ان يكون الضمير لاهل هاذه النازلة ويدخل في معنى هاذا التوبيخ
كل من فعل نحو فعلهم قال صاحب الكلم الفارقية والحكم الحقيقية النفوس المنكبة على الجرائم المحتقبة
للماثم والمظالم مشبهة بالحمام قد ارسلوا هملا وتقبض من تعرض عليه عدوانا وظلما.
تجمع في طماعيتها سموما شتى ورتبا دهما وتختال بالغايلات التامات في مكايدها وخدعها اه
وقوله هو معهم الاية اي احاطتهم بالعلم والقدرة ويبيتون يدبرون ليلا ويحتمل ان تكون اللفظة
ماخوذة من البيات اي يبيتون ونا في بيوتهم تدبيرهم وقوله تعالى ها انتم هاؤلاء خطاب للقوم
الذين يتعصبون لاهل الريب والمعاصي ويندرج في طي هاذا العموم اهل النازلة وهو

ساطهم

ساطهم يعني يجيء الشاهد بعلمهم كذا وهي الشافي الى حاتم ومن مصابيح البغوي
عن ابن داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد
ضاد الله ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله تعالى حتى ينزع ومن قال في مومن ما
ليس فيه اسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال ويروى من اعان على خصومة بظلم لا يدري احق
ام باطل فهو في سخط الله حتى ينزع اه وقوله تعالى فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة الاية وعيد
محض ولما تمكن هاذا الوعيد وقضت العقول بان لا مجادل لله سبحانه ولا وكيل يقوم بامور العصاة
عقب ذلك بهاذا الرجاء العظيم والمهل المنفسح فقال ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه الاية
ودافع الاية ينفي وقوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ذهب بعض الناس الى انهما لفظان بمعنى
كرر لاختلاف اللفظ وقال الطبري انما فرق بين الخطيئة والاثم ان الخطيئة تكون عن عمد والاثم
لا يكون الا عن عمد وهاذه الاية لفظها عام ويندرج تحت ذلك العموم اهل النازلة المذكورة
وبريء النازلة وهو لبيد تقدم وتتناول عموم الاية كل بريء وقوله تعالى فقد احتمل بهتانا
بهتانا تشبيه اذ الذنوب ثقل ووزن فهي كالمحمولات وبهتانا معناه فعل يكذب باثم وقوله
الله تعالى نبيه على مغفرة عصمته له وانه بفضل منه تعالى ورحمته وقوله تعالى لهمت معناه
لجعلته همها وشغلها حتى تنفذه وهو قوله ان الهم الطائفة عامة في غير اهل النازلة وبالاية
واهل التعصب لبني ابيرق في فروع همهم وقوله تعالى انهم ما يضلون الا انفسهم وما يضرونك
من شيء ثم ذكر سبحانه ما انعم به على نبيه من انزال الكتاب والحكمة وتعليمه ما لم يكن يعلم قال
ابن العربي في رحلته ان علوم القرءان ثلاثة اقسام توحيد وتذكير واحكام وعلم التذكير
هو معظم القرءان فانه مشتمل على الوعد والوعيد والخوف والرجاء والقرب وما يرتبط بها ويدعوا
اليها ويكون عنها وذلك معنى تتسع به ابوابه ويمتد اطنابه اه ولا تنقضي عجائبه
علوم القرءان والسلام ويقرب من تعلمه بعد سبحانه عليه وقوله تعالى لا خير في كثير من
نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس الاية الضمير في نجواهم عائد على الناس اجمع
وجاءت هاذه الاية عامة التناول وفي عمومها هو وجه عتاب اهل النازلة وهاذه من الفصاحة
ولا يجاوز المعنى المالح والغابر في عيانه واحدة قال النووي وروينا في كتابي الترمذي
وابن ماجة عن ام حبيبة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل كلام ابن ادم عليه
لا له الا امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله تعالى اه والنجوى المسارة وقد تسمى به الجماعة

كما يقال قوم عدل وليست النجوى مقصورة على الهمس في الأذن والمعروف لفظ يعم الصدقة والإصلاح
وغيرهما ولكن خصهما بالذكر اهتماما إذ هما عظيما الغناء في مصالح العباد ثم وعد تعالى بالأجر
العظيم على فعل هذه الخيرات بنيته وقصد رضى الله تعالى وقوله تعالى ومن يشاقق الرسول الآية
إنها نزلت بسبب طعمة بن أبيرق لأنه ارتد وسار إلى مكة فاندرج الإنحاء عليه في طي هذه
العموم المتناول لكل من اتصف بهذه الصفات إلى يوم القيامة وقوله تعالى نوله ما تولى وعيد
بأن يترك مع فاسد اختياره في تولي الطاغوت ثم أوجب تعالى أنه لا يغفر أن يشرك به وقد مضى
تفسير هذه الآية وقوله تعالى إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا
الضمير في يدعون عائد على من ذكر في قوله ومن يشاقق الرسول وإن نافية بمعنى ما
ويدعون عبارة مغنية موجزة في معنى يعبدون ويتخذون آلهة وفي البخاري إلا إناثا
يعني الموات حجرا ومدرا وما أشبهه ذلك وفي مصحف عائشة إلا أوثانا ونحوه عن ابن عباس والمراد
بالشيطان هنا إبليس قاله الجمهور وهو الصواب لأن سائر المقالة به تليق والمريد المتمرد
عاتيا صليبا في غوايته وأصل الحرف الارتفاع والمعنى في هذا الموضع المتجرد وهو
مأخوذ من العصى وهو الذي لا يعود وعليه قال ع ويحتمل أن يريد واجبا أن أفرضه وبقي
هو نصيب إبليس وقوله ولأضلنهم معنى أضلنهم أي أصرفنهم عن طريق الهدى ولأمنينهم لأسولن لهم
والأماني لا تنحصر في نوع واحد والبتك القطع وقوله ولآمرنهم فليغيرن خلق الله اختلف المتأولون
في معنى تغيير خلق الله وملاك تفسير هذه الآية أن كل تغيير ضار فهو داخل في الآية وكل تغيير نافع
فهو مباح وفي مختصر الطبري فليغيرن خلق الله قال ابن عباس خلق الله دين الله وعن إبراهيم
ومجاهد والحسن وقتادة والضحاك والسدي وابن زيد مثله وقال ابن زيد لا تبديل لخلق الله لدين
الله واختار الطبري هذا القول واستدل عليه بقوله تعالى ذلك الدين القيم وإذا كان ذلك معناه دخل فيه
كل ما نهى الله تعالى عنه من معاصيه والترك لما أمر به انتهى وهو حسن قال ع والإشارة بكل ذلك إلى الفتح
قال ص ولأضلنهم مفعوله محذوف أي عن الهدى ولأمنينهم أي بالباطل ولآمرنهم أي بالبتك
فليبتكن ولآمرنهم أي بالتغيير فليغيرن كل ما أوجد الله تعالى للطاعة فيستعمله في
المعصية انتهى ولما ذكر الله تعالى عتو الشيطان وما توعد به من بث مكره حذر تبارك وتعالى عباده
بأن شرط لمن يتخذه وليا جزاء الخسران وقوله تعالى يعدهم ويمنيهم أي يعدهم بأباطيله من المال
والجاه وأن لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك لكل أحد ما يليق بحاله ويمنيهم كذلك ثم ابتدأ تعالى الخبر عن

حقيقة

حقيقة ذلك بقوله وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ثم أخبر تعالى بمصير المتخذين الشيطان وليا وتوعدهم
بأن مأواهم جهنم لا يدافعون عنها بحيلة ولا يتخلصون ومحيص من حاص إذا راغ ونفر ومنه قول الشاعر

ولم ندر إن حصنا من الموت حيصة كم العمر باق والمدى متطاول

ومنه الحديث فحاصوا حيصة حمر الوحش ولما ذكر تعالى ما تقدم من الوعيد واقتضى ذلك التحذير عقب
ذلك عز وجل بالترغيب في ذكر حالة المؤمنين وأعلم بصحة وعده ثم قرر ذلك بالتوقيف عليه في
قوله ومن أصدق من الله قيلا والقيل والقول واحد ونصبه على التمييز قوله تعالى ليس بأمانيكم
ولا أماني أهل الكتاب الآية الأماني جمع أمنية وهي ما يتشهاه المرء ويطمع نفسه فيه
قال ابن عباس وغيره الخطاب لأمة النبي صلى الله عليه وسلم وفي مختصر الطبري عن مسروق
قال احتج المسلمون وأهل الكتاب فقال المسلمون نحن أهدى وقال أهل الكتاب نحن أهدى
فأنزل الله هذه الآية ونحوه عن مجاهد قالت العرب لن نبعث ولن نعذب وقالت اليهود والنصارى وقالت
لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة انتهى
قال الطبري وقول مجاهد أولى بالصواب وذلك أن المسلمين لم يجر لأمانيهم ذكر فيما مضى
من الآي وإنما جرى ذكر أماني نصيب الشيطان انتهى وعليه عول ص في نسبته ولا كلام فيه يعني
على قول مجاهد وقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال جمهور الناس لفظ الآية عام
والكافر والمؤمن مجازى فأما مجازاة الكافر فالنار وأما المؤمن فبنكبات الدنيا فمن بقي
له سوء إلى الآخرة فهو في المشيئة يغفر الله لمن يشاء ويجازي من يشاء وقوله تعالى
ومن يعمل من الصالحات دخلت من للتبعيض إذ الصالحات على الكمال مما لا يطيقه
البشر وفي هذا رفق بالعباد لكن في هذا البعض الفرائض وما أمكن من المندوب إليه
الإيمان فشرط لأنه لا ينفع عمل دونه والنقير النكتة التي في ظهر النواة وقد
تقدم وعن ابن عباس ما تنقر بإصبعك ثم أخبر سبحانه أنه لا أحد أحسن دينا
ممن أسلم وجهه لله أي أخلص مقصده وتوجهه وأحسن في عمله واتبع الحنيفية ملة
إبراهيم إمام العالم وقدوة الأديان ثم ذكر تعالى تشريفه لنبيه إبراهيم عليه السلام
باتخاذه خليلا وسمي خليلا إذ كان خلوصه وعبادته واجتهاده على
الغاية التي يجري إليها المحب المبالغ وذهب قوم إلى أنه سمي خليلا من الخلة
بفتح الخاء أي لأنه أنزل خلته وفاقته بالله تعالى وكذلك نبينا محمد صلى الله

عليه وسلم بالخلافة كما هو مصرح به في الحديث الصحيح قوله تعالى ولله ما في السماوات وما في الأرض
الآية ذكر سبحانه سعة ملكه وإحاطته بكل شيء عقب ذكر الأزواج وتبيين الجادة منه وأنه غني
عن كل أحد ولا افتقار إليه لجلاله وقوله تعالى ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن الآية معنى
قوله يفتيكم فيهن أي يبين لكم حكم ما سألتم عنه قال ع يحتمل أن تكون ما في موضع رفع عطفا على اسم
الله جل وعلا أي ويفتيكم ما يتلى عليكم في الكتاب يعني القرآن والإشارة بهذا إلى ما تقدم من
الآية في أموال اليتامى وهو قوله تعالى في صدر السورة وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما
طاب لكم من النساء الآية قالت عائشة نزلت هذه الآية أولا ثم سأل الناس بعدها رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن أمر النساء فنزلت ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن الآية وقوله
تعالى في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن معناه النهي عما كانت العرب تفعله من ضم اليتيمة
الجميلة دون ما تستحقه من المهر ومن عضل الدميمة الغنية حتى تموت فيرثها العاضل والذي
كتب الله لهن هو توفيتهن ما تستحقه من مهر وقوله تعالى وترغبون أن تنكحوهن أي إن كانت
الجارية غنية جميلة فالرغبة في نكاحها وإن كانت بالعكس فالرغبة عن نكاحها وقوله تعالى
والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والذي يتلى في المستضعفين من الولدان هو قوله
تعالى يوصيكم الله في أولادكم الآية وذلك أن العرب كانت لا تورث الصبية ولا الصبي الصغير
وبين الله تعالى لكل ذي حق حقه وقوله تعالى وأن تقوموا لليتامى بالقسط عطف أيضا على ما
تقدم والذي يتلى في هذا المعنى قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إلى غير ذلك
مما ذكر في مال اليتيم والقسط العدل وباقي الآية بين قوله تعالى وإن امرأة خافت من بعلها
نشوزا الآية هذه الآية حكم من الله تعالى في أمر المرأة التي تكون ذات سن ونحوه مما يرغب
زوجها عنها فيعرض عليها الفرقة أو الصبر على الأثرة فتختار البقاء بعد الحصنة فبهذه الآية أباح
الله بينهما الصلح ورفع الجناح فيه واختلف في نزول الآية فقال ابن عباس وجماعة نزلت في
النبي صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة وفي المصنفات أن سودة لما كبرت وهبت
يومها لعائشة وقال ابن المسيب وغيره الآية بسبب رافع بن خديج وامرأته خولة وقال
مجاهد نزلت بسبب أبي السنابل وامرأته وابن العربي في أحكامه قوله تعالى وإن
امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا الآية قالت عائشة رضي الله عنها هي المرأة
تكون عند الرجل ليس بمستكثر منها يريد أن يفارقها فتقول أجعلك من شأني في حل فنزلت هذه الآية

قال الفقيه

قال الفقيه أبو بكر بن العربي رضوان الله تعالى عليه الصريقة الظاهرة ثم أقر فيما حمله
إليه من العهد في قوله وإذ كان ما يتلى به يتوقف على آية التنبيه والحكمة إلخ وقوله تعالى والصلح
خير لفظ عام مطلق يقتضي أن الصلح الحقيقي الذي تسكن إليه النفوس ويزول به الخلاف خير
على الإطلاق ويندرج تحت هذا العموم أن صلح الزوجين على ما ذكرنا خير من الفرقة وقوله
تعالى وأحضرت الأنفس الشح معناه عن عبيدة أي لا بد للإنسان أن يشح بحكم خلقته
وجبلته من أن يشح على إرادته حتى يحصل حظه على وجه ما ذكره وخص المفسرون هذه
اللفظة هنا فقال ابن جبير هو شح المرأة بالنفقة من زوجها وبقسمه لها أيامها وقال
ابن زيد الشح هنا منه ومنها قال ابن عطية وهذا أحسن والشح الضبط على المعتقدات وفي
الهمم والأموال ونحو ذلك مما أفرط فيه ففيه بعض المذمة وهو الذي قال تعالى فيه ومن
يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وما صار إلى حيز منع الحقوق الشرعية أو التي
تقتضيها المروءة فهو البخل وهي رذيلة لكنها قد تكون في المؤمن ومنه الحديث قيل
يا رسول الله أيكون المؤمن بخيلا قال نعم وأما الشح ففي كل أحد وينبغي أن لا يفرط
إلا على المؤمن بدليل الآية وبدليل أن الشح في كل أحد قوله تعالى وأحضرت الأنفس الشح
وقوله ومن يوق شح نفسه فقد أثبت أن لكل نفس شحا وقول النبي صلى الله عليه وسلم
أن تصدق وأنت صحيح شحيح وهذا لم يرد به واحدا بعينه وليس بجميل أن يقال هنا أن
تصدق وأنت صحيح بخيل وقوله تعالى وإن تحسنوا وتتقوا ندب إلى الإحسان في تحسين العشرة
والصبر على خلق الزوجة وتتقوا معناه تتقوا الله في وصيته بهن إذ هن عوان عندكم
وقوله تعالى ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء الآية معناه العدل التام على الإطلاق في الميل
المستوي في الأفعال والأقوال والمحبة والجماع وغير ذلك وكان صلى الله عليه وسلم يقسم
بين نسائه ثم يقول اللهم هذا فعلي فيما أملك فلا تؤاخذني بما تملك ولا أملك فوصف الله
تعالى حالة البشر أنهم بحكم الخلقة لا يملكون ميل قلوبهم إلى بعض الأزواج دون بعض
ثم نهى سبحانه عن الميل كل الميل وهو أن يفعل فعلا يقصد به التفضيل وهو يقدر أن لا
يفعله فهذا هو كل الميل وإن كان في أمر خفي وقوله تعالى فتذروها كالمعلقة أي لا
هي أيم ولا هي ذات زوج وجاء في التفسير وإن تحسنوا في هذه وإن تصلحوا ولا في
في مشروع البيه وهذه في لازم إذ ليس العدل فيما تملك وقوله تعالى وإن يتفرقا يغن الله

الله كلا من سعته الاية اي ان يتفرقا كل واحد من الزوجين ولم تتصالحا لكنهما يتفرقا بطلاق ف
فان الله تعلى يغني كل واحد منهما عن صاحبه بفضله ولطايفه فيغنيه بالمال والغنى عنه والسخي
وجود المراة والتمكن منها والواسع معناه الذي يعم رزقه كل شيء وقوله تعلى ولله
ما في السموات وما في الارض فليس بريء على موضع الرجا لهاذين المفترقين ثم جاء بعد ذالك
قوله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض تنبيها تنبيها على استغنائه عن العباد
ومقدمة للخبر بكونه غنيا حميدا ثم جاء بعد ذالك قوله ولله ما في السموات وما في الارض وكفى
بالله وكيلا مقدمة للوعيد بعده وهو قوله ان يشا يذهبكم ايها الناس فهاذه ثلاثة مقاصد
ف وفي تبيينه هاذه عندي نظر والاحسن بقاء الكلام على نسقه فقوله وسع الله فتنبيه
على موضع الرجا لهاذين المفترقين فيرحمهما والذي فيه فلوما بعده من توجيهه وقوله تعلى
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله الاية عامة لكل من اوتي كتابا فان
وصية سبحانه لعباده لم تزل منذ اوجدهم ف قال الاستاذ ابو بكر الطرطوشي
في سراج الملوك ولما دخل ابن ملجم على علي رضي الله عنه دخل منه لم بل عنه ثم غشي عليه ثم افاق
فدعا اولاده الحسن والحسين ومحمد فقال اوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة
الحق في الرضى والغضب والقصد في الغنا والفقر والعدل على الصديق والعدو والعمل في النشاط
والكسل والرضى عن الله في الشدة والرخا يا بني ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار
بخير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار عافية من ابصر عيب نفسه
شغل عن عيب غيره ومن رضي بقسم الله لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغي قتل به
ومن حفر لاخيه بيرا وقع فيه ومن كشف حجاب اخيه كشفت عورات بنيه ومن نسي خطيئته
استعظم خطيئة غيره ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن اعجب براي ضل
ومن جالس العلماء وقر ومن خالط الانذال حقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن مزح
استخف به ومن اكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر خطاؤه ومن كثر خطاؤه قل حياؤه
ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار يا بني
الادب خير ميراث وحسن الخلق خير قرين يا بني العافية عشرة اجزاء تسعة منها
في الصمت الا عن ذكر الله وواحد في ترك مجالسة السفهاء يا بني زينة الفقر الصبر
وزينة الغنى الشكر يا بني لا شرف اعز من الاسلام ولا كرم اعز من التقوى يا بني

الحي

الحي مفتاح البغي ومطية النصب لسوي لم اخلع لشيء عمله وعلمه وحده وبغضه
واخره وفي كم وكلامه وصمته وقوله وفعله والتوكيل الغالب ولها مورد المغفرة فيها
ما وراه وقوله تعلى ايها الناس مخاطبة للحاضرين من العرب وتوبيخ للشاهدين لسعي
اذ هابكم وقوله واخرين يريد من نوع اخر وتحتمل الاية ان تكون وعيدا لجميع بني ادم ويكون
الاخرون من غير نوعهم كما تقدم وقال الطبري هاذا الوعيد والتوبيخ للشافعين
والمخاصمين في قضية ابن ابيرق تعين والاول اظهر لحسن رصفه بعمومه والسماربه على
العالم جملة او العالم الحاضر وقوله تعلى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا
والاخرة الاية اي من كان لا مراد له الا ثواب الدنيا ولا يعتقد ان ثم سواه فليس كما ظن
بل عند الله سبحانه ثواب الدارين فمن قصد الاخرة اعطاه من ثواب الدنيا واعطاه قصده ومن
قصد الدنيا فقط اعطاه من الدنيا ما قدر له وكان له في الاخرة العذاب والله تعلى سميع
للاقوال بصير بالاعمال والنيات وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرء ما نوى الحديث قال النووي بلغنا عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال انما يحفظ الرجل على قدر نيته وقال غيره انما يعطى الناس على
قدر نياتهم وقوله خاطبة لجماعة المومنين بقوله كونوا قوامين بالقسط وهو العدل ومعنى
شهداء لله اي لذاته ولوجهه ولمرضاته سبحانه وتعلى وقوله تعلى ولو على انفسكم متعلق
بشهداء هاذا هو الظاهر الذي فسر عليه الناس وان هاذه الشهادة المذكورة هي
في الحقوق ويحتمل ان يكون المعنى شهداء لله بالوحدانية ويتعلق قوله ولو على
انفسكم بقوله قوامين بالقسط والتاويل الاول ابين وشهادة المرء على نفسه هو اقراره
بالحقائق قال ص وقوله تعلى ان يكن غنيا او فقيرا الضمير يكون عايدا على المشهود عليه
والضمير في بهما عايد على جنس الغني والفقير انتهى قال ع وقوله تعلى اولى بهما اي هو
انظر لهما وروى الطبري ان هاذه الاية هي بسبب نازلة ابي ابيرق وقيام من قام فيها
بغير القسط وقوله تعلى فلا تتبعوا الهوى نهي بين واتباع الهوى مرد مهلك وقوله
تعلى ان تعدلوا يحتمل ان يكون معناه مخافة ان تعدلوا ويكون العدل هنا بمعنى العدول عن
الحق ويحتمل ان يكون معناه مخافة ان تعدلوا ويكون العدل بمعنى القسط وقوله تعلى
وان تلووا او تعرضوا الاية قال ابن عباس هي في الخصمين يجلسان بين يدي القاضي فيكون

لي الغاية واي اضمار حرج على دراني وقال ابن زيد وعيسى هي في المشهود يلوي الشهادة
بلسانه او يعرض عن اداءها قال ع ولفظ الاية يعم القضاء والشهادة والتوسط بين الخصمين وكل
انسان ماخوذ بان يعدل والخصوم مطلوبون بعدل ما في القضاء فتامله وقد تقدم تفسير الّى
وباقي الاية وحيث وقوله تعلى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله الاية اختلف
من المخاطب بهاذه الاية فقيل الخطاب للمومنين ومعنى هاذه الامر الثبوت والدوام وقالت فرقة
الخطاب لاهل الكتابين ورجحه الطبري وقيل الخطاب للمنافقين اي يا ايها الذين امنوا
في الظاهر ليكن ايمانكم حقيقة وقوله تعلى ومن يكفر بالله الى اخر الاية وعيد وخبر
متضمنة تحذير المومنين من حالة الكفر وقوله تعلى ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا الاية
قال مجاهد وابن زيد الاية في المنافقين فان منهم من كان يومن ثم يكفر ثم يومن ثم يكفر
ثم ازداد كفرا بان تم على كفره حتى مات قال ع وهاذا هو التاويل الراجح وتامل قوله
تعلى لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم تقتضي ان هولاء محتوم عليهم من اول امرهم ولذالك
ترددوا وليست هاذه العبارة مثل ان يقول لا يغفر الله لهم بل هي اشد فتامل الفرق بين
العبارتين فانه من دقائق غرائب الفصاحة التي في كتاب الله سبحانه وتعلى وقوله تعلى
بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما الاية دليل على ان التي قبلها انما هي في المنافقين ثم نعت
سبحانه صفة المنافقين على التشنيع عليهم وهي موالاتهم الكافرين واطراحهم
المومنين ونبههم على فساد ذالك ليدع من عسى ان يقع في نوع منه من المومنين غفلة
او جهالة او مسامحة ثم وقفهم على جهة التوبيخ وقال الشيخ عند الحق [illegible]
انكارا اي وليس الامر كذالك فان العزة لله جميعا يوتيها من يشاء وقد وعد بها
المومنين وجعل العاقبة للمتقين والعزة اصلها الشدة والقوة ومنه [illegible] اي غلبني
بشدته وقوله تعلى وقد نزل عليكم في الكتاب الاية خطاب لجميع من اظهر الايمان من محقق ومنافق
لانه اذا اظهر الايمان فقد لزمه امتثال اوامر الله تعلى والاشارة بهاذه الاية
الى قوله تعلى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره
الى نحو هاذا من الايات والكناية في هاذا الموضع [illegible] ان وجه هاذه الاية ليدل قوي على وجوب
تجنب اهل البدع والمعاصي وان لا يجالسوا وقد قيل [illegible] وشاكل [illegible]
بالمقارن مقتدي وهاذه المماثلة ليست في جميع الصفات ثم توعد سبحانه المنافقين والكافرين

يجمعهم في جهنم جميعا

١٢٦

بنهصوي

يجمعهم في جهنم فقال ابن العربي انتهى عن مجالستهم وخلطتهم وقوله تعلى الذين يتربصون بكم الاية
هاذه صفة المنافقين ويتربصون معناه ينتظرون دور الدوائر عليكم فان كان فتح
للمومنين ادعوا فيه النصيب بحكم ما يظهرونه من الايمان وان كان للكافرين نيل من المومنين
ادعوا فيه النصيب بحكم ما يظهرونه من موالاة الكفار وهاذه حال المنافقين ونستحوذ معناه نغلب
على امركم ونحوطكم ومعنى استحوذ عليهم الشيطان معناه غلب على امورهم [illegible] المومنين والنبي بما وعد [illegible]
في قوله والله يحكم بينكم يوم القيامة اي بينكم وينصفكم من جميعهم وقوله تعلى ولن يجعل الله للكافرين
على المومنين سبيلا اي يوم القيامة قاله علي وابن عباس وعليه جميع اهل التاويل والسبيل الحجة
والغلبة ق قال ابن العربي [illegible] هاذا النفي [illegible] قالوا [illegible] الاية ثلاثة وجوه
احدها لن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا [illegible] الثاني
لن يجعل الله للكافرين على المومنين [illegible] عن المنكر [illegible]
التوبة فيكون تسليط العدو من قبلهم وهاذا نفيس جدا الثالث لن يجعل الله للكافرين على
المومنين سبيلا بالشرع فان وجد فبخلاف الشرع [illegible] على
ان الكافر [illegible] ومخادعة المنافقين [illegible] بعض
احوال [illegible] عند الله تعلى وقوله تعلى وهو خادعهم [illegible] وقال ابن جريج والحسن والسدي
وغيرهم من المفسرين ان هاذا الخدع هو ان الله تعلى يعطي لهاذه الامة يوم القيامة نورا لكل انسان
مومن او منافق فيفرح المنافقون ويظنون انهم قد نجوا فاذا جاءوا الى الصراط طفئ نور كل منافق
ونهض المومنون فذالك قول الله تعلى انظرونا نقتبس من نوركم فذالك هو الخدع الذي يجري
على المنافقين ثم ذكر سبحانه كسلهم في الصلاة [illegible] قال
ابن العربي في احكامه قوله تعلى [illegible] روى الايمة مالك وغيره عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تلك
صلاة المنافقين تلك صلاة المنافقين يجلس احدهم حتى اذا اصفرت الشمس وكانت بين قرني الشيطان قام فنقر
اربعا لا يذكر الله فيها الا قليلا قال ابن العربي وقد بين الله تعلى صلاة المومنين بقوله تعلى قد افلح المومنون الذين هم في
صلاتهم خاشعون ومن خشع خضع واستمر ولم ينقر صلاته ولم يستعجل [illegible] مضطربين لا يثبتون على حال
والمذبذب [illegible] والمنافقون مترددون بين الكفار والمومنين لا الى هولاء ولا الى هولاء قال
صلى الله عليه وسلم مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين [illegible] وقوله تعلى يا ايها
الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المومنين [illegible] المنافقون [illegible]

وفي جهنم وهم المراد بقوله أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا أي حجة التوفيق لم الشيء من الفعل المؤدي
إلى هذه الحال والمؤمنون المخلصون ما الموفق فيه منه ذلك ويقوي هذا التنبيه قوله تعالى من دون المؤمنين أي المؤمنون
العارفون المخلصون غيبة عن هذه الموالاة وقد كان يقال للمؤمنين المخلصين بل المعنى يا أيها الذين
أظهروا الإيمان والتزموا موالاة أولئك والسلطان الحجة ثم أخبر تعالى عن المنافقين أنهم في الدرك
الأسفل من النار جميعه وذلك أنهم أسوأ غوائل من الكفار وأشد تمكنا من أذى المسلمين
ت وأيضا لما شاهدوه من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وما جعل الله على يديه
من الخوارق ما لم يشاهده غيرهم من الكفار فكانت الحجة عليهم أعظم وكان كفرهم محض
عناد وروي عن أبي هريرة وابن مسعود وغيرهما أنهم قالوا المنافقون في الدرك الأسفل
من النار في توابيت من نار تقفل عليهم ثم تستنجل وعن القرابين من المنافقين ومن نشم وط
النار أي يتصلح في قوله وفعله ويعتصم بالله أي يجعله منجاته وملجأه ويخلص دينه لله تعالى
ولا ملبس نفاق وقوله تعالى فأولئك مع المؤمنين أي في رحمة الله سبحانه وفي منازل الجنة
ثم وعد سبحانه المؤمنين الأجر العظيم وهو التخليد في الجنة وقال ع فأولئك خبيه مضى والتقوى
فأولئك مؤمنون مع المؤمنين قاله أبو البقاء اهـ ثم قال سبحانه للمنافقين ما يفعل الله بعذابكم
إن شكرتم وآمنتم ذكاة أي أي منفعة له سبحانه وتعالى في ذلك أو حاجة قال أبو عبد الله محمد
اللخمي رحمه الطبري أن قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم خطاب للمنافقين ولا دليل
يقوم له على ذلك دليل يقطع به وليس في ذكر المنافقين قبله ما يمتنع أن يحمل عليهم خاصة
مع احتمال الآية للعموم فقطعه بأن الآية في المنافقين حكم لا يقوم به دليل اهـ وهو حسن
إذ حمل الآية على العموم أحسن والصحة من ع كيف تبع الطبري في هذا التخصيص ويظهر والله
تعالى أعلم أنه عوّل في تخصيص الآية على قوله تعالى وآمنتم وهو محتمل أن يكون في حق المنافقين
على ظاهره وفي حق المؤمنين على معنى دمتم على إيمانكم والله تعالى أعلم والشكر على الحقيقة لا يكون
إلا مقترنا بالإيمان لكنه ذكر الإيمان تأكيدا وتنبيها على جلالة موقعه ثم وعد سبحانه بقوله
وكان الله شاكرا عليما أي يتقبل أقل شيء من العمل وينميه فذلك شكر منه سبحانه لعباده والشكور
من البهائم التي يأكل قليلا ويظهر به بدنه والعرب تقول أشكى من بروقة لأنها يقال إنها تخضر
وتنتضر بظل السحاب دون مطر وفي قوله عليما تحذير وندب إلى الإخلاص قوله تعالى لا يحب الله
الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم الآية قراءة الجمهور بضم الظاء وفي هذه الآية تحذير

واختلف على قراءة

واختلف على قراءة الجمهور فقالت فرقة المعنى لا يحب الله أن يجهر أحد بالسوء من القول إلا
من ظلم فلا يكره له الجهر ثم اختلفت هذه الفرقة في كيفية الجهر بالسوء وما هو المباح منه
فقال ابن عباس وغيره المباح لمن ظلم أن ينتصر ممن ظلمه بمثل ظلامته ويجهر له بالسوء من
القول بما يوازي الظلامة وقال مجاهد وغيره نزلت في الضيف المحول رحله فإنه رخص له
أن يجهر بالسوء من القول لمن لم يكرمه يبين بقدر الظلامة وفي صحيح البخاري عن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم
ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم
الآخر فليقل خيرا أو ليصمت اهـ ويسمع عليهم صفتان لا ينفعان لا يجهر بالسوء وما للظالم إلا أن
يعلمه ويجازى عليه ولما ذكر سبحانه عذر المظلوم في أن يجهر بالسوء لظالمه أتبع ذلك عرض
إبداء الخير وإخفائه والعفو عن السوء ثم وعد سبحانه بقوله فإن الله كان عفوا قديرا وعدا
خفيا تقتضيه البلاغة ورغب سبحانه في العفو إذ ذكر أنه صفته مع القدرة على الانتقام
قال ع وفي هذه الألفاظ اليسيرة معان كثيرة لمن تأملها وقال الداودي وعن ابن عمر أنه قال
لا يحب الله تعالى أن يدعو أحد على أحد إلا أن يظلم فقد رخص له في ذلك انتهى وقوله تعالى إن
الذين يكفرون بالله ورسله إلى آخر الآية نزلت في اليهود والنصارى وقد تقدم بيان هذه
المعاني وقوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله الآية لما ذكر سبحانه أن الجمع بين الرسل
عليهم السلام هو الكفر حقا عقب ذلك بذكر المؤمنين بالله ورسله جميعا وهم المؤمنون
بمحمد صلى الله عليه وسلم ليتضح الوعد هو من ح لوعيد أولئك فيتبين الفرق بين المنزلتين
وقوله تعالى يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء الآية قال قتادة سألت
اليهود النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بكتاب من عند الله خاص لليهود يأمرهم فيه بالإيمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحوه عن ابن جريج وزاد إلى فلان وإلى فلان أنك رسول الله ثم قال
سبحانه على جهة التسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم فقد سألوا موسى أكبر من ذلك وفي
الكلام حذف يدل عليه المذكور تقديره فلا تبال يا محمد من سؤالهم وتشططهم فإنها عادتهم
وجمهور المتأولين على أن جهرة متعلق بأرنا أي حتى نراه جهارا أي عيانا وأهل السنة يعتقدون
أن هؤلاء لم يسألوا محالا عقلا لكنه محال من جهة الشرع إذ قد أخبر تعالى على ألسنة
أنبيائه أنه لا يرى سبحانه في هذه الدنيا والرؤية في الآخرة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم

بالحجج المتواترة وهي جائزة عقلا من غير تحديد ولا تكييف ولا تحديد كما هو تعالى معلوم لا كالمعلومات
كذلك هو موجود لا كالموجودات سبحانه هذه جملة اهل السنة وقولهم وقد تقدم فصل القول في الرؤية
وظلمهم هو تعنتهم وسؤالهم ما ليس لهم ان يسألوه وقوله تعالى ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم
معه تعديد لاجرامهم ثم قد كان من امرهم ان اتخذوا العجل وذلك ان اتخاذ العجل كان عند مواعدة
الى المناجاة ولم يكن الذين صعقوا ممن اتخذ العجل لان الذين اتخذوه كانوا قد جاءتهم البينات وقوله
تعالى فعفونا عن ذلك يعني بما امتحنهم به من القتل لانفسهم ثم وقع العفو عن الباقين منهم وقوله
تعالى فبما نقضهم ما زائدة مؤكدة التقدير فبنقضهم والآية مخبرة عن اشياء واقعوها هي ضد
ما امروا به وحذف جواب هذا الكلام بليغ متروك مع ذهن السامع تقديره لعناهم ونحوه
ثم قال سبحانه وبكفرهم اي بعيسى وقولهم على مريم بهتانا عظيما هو رميهم اياها بالزنى بعد رؤيتهم
الآية في كلام عيسى في المهد وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم الآية هذه الآية والتي قبلها
عدد الله تعالى فيها اقوال بني اسرائيل وافعالهم على اختلاف الازمان وتعاقب القرون فاجتمع
من ذلك توبيخ خلفهم المعاصرين لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهذه الطائفة التي قالت
انا قتلنا المسيح غير الذين نقضوا الميثاق في الطور وغير الذين اتخذوا العجل وقول بني اسرائيل
انما هو الى قوله عيسى ابن مريم وقوله تعالى رسول الله انما هو اخبار من الله تعالى بصفة لعيسى
وهي الرسالة على جهة اظهار ذنب هؤلاء المقرين بالقتل ولزمهم الذنب وهم لم يقتلوا عيسى
لانهم صلبوا ذلك الشخص على انه عيسى وعلى ان عيسى كذاب ليس برسول الله ولكن لزمهم الذنب من حيث
اعتقدوا ان قتلهم وقع في عيسى فكانهم قتلوه وعيسى بدل وعطف بيان من المسيح ورسول الله كذلك ويجوز
ان يكون صفة لعيسى وان يكون نصبا على اضمار اعني وهذه الوجوه احسنها من جهة المعنى الاول
ثم اخبر سبحانه ان بني اسرائيل ما قتلوا عيسى وما صلبوه ولكن شبه لهم واختلفت الرواة في هذه
القصة والذي لا يشك فيه ان عيسى عليه السلام كان يسيح في الارض ويدعو الى الله وكانت
بنو اسرائيل تطلبه وملكهم في ذلك الزمان يجعل عليه الجعائل وكان عيسى عليه السلام قد انضوى
اليه الحواريون يسيرون معه حيثما سار فلما كان في بعض الاوقات شعر بامر عيسى فروي
ان رجلا من اليهود جعل له جعل فما زال ينقر عنه حتى دل على مكانه فلما احس عيسى واصحابه
بتلاحق الطالبين بهم دخلوا بيتا بمرأى من بني اسرائيل فروي انهم عدوهم ثلاثة عشر
وروي ثمانية عشر وحصروا ليلا فروي ان عيسى فرق الحواريين تلك الليلة

ووجهم

ووجههم الى الآفاق وبقي هو ورجل معه فرفع عيسى والقي شبهه على الرجل فصلب ذلك الرجل وروي ان الشبه
القي على اليهودي الذي دل عليه فصلب وروي ان عيسى عليه السلام لما احيط بهم قال لاصحابه ايكم يلقى عليه شبهي فيقتل ويخلص
هؤلاء وهو في الجنة فقال سرجس انا فالقي عليه شبه عيسى وروي ان شبه عيسى القي على الجماعة كلها فلما
اخرجهم بنو اسرائيل نقصوا واحدا من العدة فاخذوا واحدا ممن القي عليه الشبه حسب هذه الروايات التي ذكرها الطبري وروي
ان الملك والمتناولين لم يخف عليهم امر رفع عيسى لما راوه من نقصان العدة واختلاط الامر وقوله تعالى وان الذين اختلفوا
فيه لفي شك منه الآية يعني اختلاف الجماعة لانهم حين فقدوا واحدا من العدة وتحدث برفع
عيسى افاقوا واختلفوا لكن اجمعوا على انه واحد من غير ثقة وما ذكروا انه هو وقوله تعالى وما
قتلوه يقينا قال ابن عباس وجماعة ومال اليه الطبري المعنى الضمير عائد على الظن والمعنى وما قتلوه يقينا فالضمير في قتلوه على هذا
عائد على الظن كما تقول ما قتلت هذا الامر علما وعبارة ... وما قتلوا امره يقينا ان
الرجل هو عيسى او هو غيره من مختصر الطبري وقال قوم الضمير عائد على عيسى اخبر سبحانه انهم ما قتلوه
في الحقيقة جملة واحدة لا يقينا ولا شكا لانه لما حصلت في ذلك الدعوى صار قتله عندهم مشكوكا
فيه وقال قوم من اهل اللسان الكلام تام في قوله وما قتلوه ويقينا مصدر مؤكد للنفي في قوله
وما قتلوه المعنى نخبركم يقينا او نقص عليكم يقينا او ايقنوا بذلك يقينا وقال ... والظاهر
ان الضمير في قوله قتلوه عائد على عيسى لتتحد الضمائر ويقينا منصوب في موضع الحال من فاعل قتلوه
اي ما قتلوه متيقنين انه عيسى او نعت لمصدر محذوف اي قتلا يقينا اه وقوله بل رفعه الله اليه معناه الى
سمائه وكرامته وعيسى عليه السلام في السماء على ما تضمنه حديث الاسراء في ذكر ابني الخالة
عيسى ويحيى ذكره البخاري في حديث المعراج وذكره غيره وهو هنالك مقيم حتى ينزله الله تعالى
لقتل الدجال وليملأ الارض عدلا ويحيى فيها اربعين سنة ثم يموت كما يموت البشر وقوله تعالى وان من
اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اختلف في معنى الآية فقال ابن عباس وغيره الضمير في موته
راجع الى عيسى والمعنى انه لا يبقى من اهل الكتاب احد اذا نزل عيسى الى الارض الا يؤمن بعيسى كما يؤمن
سائر البشر وترجع الاديان كلها واحدا يعني على دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ عيسى
واحد من امته وعلى شريعته واتباعه وفي الحديث الصحيح وقال مجاهد وابن عباس ايضا
وغيرهما الضمير في به لعيسى وفي موته للكتابي لانه عند المعاينة للموت يعاين ما يعقبه وقال عكرمة
الضمير في به لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفي موته للكتابي قال ولا يخرج يهودي ولا نصراني
من الدنيا حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ولو غرق او سقط عليه جدار فانه يؤمن في ذلك الوقت وفي

مصحف أبي بن كعب قبل موتهم وفي هذه القراءة تقوية لعود الضمير على الكتابي قال ص وإن
من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به أي هنا نافية والجملة بعده محذوف قامت صفته مقامه أي وما أحد
من أهل الكتاب ثم حذف في قوله وإن منكم إلا واردها وقوله وما منا إلا له مقام معلوم أي وما
أحد منا وما أحد منكم قال الشيخ أبو حيان وليؤمنن به جواب قسم محذوف والقسم وجوابه هو
الخبر وكذا الجملة بعد ذلك له مقام معلوم وإلا واردها هي الخبر قال الزجاج وحذف أحد مطلوب
في كل نفي يدخله الاستثناء نحو ما قام إلا زيد أي ما قام أحد إلا زيد اه وقوله تعالى فبظلم
من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم الآية فبظلم معطوف على قوله تعالى فبما نقضهم
والتنكير هنا للتعظيم وبعض الزيادة والتحريم والتوبة وغير ذلك وفي ابن عباس طيبات كانت
أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا يحتمل أن يريد صدهم في ذاتهم ويحتمل أن يريد صدهم غيرهم اه
واختلف الربا هو الزيادة بالرهن إلى أجل ونحو ذلك مما هو مفسدة وقد نهوا عنه ثم استثنى
سبحانه الراسخين منهم كعبد الله بن سلام ومخيريق ومن جاء معهم واختلف الناس في قوله تعالى
والمقيمين وكيف خالف إعراب ما تقدم وما تأخر فقال بعض نحاة البصرة والكوفة إنما
هذا من قطع النعوت إذا كثرت على النصب بأعني وإلى مع نعت المدح وقال قوم والمقيمين
الصلاة هم الملائكة ومن قوم من الأنبياء وقال قوم والمقيمين عطف على الضمير في منهم
وقال آخرون بل على الكاف في قوله من قبلك وزاد ص أي المقيمين منصوب على المدح قال وقرأ
جماعة والمقيمون اه قوله تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده الآية
سبب نزولها قول بعض أحبار اليهود ما أنزل الله على بشر من شيء فأنزل الله تعالى هذه الآية
تكذيبا لهم قال ع إنما هو الذي يقع في قول الحقيقة والوحي إلقاء المعنى في خفاء وعبر به
في الآية ... عليه السلام وكلم الله موسى تكليما دون تكييف ولا تحديد ولا
جهة ولا صوت والذي عليه أهل السنة أن الكلام هو المعنى القائم بالنفس ويخلق الله
لموسى إدراكا من جهة السمع يتحصل به الكلام وكما أن الله موجود لا كالموجودات معلوم
لا كالمعلومات فكذلك كلامه لا كالكلام وقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين الآية رسلا
بدل من الأول وأراد سبحانه أن يقطع بالرسل احتجاج من يقول لو بعث إلي رسول لآمنت والله
سبحانه غني عن الحجة ولكنه لا حجة عليه في أوامره بقطع الحجة بالرسل حكمة منه
سبحانه وقوله تعالى لكن الله يشهد بما أنزل إليك الآية سببها قول اليهود ما أنزل الله على
بشر من شيء

بشر من شيء وقال ص لكن استدراك ولا يبتدأ بها فيتعين تقدير جملة قبلها بينها بسبب
النزول وهو أنه لما نزل إنا أوحينا إليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد اه
وقوله تعالى أنزله بعلمه هذه الآية من أقوى متعلقات أهل السنة في إثبات علم الله
عز وجل خلافا للمعتزلة في أنهم يقولون عالم بلا علم والمعنى عند أهل السنة أنزله وهو
يعلم إنزاله ونزوله وقوله تعالى والملائكة يشهدون تقوية لأمر نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم ورد على اليهود وقوله تعالى وكفى بالله شهيدا تقدير وكفى الله شهيدا
لكنه دخلت الباء لتدل على أن المراد اكتفوا بالله شهيدا وما في الآية بين وقوله تعالى
يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم هذه الآية خطاب لجميع الناس وهي دعاء إلى
الشرع ولو كان في أمر من أوامر الأحكام ونحوها لكانت يا أيها الذين آمنوا والرسول في
الآية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال سبحانه وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات والأرض
وهذا خبر وإنه لا يضره كفرهم وإنما هو نادب بهم ثم خاطب سبحانه أهل الكتاب
من النصارى أن لا تغلوا والغلو هو تجاوز الحد وقوله تعالى في دينكم معناه في دين الله الذي
أنتم مطلوبون به وأن تحيدوا عن الله ولا تقولوا على الله إلا الحق وليست هذه إضافة إلى
دينهم المضلول وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال
أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله
وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما
كان من عمل رواه مسلم والبخاري والنسائي وفي مسلم أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية
شاء اه وقوله تعالى فآمنوا بالله ورسله أي الذين من جملتهم عيسى ومحمد عليهما السلام
وقوله تعالى إنما الله إله واحد إنما في هذه الآية حاصرة وسبحانه معناه تنزيها له
وتعظيما ولا تشكل هذه الآية على الآية قال ع وقوله تعالى ولا الملائكة المقربون زيادة في الحجة
ونفي بما لا إنكار له أي وهؤلاء الذين هم في أعلى درجات المخلوقين لا يستنكفون عن ذلك
فكيف بسواهم وفي هذه الآية دليل على تفضيل الملائكة على الأنبياء وما في الآي وقوله
تعالى يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم هذه الآية إشارة إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
والبرهان الحجة النيرة والنور المبين يعني القرآن والنور هو الكتاب الذي ...
بيان كل شيء وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما

فيه خطب فحمد الله تعالى واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد ايها الناس فانما انا بشر
مثلكم يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيبه واني تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى
والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم
الله في اهل بيتي اذكركم الله ثلاثا في اهل بيتي الحديث وفي رواية كتاب الله فيه الهدى
والنور من استمسك به واخذ به كان على الهدى ومن اخطاه ضل وفي رواية الا واني تارك
فيكم ثقلين احدهما كتاب الله وهو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان
على ضلالة اه وقوله تعالى فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به اي اعتصموا بالله وبحبل القصا
بالفهم وانى العظيم ثم قال عليه السلام اي ان حبل الله المتين من تمسك به عصم والرحمة
والفضل الجنة ونعيمها ويهديهم اليه معناه الى الفضل وهذه هداية طريق الجنان كما
قال تعالى سيهديهم ويصلح بالهم لان هداية الارشاد قد تقدمت وتحصلت حين امنوا
بالله واعتصموا بكتابه فيهديهم هنا بمعنى يوجههم ومانع ذلك نية بين وقوله تعالى يستفتونك
قل الله يفتيكم في الكلالة تقدم القول في تفسير الكلالة في صدر السورة وكان امر الكلالة
عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه مشكلا والشأن فالذي اشكل عليه منها وقول النبي
صلى الله عليه وسلم انه يكفيك منها اية الصيف التي نزلت في اخر سورة النساء بيان فيه
كفاية قال كثير من الصحابة هذه الاية هي من اخر ما نزل وقوله تعالى يبين الله لكم ان
تضلوا اي لئلا تضلوا والله بكل شيء عليم

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على النبي محمد وسلم

سورة المائدة مدنية باجماع

يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود هذه الاية عامة في الوفاء بالعقود وهي الربوط في القول
كان ذلك في تعاهد على بر او في عقد نكاح او بيع او غيره فمعنى الاية امر جميع المومنين
بالوفاء على عقد جار على رسم الشريعة وفسر بعض الناس لفظ العقود بالعهود وقال ابن شهاب
قرات كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتب لعمرو بن حزم حين بعثه الى نجران وفي
صدره هذا بيان من الله ورسوله يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود فكتب الايات الى قوله
ان الله سريع الحساب قال ع واصوب ما يقال في هذه الاية ان تعم الفاظها بعادته ما
تتداول فيعم لفظ المومنين مومني اهل الكتاب وفي كل مقيم كل ايمان وان لم يطبقه وفي

المومنين

المومنين حقيقة وفي المومنين حقيقة ويعم لفظ العقود في كل ربط بقول موافق للحق
والشرع ع وقوله تعالى احلت لكم بهيمة الانعام قال قتادة وغيره هي الانعام كلها
ع كانه قال احلت لكم الانعام كلها وقال الطبري قال قوم بهيمة الانعام وحشيها وهذا
قول حسن وذلك ان ذوات الانعام هي الثمانية الازواج وما انضاف اليها من سائر الحيوان فانه
يقال له انعام مجموعة معها والبهيمة في كلام العرب ما ابهم من جهة نقص النطق والفهم وقوله
الا ما يتلى عليكم استثناء ما تلي في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة وما في موضع نصب
على اصل الاستثناء وقوله تعالى غير محلي الصيد نصب غير على الحال من الكاف والميم في قوله
احلت لكم بهيمة الانعام وهو استثناء بعد استثناء قال ص هذا هو قول الجمهور واعترض
بانه يلزم منه تقييد الحلية بحالة كونهم غير محلي الصيد وهم حرم والحلية ثابتة مطلقا اه
قال ص والجواب عندي على هذا ان المفهوم هنا متروك لدليل خارجي وكثير في القرآن
وغيره من المفهوم المتروك لمعارض ثم ذكر ما نقله ابو حيان من الوجوه التي
في تفسيره وما فيها من التكلف ثم قال والاشكال انما هو على القول بالمفهوم ومن ان نفي حال والذي نفى
عنده التي لا جاء لمفهوم فلهموا ولى من فيحتج تنبو عنه المفهوم اه وقوله تعالى ان الله
يحكم ما يريد تقوية لهذه الاحكام الشرعية المخالفة لمعهود احكام الجاهلية اي
وانت ايها السامع لنسخ تلك التي عهدت تنبه فان الله الذي هو مالك الكل يحكم ما
يريد لا معقب لحكمه سبحانه قال ع وهذه الاية مما تلوح فصاحتها وكثرة معانيها على قلة الفاظها
لكل ذي بصيرة بالكلام ولمن عنده ادنى ابصار وقد حكى النقاش ان اصحاب الكندي قالوا
للكندي ايها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرآن فقال نعم اعمل لكم مثل بعضه فاحتجب اياما
كثيرة ثم خرج فقال والله ما اقدر عليه ولا يطيق هذا احد اني فتحت المصحف فخرجت سورة
المائدة فنظرت فاذا هو قد امر بالوفاء ونهى عن النكث وحلل تحليلا عاما ثم استثنى استثناء بعد
استثناء ثم اخبر عن قدرته وحكمته في سطرين ولا يقدر احد ان ياتي بهذا الا في اجلاد وقوله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله خطاب للمومنين حقا ان لا يتعدوا حدود الله في امر
من الامور قال عطاء بن ابي رباح شعائر الله جميع ما امر الله به او نهى عنه وهذا قول راجح
والشعائر جمع شعيرة اي قد اشعر الله انها حده وطاعته فهي بمعنى معالم الله وقوله تعالى
ولا الشهر الحرام اي لا تحلوه بقتال ولا غارة ولا تغيير فان الشهر الحرام اريد به رجب ليشتد

امر وهو شهر كان في حرمه مختصا بمضر وكانت تعظمه ويحتمل انه اراد به الجنس في جميع
الاشهر الحرم وقوله تعالى ولا الهدي اي لا تستحلوا ولا تغيروا عليه ثم ذكر المقلد منه تاكيدا ومبالغة
في التنبيه على الحرمة في التقليد هذا معنى كلام ابن عباس وقال الجمهور الهدي عام في انواع ما
يهدى من نعم والقلائد ما كان الناس يتقلدونه من لحاء الشجر وغيره امنة لهم وقال ص وسا
القلائد اي ومن يقلده وان القلائد يروقيل بل المراد القلائد بنفسها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي
اه وقوله تعالى ولا آمين البيت الحرام اي قاصدين له من الكفار والمعنى لا تقتلوهم فتجترئون عليهم
وهذا منسوخ بآية السيف بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فكل ما في هذه
الآية مما يتصور في مسلم حاج فهو محكم وكل ما كان منها في الكفار فهو منسوخ وقوله تعالى يبتغون
فضلا من ربهم ورضوانا قال فيه جمهور المفسرين معناه يبتغون الفضل من الارباح في التجارة
ويبتغون مع ذلك رضوانه في ظنهم وطمعهم وهذه الآية نزلت عام الفتح ووجه استئلافا من الله
تعالى للعرب ولطفا بهم لتنبسط النفوس بتداخل الناس ويردون الموسم فيستمعون القرآن
ويدخل الايمان في قلوبهم وتقوم عليهم الحجة كالذي كان ثم نسخ ذلك كله بعد عام في سنة
تسع اذ حج ابو بكر رضي الله عنه ونودي في الناس بسورة براءة وقوله تعالى واذا حللتم الآية
فاصطادوا الامر بمعنى الاباحة في الصيد عقب التشديد فيه حسن موقع لحسن القول وقوله تعالى
فاصطادوا الامر معناه الاباحة بالاجماع وقوله تعالى ولا يجرمنكم معناه لا يكسبنكم وجرم الرجل
معناه كسب وقال ابن عباس معناه لا يحملنكم والمعنى متقارب والتفسير الذي يخص اللفظة
هو معنى الكسب وقوله تعالى شنآن قوم الشنآن هو البغض وقرئ شنآن بسكون
النون فاما كلمة فيه انه مصدر كالذي قاله لا يكسبنكم بغض قوم من اجل ان صدوكم عدوانا عليهم
وظلما لهم وهذه الآية نزلت عام الفتح سنة ثمان حين اراد المسلمون ان يستطيلوا على
قريش والعرب المتظاهرين على صد رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عام الحديبية وذلك
سنة ست من الهجرة فحصلت بذلك بغضة في قلوب المؤمنين وحسيكة للكفار فنهى المؤمنون
عن مكافاتهم واذا لذلك ارادة حسنة وفي علمه ان منهم من يؤمن كالذي كان وقرأ ابو عمرو وابن
كثير ان صدوكم ومعناه ان وقع مثل ذلك في المستقبل وقراءة الجمهور امتن ثم امر سبحانه الجميع
بالتعاون على البر والتقوى وقال قوم هما لفظان بمعنى واحد وفي هذا تسامح والعرف في
دلالة هذين ان البر يتناول الواجب والمندوب والتقوى رعاية الواجب فان جعل احدهما بدل

الاثم

الآخر فيتجوز وقال عبد الرحمن بن زيد الداودي قال ابن عباس البر ما امرت به والتقوى ما نهيت عنه
اه وقد ذكرنا في غير هذا الموضع ان لفظ التقوى يطلق على معان وقد بيناها اول سورة
البقرة وفي الحديث الصحيح والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه قال ابن العربي
عقب ذكر هذا الحديث وقد روي في بعض الاحاديث من مشى في حاجة اخيه المسلم فقضيت
له او لم تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة
من النفاق اه من ك ح الاحكام ثم نهى تعالى عن التعاون على الاثم والعدوان ثم امر
بالتقوى وتوعد توعدا مجملا قال النووي وعن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال اتيت النبي صلى الله عليه
وسلم فقال جئت تسأل عن البر والاثم قلت نعم فقال استفت قلبك البر ما اطمأنت اليه النفس
واطمأن اليه القلب والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وان افتاك الناس وافتوك رواه
حديث حسن رويناه في مسند احمد بن حنبل والدارمي وغيرهما وفي صحيح مسلم عن النواس بن سمعان
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في النفس وكرهت ان يطلع عليه
الناس اه وقوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير الآية تعديد لما يتلى على
ما تقدم هو ما استثني من بهيمة الانعام والدم معناه المسفوح ولحم الخنزير مقتضاه الشحم بالاجماع
وما اهل لغير الله به قد تقدم والمنخنقة معناه التي تموت خنقا والموقوذة التي ترمى او تضرب
بعصا ونحوها والمتردية هي التي تتردى من علو الى سفل فتموت والنطيحة فعيلة
بمعنى مفعولة وما اكل السبع يريد كل ما افترسه ذو ناب واظفار من الحيوان وكانت العرب
تاكل هذه المذكورات ولم تعتقدها ميتة الا ما مات بالوجع ونحو ذلك واختلف العلماء في قوله
تعالى الا ما ذكيتم فقال ابن عباس وجمهور العلماء الاستثناء من هذه المذكورات فما ادرك منها يطرف
بعين او يحرك ذنبا او يدا وبالجملة ما تيقنوا فيه حياة فانه يذكى على سنة الذكاة
ويؤكل وما فاتت نفسه فهو الميتة وقال مالك مرة بهذا القول وقال ايضا وهو المشهور عنه
وعن اصحابه من اهل المدينة ان قوله تعالى الا ما ذكيتم معناه من هذه المذكورات في وقت
فيه ذكاته وهو مما لم تنفذ مقاتله ويتحقق انه لا يعيش ومتى صار في هذا الحد فهو ايضا
في حكم الميتة فالاستثناء عند مالك متصل كقول الجمهور لكنه يخالفهم في الحال التي تصح فيها ذكاة
هذه المذكورات واحتج لمالك بان هذه المذكورات لو كانت لا تحل ولا تؤكل الا ان تذكى الميتة
او يحيى عنها ومن حجة الجمهور ان قال الله ذكيت بسبب ان الدم (?) فلما كانت تعتبر ان هذه الموذية

كذا الذكاة فلم يذكّه عنى الميتة المتقدم ذكرها حسبما كانت عليه والذكاة في كلام
العرب الذبح وقوله تعالى وما ذبح على النصب عطف على المحرمات المذكورة والنصب حجارة تنصب
يذبحون عليها قال ابن جريج وليست النصب بأصنام الصنم يصور وينقش وهذه حجارة تنصب
وكانت العرب تعبدها قال ابن زيد ما ذبح على النصب وما أهل به لغير الله شيء واحد قال ع وما
ذبح على النصب جزء مما أهل به لغير الله لكن خص بالذكر بعد جنسه لشهرة الأمر وقوله تعالى وأن
تستقسموا بالأزلام حرم الله سبحانه طلب القسم وهو النصيب والقسم بفتح القاف هو المصدر
زلم وزلم وهي سهام وقال طاهر سلاح المومن ولا تستقسم هو الضرب بالقداح لإخراج ما قسم له وفيها ثم
في عيدها وأزلام العرب على أنواع منها الثلاثة التي كان يتخذها كل إنسان لنفسه على أحدها افعل
وعلى الآخر لا تفعل والثالث مهمل لا شيء عليه فيجعلها في خريطة معه فإذا أراد فعل شيء
أدخل يده وهي متشابهة فأخرج أحدها وائتمر وانتهى بحسب ما يخرج له وإن خرج القدح الذي لا شيء
فيه أعاد الضرب وقوله تعالى ذلكم فسق إشارة إلى الاستقسام بالأزلام وقوله تعالى اليوم يئس
الذين كفروا من دينكم معناه عند ابن عباس وغيره من أن ترجعوا إلى دينهم وظاهر أمر النبي صلى الله
عليه وسلم وأمر أصحابه وظهور الدين يقتضي أن يأس الكفار عن الرجوع إلى دينهم قد كان وقع منذ زمان
وإنما هذا اليأس عندي من اضمحلال أمر الإسلام وفساد جمعهم لأن هذا أمر كان يترجاه
من بقي من الكفار ألا ترى إلى قول أخي صفوان بن أمية في يوم هوازن حين انكشف
المسلمون وظنوها هزيمة ألا بطل السحر اليوم إلى غير هذا من الأمثلة وهذه
سائغة في قول الجمهور عمر بن الخطاب وغيره أنها نزلت في عشية يوم عرفة يوم الجمعة وفي
ذلك اليوم لم يبق أحد من المشركين من مشاعر الحج ولم يحج من المشركين في الموسم بشر فيحتمل
قوله تعالى اليوم أن تكون الإشارة إلى الزمان أو الوقت أي في هذا الأوان يئس الكفار من
دينكم وقوله تعالى الذين كفروا يعم مشركي العرب وغيرهم وهذا يقوي أن
اليأس إنما هو من اضمحلال أمر الإسلام وأمر سبحانه بخشيته التي هي رأس كل عبادة
كما قال صلى الله عليه وسلم ومفتاح كل خير وقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم
يحتمل الإشارة باليوم ما قدمنا فأما حكى الطبري أن النبي صلى الله عليه وسلم
بعرفة ولهذه الآية ... بين يديه والظاهر أنه نزل على النبي صلى الله عليه وسلم
الثاني بالإجمال يسيرة تم وفي سماع ابن القاسم قال مالك بلغني أن رسول الله صلى

الله عليه

الله عليه وسلم قال في اليوم الذي توفي فيه ووقف على بابه فقال إني لا أحل إلا ما أحل القرآن
في كتابه ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه يا فاطمة بنت رسول الله ويا صفية عمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملا لما عند الله فإني لا أغني عنكما من الله شيئا قال
ابن رشد هذا أحرى أن يدل على صحته قول الله عز وجل ما فرطنا في الكتاب من شيء وقال
تبيانا لكل شيء والمعنى في ذلك أن الله عز وجل نص على بعض الأحكام وأحال العلوم في بعضها
وأحال على ما أراده في سائرها بقوله ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم فبين النبي صلى الله عليه وسلم ما أجمله الله في كتابه بأمره حيث
يقول لتبين للناس ما نزل إليهم فما أحل صلى الله عليه وسلم أو حرم
يوجب في الحكم وإن نطق فهو مبين من مجمل الحكم أن ... عليه مما نص من الأدلة
فيه فهذا معنى الحديث والله أعلم فما ينطق صلى الله عليه وسلم عن الهوى إن هو
إلا وحي يوحى اه من البيان والتحصيل وفي البخاري أن عمر بن الخطاب قال له يهودي آية
في كتابكم تقرؤونها لو علينا نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال له عمر أي آية
هي فقال اليوم أكملت لكم دينكم فقال له عمر قد علمت ذلك اليوم الذي أنزلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة يوم الجمعة قال ع في ذلك اليوم عيدان للإسلام
إلى يوم القيامة وإتمام النعمة هو في ظهور الإسلام ونور العقائد وكمال الدين وسعة
الأحوال وغير ذلك مما انتظمت عليه هذه الملة الحنيفية إلى دخول الجنة والخلود
في رحمة الله تعالى جعلنا الله ممن شملته هذه النعمة بمنه وكرمه وقوله تعالى ورضيت
لكم الإسلام دينا يحتمل الرضى في هذا الموضع أن يكون بمعنى الإرادة ويحتمل أن يكون
صفة فعل عبارة عن إظهار الله إياه لأن الرضى من الصفات المترددة بين صفات الذات
وصفات الأفعال والله تعالى قد أراد لنا الإسلام ورضيه لنا وثم أشياء يريدها الله
ولا يرضاها وقوله تعالى فمن اضطر في مخمصة يعني من دعته ضرورة إلى أكل
الميتة وسائر تلك المحرمات وسئل صلى الله عليه وسلم متى تحل الميتة للناس
فقال إذا لم يصطبحوا ولم يغتبقوا ولم يحتفئوا والمخمصة المجاعة التي تخمص فيها البطون
أي تضمر وقوله تعالى غير متجانف لإثم هو بمعنى غير باغ ولا عاد وقد تقدم تفسيره
قال ص ومتجانف أي مائل منحرف اه وقد تقدم في البقرة وقوله تعالى يسألونك ماذا أحل

لهم سبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر بقتل الكلاب سأله عاصم
ابن عدي وغيره ماذا يحل لنا من هذه الكلاب قال ع ونظم الآية أنه سائل سأل
عما يحل للناس من المطاعم لأن قوله تعالى قل أحل لكم الطيبات ليس بجواب عما يحل للناس
اتخاذه من الكلاب إلا أن يكون من باب إجابة السائل بأكثر مما سأل عنه وهو موجود
كثيرا من النبي صلى الله عليه وسلم والطيبات الحلال **وقوله تعالى** وما علمتم أي وصيد ما
علمتم قال الضحاك وغيره وما علمتم من الجوارح مكلبين هي الكلاب خاصة قال الرعي في
مكلبين أصحاب الكلاب أي معلمين لها وأعلى مراتب التعليم أن يشلى الحيوان فينشلي ويدعى
فيجيب وينزجر بعد ظفره بالصيد فيمسك عليه والجوارح جمع جارحة أي كاسبة يقال جرح
فلان واجترح إذا اكتسب ومنه قوله تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار أي ما كسبتم من حسنة
وسيئة قال ع وقرأ جمهور الناس وما علمتم بفتح العين واللام وقرأ ابن عباس ومحمد
ابن الحنفية علمتم بضم العين وكسر اللام أي من أمر الجوارح والصيد بها وقرأ جمهور الناس
مكلبين بفتح الكاف وشد اللام والمكلب معلم الكلاب ومضريها ويقال لمن يعلم غير كلب مكلب
لأنه يرد ذلك الحيوان كالكلب **وقوله تعالى** تعلمونهن مما علمكم الله أي تعلمونهن من الحيلة في
ذلك الصيد والتأني لتحصيل الحيوان وهذا جزء مما علمه الله الإنسان فمن للتبعيض
وقوله تعالى فكلوا مما أمسكن عليكم يعني فإن أكل منه شيئا ويحتمل مما أمسكن وإن أكل
منه وبحسب هذا الاحتمال اختلف العلماء في جواز أكل الصيد إذا أكل منه الجارح **وقوله
تعالى** واذكروا اسم الله عليه أمر بالتسمية عند الإرسال ومذهب مالك وجمهور العلماء
أن التسمية واجبة مع الذكر ساقطة مع النسيان فمن تركها عامدا فقد أفسد الذبيحة
والصيد ومن تركها ناسيا سمى عند الأكل وكانت الذبيحة جائزة ووجه الصيد والذبح
في معنى التسمية واحد ثم أمر سبحانه بالتقوى على الجملة والإشارة إلى ما تضمنت هذه
الآيات من الأوامر والنواهي وفي قوله إن الله سريع الحساب وعيد وتخويف **وقوله تعالى**
اليوم أحل لكم الطيبات إشارة إلى الزمن والأوان والخطاب للمؤمنين **وقوله تعالى** وطعام
الذين أوتوا الكتاب حل لكم الطعام في هذه الآية الذبائح كذا قال أهل التفسير واختلفوا في
لفظ الطعام فقال الجمهور هي الذبيحة كلها وقالت جماعة إنما أحل لنا طعامهم من الذبيحة أي الحلال لهم منها لأن ما
لا يحل لهم كالطريحة والشحوم المحضة واختلفوا في لفظة ذوا وقالت كذا جماعة إنما أحل

لغا ذبائح النصارى جاء منهم لأن من كان دخيلا في هذا الدين وقال جمهور الأمة ابن عباس
والحسن ومالك وغيرهم إن ذبيحة كل نصراني حلال كان من بني تغلب أو غيرهم وكذلك
اليهود تأولوا قول الله تعالى ومن يتولهم منكم فإنه منهم **وقوله تعالى** وطعامكم حل لهم أي
ذبائحكم وهذه رخصة للمؤمنين لأهل الكتاب لما كان الأمر يقتضي أن شيئا قد تشتد عينا فيه
بالتذكية فينبغي لنا أن نحذر منهم رخص الله تعالى لنا في ذلك دفعا للمشقة بحسب التجاور
وقوله تعالى والمحصنات عطف على الطعام المحللة وذهب جماعة منهم مالك إلى أن المحصنات في هذه
الآية الحرائر فمنعوا نكاح الأمة الكتابية وذهب جماعة إلى أن المعاهدة فأجازوا نكاح
الأمة الكتابية ولا تجوز الآية الجمهور وانتزع بعض العلماء من لفظة ولا متخذي
أنه لا ينبغي أن يدخل زوج في حد من لا يعرف أن يميل من المحبة ما يشتمل به ومحصنين معناه
متزوجين على السنة **وقوله تعالى** ومن يكفر بالإيمان أي بالأمور التي يجب الإيمان بها وقوله
الآية **وقوله تعالى** يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الآية قال ابن العربي
في أحكامه ما خلاصته بين العلماء أن هذه الآية مدنية مع أن الاغتسال أي الوضوء كان مفروضا
قبل نزولها غير متلو ولذلك قال علماؤنا إن الوضوء كان بمكة سنة ومعناه ومعناه كان
معمولا به على السنة **وقوله** إذا قمتم معناه إذا أردتم القيام إلى الصلاة قاله زيد بن أسلم والسدي
معناه إذا قمتم من المضاجع يعني النوم والقصد بهذا التأويل أن يعم الأحداث بالذكر ويبقى
ولا يبقى على هذا التأويل بل التأويل تقديم وتأخير تقديره يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة
من النوم أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء يعني الملامسة الصغرى فاغسلوا
وهنا تمت أحكام المحدث حدثا أصغر ثم قال وإن كنتم جنبا فاطهروا فهذا حكم نوع آخر ثم قال
للنوعين جميعا وإن كنتم مرضى أو على سفر فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا وقال بهذا
التأويل محمد بن مسلمة من أصحاب مالك وغيره وقال جمهور أهل العلم معنى الآية إذا قمتم
إلى الصلاة محدثين وليس في الآية على هذا تقديم ولا تأخير بل ترتيب الآية حكم واجد الماء
إلى قوله فاطهروا ودخلت الملامسة الصغرى في قوله محدثين ثم ذكر بعد ذلك بقوله وإن
كنتم مرضى أو على سفر إلى آخر الآية حكم عادم الماء من النوعين جميعا وكانت الملامسة
هي الجماع وقال ع إذا قمتم أي إذا أردتم وعبر بالقيام عن إرادته لأنه مسبب عنها وما حسن
ما هذه الآية والصحيح في فضل الوضوء والصلاة ما رواه مالك في الموطأ عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه

عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع
به الدرجات اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة ثم
قال الا ان ذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط قال ابو عمر في التمهيد هذا الحديث من احسن ما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضائل الاعمال قال صاحب كتاب التعريف الرباط ملازمة الثغور و
قال والرباط مواظبة الصلاة اه والمكاره في الدنيا ايجاد الماء في الخسوف مع مراد شيء عليه
كالبرد والوجه ما واجه الناظر وقابله والناس يلحظون على ان داخل العينين لا يلزم غسله لما روي
عن ابن عمر انه كان ينضح الماء في عينيه واليد لغة تطلق على العضو من المنكب الى الاظفار وحد
الله سبحانه موضع الغسل منه بقوله الى المرافق واختلف العلماء هل تدخل المرافق في الغسل
ام لا وفي دخول العارض في هذه المعنى ان يقال اذا كان ما بعد الى ليس مما قبلها فالحد اول المذكور
بعدها واذا كان ما بعدها من جملة ما قبلها فالاحتياط يعطي ان الحد اخر المذكور بعدها وذلك
يقتضي دخول المرفقين في الغسل والروايتان محفوظتان عن مالك قال ابن العربي في احكامه وقد روى
الدارقطني وغيره عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم لما توضأ ادار الماء على
مرفقيه اه واختلف في قدر مسح الراس هل هو فرض او سنة بعد الاجماع على ان
المسح فرض والجمهور على انه سنة وقيل هو فرض والاجماع على استحسان مسح
الراس باليدين جميعا وعلى الاجزاء ان مسح بواحدة واختلف فيمن مسح باصبع واحدة والمشهور
لا يجزئ وينبني عليه لا يجزئ ان لم يخرج عن سنة المسح وكانه لا يصح ان يكون ذلك الطهر
في موضع ونحوه فينبغي ان لا يختلف في الاجزاء والباء في قوله تعالى برؤوسكم مؤكدة زائدة عند من
يرى عموم الراس والمعنى عنده وامسحوا رؤوسكم وهي كالزائد الحد عند من يرى اجزاء بعض
الراس كان المعنى اوجدوا امساحا برؤوسكم ولم يمسح ولو بعضه فقد فعل ذلك قال ابن العربي في
احكامه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في صفة مسح الراس انه اقبل بيديه وادبر
بدا بمقدم راسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما الى المكان الذي بدا منه وفي البخاري ثم
فادبر بهما واقبل وهما حديثان متوافقان وهي مسالة من اصول الفقه في تسمية الفعل بابتدائه
او بغايته اه وفي اخرى وعنه وارجلكم بالخفض وقرئ وارجلكم وغيره بالنصب والعامل اغسلوا
ومن قرا بالخفض جعل العامل اقرب العاملين وجمهور الامة من الصحابة والتابعين على ان الفرض
في الرجلين الغسل وان المسح لا يجزئ وفي البخاري ويل للاعقاب من النار وقوله صلى الله عليه وسلم

اعقابهم

اعقابهم تلوح قال ابن العربي في القبس ومن قرا وارجلكم بالخفض فانه اراد به
المسح على الخفين وهو احد التاويلات في الاية اه وهذا هو الذي صحح في احكامه
والكلام في قوله الى الكعبين كما تقدم في قوله الى المرافق وفي صحيح مسلم وغيره عن عقبة
بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين
مقبلا عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة فقلت ما اجود هذه فقال عمر التي
قبلها اجود قال ما منكم من احد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية
يدخل من ايها شاء واخرجه الترمذي من حديث ابي ادريس الخولاني عن عمر وزاد
اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين اه مختصرا واختلف الحذاق في الكعبين
والجمهور على انهما العظمان الناتئان في جنبتي الرجل والعامة ذاهبة ان الكعب الذي في
ظهر القدم قال مالك هو في قدم الذي ساقه مع النساء وروى الدارقطني
في سننه من توضا فذكر اسم الله على وضوئه كان طهورا لجسده ومن توضا ولم يذكر اسم
الله على وضوئه كان طهورا لاعضاء وضوئه اه من الكوكب الدري وكذا الحكم في الغائط الا انه
التيمم والمولود الماء عند الجمهور وقال بمعنى الخطابة وعن عمر انه لا يتيمم الجنب
الجنب بل يدع الصلاة حتى يجد الماء وقوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج
الاية لا ارادة صفة ذاتية وجاءت بالفعل مستقبلا مراعاة للحوادث التي تظهر عن الارادة
والحرج الضيق والحنيفية السمحة الملة المتضايقة ويجيء مع معنى هذه الاية قول
النبي صلى الله عليه وسلم دين الله يسر وقوله عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية
السمحة وجاء لفظ الاية على العموم والشيء المذكور بقرب هو امر التيمم والرخصة فيه
وزوال الحرج في قطع الماء ابدا ولذلك قال اسيد ما هي باول بركتكم يا ال ابي بكر وقوله
تعالى ولكن يريد ليطهركم الاية اعلام بعظيم يوازي ما يشكر من عظيم تفضله فتبارك وتعالى
ولعلكم تشكرون بحق النعمة وفي الحديث الصحيح عن ابي مالك الاشعري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله
تملآن او تملأ ما بين السماء والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء
والقرآن حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها رواه مسلم

والتي منه وفي رواية ابن السني تصف الايمان ملء الميزان والحمد لله تملؤه والتكبير يملأ
ما بين السماء والارض والصوم نصف الصبر وزاد في رواية اخرى ولا اله الا الله ليس لها
دون الله حجاب حتى تخلص اليه اهـ وقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الاية
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ونعمة الله اسم جنس لجميع الاسلام وحسن الحال وحسن
الاستقبال والميثاق هو ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة وبيعة الرضوان
وكل موطن قال الناس فيه سمعنا واطعنا هذا قول ابن عباس وجماعة من المفسرين وقال
مجاهد المراد الميثاق الماخوذ عليهم حين استخرجوا من ظهر آدم عليه السلام والاول
ارجح واليق بنمط الكلام وجاء في الاية منكر قال ابو عمر بن عبد البر في كتابه بهجة المجالس
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجز له ما وعده
ومن وعده على عمل عقابا فان شاء عذبه وان شاء عفى له وعن ابن عباس مثله اهـ
وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم خطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم وامته واختلفوا في سبب هذه الاية فقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما استعان
بيهود في دية الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري وصحبه قالوا نعم يا ابا القاسم
انزل حتى نصنع لك طعاما ونعطيك في معونتك فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل
جدار وكان معه ابو بكر وعمر وعلي فتوامر يهود في قتله وقال من رجل يطلع على
الحائط فيصب عليه حجرا يشدخه فجاء جبريل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم الخبر
فقام صلى الله عليه وسلم من المكان وتوجه الى المدينة ونزلت الاية في ذلك ونحو
في هذا القول ما ياتي بعد من الاية في وصف غدر يهود ونقضهم المواثيق وقوله تعالى
ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا هذه الاية المتضمنة
للخبر عن نقضهم مواثيق الله تعالى تقوي ان الاية المتقدمة في كف الايدي انما كانت
في امر بني النضير واجمع على ان النقيب كبير القوم القائم بامورهم قال قتادة وغيره
هؤلاء النقباء هم قوم كبار من كل سبط تكفل كل واحد بسبطه بان يؤمنوا ويتقوا
الله نحو هذا قال ع ونحو هذا كانت النقباء ليلة بيعة العقبة مع النبي صلى الله
عليه وسلم والنصر في معنى لفظة التعزير اي معه تعظيم وحماية للمنصور وتأييد واللام
في قوله لئن اللام هي المؤذنة بمجيء القسم ولام القسم هي قوله لاكفرن والدليل على ان هذه
اللام

اللام انما هي مؤذنة ان القسم قد يستغنى عنها احيانا ويتم الكلام دونها ولو كانت لام قسم
لم تترك وذلك واقامة الصلاة توفيتها بشروطها واتى كانه هنا بشيء من الحال كان حقه وضعا
عليهم فيما قال بعض المفسرين وعزرتموهم معناه وقرتموهم وعظمتموهم ونصرتموهم وفي
ما في الجحدري وعزرتموهم خفيفة الزاي حيث وقع وقرأ في سورة الفتح وتعزروه بفتح
التاء وسكون العين وضم الزاي وسواء السبيل وسطه وسواء ما في الاية يقرب والله
المستعان وقوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية الاية اي
فبنقضهم والقسوة غلظ القلب وذهاب الرقة والموعظة وصلابته حتى لا ينفعل لخير
وقوله تعالى ونسوا حظا مما ذكروا به نص على سوء فعلهم بانفسهم اي قد كان لهم
حظ عظيم فيما ذكروا به فنسوه وتركوه ثم اخبر تعالى نبيه عليه السلام انه لا يزال في
مستقبل الزمان يطلع على خائنة منهم وغائلة وامر فاسد وقال في فعلة خائنة مصدر
والمعنى على خيانة وقال واحدون معناه على فرقة خائنة فهي اسم فاعل صفة لموصوف وقوله
تعالى فاعف عنهم واصفح منسوخ بما في براءة وقوله في الاية بعد وقوله تعالى ومن الذين قالوا
انا نصارى من متعلقة باخذنا التقدير واخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم
ويحتمل ان تكون معطوفة على خائنة منهم والاول ارجح وعلق قولهم نصارى بقولهم
ودعواهم من حيث هو اسم شرعي يقتضي نصرة دين الله وسموا به انفسهم دون استحقاق
وقوله تعالى فاغرينا بينهم العداوة اي اثبتناها بينهم والصقناها والاغراء ماخوذ من
الغراء الذي يلصق به وقال النحاس الاغراء التسليط اهـ والضمير في بينهم يحتمل
ان يعود على اليهود والنصارى لان العداوة بينهم موجودة مستمرة ويحتمل ان
يعود على النصارى فقط لانهم امة متقاتلة بينها العداوة الى يوم القيامة ثم نوعهم
بعزائمه ذا حق اذ صنع لغير بوجه الخلود في النار واعلم رحمك الله انه قد جاءت الاثار
صحيحة في ذم التشاحن والتباغض والحث على نفي موجبها تنبيه وفي صحيح مسلم عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفتح ابواب الجنة يوم
الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا الا رجلا كانت بينه وبين اخيه
شحناء فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا وفي رواية تعرض الاعمال في كل خميس واثنين
فيغفر الله لكل امرئ في ذلك اليوم لا يشرك بالله شيئا الحديث اهـ وروى ابن المبارك

في رفعه بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرئ مسلم ان يهجر مسلما فوق ثلاث
ليال فانهما ناكبان عن الحق ما داما على صرامهما واولهما فيئا يكون سبقه بالفيء كفارة
له وان سلم عليه فلم يقبل ورد عليه سلامه ردت عليه الملائكة ورد على الاخر الشيطان
وان ماتا على صرامهما لم يدخلا الجنة ابدا او قال ابدا اه وسنده جيد ونقله قال ابن المبارك اخبرنا
شعبة عن يزيد عن معاذة العدوية انها سمعت هشام بن عامر يقول سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول فذكره الحديث وقوله لم يدخلا الجنة ليس على ظاهره اي لم يدخلا الجنة ابدا حتى يقتص
لبعض من بعض او يقع العفو وتحل الشفاعة حسبما هو معلوم في صحيح الآثار **وقوله تعالى**
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب الآية اهل الكتاب
لفظ يعم اليهود والنصارى ولكن نوازل الاخفاء كالرجم وغيره انما حكمها لليهود لانهم كانوا مجاورين
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مهاجره وفي اعلامه صلى الله عليه وسلم بخفي ما في كتبهم وهو
امي لا يكتب ولا يصحب القراء دليل على صحة نبوته لو الهمهم الله للخير ويعفوا عن كثير اي لم يفضحهم
فيه ابقاء عليهم والضمير في يعفوا للنبي صلى الله عليه وسلم **وقوله تعالى** قد جاءكم من الله نور هو محمد
صلى الله عليه وسلم وكتاب مبين هو القرآن ويحتمل ان يريد موسى عليه السلام والتوراة اي لو
اتبعوه حق الاتباع وكان الاول هو ظاهر الآية وهو الاظهر وسبل السلام اي طرق السلامة والنجاة
ويحتمل ان يكون السلام هنا اسم من اسماء الله عز وجل والمعنى طرق الله والظلمات الكفر والنور
الايمان والبلغ دلائله بين مشكل **وقوله تعالى** قل فمن يملك اي لا مالك ولا راد لما اراده الله تعالى
في المسيح ولا في غيره **وقوله تعالى** يخلق ما يشاء اشارة الى خلقه المسيح في رحم مريم
من غير والد بل اختراعا كآدم عليه السلام **وقوله تعالى** والله على كل شيء قدير عموم معناه
الخصوص فيما عدا الذات والصفات والمحالات **وقوله تعالى** وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء
الله واحباؤه كانهم ارادوا النبوة في قولهم هذا بنوة الحنان والرأفة فانهم ذكروا ان الله عز
وجل اوحى الى اسرائيل ان اول اولادك بكري فضلوا بذلك وقالوا نحن ابناء الله واحباؤه
ولو صح ما رووا لكان معناه بكرا في التشريف او النبوة ونحوه وكانت هذه المقالة منهم
عند ما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الايمان به وخوفهم العذاب فقالوا نحن لا نخاف
ما تقول لنا انا ابناء الله واحباؤه وذكر ذلك ابن عباس وقد كانوا قالوا للنبي صلى الله
عليه وسلم في غير ما موطن نحن ندخل النار فنقيم فيها اربعين يوما ثم ترد الله عليهم قولهم وقال

للنبي صلى الله عليه وسلم

للنبي صلى الله عليه وسلم قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي لو كانت منزلتكم منه فوق منازل البشر
لما عذبكم وانتم قد اقررتم انه يعذبكم ثم ترك الكلام الاول واضرب عنه غير مفسد له ودخل
في غيره فقال بل انتم بشر كسائر الناس والخلق اكرمهم عند الله اتقاهم يهدي من يشاء
للايمان فيغفر له ويورط من يشاء في الكفر فيعذبه وله ملك السموات والارض وما بينهما
فله يحق الملك ان يفعل ما يشاء ولا معقب لحكمه واليه مصير العباد بالحشر والمعاد **وقوله تعالى**
يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم **وقوله** على فترة
من الرسل اي على انقطاع من مجيئهم مدة ما والفترة سكون بعد حركة في الاجرام ويستعار ذلك
في المعاني وقد قال عليه الصلاة والسلام لكل عمل شرة ولكل شرة فترة وفي الصحيح ان
الفترة التي كانت بين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبين عيسى ستمائة سنة وهذه الآية نزلت
بسبب قول اليهود ما انزل الله على بشر من شيء بعد موسى قاله ابن عباس **وقوله** ان تقولوا
معناه حذار ان تقولوا يوم القيامة ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقامت
الحجة عليكم والله على كل شيء قدير فهو الهادي والمضل لا رب غيره **وقوله تعالى** واذ
قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء الآية تعديد واذكار لهم
بالحجج على جحدهم اعلامه والمعنى كيف تستبعدون نبوة نبي من ولد عمكم فالحجة في قوله اذ جعل
فيكم انبياء اي حاضرين ومتقدمين من الانبياء وتبع الرعية ساسة وجعلكم ملوكا اي فيكم
ملوك لان الملك تبع الرعية وحاكم في نوائبه وآتاكم ما لم يؤت احدا قال مجاهد هو المن
والسلوى والحجر والغمام وقال غيره كثرة الانبياء وعلى هذا القول فالعالمون على العموم
وعلى القول بان المؤتى هو الآيات مع موسى فالعالمون عالمو زمانهم لان ما اوتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الآيات اكثر من ذلك والمقدسة معناه المطهرة قال ابن عباس
هي الطور وما حوله وقال قتادة هي الشام قال الطبري ولا يختلف انها بين الفرات وعريش
مصر قال ع وتظاهرت الروايات ان دمشق هي قاعدة الجبارين ثم حذرهم موسى الارتداد
على ادبارهم وذلك هو الرجوع القهقرى والخاسر هو الذي قد نقص حظه ثم ذكر عز وجل
انهم تعنتوا ونكصوا فقالوا ان فيها قوما جبارين والجبار من الجبر كانهم يجبرون غيرهم ويقهرونه
حتى انقادوا على ارادتهم والنخلة الجبارة العالية التي لا تنال [illegible] وكان من خبر الجبارين
انهم كانوا اهل قوة فلما بعث موسى اثني عشر نقيبا مطلعين من امر الجبارين واحوالهم

راوا لهم قوة وبطشا وتخيلوا ان لا طاقة لهم بهم فتعاقدوا بينهم على ان يكتموا ذلك من بني اسرائيل
وان يعلموا به موسى ليرى فيه امره فلما رجعوا الى بني اسرائيل خان منهم عشرة
عهدهم فوافى رجالهم ونهوهم وتعوا دلهم بعثوا الجبن حتى اجمع امر بني اسرائيل وقالوا اذهب انت
وربك فقاتلا ولم يوف منهم الا رجلان يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وقيل كالوت بتاء
مثلثة قوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون اي يخافون الله تعالى قال اكثر المفسرين
الرجلان يوشع بن نون وهو ابن اخت موسى وكالب بن يوقنا انعم الله عليهما بالايمان
الصالح وربط الجاش والثبوت وقولهم اذهب انت وربك فقاتلا ظاهر هذه العبارة تقتضي كفرا
وقيل المعنى اذهب انت وربك يعينك وان الكلام معصية لا كفر وذكر ابن اسحاق وغيره
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما استشار يوم بدر وقال لهم اشيروا علي ايها الناس وقال
له المقداد بن الاسود يا رسول الله لسنا نقول كما قالت بنو اسرائيل اذهب انت
وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما
مقاتلون ثم تكلم سعد بن معاذ بنحو هذا المعنى ولما سمع موسى عليه السلام قولهم
ورد عصيانهم تبرا الى الله منهم وقال داعيا عليهم رب اني لا املك الا نفسي واخي يعني
هارون وقوله فافرق بيننا دعاء حرج والمعنى افرق بيننا وبينهم حتى لا نشقى بفسقهم
قال فانها محرمة عليهم اي قال الله وحرم الله تعالى على بني اسرائيل دخول تلك المدينة
اربعين سنة يتيهون في الارض اي في ارض تلك النازلة وهو فحص التيه وهو على
ما يحكى طول ثلاثين ميلا في عرض ستة فراسخ وروي انهم لم يدخل المدينة احد من ذلك
الجيل الا يوشع وكالوت وروي ان يوشع نبئ بعد كمال الاربعين سنة وخرج ببني
اسرائيل من التيه وقاتل الجبارين وفتح المدينة وفي تلك الحرب وقفت له الشمس ساعة
حتى استتم هزم الجبارين والتيه الذهاب الى غير مقصد معلوم وقوله تعالى فلا تاس
على القوم الفاسقين معناه فلا تحزن والخطاب بهذه الاية لموسى عليه السلام قال ابن
عباس ندم موسى على دعائه على قومه وحزن عليهم فقال الله فلا تاس على القوم الفاسقين
قوله تعالى واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا الاية معناه اسرد واسمعهم اياه
وهذه من علوم الكتب الاول فهي من دلائل نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ هي من
غامض كتب بني اسرائيل قال الحسن وفي دليله قوله اذ قربا ان الاكثر على اهل

الكتاب

الكتاب على ان ابني ادم هما لصلبه وهما قابيل وهابيل وروى جماعة من المفسرين منهم
ابن مسعود ان سبب هذا التقرب ان حواء كانت تلد في كل بطن ذكرا وانثى فكان
الذكر يتزوج انثى البطن الاخر ولا تحل له اخته توامته فولدت مع قابيل اخت جميلة
ومع هابيل اخت ليست كذلك فلما اراد ادم ان يزوجها من هابيل قال قابيل انا احق باختي
فامره ادم فلم ياتمر فاتفقوا على التقرب فتقبل قربان هابيل ووجب ان ياخذ اخت قابيل
فحسده قال لاقتلنك وقول هابيل انما يتقبل الله من المتقين كلام قبله محذوف تقديره
ولم تقتلني ولم اجن ذنبا في قبول الله قرباني وانما يتقبل الله من المتقين واجماع اهل السنة
في معنى هذه الاية انها اتقاء الشرك فمن اتقاه وهو موحد فاعماله التي تصدق فيها
نيته مقبولة واما المتقي للشرك والمعاصي فله الدرجة العليا من القبول والختم على ذلك
باخبار الله تعالى لا ان ذلك يجب على الله تعالى عقلا قوله ع في معنى هذه الاية لا اولى
يعني حيث وقع الشيء والمعنى هذه الاية فليس بالقاء الشيء على ما سياتي
وقول هابيل ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك قال عبد الله بن عمرو وجمهور الناس
كان هابيل اشد قوة من قابيل ولكنه تحرج وهذا هو الاظهر قال ع ومن هنا يقوى
ان قابيل انما هو عاص لا كافر لو كان كافرا لم يكن للتحرج هنا وجه وقوله معناه
نفي محال بالقتل والمعنى فقيل معناه باثم قتلي وسائر اثامك وقيل المعنى باثمي الذي يختص
بي فيما فرط لي وهذا قول يعضده قول النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى بالظالم
والمظلوم يوم القيامة فيؤخذ من حسنات الظالم فيزاد في حسنات المظلوم حتى ينتصف فان
لم تكن له حسنات اخذ من سيئات المظلوم فتطرح عليه وقوله تعالى وذلك جزاء
الظالمين يحتمل ان يكون من قول هابيل لاخيه ويحتمل ان يكون اخبارا من الله تعالى لنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم قال الفخر وقوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه قال المفسرين
معناه سولت له نفسه قتل اخيه اه وقوله تعالى فاصبح من الخاسرين اي بعد حججه
او قلت وهذا صحيح كلام العرب ومنه اصبحت لا احمل السلاح زنيت وقول سعد فاصبحت
بنو اسد تعزرني الى غير ذلك من استعمال العرب ومن خسرانه ان قابيل ما صح وثبت عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما قتلت نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل منها

وذلك انه اول من سن القتل وقوله تعالى فبعث الله غرابا قيل ان قابيل اقام يوما مظلما
يطلب اخفاء امر قتله فلم يدر ما يصنع به فبعث الله غرابا حيا الى غراب ميت فجعل يبحث في
الارض ويلقي التراب على الغراب الميت وظاهر الاية ان هابيل هو اول ميت من بني ادم
ولذلك جهل سنة المواراة وكذلك حكى الطبري عن ابن اسحاق عن بعض اهل العلم بما في الكتب
الاول والسوءة العورة ويحتمل ان يراد بالسوءة الحالة التي تسوء الناظر ثم ان قابيل
والخاسر ونوع ما كان منه من معصيته في قتله حيث لا ينفعه الندم واختلف العلماء
في قابيل هل هو من الكفار او العصاة قال ابن جزي ولم ينفع قابيل ندمه لانه كان
لاجل سخط ابويه واخوته وعدم انتفاعه بقتله وبموت الحال ولما كان ندمه
لهذه الاشياء لا لاجل الخوف من الله تعالى فلا جرم لم ينفعه هذا الندم وقوله تعالى من
اجل ذلك هو اشارة الى ما تضمنته هذه القصة من انواع المفاسد الحاصلة بسبب القتل
الحرام لانه ذكر الله تعالى قصة قابيل وهابيل ثم قال وقوله تعالى من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل
رواية جمهور الناس ان قوله من اجل ذلك متعلق بقوله كتبنا اي من اجل هذه النازلة
ومن جرى مجراها كتبنا وقال قوم بل هو متعلق بقوله من النادمين اي ندم من اجل ما وقع
والوقف على هذا على ذلك والناس على ان الوقف على من النادمين ويقال فعلته من
اجله باجله اي من اجله ومن جرائه ذكره وقوله تعالى بغير نفس اي بغير ان تقتل نفسا
نفسا او الفساد في الارض بجمع الزنى والقتل والحرابة وقوله تعالى فكانما قتل الناس جميعا
روي عن ابن عباس انه قال المعنى من قتل نفسا واحدة وانتهك حرمتها فهو مثل من
قتل الناس جميعا ومن ترك قتل نفس واحدة وصان حرمتها واستحياها فهو كمن احيا
الناس جميعا قال الحسن وابن زيد ومن احياها اي عفا عمن وجب له قتله بعد القدرة وقيل
غير هذا ثم اخبر تعالى عن بني اسرائيل انهم جاءتهم الرسل بالبينات في هذا وفي سواه
ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في كل عصر يسرفون ويتجاوزون الحدود وقوله تعالى انما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله الاية روى انس بن مالك وغيره ان هذه الاية نزلت في قوم
من عكل وعرينة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا ثم انهم مرضوا واستوخموا
المدينة فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يكونوا في لقاح الصدقة وقال اشربوا من البانها
وابوالها فخرجوا فيها فلما صحوا قتلوا الراعي واستاقوا الابل فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم

خبرهم

خبرهم فبعث الطلب في اثارهم فاخذوا قال جميع الرواة فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايديهم وارجلهم من خلاف وسمل اعينهم وروي وسمر اعينهم وتركهم في جانب الحرة يستسقون فلا
يسقون وقيل ان هذه الاية ناسخة لفعله صلى الله عليه وسلم بالعرنيين ووقفا للامر على
هذه الحدود وقال جماعة انه ليس فيها نسخ لان العرنيين كانوا مرتدين سيما وفي
بعض الطرق انهم سملوا اعين الرعاة وقالوا هذه الاية هي في المحارب المؤمن قال مالك المحارب
عندنا من حمل على الناس السلاح في مصر او برية وكابرهم عن انفسهم واموالهم دون نائرة ولا ذحل
ولا عداوة وبهذا القول قال جماعة من اهل العلم قالوا والامام مخير فيه بان يعاقبه بما راه
من هذه العقوبات واما قتل المحارب فبالسيف ضربة للعنق واما صلبه فيصلب بعد القتل عند جماعة
وقال جماعة بل يصلب حيا ويقتل بالطعن على الخشبة وروي هذا عن مالك وهو الاظهر
من الاية وهو الذي يراعى في التنكيل واما القطع فاليد اليمنى من الرسغ والرجل الشمال من المفصل
وقوله تعالى او ينفوا من الارض الظاهر ان الارض في هذه الاية هي ارض النازلة وقد
جنب الناس قديما الارض التي اصابوا فيها الذنوب ومنه حديث الذي ناء بصدره نحو الارض
المقدسة وينبغي للامام ان كان هذا المحارب المنفي مخوف الجانب يظن به انه يعود الى حرابة
او فساد ان يسجنه في البلد الذي يغرب اليه وان كان غير مخوف الجانب ترك مسرحا وهذا
هو صريح مذهب مالك وقوله تعالى ذلك لهم خزي في الدنيا ذلك اشارة الى هذه الحدود
التي توقع بهم ويحتمل الخزي لمن عوقب وعار الذي ناله في الدنيا وما جعل منهم في
المشيئة وقوله تعالى الا الذين تابوا الاية استثنى عز وجل التائب قبل ان يقدر عليه واخبر
بسقوط حقوق الله عنه بقوله فاعلموا ان الله غفور رحيم والعلماء على ان الاية
في المؤمنين ويؤخذ المحارب بحقوق الناس وان تاب هذا هو الصحيح وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة الاية وعد من الله تعالى بعقب ذكر
العقوبات النازلة بالمحاربين وهذا من ابلغ الوعظ لانه يرد على النفوس وهي
خائفة وجلة وابتغوا اطلبوا والوسيلة القربة واما الوسيلة المطلوبة
لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهي افضل من هذا لان الدعاء له بالوسيلة والفضيلة
انما هو ان يوتاها في الدنيا ويتصف بها ويكون ثمرة ذلك في الاخرة التشفيع في المقام
المحمود وفي كلامه هذا ما فيه ففي قصة النبي صلى الله عليه وسلم الوسيلة التي

لعلكم تفلحون في جوارها من ربهم وانها درجة في الجنة لا ينبغي ان تكون الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون
انا هو الحديث ومحبة الله تعالى اياهم دعاؤه لهم وان كان داخلا في معنى الوسيلة لكن يعلم انه هو فاعله بالاستلاع وقوله تعالى
يريدون ان يخرجوا من النار يتمنون هذا وقال الحسن اذا رمتهم النار فرفعوا من حافاتها فحينئذ يريدون
الخروج ويطمعون فيه وما هم بخارجين منها قلت ويؤيده ما خرجه البخاري في رؤية
النبي صلى الله عليه وسلم حين اتاه الملكان واخذا بيده وفيه ما فعل الرجل الذي في النهر فاذا
اراد ان يخرج رمى الرجل بحجر في فيه وفيه ايضا فانطلقنا الى ثقب مثل التنور اعلاه ضيق
واسفله واسع يتوقد تحته نار فاذا اقترب ارتفعوا فاذا خمدت رجعوا فيها وفيها
رجال ونساء عراة فقلت ما هذا فقالا انطلق الحديث واخبر بما ذكر هنا وان الكفار
انهم ليسوا بخارجين من النار بل عذابهم فيها مقيم مؤبد وقوله تعالى والسارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما الآية قلت المعنى ومن سرق وغيره فبين لكم العال ان يكون نصابا
يعرض وجه مملوكا لغير السارق ولا ملكا فيه ما قام بشبهة له فيه فحينئذ منه
منه الى ما ليس فيه له استسرار فالمقطع ربع دينار او ثلاثة دراهم او ما يساوي ثلاثة دراهم
وقوله تعالى فاقطعوا ايديهما يعني الايمان من الكوعين والنكال العذاب والنكال البغي وقوله تعالى
فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه الآية جمهور العلماء على ان توبة السارق
قبل ان يتلبس الحكام بالخبر فيه تنفع في حق الله وتدفع عنه حد القطع فيما ساع على توبة
المحارب وقوله تعالى الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء
اي فلا معقب لحكمه ولا معترض عليه يفعل ما يشاء لا اله الا هو وقوله تعالى يا ايها الرسول
لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الآية تسلية لنبيه عليه الصلاة والسلام
وتقوية لنفسه بسبب ما كان يلقى من طوائف المنافقين واليهود والمعنى قد وعدناك
النصر والظهور عليهم فلا يحزنك ما يقع منهم ومعنى المسارعة في الكفر البدار الى نصره
والسعي في كيد الاسلام واهله نزلت في ... وقال مجاهد وغيره قوله تعالى من الذين قالوا
آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم هم المنافقون وقوله تعالى سماعون للكذب
سماعون لقوم آخرين يحتمل ان يراد به اليهود ويحتمل ان يراد به اليهود مع المنافقين لان
جميعهم يسمع الكذب من بعض من بعض ويقبلونه ولذلك جاءت عبارة سماعون في صيغة
المبالغة اذ المراد انهم يقبلونه ويستزيدون من ذلك وقوله تعالى سماعون لقوم
آخرين

الآخرين يحتمل ان يكون يستمعون منهم وذكر الطبري عن جابر ان المراد بالقوم الآخرين يهود
فدك وقيل يهود خيبر ويحتمل ان يكون سماعون لقوم آخرين جواسيس مسترقين الكلام
لينقلوه لقوم آخرين وهذا مما يمكن ان يتصف به المنافقون ويهود المدينة وهذا
هو الذي نص عليه ابن اسحاق قال وقيل لسفيان بن عيينة هل جرى للجاسوس ذكر
في كتاب الله عز وجل قال نعم وتلا هذه الآية سماعون لقوم آخرين وقوله يحرفون
الكلم من بعد مواضعه هذه صفة اليهود ومعنى ما حرفوه من التوراة وفيما يحرفون
من اقوال غيرهم من بعد مواضعه اي من بعد ان وضع مواضعه وقصد به وجوهه القويمة
يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه روي ان يهود فدك قالوا ليهود المدينة استفتوا محمدا فان
افتاكم بما نحن عليه من الجلد والتحميم فخذوه وان افتاكم بالرجم فاحذروا الرجم قال الشعبي
وغيره وقيل غير هذا من وقائعهم ولا شك ان التحميم والجلد الذي هو فتواهم قال
عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام في جمعة فقطع الرجاء منهم ومن يرد الله فتنته
اي محنته بالكفر فلن تملك له من الله شيئا ثم اخبر تعالى عنهم انهم الذين سبق لهم في علمه
ان لا يطهر قلوبهم وان يكونوا مدنسين بالكفر لهم في الدنيا خزي بالذلة والمسكنة التي ضربت عليهم
في اقطار الارض وفي كل امة قال ع سماعون اي هم سماعون ومثله اكالون اه وقوله تعالى
اكالون للسحت فعالون بناء مبالغة اي يتكرر اكلهم ويكثر والسحت كل ما لا يحل كسبه من
المال وقوله تعالى فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير للنبي صلى الله عليه وسلم
ولحكام امته بعده وقال ابن عباس وغيره هذا التخيير منسوخ بقوله تعالى وان احكم
بينهم بما انزل الله وقال كثير من العلماء هي محكمة وهذا هو الاظهر ان شاء الله تعالى وفقه
هذه الآية ان الامة مجمعة فيما علمت على ان حاكم المسلمين يحكم بين اهل الذمة في التظالم
واما نوازل الاحكام التي لا تظالم فيها فالحاكم مخير واذا رضي به الخصمان فلا بد من رضى
اساقفتهم واحبارهم قاله ابن القاسم في العتبية ع وعبارة الداودي قال مالك
ولا يحكم بينهم اذا زنوا والحكم في المظالم فيحكم بينهم بما انزل الله ولا يحكم بينهم في الزنا الا ان
يعلنوه فيحدون بسبب اعلانهم ويردون الى اساقفتهم قال مالك وانما رجم النبي صلى الله
عليه وسلم اليهوديين قبل ان يكون لهم ذمة اه وقال ابن العربي في احكامه انما تعد
النبي صلى الله عليه وسلم الحكم بينهم تنفيذا لعلمه ونصرته وتكذيبهم وكتمهم ما في التوراة

ومنه صفته صلى الله عليه وسلم فيها والرجم على زناتهم وعنه اخبر الله تعالى بقوله يا اهل
الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير فيكون ذلك من
ايجابهم الباطنة وتحريم السنة وهي تصديق الاخبار الماضية للامة التي بيد اليهود فيه
اهـ وقوله تعالى وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا من الله تعالى بنيته من ضرهم اذا اعرض عنهم
وتخفيفه ذلك عن شأنهم وان حكمت اي اذا اخترت الحكم بما نزلته فاحكم بينهم بالقسط اي بالعدل
ثم قال تعالى وكيف يحكمونك المعنى وكيف يحكمونك بنية صادقة وهم قد خالفوا احكام التوراة وفيها
التي يقضي فرضها وتولوا عن حكم الله فيها فانت الذي لا يؤمنون بك احرى بان يخالفوا احكامك
وهذا يبين انهم لا يحكمونك عليه السلام الا رغبة في ميله الى اهوائهم وقوله من بعد ذلك
اي من بعد تحكيمهم التسع التوراة في الرجم وما اشبهه وقوله تعالى وما اولئك بالمؤمنين يعني
بالتوراة وموسى وقوله انا انزلنا التوراة فيها هدى اي ارشاد في الخفي والنور البيان
والنور ما يستضاء به من اوامرها ونواهيها والنبيون الذين اسلموا هم من بعث من لدن موسى
ابن عمران الى مدة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واسلموا معناه اخلصوا وجوههم ومقاصدهم
لله تعالى وقوله للذين هادوا متعلق بيحكم اي يحكمون بمقتضى التوراة لبني اسرائيل وعليهم
والربانيون عطف على النبيون اي ويحكم بها الربانيون وهم العلماء وقد تقدم تفسير
الرباني والاحبار لفظ العلماء واحدهم حبر بكسر الحاء وفتحها وكثر استعمال الفتح في واحدهم
وبنيه الحبر الذي يكتب به وانما اللفظ عام في كل حبر مستقيم في كل ما مضى من الزمان قبل
مبعث نبينا محمد عليه السلام وقوله تعالى بما استحفظوا اي بسبب استحفاظ الله تعالى
اياهم امر التوراة واخذه العهد عليهم في العمل والقول بها وعرفهم ما فيها فصاروا شهداء عليه
وهؤلاء ضيعوا لما استحفظوا حتى تبدلت التوراة والقرءان بخلاف هذا لقوله
تعالى وانا له لحافظون وقوله تعالى فلا تخشوا الناس واخشون حكاية لما قيل للعلماء
بني اسرائيل وقوله تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا نهي عن جميع المكاسب الخبيثة
بالعلم والتحيل للدنيا بالدين وهذا المعنى بعينه يتناول علماء هذه الامة وحكامها ويحتمل
ان يكون قوله فلا تخشوا الناس الى اخره لحكام هذه الامة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واختلف
العلماء في المراد بقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون فقالت جماعة المراد
اليهود بالكافرين والظالمين والفاسقين وروي في هذا حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم

من

من طريق البراء بن عازب قال الفخر وتمسكت الخوارج بهذه الاية في التكفير
بالذنب واجيب بان هذه الاية نزلت في اليهود فتكون مخصوصة بهم قال الفخر وهذا ضعيف لان
العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وهذه مسالة خلافية العام الوارد على سبب
هل يبقى على عمومه او يقصر على سببه اهـ وقالت جماعة عظيمة من اهل العلم الاية متناولة
كل من لم يحكم بما انزل الله ولكنه في امراء هذه الامة كفر معصية لا كفر يخرج عن الايمان
وهذا تاويل حسن وقيل لحذيفة بن اليمان انزلت هذه الاية في بني اسرائيل فقال نعم
الاخوة لكم بنو اسرائيل اي كانت لهم كل مرة ولكم كل حلوة لتسلكن طريقهم قيد الشبر بالشبر
وقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الاية اي وكتبنا على بني اسرائيل في التوراة
ومعنى هذه الاية الاخبار بان الله تعالى كتب فرضا على بني اسرائيل ان من قتل نفسا
فحكمه ان يقتل نفسه ثم ان هذه الاحكام المذكورة يحكم بها ثم ان هذا الحكم في هذه
الامة بما علم من قتل النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس ورخص الله لهذه الامة ووسع
بالدية ولم يجعلها لبني اسرائيل دية فيما نزل على موسى والجمهور ان النفس بالنفس عموم يراد
به الخصوص في المتماثلين وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقتل
مسلم بكافر وكذلك قوله تعالى والجروح قصاص عموم يراد به الخصوص فيما يجاب منه
على النفس وكتب الفقه محل استيفاء الكلام على هذه المعاني قال والجروح قصاص
اي ذات قصاص اهـ وقوله تعالى فمن تصدق به فهو كفارة له المعنى ان من تصدق بجرحه
او دم وليه وعفا فان ذلك العفو كفارة لذنوبه يعظم الله اجره بذلك قاله ابن عمرو وغيره
وفي معناه حديث مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله صلى الله عليه وسلم
ما من رجل يصاب بشيء في جسده فيتصدق به الا رفعه الله به درجة وحط عنه به
خطيئة رواه الترمذي اهـ وقيل المعنى فان ذلك العفو كفارة للجارح عن ذلك
الذنب كما ان القصاص كفارة وكذلك العفو كفارة واما اجر العافي فعلى الله تعالى قاله
ابن عباس وغيره وقيل المعنى اذا جنى جان فجهل وخفي امره فتصدق هذا
الجاني بان اعترف بذلك ومكن من نفسه فذلك الفعل كفارة لذنبه وقوله تعالى وقفينا
على اثارهم بعيسى ابن مريم الاية التقفية الاتباع اي اتبعناهم وقوله هدى وموعظة
للمتقين خص المتقين بالذكر لانهم المقصودون به في علم الله وان كان الجميع يدعى اليه ويوعظ

الله وموعظة وكان ذالك على عيسى المتقين وعمر وحمية وفي آخره ومعه وليحكم بكسر اللام وفتح
الميم على أنه لام كي ونصب الفعل بها والمعنى وآتيناه الإنجيل ليتضمن الهدى والنور والتصديق وليحكم
أهله بما أنزل الله فيه وفي قراءة الجماعة وليحكم بسكون اللام وجزم الفعل ومعنى أمر لهم
بالحكم أي هكذا أوجبنا عليهم تم وأنه من لوازم حكمهم بما أنزل الله فيه اتباعهم لنبينا محمد صلى الله عليه
السلام والإيمان كما يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل قال البغوي قيل المراد وليحكم
أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه من الدلائل الدالة على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام قيل والمراد
بالفاسقين من لم يختل من النصارى اه وحسن ذالك عقبه التوبيخ على وعيد من خالف ما أنزل الله
قوله تعالى ومهيمنا أي جعل الله القرآن مهيمنا على الكتب يشهد بما فيها من الحقائق وعلى ما ينسبه
المحرفون إليه فيصحح الحقائق ويبطل التحريف وهذا هو معنى شاهد ومصدق ومؤتمن وأمين حسب
اختلاف عبارات المفسرين في اللفظة وقال البغوي أصله مهيمن على وزن مفيعل من أمين أبدلت الهمزة هاء
كما قالوا أرقت الماء وهرقته واستحسنه الزجاج وقوله فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع
أهواءهم عما جاءك من الحق المعنى عند الجمهور أن يعني إن تحكم فاحكم بينهم بما أنزل الله وبين
هذه الآية ناسخة لقوله أو أعرض عنهم ثم حذر الله نبيه عليه السلام من اتباع أهوائهم
وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا أي لكل أمة قال الجمهور وهذا عندهم في
الأحكام وأما في المعتقدات فالدين واحد لجميع العالم ويحتمل أن يكون المراد الأنبياء لا سيما وقد
تقدم ذكرهم وذكر ما نزل عليهم وتجيء الآية مع هذا الاحتمال تنبيها لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
أي واجعلنا شرعة ومنهاجا كيلا تشتغل بالأمم اليهود وغيرهم في شيء منه والكتب المتناولين
على أن الشرعة والمنهاج بمعنى واحد وهي الطريق وقال ابن عباس وغيره شرعة ومنهاجا
سبيلا وسنة ثم أخبر تعالى أنه لو شاء لجعل الناس أمة واحدة ولكنه لم يشأ لأنه أراد
اختبارهم وابتلاءهم فيما آتاهم من الكتب والشرائع كذا قال ابن جريج وغيره ثم أمر سبحانه وتعالى
بالاستباق إلى الخير رغبة امتثال الأمر ونبه سبحانه بالموعظة والتذكير بالمعاد فقال إلى الله
مرجعكم جميعا والمعنى فالمعاد المعاد وقوله تعالى فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون معناه
في الثواب والعقاب فيتجلى ودفع احتمال الانتفاع وهذه الآية دافعة العطاء حقيقة المعاني
الدينية أنه إلا علامة البينة وكل كتاب الله من الأخبار سالما يفصل أو ما منا يشعر بتنبيه بعض الكتب
مما يشعر لتنبيه بعض وقوله تعالى وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم الآية الهوى

مقصورا

مقصور والجمع أهواء والهواء ممدود والجمع أهوية ثم حذر تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام
من اليهود أن يفتنوه بأن يصرفوه عن بعض ما أنزل الله عليه من الأحكام لأنهم كانوا يريدون
أن يحكم النبي صلى الله عليه وسلم بما هواه مراد الحكم لتابع لأغراضهم كلا أو بعضا
على دينهم وقوله تعالى فإن تولوا قبلهم معروف لغرضهم فإن حكمت واستفتوا موافقا
ذالك وإن تولوا فاعلم الآية وخص سبحانه إصابتهم ببعض الذنوب دون كلها لأن هذا الوعيد
إنما هو في الدنيا وذنوبهم نوعان نوع يخصهم ونوع يتعدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين وبه توعدهم الله في الدنيا وإنما يعذبون بالكل في الآخرة وقال البغوي وجوزوا
ببعض الذنوب في الدنيا كأن مجازاتهم بالبعض كافية لإهلاكهم وتدميرهم اه وقوله فاعلم
الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ بني قريظة بني قينقاع وقفه في نصفه والنصف
وإجلاء عن أهل خيبر وفدك وغيرهم وقوله تعالى وإن كثيرا من الناس لفاسقون الآية
الآية ويندرج في عموم هذه الآية غيرهم وقوله تعالى أفحكم الجاهلية يبغون إشارة إلى الكهان
الذين كانوا يأخذون الحلوان ويحكمون بحسب الشهوات ومن أحسن من الله حكما أي لا أحد أحسن
منه حكما تبارك وتعالى وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء
نهى الله تعالى المؤمنين بهذه الآية عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء في النصرة
والتحالف المؤدية إلى الامتزاج والمعاضدة وحكم هذه الآية باق وكل من أكثر مخالطة
هذين الصنفين فله حظه من هذا المقت الذي تضمنه قوله تعالى فإنه منهم وسبب هذه
الآية أنه لما انقضت بدر وشجر أمر بني قينقاع أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلهم فقام
دونهم عبد الله بن أبي ابن سلول فخاصمه وقال يا محمد أحسن في موالي فإنهم قوم أخاف
الدوائر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو لك ونزلت الآية في ذالك وقوله
تعالى بعضهم أولياء بعض جملة مقطوعة من النهي وقوله تعالى ومن يتولهم
منكم فإنه منهم إنحاء على عبد الله بن أبي ابن سلول وعلى كل من اتصف بهذه الصفة وقوله تعالى
فترى الذين في قلوبهم مرض يا محمد الذين في قلوبهم مرض إشارة إلى عبد الله بن أبي ومن تبعه
من المنافقين على من صنع جماعة بني قينقاع وقوله تعالى يقولون نخشى أن تصيبنا
دائرة لفظ محفوظ عن عبد الله بن أبي ومن تبعه من المنافقين ودائرة معناه نازلة
من الزمان وإنما قال ابن أبي وكان يظهر خلاف ما أبطن وقوله فعسى الله أن يأتي بالفتح

وهو ظهور دين نبيه عليه السلام وعلو كلمته وتمكينه من بني قينقاع وفي بعضه النضير وفتح
مكة او امر من عنده يهلكهم به اعداء الشرع وهو ايضا بان لا ينفع فيه للبشر سبب وفي الارض
الذين فيصبحوا المنافقون على ما اسروا في انفسهم نادمين وقوله تعالى ويقول الذين امنوا اهؤلاء
الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم قرا نافع وغيره يقول بغير واو وفي الحرمين وغيره ويقول وقرا ابو
عمرو وحده ويقول بالواو ونصب اللام فرفعا كالرفع من المستانف اي هذا القول من المؤمنين
انما هو اذا جاء الفتح وحصلت ندامة المنافقين وفضحهم الله تعالى حينئذ يقول المؤمنون
اهؤلاء الذين اقسموا بالله وتحتمل الاية ان تكون حكاية لقول المؤمنين في وقت قول الذين في
قلوبهم مرض نخشى ان تصيبنا دائرة اذ فهم منهم انهم يتمسكون باليهود انما هو [illegible] ورسوله
تعجبا من النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وتركهم النبي صلى الله عليه وسلم بني قينقاع
رغبة في المصلحة السالفة واما في قراءة ابي عمرو ويقول بالنصب فلا يتجه معها ان تكون قول
المؤمنين الا عند الفتح وظهور ندامة المنافقين وفضيحتهم وقوله تعالى جهد ايمانهم نصب جهد
على المصدر المؤكد والمعنى اهؤلاء هم المقسمون باجتهاد منهم في الايمان انهم معكم فقد ظهر الان
منهم من موالاة اليهود وخذل الشريعة ما يكذب ايمانهم وقوله حبطت اعمالهم يحتمل ان يكون
اخبارا من الله تعالى ويحتمل ان يكون من قول المؤمنين ويحتمل ان يكون قوله حبطت دعاء
اي بطلت اعمالهم وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه الاية خطاب
للمؤمنين الى يوم القيامة ومعنى الاية ان الله عز وجل وعد هذه الامة ان من ارتد منها فانه
يجيء بقوم ينصرون الدين ويغنون عن المرتدين قال الحسن وعلم الله تعالى ان قوما
على مخبرهم اذ لو احبتهم [illegible] وقيل ان صاروا مختبرين له وفي كتاب الفصل الى الله
سبحانه [illegible] فلقه للنبيه فهل للمحبين المحبين له عز وجل خوف قال نعم الخوف [illegible] كما
[illegible] ما يتزول الخوف وهو هذا الخوف [illegible] النقص في [illegible] حتى اذا صاروا
الى خوف الموت طاروا الى الخوف الذي يكون في اعلى حال وكان الخوف [illegible] فيه خطرات
وطار خوف الفوت وحضرات قلت مما [illegible] عن قلوبهم نسيم برد الخوف والحزن
قال الرجاء بحسن الظن لمعرفتهم بسعة فضل الله عز وجل واملهم فيه اي يعطي والمراد بايراد
ورد واعلم ولو كانت [illegible] حسنات وما نوا [illegible] قلت اي بشيء
الذي شغلهم وما الغالب على قلوبهم في جميع احوالهم قال [illegible] الذكر لمحبوبهم على تواتر

ولا استفهامية

ولا استقامة لا يلومون ولا يعتنون وقال جمع الحكماء على ان احب شيء [illegible]
ثم قال قال ذو النون ما اولع احد بذكر الله الا افاد منه حب الله اهـ وقرا [illegible] الاية الخطاب
على المنافقين وعلى من ارتد في مدة النبي صلى الله عليه وسلم قال الفخر وهذه الاية
اخبار بغيب وقد وقع الخبر على وفقه فيكون معجزا وقيل انزلت اهـ ويعني بهم ابا بكر
فيحبهم الله الذين اتى بهم منهم اهـ وقوله تعالى اذلة على المؤمنين معناه متذللين من قبل
انفسهم غير متكبرين وهذا كقوله عز وجل اشداء على الكفار رحماء بينهم وكقوله عليه
الصلاة والسلام المؤمن هين لين وفي قراءة ابن مسعود اذلة على المؤمنين غلظاء على الكفرين
وقوله تعالى ولا يخافون لومة لائم اشارة الى الرد على المنافقين في انهم كانوا يعتذرون
بملامة الاخلاف والمعارف من الكفار ومن لحوق لومهم فلقد وخرج ابو بكر بن الخطيب
بسنده عن ابي ذر قال اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم بسبع اوصاني ان انظر الى من
هو دوني ولا انظر الى من هو فوقي يعني في شان الدنيا واوصاني بحب المساكين والدنو
منهم واوصاني ان اقول الحق وان كان مرا واوصاني ان اصل رحمي وان ادبرت واوصاني ان
لا اخاف في الله لومة لائم واوصاني ان لا اسال احدا شيئا واوصاني ان استكثر من لا حول
ولا قوة الا بالله اهـ وقوله تعالى ذلك فضل الله اشارة الى كون القوم يحبون
الله ويحبهم وواسع معناه ذو سعة فيما يملك ويعطي وينعم به سبحانه وقوله تعالى انما وليكم
الله ورسوله الاية لفظه هذه الاية حاصرة وفي قراءة ابن مسعود انما مولاكم الله والزكاة
هنا لفظ عام للزكاة المفروضة والتطوع بالصدقة ولكل افعال البر اذ هي منمية للحسنات
مطهرة للمرء من دنس الذنوب ثم وصفهم سبحانه بتكثير الركوع وخص بالذكر لكونه من اعظم
اركان الصلاة وهو هيئة تواضع فعبر به عن جميع الصلاة كما قال سجدا والركع جمع
السجود هذا هو القصد وصوابا [illegible] ان علي بن ابي طالب رضي
الله عنه اعطى خاتمه وهو راكع قال السدي وان اتفق ذلك لعلي فالاية عامة لجميع
المؤمنين ثم اخبر تعالى ان من يتولى الله ورسوله والمؤمنين فانه غالب كل من ناواه وجاء
الفعل عامة ان حزب الله هم الغالبون ثم نهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الذين اتخذوا
دينهم هزوا ولعبا وقد ثبت استهزاء الكفار بقوله تعالى [illegible] المشتهرين [illegible] وثبت
استهزاء اهل الكتاب في لفظ هذه الاية وثبت استهزاء المنافقين في قولهم لشياطينهم

انا معكم انما نحن مستهزئون وقد تم امر سحاره بتقويته ونقله الثعلبي بقوله اي كنتم مومنين
وقوله تعالى واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا رواية الحسد على اليهود
وتبين لسوء فعلهم وقوله تعالى وان اكثركم فاسقون معنى المجاورة هل تنقمون منا
الا المجموع هاذه الخصال انا مومنين وانتم فاسقون كما تقول لمخاصمك هل تنقم مني الا ان
صدقت انا وكذبت انت وقال بعض المفسرين وان اكثركم معطوف على ما كان قبله قال ابن
اي الا امنا بالله وتكذيبكم وبان اكثركم وهاذا مستقيم المعنى وقال اكثركم من حيث ان فيهم
من امن كابن سلام وغيره وقوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة يعني
مرجعا عند الله يوم القيامة ومنه واذ جعلنا البيت مثابة للناس ومثل المعترفون
في هاذه دلالة على ان الذين امنوا يقول لهم هل انبئكم هم اليهود والكفار المتخذون
دينهم هزوا ولعبا قال ذلك الطبري وتوبع عليه ولم يسند في ذلك الى متقدم تنبيه
ورواية تحتمل ان تكون القول للمومنين اي قل يا محمد للمومنين هل انبئكم بشر من حال هولاء
الفاسقين في وقت المرجع الى الله اولئك اسلافهم الذين لعنهم الله وغضب عليهم وجعل
منهم بعضهم قردة وقد تقدم قصص مسخهم في دلائل البقرة وعبد الطاغوت تقديره ومن
عبد الطاغوت وذلك ان عبد فعل ماض معطوف على لعنه قال الزجاج قيل الطاغوت هنا العجل
وقيل الطاغوت الكهان والاحبار وكل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده ومكانا
يحتمل ان يريد في الاخرة فالمكان على وجهه اي المحل اذ محلهم جهنم ويحتمل ان يريد في
الدنيا فهي استعارة للمكانة والحالة وقوله تعالى واذا جاءوكم يعني اليهود وخاصة
المنافقين منهم قاله ابن عباس وغيره وقوله والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر
والردة هنا يحتمل ان تكون فلتة ويحتمل ان تكون حقيقة وفي ذلك اي موجبات
الاثم والعدوان بينهم ما قبح وقوله تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار تحضيض في
ضمنه توبيخ لهم قال الطبري والمعنى هلا ينهاهم قال الطبري كان العلماء
يقولون ما في القران اية اشد توبيخا للعلماء من هاذه الاية ولا اخوف عليهم منها
وقال الضحاك ما في القران اية اخوف عندي منها انا لا انهى وقال نحو هاذا
ابن عباس وقوله تعالى عن قولهم الاثم ظاهر اذ الاثم هنا يراد به الكذب ويحتمل ان
يريد سائر اقوالهم المنكرة في النبي عليه السلام والمومنين وفي ابن عباس ليس ما

كانوا

كانوا يكتمون يعني ما في وقوله تعالى وقالت اليهود يد الله الى قوله لا يحب
المفسدين هاذه الاية تعديد كبيرة من اقوالهم وكفرهم اي من يقول هاذه العظيمة
فلا تستنكر نفاقه وسعيه في امر الله قال ابن عباس وجماعة معنى قولهم التبخيل
وذلك انهم لحقتهم سنة وجهد فقالوا هاذه المقالة يعنون بها ان الله بخل عليهم بالرزق
والتوسعة تعالى الله عن قولهم وهاذا المعنى يشبه ما في قوله تعالى ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك فان المراد لا تبخل ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم مثل البخيل
والمتصدق الحديث وذكر الطبري والنقاش ان هاذه الاية نزلت في فنحاص اليهودي
وانه قالها وقوله تعالى غلت ايديهم خبر يحتمل في الدنيا ويحتمل في الاخرة فان كان خبرا
عن الدنيا فالمعنى غلت ايديهم عن الخير ولا ينفقون في وجوه البر ونحوه وان كان خبرا عن
الاخرة فالمعنى غلت في النار ويحتمل الامرين معا وقوله تعالى بل يداه مبسوطتان
العقيدة في هاذا المعنى نفي التشبيه عن الله تعالى وانه ليس بجسم ولا له جارحة
ولا يشبه ولا يكيف ولا يتحيز ولا تحله الحوادث تعالى عما يقول المبطلون علوا كبيرا
قال ابن عباس في هاذه الاية يداه نعمتاه ثم اختلفت عبارة الناس في تعيين
النعمتين فقيل نعمة الدنيا ونعمة الاخرة وقيل النعمة الظاهرة والنعمة الباطنة
والظاهر ان قوله تعالى بل يداه مبسوطتان عبارة عن انعامه على الجملة وعبر عنها
باليدين جريا على طريقة العرب في قولهم فلان ينفق بكلتا يديه ومنه قول الشاعر

يداك يدا مجد فكف مفيدة ... وكف اذا ما ضن بالمال تنفق

ويريد ان التبيين هنا يعني لما تعلم في بقية ذلك قال تعالى لنبيه عليه
السلام وليزيدن كثيرا منهم يعني اليهود ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا ثم قال
تعالى والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة العداوة اخص من البغضاء لان كل عدو
فهو يبغض وقد يبغض من ليس بعدو والبغضاء قد لا تتعدى النفوس وقد القى الله
تعالى ذلك بين بني اسراييل قال الطبري وقد اوقع الله بين فرق اليهود الخصومة المشهورين
وانتهى امرهم الى ان يكفر بعضهم بعضا وفي قوله والقينا بينهم العداوة دلالة قوية على
ان المراد ما بين اليهود والنصارى من العداوة لانه جرى ذكرهم في قوله لا
تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وهاذا قول الحسن ومجاهد والنقاش ما وقع من

من العداوة بين فرق اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم موحدة
وبعضهم مشبهة وكذلك بين فرق النصارى كالملكانية والنسطورية واليعقوبية
وقوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله استعارة بليغة قال مجاهد معنى
الآية كلما اوقدوا نارا لحرب النبي صلى الله عليه وسلم اطفأها الله فالآية بشارة لنبينا
محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وباقي الآية بين وقوله ولو ان اهل الكتاب آمنوا
الآية هذه الآية تحتمل ان تراد بها معاصرو النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يراد بها
الاسلاف والمعاصرون وقوله تعالى ولو انهم اقاموا التوراة اي اظهروا احكامها فهي كاقامة
السوق واقامة الصلاة وقوله تعالى والانجيل يقتضي دخول النصارى في لفظ اهل الكتاب
في هذه الآية قلت وقال مكي معنى اقاموا التوراة والانجيل اي عملوا بما فيهما
واقروا بما فيهما من صفة النبي صلى الله عليه وسلم ونبوته انتهى من الهداية وقوله تعالى وما انزل اليهم
من ربهم معناه من وحي وسنن على السنة الانبياء واختلف في معنى من فوقهم ومن تحت
ارجلهم فقال ابن عباس وغيره المعنى لاعطتهم السماء مطرها والارض نباتها بفضل الله تعالى
وقال الطبري وغيره ان الكلام استعارة ومبالغة في التوسعة كما يقال فلان قد عمه الخير
من قرنه الى قدمه وقوله تعالى منهم امة مقتصدة معناه معتدلة والقصد والاقتصاد الاعتدال
والرفق والتوسط الحسن في الاقوال والافعال قال ابن زيد وهؤلاء هم اهل طاعة الله من
اهل الكتاب قال ع وهذا هو الراجح وقوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية
هذه الآية امر من الله تعالى لنبيه عليه السلام بالتبليغ على الاستيفاء والكمال لانه
قد بلغ صلى الله عليه وسلم وانما امر في هذه الآية بان لا يتوقف عن شيء مخافة احد وذلك ان
رسالته عليه السلام تضمنت الطعن على انواع الكفرة وبيان فساد حالهم فكان يلقى
منهم صلى الله عليه وسلم عنتا وربما خافهم صلى الله عليه وسلم احيانا قبل نزول هذه الآية فقال
الله تعالى له بلغ ما انزل اليك من ربك اي كاملا والله يعصمك من الناس قالت عائشة
رضي الله عنها من زعم ان محمدا كتم شيئا من الوحي فقد اعظم الفرية والله تعالى يقول يا ايها
الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية وقال عبد الله بن شقيق كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتعقبه اصحابه يحرسونه فلما نزلت والله يعصمك من الناس خرج فقال يا ايها الناس
الحقوا بملاحقكم فان الله قد عصمني قلت وخرج الترمذي هذا الحديث ايضا من طريق عائشة

وكما وجب

وكما وجب عليه التبليغ عليه السلام وجب على علماء امته وقد قال عليه الصلاة
والسلام بلغوا عني ولو آية وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه الى من ليس بفقيه
ورب حامل فقه الى من هو افقه منه رواه ابو داود واللفظ له والترمذي والنسائي وابن
ماجه وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي حديث حسن ورواه من حديث ابن مسعود وقال حسن
صحيح اه من السلاح وقال محمد بن كعب القرظي نزلت هذه الآية بسبب الاعرابي الذي اخترط
سيف النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله به قال ابن العربي في قوله تعالى والله يعصمك من الناس
معناه يجعل بينك وبينهم حجابا يمنع من وصول مكروههم اليك كعصام القربة الذي يمنع سيلان
الماء منها ولعلمائنا في الآية تأويلات اصحها ان العصمة عامة في كل مكروه وان الآية نزلت
بعد ان شج وجهه وكسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم وقيل اراد من القتل خاصة والاول
اصح وقد كان صلى الله عليه وسلم اوتي بعض هذه العصمة بمكة في قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين
ثم كملت له العصمة بالمدينة فعصم من الناس كلهم اه من كتاب في تفسير افعال الله الواقعة
في القرآن اي ثم امر تعالى نبيه عليه السلام ان يقول لاهل الكتاب الحاضرين معه لستم على شيء
اي على شيء مستقيم حتى تقيموا التوراة والانجيل وفي اقامتهما الايمان بنبينا محمد عليه
الصلاة والسلام ع وهذه الآية عندي من اخوف آية في القرآن ان كما انتقل الى
ذلك سفيان بن عيينة فتأملها حق التأمل وقوله تعالى وما انزل اليكم من ربكم [illegible]
يعني به القرآن وقوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله
واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا لفظ عام لكل مؤمن من امة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن غيره من الامم فكان اعتماد الآية جمع الناس كلهم
وبيان الطوائف على اختلافهم وهذا هو قول الجمهور وقد مضى الكلام في سورة البقرة
في جمعه هنالك وقرأ الجمهور والصابئون وقرأ [illegible] والصابئين وهي بينة في
الاعراب واما على قراءة الجمهور واختلف في اعرابه ومذهب سيبويه والخليل ونحاة البصرة
انه من المقدم الذي معناه التأخير كأنه قال ان الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم
الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون والنصارى كذلك قال ع ووجه ذلك ان
خبر ان محذوف اي ان الذين آمنوا لهم اجرهم وخبر الصابئين من آمن وما بعده قال ابن عصفور

وهو حسن جزاؤه ليس فيه الا الغي من حرف ان الهم وهو جائز في فصيح الكلام اهـ قال ابن
مالك وهو استعمال من التعقيد والتعجيز وقيل ان الظاهر في موضع نصب ولكنه جاء على لغة بني الحارث
الذين يجعلون التثنية بالالف على كل حال والجمع بالواو على كل حال قاله ابو البقاء وقيل غير هذا
وقوله تعالى وحسبوا الا تكون فتنة المعنى في هذه الآية وظن هؤلاء الكفرة بالله والعصاة
من بني اسرائيل ان لا يكون ابتلاء من الله لهم واخذ بالذنب فمضوا على شهواتهم وعموا فيها اذ لم
يبصروا الحق وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم وقوله ثم تاب الله عليهم
قالت جماعة من المفسرين هذه التوبة هي ردهم الى بيت المقدس بعد الاخراج الاول ورد ملكهم
وحالهم ثم عموا وصموا بعد ذلك حتى اخرجوا الخرجة الثانية ولم ينجبر ولا ادراك ومعنى تاب الله
عليهم اي رجع بهم الى الطاعة والحق ومن فصاحة اللفظ اسناد هذا الفعل الشريف الى الله
تعالى واسناد العمى والصمم اللذين هما عبارة عن الضلال اليهم ثم اخبر تعالى اخبارا مؤكدا بلام
القسم عن كفر القائلين ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية من النصارى ثم اخبر
تعالى عن قول المسيح لهم فقال وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم الآية وظاهره
هو وكفى بسبب ما قالوا على ربهم من الابانة وقوله تعالى وما للظالمين من انصار يحتمل ان يكون من
قول عيسى عليه السلام لبني اسرائيل ويحتمل ان يكون اخبارا من الله سبحانه لنبيه محمد صلى الله
عليه وسلم وقوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد هذا ايضا قسم
اخبار مؤكد كالذي قبله عن هذه الطائفة القائلة بالتثليث وهم فيما يقال الملكية والنسطورية
ويعقوبية وما معنى الذي اقوالهم في كتب التفسير وقوله ثالث ثلاثة لا يجوز فيه الا الاضافة
وخفض ثلاثة لان المعنى احد ثلاثة فان قلت زيد ثالث اثنين او رابع ثلاثة
جاز لك ان تضيف كما تقدم وجاز لك ان تنصب ثلاثة على معنى زيد يربع ثلاثة وقوله
وما من اله الا اله واحد المعنى ليس ثم اله الا واحد صادع بالحق وهو سبحانه الخالق المبدع المتصف بالصفات
العلى ليتعالى وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم وعدهم ان لم ينتهوا عما يقولون ثم رفق
جل وعلا بهم بتحضيضه اياهم على التوبة وطلب المغفرة ثم وصف نفسه سبحانه بالغفران
والرحمة استجلابا للتائبين وتانيسا لهم ليكونوا على ثقة من الانتفاع بتوبتهم قال ليمسن
فيه جواب قسم محذوف قبل ادات الشرط اهـ وقوله تعالى وامه صديقة كانا ياكلان الطعام صديقة بناء مبالغة من
الصدق ويحتمل من التصديق وبه سمي ابو بكر الصديق وهذه الصفة لمريم تدفع قول من قال انها

نبية

نبية وقوله تعالى كانا ياكلان الطعام تنبيه على نقص البشرية وعلى حال من الاحتياج
الى الغذاء تنتفي معه الالوهية ويحتمل ان يكون معناه يحدثون ومنه قوله وقيل يوجد عنه
من رجيع ولا يرضى الحاصرون الى من قال ان انالهم النطق والطبع الحقيقة هو الفهم وكذا
فقيل ارض مالوفكم لما كانت مالوفا عنه وقوله تعالى قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك
لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم هذا نهي لبعض الذاهبين الى المضرة وهو عدم
الحق والسميع لاقوالهم والعليم بنياتهم ولا تغلوا ولا تتجاوزوا الحد غلا السهم اذا تجاوز الغرض المقصود
وقيل المسالفة هي غلو فيه وهذه المخاطبة هي للنصارى الذين غلوا في عيسى والقوم الذين نهى
النصارى عن اتباع اهوائهم بنو اسرائيل ووصفهم تعالى اليهود بانهم ضلوا قديما واضلوا كثيرا
من اتباعهم ثم اكد الامر بتكرار قوله تعالى وضلوا عن سواء السبيل وقوله تعالى لعن الذين
كفروا من بني اسرائيل قال ابن عباس رضي الله عنه لعنوا بكل لسان لعنوا على عهد موسى في التوراة وفي الزبور
وفي الانجيل والقرآن وقوله تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ذم الله تعالى هذه
الفرقة الملعونة بانهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي انهم كانوا لا يتناهون عن المعاصي
وان نهى منهم ناه لم يمتنع عن مواصلة العاصي ومواكلته ومخالطته وروى ابن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من بني اسرائيل كان اذا راى اخاه على ذنب نهاه تعذيرا
فاذا كان من الغد لم يمنعه ما راى منه ان يكون اكيله وخليطه وشريبه فلما راى الله ذلك منهم ضرب
بقلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان نبيهم داوود وعيسى قال ابن مسعود وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس وقال لا والله حتى تاخذوا على يد الظالم فتاطروه على الحق اطرا
والاجماع على ان النهي عن المنكر واجب لمن اطاقه ونهي بمعروف وامن الضرر عليه
وعلى المومنين فان تعذر على احد النهي لشيء من هذه الوجوه ففرض عليه الانكار بقلبه وان لا
يخالط ذا المنكر وقال حذاق اهل العلم ليس من شرط الناهي ان يكون سليما من المعصية
بل ينهى العصاة بعضهم بعضا وقوله تعالى لبئس ما كانوا يفعلون اللام لام قسم وروى ابو داود
عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة حق او قال كلمة عدل
عند سلطان جائر او امير جائر اهـ وقوله تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام ترى كثيرا
منهم يحتمل ان تكون رؤية عين فلا يريد الا معاصريه ويحتمل ان تكون رؤية قلب وعلى هذا
فيحتمل ان يريد المعاصرين له ويحتمل ان يريد اسلافهم والذين كفروا عبدة الاوثان وقوله تعالى

لبئس ما قدمت لهم انفسهم الآية اي قدمته ذخيرة واجلته مقدما ثم فسر ذلك بقوله فقال تعالى ان سخط
الله عليهم ان سخط في موضع رفع بدل من ما ويحتمل ان يكون التقدير هو ان سخط الله عليهم وقوله
تعالى والنبيء ان كان المراد ذلك الاشارة في النبي داوود وعيسى وان كان المراد معاصري نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم فالمراد بالنبيء هو صلى الله عليه وسلم وذهب بعض المفسرين الى ان قوله
تعالى ولكن كثيرا منهم كلام منقطع من ذكر بني اسرائيل وانه يعني به المنافقين ونحوه لمجاهد
قوله تعالى لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا الآية اللام في قوله لتجدن
لام الابتداء وقال الزجاج هي لام القسم وهذا خبر مطلق منسحب على الزمان كله وهكذا هو
الامر حتى الآن وذلك ان اليهود مرنوا على تكذيب الانبياء وقتلهم ومردوا على استشعار
اللعنة وضرب الذلة والمسكنة فهم قد لجت عداوتهم وكثر حسدهم فهم اشد الناس عداوة
للمومنين وكذلك المشركون عبدة الاوثان والنيران واما النصارى فانهم يعظمون من اهل
الاسلام من استسلم وامنه ضرر ويستهينون من قهروا منه الفسق وانهم ان حاربوا
فانما حربهم انفة وكسب لا ان شرعهم يأخذهم بذلك واذا سالموا فسلمهم صاف واليهود تعينهم
ليسوا على شيء من هذه الخلال بل شأنهم الخبث واللي بالسنة والمكر والغدر ولم يصف
الله تعالى النصارى بانهم اهل ود وانما وصفهم بانهم اقرب من اليهود والمشركين وفي قوله
تعالى الذين قالوا انا نصارى اشارة الى معاصري نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من النصارى انهم
ليسوا على حقيقة النصرانية وانما هو قول منهم وزعم وقوله تعالى ذلك بان منهم قسيسين
ورهبانا الآية معناه ذلك بان منهم اهل خشية وانقطاع الى الله تعالى وعبادة
وان لم يكونوا على هدى فهم يميلون الى اهل العبادة والخشية وليس عند اليهود
ولا كان قط اهل ديارات وصوامع وانقطاع عن الدنيا بل هم معظمون لها متطاولون
في الدنيا وامور الدنيا حتى كانهم لا يؤمنون بالاخرة فلذلك لا يرى فيهم زاهد قال البجي
والقسيس العالم من رؤوس النصارى والجمع قسيسون وقال قطرب القس والقسيس العالم
بلغة الروم وهذا ضعيف وقع الوفاق فيه بين اللغتين ووصف الله تعالى النصارى
بانهم لا يستكبرون وهذا موجود فيهم حتى الآن واليهودي متى وجد عزا طغى وتكبر ثم مدح
هممهم بحلاته وقال واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من
الحق الآية قال النووي ينبغي للقارئ ان يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع فهذا

هو المقصود

هو المقصود المطلوب وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب وما يجلبه الخشي من ان قحم
والشيخ من ان تتركم وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم اية واحدة ليلة كاملة
او معظم ليلة يتدبرها وصعق جماعة منهم عند سماع القرآن واتى وفي اوقته ومات جماعة
منهم ويستحب البكاء والتباكي لمن لا يقدر على البكاء فان البكاء عند القراءة صفة
العارفين وشعار عباد الله الصالحين قال الله عز وجل يخرون للاذقان يبكون
ويزيدهم خشوعا وقد وردت الآثار الكثيرة في ذلك من الحلية وذكر ابن عباس وابن
جبير ومجاهد ان هذه الآية نزلت بسبب وفد بعثهم النجاشي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليروه ويعرفوا احواله فقرأ النبيء صلى الله عليه وسلم القرآن فبكوا وامنوا
ورجعوا الى النجاشي فامن ولم يزل مومنا حتى مات وصلى عليه النبيء صلى الله عليه وسلم
وروى ان نعش النجاشي كشف للنبيء صلى الله عليه وسلم فكان يراه صلى الله عليه وسلم
من موضعه بالمدينة وجاء الخبر بعد مدة ان النجاشي دفن في اليوم الذي صلى فيه النبيء
صلى الله عليه وسلم قال ابو صالح كانوا سبعة وستين رجلا وقال ابن جبير كانوا سبعين
عليهم ثياب الصوف وكلهم صاحب صومعة اختارهم النجاشي وصدر الآية في المودة
عام فيهم ولا يتصور بتوجيه ان يكون صدر الآية خاصا بمن امن وانما وقع التخصيص من
قوله تعالى واذا سمعوا وجاء الضمير عاما اذ قد يحمد الجماعة بفعل واحد منهم وفي هذا
استدعاء للنصارى ولطف من الله بهم ليومنوا قال ع مما عرفوا من الحق الاولى
لابتداء الغاية قال ابو البقاء ومعناها من اجل الذي عرفوا ومن الثانية لبيان
ما الموصولة اه قال ع وفي تفيض اي تسيل منها الدموع وفي العربية افيض والقرآن
واذكروا فان لم تبكوا فتباكوا خرجه ابن ماجه من الكوكب الدري وفيه عن ابن ... ان
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من خرج من عينيه مثل الذباب دموعا من خشية الله
لم يمسه النار حتى يعود اللبن في ضرعه وقوله تعالى مع الشاهدين يعني نبينا
محمدا صلى الله عليه وسلم وامته قاله ابن عباس وغيره وقال الطبري لو قال قائل معنى ذلك
مع الشاهدين بتوحيدك من جميع العالم كان صوابا وهو كلام صحيح وكان ابن عباس
خص امة محمد لقول الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الآية وقولهم وما لنا لا نومن بالله
وما جاءنا من الحق توقيف لانفسهم او محاجة لمن عارضهم من الكفار واليهود الصالحون

مَ صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاله ابن زيد رضي الله عنه من المفسرين ثم ذكر تعالى ما أثابهم
به من النعيم على إيمانهم وإحسانهم ثم ذكر تعالى حال الكافرين المكذبين وأنهم في ذلك أصحاب الجحيم
وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم قال ابن عباس رضي الله عنه نزلت
بسبب جماعة من الصحابة أتوه صلى الله عليه وسلم وقد بلغتهم المواعظ وخوف الله إلى أن حرم
بعضهم النساء وبعضهم النوم بالليل والطيب وهمّ بعضهم بالاختصاء فبلغ ذلك النبي
صلى الله عليه وسلم فقال أما أنا فأقوم وأنام وأصوم وأفطر وآتي النساء وأنال الطيب
فمن رغب عن سنتي فليس مني قال الطبري كان فيما يقال من رغب عن سنتي فليس من أمتي
وقد ضل عن سواء السبيل والطيبات في هذه الآية المستلذة بدليل إضافتها إلى ما
أحل الله وبقرينة ما ذكر من سبب الآية وقوله تعالى ولا تعتدوا قال عكرمة معه
وغيره معناه في تحريم ما أحل الله وقال الحسن بن أبي الحسن المعنى لا تعتدوا فتحلوا ما حرم
الله فالنهيان على هذا تضمنا الطرفين كأنه قال لا تشددوا فتحرموا حلالا ولا تترخصوا
فتحلوا حراما وروى مالك في الموطأ عن ابن شهاب قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما مات عثمان بن مظعون ومر بجنازته ذهبت ولم تلبس منها بشيء قال أبو
عمر في التمهيد هذا الحديث في الموطأ مقطوع وقد روينا متصلا مسندا من وجه
صالح حسن ثم أسند أبو عمر عن عائشة قالت لما مات عثمان بن مظعون كشف النبي
صلى الله عليه وسلم الثوب عن وجهه وقبّل بين عينيه وبكى بكاء طويلا فلما رفع على
السرير قال طوبى لك يا عثمان لم تلبسك الدنيا ولم تلبسها قال أبو عمر كان عثمان بن مظعون
أحد الفضلاء العباد الزاهدين في الدنيا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المتبتلين
منهم وقد كان هو وعلي بن أبي طالب هما أن يترهبا ويتركا النساء ويقبلا على العبادة
ويحرما طيب الطعام على أنفسهما فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لطيبات
لكم الآية ونقل هذا ... وغيره عن قتادة اه وقوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في
أيمانكم معناه تقدم وعقد اليمين كعقد الحبل والعهد وقال الحطيئة

قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم … شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

قال ع وأما وجه المناسبة بين هذه الآية والتي قبلها فهو ما تقدم من أن قوما
من الصحابة رضي الله عنهم حرموا على أنفسهم المطاعم والملاذ وحلفوا على ذلك فلما أباحها
الله تعالى

الله تعالى عن ذلك قالوا يا رسول الله وكيف نصنع بأيماننا فأنزل الله تعالى هذه الآية
اه وقوله تعالى فكفارته إطعام عشرة مساكين أي لشبع مرة واحدة وحكم
هو هنا أن يتكلف واحد منهم في كفارة يمين واحدة واختلف في معنى قوله تعالى من
أوسط فرأى مالك وجماعة معه هذا التوسط في القدر ورأى جماعة في الصنف
والوجه أن يعم بلفظ الوسط القدر والصنف فرأى مالك أن يطعم المسكين بالمدينة مد النبي
عليه الصلاة والسلام وذلك رطل وثلث وهذا لضيق المعيشة بالمدينة
ورأى في غيرها أن يتوسع ورأى بعضهم أن التوسط إنما هو في الصنف أي يكون الرجل
المكفر يتجنب أدنى ما يأكله الناس في البلد وينحط عن الأعلى ويكفر بالوسط من ذلك
ومذهب المدونة أن يراعي المكفر عيش البلد وقال بعض العلماء إن العتق أفضل
ثم الكسوة ثم الإطعام وبدأ الله تعالى عباده بالأيسر فالأيسر قال اللخمي وبدأ الله
تعالى بالإطعام لأنه أعم وجودا والمقصود منه التيسير على الأمة لأنه تعالى يقصد التخفيف
والتسهيل في التكاليف وقد يكون الإطعام أفضل وهذا هو مشهور مذهب مالك اه
وفي ... عنده ما لك من الكسوة في الكفارة ما يجزئ في الصلاة وقوله تعالى أو تحرير رقبة أي
مؤمنة قاله مالك وجماعة لأن هذا المطلق راجع إلى المقيد في عتق الرقبة في قتل الخطأ
وقوله تعالى فمن لم يجد معناه لم يجد في ملكه أحد هذه الثلاثة المذكورة واختلف العلماء في
حد هذا العادم ومتى يصح له الصيام فقال الشافعي ومالك وجماعة من العلماء إذا كان
المكفر لا يملك إلا قوته وقوت عياله يومه وليلته فله أن يصوم فإن كان عنده زائد
على ذلك ما يطعم عشرة مساكين لزمه الإطعام قال الطبري وقال آخرون جائز لمن لم يكن عنده
فضل على رأس ماله الذي يتصرف به في معاشه أن يصوم وفي أبي بن كعب وابن مسعود
ثلاثة أيام متتابعات وقال به جماعة وقال مالك وغيره إن تابع فحسن وإن فرق أجزأ
وقوله إذا حلفتم معناه وأردتم الحنث أو وقعتم فيه وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر
والميسر والأنصاب والأزلام رجس الآية قال ع وفي معنى الأزلام أمر الرجل بالطهر واجتناب الأقوال
في الكتب ونحوه مما يصنعه الناس واجب بالعادة أن هذه الأشياء رجس قال ابن عباس
في هذه الآية رجس سخط وقال ابن زيد الرجس الشر قال ع الرجس كل مكروه وقد يقال
للعذرة والأقذار رجس والرجس العذاب وأما الرجس والرجز فقال كلاهما وقوله تعالى

فاجتنبوه امر باجتنابه فيه تحريم الخمر بظاهر اللفظ وفيه وبالاحاديث واجماع الامة وامر الخمر
انما كان بتدريج ونوازل كثيرة كقصة حمزة حين جب ذا سنمة وقوله فهل انتم منتهون اي
اعلم بتحريمه عند ذلك انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة بسبب الخمر وما يعني في عليه
بين المومنين بسبب الميسر اذ كانوا يتقامرون على اموالهم حتى ربما بقي المقمور فقيرا
فتحدث من ذلك ضغائن وعداوة فان لم يصل الامر الى حد العداوة كانت بغضاء ولا تحسن عاقبة
قوم متباغضين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا
عباد الله اخوانا وباجتماع النفوس والكلمة يحمى الدين ويجاهد العدو والبغضاء في
تنقض عرى الدين وتهدم عماد الحماية وكذلك ايضا يريد الشيطان ان يصد المومنين عن ذكر
الله وعن الصلاة ويشغلهم عنها باتباع الشهوات والخمر والميسر والقمار كلام اعظم
الاوابد في ذلك وقوله تعالى فهل انتم منتهون وعيد زايد على معنى انتهوا وقوله تعالى
ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية قال ابن عباس وغيره لما نزل
تحريم الخمر قال قوم من الصحابة يا رسول الله كيف بمن مات منا وهو يشربها وياكل الميسر ونحو
هذا من القول فنزلت هذه الاية وهذا نظير سوالهم عمن مات على القبلة الاولى
والجناح الاثم والحرج وانظر ادراج قوله تعالى اتقوا في كل واحدة زيادة على التي قبلها
وفي ذلك مبالغة في هذه الصفات لهم وليست الاية وقفا على من عمل الصالحات كلها
واتقى كل التقوى بل هي لكل مومن وان كان عاصيا احيانا اذا كان قد عمل من هذه
الخصال المحمودة ما استحق به ان يوصف بانه مومن عامل للصالحات متق في غالب امره محسن
فليس على هذا الصنف جناح فيما طعم مما لم يحرم عليه وطعموا معناه ذاقوا فصاعدا فتدخل في
الاكل والشرب وقد يستعار للنوم وغيره وحقيقته في حاسة الذوق وقوله تعالى يا ايها
الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد اي ليختبرنكم ليرى طاعتكم من معصيتكم
وقوله بشيء يقتضي تبعيضا ومن يحتمل ان تكون للتبعيض ويحتمل ان تكون لبيان الجنس كقوله
تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقوله تعالى ليعلم الله من يخافه بالغيب معناه
ليستمر علمه بالعبد عليه وهو موجود اذ قد علم ذلك في الازل وقوله بالغيب قال الطبري
معناه في الدنيا حيث لا يرى العبد ربه فهو غائب عنه والظاهر ان المعنى بالغيب
من الناس اي في الخلوة فمن خاف الله انتهى وقول الطبري في المعنى ثم توقف تعالى

من اعتدى

من اعتدى بعد النهي بالعذاب الاليم وهو عذاب الاخرة وقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم الاية الصيد مصدر عومل معاملة الاسماء فاوقع
على الحيوان المصيد ولفظ الصيد هنا عام ومعناه المخصوص فيما عدى ما استثني في
الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الغراب والحداة
والفارة والكلب العقور والعقرب واجمع الناس على اباحة قتل الحية وبسط هذا
في كتب الفقه وحرم جمع حرام وهو الذي يدخل في الحرم او في الاحرام واختلف في قوله
متعمدا فقال مجاهد وغيره معناه متعمدا للقتل ناسيا لاحرامه [illegible] واما ان
كان ذاكرا لاحرامه فهذا اعظم من ان يكفر وقد حل ولا حج له وقال جماعة من
اهل العلم منهم ابن عباس ومالك والزهري وغيرهم المتعمد القاصد للقتل الذاكر لاحرامه
فهو يكفر وكذلك الناسي والقاتل خطا يكفر اي وفي اذا [illegible] وغيره فجزاء مثل ما قتل
الجزاء اي مثل وفي اخرى وغيره فجزاء بالرفع مثل بالرفع ايضا واختلف في هذه
المماثلة كيف تكون فذهب الجمهور الى ان الحكمين ينظران الى مثل الحيوان المقتول
في الخلقة وعظم المرأى فيجعلون ذلك من النعم جزاءه وذهب الشعبي وغيره الى ان
المماثلة انما هي في القيمة يقوم الصيد المقتول ثم يشترى بقيمته [illegible]
من النعم [illegible] هذا القول والنعم لفظ يقع على الابل والبقر والغنم
اذا اجتمعت هذه الاصناف وان انفرد كل صنف لم يقل نعم الا للابل وحدها وقوله
النعم اي هذه الثلاثة على حكم عدلين عالمين بحكم الثلاثة وبالفضل فيها وعلى
هذا جمهور الناس قال ابن وهب في العتبية من السنة ان يخير الحكمان من
اصاب الصيد كما خيره الله تعالى في ان يخرج هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام
مساكين او عدل ذلك صياما فان اختار الهدي حكما عليه بما يريانه نظيرا لما
اصاب بينهما وبين ان يكون ذلك عدل شاة لانه ادنى من الهدي فان لم يبلغ شاة
حكما فيه بالطعام ثم خير في ان يطعمه او يصوم مكان كل مد يوما وكذلك قال
مالك في المدونة اذا اراد المصيب ان يطعم او يصوم وان كان للمحرم يقضي من الصيد
فلا يقوم الصيد طعاما بل دراهم قال وان قوموه دراهم اشترى بها طعاما اجزأه
ان يكون واسعا ولا اول الصوم فان شاء اطعمه وان شاء صام مكان كل مد يوما وان زاد ذلك

في الحرم على شيء من ذلك وقال يحيى بن عمر من أصحابنا إنما يقول كم من رجل يشبع من
هذا الصيد فيعرف العدد ثم يقال كم من الطعام يشبع هذا العدد فإن شاء أخرج
ذلك الطعام وإن شاء صام عدد أمداده وهذا قول حسن احتاط فيه لأنه قد تكون
قيمة الصيد من الطعام قليلة فبهذا النظر يكثر الإطعام وقوله تعالى هديا بالغ
الكعبة ذكر الكعبة لأنها أم الحرم والحرم كله منحر لهذا الهدي ولابد أن يجمع في هذا
الهدي بين الحل والحرم حتى يكون بالغا الكعبة فالهدي لا ينحر إلا في الحرم واختلف في الطعام
فقال جماعة في الطعام والصوم حيث شاء المكفر من البلاد وقال عطاء بن أبي رباح وغيره
الهدي والإطعام بمكة حيث شئنا وقوله تعالى ليذوق وبال أمره الذوق هنا مستعار
والوبال سوء العاقبة والمرعى الوبيل هو الذي يتأذى به بعد أكله وعم جامعه
عن جميع حرام من قتل وذكره وحمله عليه ومعنى ما لزمه أو تعديه جاء الصوم واختلف
في معنى قوله تعالى عفا الله عما سلف في الجاهلية وقال عطاء بن أبي رباح وجماعة معناه
عفا الله عما سلف في جاهليتكم من قتلكم الصيد في الحرم ومن عاد الآن في الإسلام
فإن كان مستحلا فينتقم الله منه في الآخرة ويكفر في ظاهر الحكم وإن كان عاصيا
فالنقمة هي في إلزام الكفارة فقط قالوا وكلما عاد المحرم فهو يكفر قال ع ويخاف المتورعون
أن تبقى النقمة مع التكفير وهذا هو قول الفقهاء مالك ونظرائه وأصحابهم رحمهم
الله تعالى وقال ابن عباس وغيره إنما المحرم فإنه يكفر أول مرة وعفا الله عن ذنبه فإن
أخطأ وعاد فإنه فلا يحكم عليه ويقال له ينتقم الله منك كما قال الله تعالى وقوله
تعالى والله عزيز ذو انتقام تنبيه على صفة تقتضي خوف من له بصيرة
ومن خاف ازدجر ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل
ف والصيد للهو مكروه وروى أبو داود والنسائي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن اهـ وقوله
تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم البحر الماء الكثير ملحا كان أو عذبا وكل
نهر كبير بحر وطعامه هو كل ما قذف به وما طفا عليه قاله جماعة من الصحابة والتابعين
ومن بعدهم وهو مذهب مالك ومتاعا نصب على المصدر والمعنى متعكم به متاعا تنتفعون
وتأتدمون وللسيارة من حاضري البحر ومدنه وللسيارة المسافرين واختلف في معنى

قوله

قوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فيلقاه بعضهم على العموم من جميع جهاته فقالوا
إن المحرم لا يحل له أن يصيد ولا أن يأمر من يصيد ولا أن يأكل صيدا صيد من أجله ولا من غير أجله
وإن لحم الصيد بأي وجه كان حرام على المحرم وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرى إباحته
للمحرم أن يأكل ما صاده حلال لنفسه أو لحلال مثله وقال بمثل قول عمر عثمان بن عفان والزبير
ابن العوام وهو الصحيح لأن النبي صلى الله عليه وسلم أكل من الحمار الذي صاده أبو قتادة وهو
حلال والنبي صلى الله عليه وسلم محرم ع وفي سياق الآية ما هو الحشيش والمفهوم مبالغة في
التحريم ولعل ما في هذه الآيات تعظيم الحرم والحرمة بالإحرام من أجل الكعبة وأنها بيت
الله وعنصر هذه الفضائل ذكر ليبلغ في قوله جعل الله الكعبة البيت تنبيها تسمية
في النفوس وهزمهم الله وجعل عليه الجاهلية الجهلاء من إلهامهم أن الكعبة قوام والمدى
قوام والقلائد قوام أي أمر يقوم للناس بالتأمين ووضع الحرب أوزارها والعلم الله تعالى
التي أم الناس الذي هو مقام عزه وأرضه وجعل في هذه الآية بمعنى صير والكعبة
بيت مكة وسمي كعبة لتربيعه قال أهل اللغة كل بيت مربع فهو مكعب وكعبة وذهب بعض
المتأولين إلى أن معنى قوله تعالى قياما للناس أي موضع وجوب قيام بالمناسك والتعبد
وضبط النفوس في الشهر الحرام ومع الهدي والقلائد قال مكي معنى قياما للناس أي
جعلها لهم الله قياما بين الذي يقوم به أمرهم في عصمة دمائهم عن كلام بعضهم بعضا وكذا الحرم
الهدي والقلائد جعل ذلك لهم قياما للناس وكان الرجل إذا دخل الحرم أمن من عدوه
وإذا ساق الهدي كذلك لم يعرض له وكان الرجل إذا أراد الحج تقلد بقلادة من شعر وإذا
رجع تقلد بقلادة من لحاء شجر الحرم فلا يعرض له أحد حتى يصل إلى أهله قال
ابن زيد كان الناس كلهم فيهم ملوك تدفع بعضهم عن بعض ولم يكن في العرب ملوك تدفع
عن بعضهم ظلم بعض فجعل الله لهم البيت الحرام قياما يدفع عن بعضهم بعضا من الظلم
والشهر هنا اسم جنس والمراد الأشهر الثلاثة بإجماع من العرب وشهر مفرد وهو شهر رجب
وأما الهدي فكان أمانا لمن يسوقه لأنه يعلم أنه في عبادة لم يأت لحرب وأما القلائد فكذلك
وكان الرجل إذا خرج يريد الحج تقلد من لحاء السمر أو غيره شيئا فكان ذلك أمانا له وكذلك
إذا انصرف فكانوا يتقلدون من شجر الحرم وقوله ذلك لتعلموا أي جعل الله هذه الأمور قياما لتعلموا وقوله
تعالى بكل شيء عليم عام عموما تاما في الجزئيات ودقائق الموجودات والقول بغير هذا إلحاد في

الذين وكفى وقوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ هذه الاية اعذار للمؤمنين وتهديد بالوعيد
اي فهو لم يبق لكم عذر فما بلغ الرسول اليكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ش قال الشيخ
ابو مدين رضي الله عنه الحق تعالى مطلع على الضمائر والظواهر في كل نفس وحال
فايما قلب رآه مؤثرا له حفظه من الطوارق والمحن ومضلات الفتن وقال رحمه الله ما
عرف الحق من لم يؤثره وما اطاعه من لم يشكره اهـ وقوله تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب
هذه الاية لفظها عام في جميع الامور فيتصور في المكاسب وعدد الناس والمعارف من العلوم
ونحوها فالخبيث من هذا كله لا يفلح ولا ينجب ولا تحسن له عاقبة والطيب وان قل نافع
جميل العاقبة وينظر الى هذه الاية قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه
والذي خبث لا يخرج الا نكدا والخبث هو الفساد الباطن في الاشياء حتى يظن بها الصلاح
وهي بخلاف ذلك وقوله تعالى فاتقوا الله يا اولي الالباب تنبيه على لزوم الطيب في
المعتقد والعمل وخص اولو الالباب بالذكر لانهم المتقدمون في ميز هذه الامور والذين
لا ينبغي لهم اهمالها مع الباطنهم وادراكهم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء
ان تبد لكم تسؤكم هذه الاية اختلفت الروايات في سببها والظاهر من الروايات ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحف عليه بالاسئلة والجهال بانواع من السؤالات معلوم في الروايات
فزجر الله تعالى عن ذلك بهذه الاية والاشياء اسم جمع لشيء قال ابن عباس ومعنى الاية
لا تسألوا عن اشياء في ضمن الاخبار عنها مساءة لكم اما لتكليف شرعي يلزمكم واما لخبر يسوءكم
ولكن اذا انزل القرآن بشيء وابتدأكم ربكم بامر فحينئذ ان سألتم عن تفصيله وبيانه بين
لكم وابدي ويحتمل قوله وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن ان يكون في معنى الوعيد
كانه قال لا تسألوا وان سألتم لقيتم غب ذلك وصعوبته قال النووي وعن ابي ثعلبة
الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها
وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم اشياء فلا تنتهكوها وسكت عن اشياء رحمة لكم
لا عن نسيان فلا تبحثوا عنها رويناه في سنن الدارقطني وغيره وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دعوني ما تركتكم انما اهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم
على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم اهـ
وعفا الله عنها معناه تركها ولم يعرف بها قد سألها قوم من قبلكم الاية قال الطبري
كقوم صالح

كقوم صالح في سؤالهم الناقة وكبني اسرائيل في سؤالهم المائدة اي وكطلب الامم
التعمق في الدين من انبيائهم ثم لم تف بما كلفت وقوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا
سائبة ولا وصيلة ولا حام هذه الاية اي لم يجعل بشرعه شيئا من ذلك ولا سنه لعباده
المعنى ولكن الكفار فعلوا ذلك كعمرو بن لحي وغيره من رؤسائهم يفترون على الله
الكذب بقولهم هذه قربة الى الله تعالى واكثرهم يعني الاتباع لا يعقلون بل يتبعون
هذه الامور تقليدا وجعل هاهنا في هذه الاية لا تكون بمعنى خلق ولا بمعنى صير
وانما هي بمعنى ما سن ولا شرع قال ص ما جعل هنا ع واتى محتجا الى انها بمعنى
شرع قال ابن عطية ولا تكون بمعنى خلق لان الله تعالى خلق هذه الاشياء
كلها ولا بمعنى صير لعدم المفعول الثاني قال ابو حيان ولم يذكر النحويون هذا
المعنى وقد جاء حذف احد مفعولي ظن واخواتها قليلا فيحمل هذه على حذف المفعول
الثاني اي ما صير بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حاما مشروعا وهو اولى من
اثبات معنى لم يثبت فيها وذكر ابو البقاء انها بمعنى سمى اهـ ق وحاصل كلام ابي
حيان انه تبع ع في بعض وعلى تقدير صحته يحمل كلام ابن عطية على انه تفسير
معنى لا تفسير اعراب والبحيرة فعيلة بمعنى مفعولة وهي مشقوقة الاذن فقيل
انها الناقة اذا انتجت عشرة ابطن شقوا اذنها بنصفين طولا فهي مبحورة وتركت ترعى وترد الماء
ولا ينتفع بشيء منها ويحرم لحمها اذا ماتت على النساء ويحل للرجال وذلك كله ضلال
والسائبة هي الناقة تسيب والناقة اذا تابعت اثنتي عشرة اناثا ليس
بينهن ذكر سيبت وكانت السوائب لا تطرد عن حوض ولا تمنع من مرعى بين الابل والفروع
من الشجر واذا اراد الرجل امرا يشكر الله عليه تقرب بان يسيب ناقة فلا ينتفع
منها بلبن ولا ظهر ولا غيره وقيل في ذلك كعبد بن ادم ذكره الطبري وغيره وكانت
العرب تعتقد ان من عرض لها ذلك النوق فاخذها او انتفع منها بشيء فانه تلحقه
عقوبة من الله تعالى والوصيلة قال ابن عباس ان الوصيلة في الغنم قالوا
اذا ولدت الشاة ثلاثة ابطن او خمسة فان كان اخرها جديا ذبحوه لبيت
الالهة وان كان عناقا استحيوها وان كان جديا وعناقا استحيوهما وقالوا
هذه العناق وصلت اخاها فمنعته من ان يذبح وعلى ان الوصيلة في الغنم

جاءت الوالدة حيا كلها أيضا سوى وروي عن ابن المسيب أن الوصيلة من الإبل وأما الحامي
فإنه الفحل من الإبل إذا ضرب في الإبل عشر سنين وقيل إذا ولد من صلبه عشر وقيل إذا ولد من ولد ولده قالوا
حمى ظهره فيسيبونه لأصنامهم ولا يستخرج منه شيء وعبارة البغوي وقيل الحامي الفحل إذا
ركب ولد ولده اهـ ت والذي في البخاري والحامي فحل الإبل يضرب الضراب المعدود وإذا
قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامي
اهـ وقوله تعالى وإذا قيل لهم يعني هؤلاء الكفار المحرمين هذه الأشياء تعالوا إلى
ما أنزل الله يعني القرآن الذي فيه التحريم والتحليل قالوا حسبنا معناه كافينا وقوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا لا يضركم من ضل إذا اهتديتم الآية قال أبو ثعلبة الخشني سألت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال ائتمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فإذا رأيت
دنيا مؤثرة وشحا مطاعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك فإن وراءكم أياما
أجر العامل فيها كأجر خمسين منكم وهذا هو التأويل الذي لا نظر لأحد معه لأنه مستوف
للصلاح صادر عن النبي صلى الله عليه وسلم وجملة ما عليه أهل العلم في هذا أن الأمر بالمعروف
متعين متى رجي القبول أو رجي رد الظالم ولو بعنف ما لم يخف الآمر ضررا يلحقه
في خاصته أو فتنة يدخلها على المسلمين إما بشق عصا وإما بضرر يلحق طائفة من الناس
فإذا خيف هذا فعليكم أنفسكم محكم واجب أن يوقف عنده وقوله تعالى إلى الله مرجعكم
جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون تذكير بالحشر وما بعده وذلك مسل عن أمور الدنيا مكروهها
ومحبوبها روي عن بعض الصالحين أنه قال ما من يوم إلا ويجيء الشيطان ويقول ما
تأكل وما تلبس وأين تسكن فأقول له آكل الموت وألبس الكفن وأسكن القبر قال ع ومن فكر
في مرجعه إلى الله تعالى فهذا حاله ت وخرج البغوي في المسند المنتخب عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال يا أيها الناس إنكم تعملون أعمالا لا تعرف عنكم إلى يوم القيامة ويوشك العازب
أن يتوب إلى أهله فمسرور ومكظوم اهـ من الكوكب الدري والله المستعان وقوله
تعالى يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان الآية إلى
قوله يوم يجمع الله الرسل قال مكي هذه الآيات عند أهل المعاني من أشكل ما في القرآن
إعرابا ومعنى وحكما قال ع وهذا الكلام من لم يقع له الثلج في تفسيرها وذلك بين من كتابه
وبالله نستعين لا نعلم خلافا أن سبب هذه الآية أن تميما الداري وعدي بن بداء وكانا

نصرانيين

نصرانيين سافرا إلى المدينة يريدان الشام لتجارتهما وقدم المدينة أيضا ابن أبي مارية
مولى عمرو بن العاص يريد الشام تاجرا قال الطبري وكان مسلما فحضر سفرهم فمرض ابن أبي مارية
في الطريق فأوصى إلى تميم وعدي أن يؤديا رحله إلى أوليائه من بني سهم وروى ابن عباس
عن تميم الداري قال برئ الناس من هذه الآية غيري وغير عدي بن بداء وذكر القصة
إلى أن قال وكان معه جام فضة يريد به الملك فأخذته أنا وعدي بن بداء فبعناه بألف
وقسمناه ثمنه فلما أسلمت بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة تأثمت من ذلك
فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر وأديت خمسمائة فوثبوا إلى عدي فأتوا به إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحلف عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فنزعت من عدي خمسمائة قال ع
واختلف ألفاظ هذه القصة وما ذكرته هو عمود هذا الأمر ولم تبق قصة فيما علمت
ثابتة الإسناد وقد صنعت في الظاهرية بعض المتأخرين وما وجدته عندي لمن يكن في الشهادة
وأما معنى الآية من أولها إلى آخرها فهو أن الله تعالى أخبر المؤمنين أن حكمه في الشهادة
على الموصي إذا حضره الموت أن تكون شهادة عدلين فإن كان في سفر وهو الضرب
في الأرض ولم يكن معه من المؤمنين أحد فليشهد شاهدين ممن حضره من أهل الكفر فإذا
قدما وأديا الشهادة على وصيته حلفا بعد الصلاة أنهما ما كذبا ولا بدلا وأن ما شهدا به
حق ما كتما فيه شهادة الله وحكم بشهادتهما فإن عثر بعد ذلك على أنهما كذبا أو خانا
ونحو هذا مما هو إثم حلف رجلان من أولياء الموصي في السفر وغرم الشاهدان ما
ظهر عليهما هذا معنى الآية على مذهب أبي موسى الأشعري وابن عباس وسعيد بن
المسيب ويحيى بن يعمر وابن جبير وأبي مجلز وإبراهيم وشريح وعبيدة السلماني وابن سيرين
ومجاهد وغيرهم قالوا ومعنى قوله منكم من المؤمنين ومعنى من غيركم من الكفار قال
بعضهم وذلك أن الآية نزلت ولا مؤمن إلا بالمدينة وكانوا يسافرون في التجارة مع أنواع
الكفرة واختلفت هذه الجماعة المذكورة فمذهب أبي موسى الأشعري وشريح أن الآية
محكمة ومذهب جماعة منهم أنها منسوخة بقوله وأشهدوا ذوي عدل منكم وبما عليه جمهور
الناس من أن شهادة الكافر لا تجوز قال ع ولنرجع الآن إلى الإعراب ولنقصد القول المعين
لما أن الناس خلطوا في تفسير هذه الآية تخليطا شديدا وذكر الطبري والنحاس عليه بطول
وفي تبيين الحق الذي تتلقاه الأذهان بالقبول مقنع والله المستعان وقوله تعالى

شهادة بينكم في الشهادة التي تحفظ لتؤدى ورفعها بالابتداء والخبر في قوله اثنان
وقوله تعالى إذا حضر أحدكم الموت معناه إذا قارب الحضور والعامل في إذا المصدر الذي هو شهادة
وهذا على أن تجعل إذا بمنزلة حين لا تحتاج إلى جواب ولك أن تجعل إذا في هذه الآية المحتاجة
إلى الجواب لكن استغني عن جوابها بما تقدم في قوله شهادة بينكم إذ المعنى إذا حضر أحدكم الموت
فينبغي أن يشهد وقوله تعالى حين الوصية ظرف زمان والعامل فيه حضر وإن شئت
جعلته بدلا من إذا وقوله ذوا عدل صفة لقوله اثنان ومنكم صفة أيضا بعد صفة وقوله
من غيركم صفة لآخران وقوله تحبسونهما صفة لآخران واعترض بين الموصوف والصفة بقوله إن
[illegible] إلى الموت وإفادة ما عنى أي أن العدول إلى آخرين من غير الملة إنما يكون مع ضرب في
السفر وحلول الموت فيه واستغني عن جواب إن لما تقدم من قوله أو آخران من غيركم وقال
جمهور من العلماء الصلاة هنا صلاة العصر وقال ابن عباس إنما هي صلاة الذميين وأما
العصر فلا حرمة لها عندهما والفاء في قوله فيقسمان عاطفة جملة على جملة لأن المعنى تحبسونهما
من بعد الصلاة وقوله إن ارتبتم شرط لا يتوجه تحليف الشاهدين إلا به والضمير
في قوله لا نشتري به عائد على القسم أو على اسم الله قوله لا نشتري جواب يقتضيه
قوله فيقسمان بالله لأن أقسم ونحوه تتلقى بما تتلقى به الأيمان وقوله ثمنا أي ذا ثمن وخص
ذي القربى بالذكر لأن العرف ميل النفس إلى قرابتهم واستسهالهم في جنبه منفعة لهم يستسهل
وقوله ولا نكتم شهادة الله أضاف الشهادة إليه تعالى من حيث هو الآمر بإقامتها
الناهي عن كتمانها وروي عن الشعبي وغيره شهادة بالتنوين الله بقطع الألف دون
مد وخفض الهاء وقال أيضا بقطع على الهاء من شهادة بالسكون ثم يقطع الألف
المكتوبة من غير مد كما تقدم وروي عنه أنه كان يقرأ الله بمد الألف على الاستفهام
في الوجهين أعني سكون الهاء من شهادة وتحريكها منونة منصوبة وروي هذه
التي هي تنوين شهادة ومد الألف على الاستفهام بعض عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
قال أبو الفتح أما تسكين هاء شهادة فمن باب الوقف عليها وقوله فإن عثر استعارة لما
يوقع على علمه بعد خفائه واستحقا إثما معناه استوجباه من الله وكذا [illegible]
ظلما وخيانة وقوله فآخران أي إذا عثر على خيانتهما فالأوليان باليمين وإقامة القضية
آخران من القوم الذين هم ولاة الميت واستحق عليهم حظهم أو نصيبهم أو مالهم أو ما شئت

من

من هذه العبارات وفي الإسناد وغيره استحق مضمومة التاء على ما لم يسم فاعله والأوليان على تثنية
الأولى وروي عن ابن كثير استحق بفتح التاء والحاء وروي حفص عن عاصم وفي قوله استحق
استعارة ما لأنهم ما وجبت لهم الاستحقاق إلا بالغلبة على الحال التي أدى إليها هذا الخائن وعلى
[illegible] أو ما هو في حكمه بظلمه فتشبهوا بالمستحق حقيقة إذ نصوا ونصروا وقوله تعالى الأوليان
هي استحق بعد لا بد في هذه الآية على كل حال وإن أسند إلى التصيب ونحوه وفي آخر الآية وعلى
في رواية أبي بكر استحق بضم التاء على جمع أول ومعناه من القوم الذين استحق عليهم الموصى
إذ غلبوا عليهم ووصفهم بأنهم أولون أي في الرتبة في هذه الآية وذلك في قوله اثنان ذوا
عدل منكم ثم بعده آخر قال أو آخران من غيركم وقوله فيقسمان يعني فيحلف الآخران الذين
يقومان مقام شاهدي الزور وقوله لشهادتنا أي لما أخبرنا نحن به وذكرناه [illegible]
القصة أحق مما ذكراه أولا وحرفاه وما اعتدينا في قولنا هذا وقوله إنا إذا لمن الظالمين
يعني في صحة ذلك استحلالا ولا يستحق الطلب وقوله تعالى ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة
على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم الآية ذلك إشارة إلى جميع ما حد قبل من
حبس الشاهدين من بعد الصلاة لليمين ثم إن عثر على جورهما ردت اليمين وغير ما قال ذلك
أدنى إلى اعتدال هذا الصنف فيما عسى أن ينزل من النوازل لأنهم يخافون الفضيحة ورد
اليمين هذا قول ابن عباس وجمع الضمير في يأتوا ويخافوا إذ المراد صنف ونوع من الناس والمعنى
ذلك الحد كله أقرب إلى أن يأتوا وأقرب إلى أن يخافوا وباقي الآية بين وقوله يوم يجمع
الله الرسل ذهب قوم إلى أن العامل في يوم ما تقدم من قوله سبحانه لا يهدي وذلك ضعيف
ووصف الآية وبلاغتها إنما هو أن يكون هذا الكلام مستأنفا والعامل مقدر إما اذكر
أو تذكر أو احذروا ونحو هذا مما حسن اختصاره لعلم السامع ويوم لا يستقيم ظرف اليوم
إلى يوم القيامة وخص الرسل بالذكر لأنهم قادة الخلق وهم المكلفون وماذا أجبتم معناه
ماذا أجابتكم الأمم وهذا السؤال الذي سأل إنما هو لتقوم الحجة على الأمم واختلف الناس في
معنى قولهم عليهم الصلاة والسلام لا علم لنا فقال الطبري ذهلوا عن الجواب لهول المطلع
وقاله الحسن وعن مجاهد أنه قال يفزعون فيقولون لا علم لنا وضعف بعض الناس هذا المنزع
بقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الأكبر وقال ابن عباس معنى الآية لا علم لنا إلا ما علمتنا أنت أعلم
به منا وقول ابن عباس حسن وهو أصوب هذه المناحي لأنه يتخرج على التسليم لله تعالى

وردّ الأمر لله تعالى إذ هو العالم بجميع ذلك على التفصيل والكمال في أدب التسليم لأمره
والخضوع لعلمه المحيط قال مكي قال ابن عباس المعنى لا علم لنا إلا علما أنت أعلم به منا وهو
اختيار الطبري وقيل لما كان السؤال عاما يقتضي بعمومه سؤالهم عن سرائرهم وعلانيتهم
ردوا الأمر إليه إذ ليس عندهم إلا علم الظاهر قال مكي وهذا القول أحسن الأقوال إلى أن قال ومعنى
مسألة الله الرسل عما أجيبوا إنما هو لتقريع أممهم وتوبيخهم كما قال وإذا الموءودة
سئلت إنما هي للتهديد لقاتلها وقوله تعالى إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك الآية
قال مكي هو في يوم القيامة وظاهر هذه الأقوال أنها في الدنيا بعد العبارة المتقدمة لقوله تعالى أأنت قلت
للناس وقوله تعالى وإذ تخرج الموتى أي من قبورهم وكأنه ... عنده عليه السلام
هو ... أحاطوا به في البيت مع الحواريين ... منهم قبل ذلك إلى أن ظلمة النار إذ
... بمعنى على ... الآية وقوله تعالى وإذ أوحيت إلى الحواريين هو من جملة تعديد
النعم على عيسى عليه السلام والوحي في هذا الموضع إما أن يكون وحي إلهام أو وحي أمر
وبالجملة فهو إلقاء معنى في خفاء أو صلة بما أراده الله في نفوسهم كيف شاء وأرسله في ...
ذلك في عيسى وقول الحواريين واشهد يحتمل أن يكون مخاطبة منهم لله تعالى ويحتمل أن يكون
لعيسى وقوله تعالى إذ قال الحواريون الآية ... الأقوال ... حال قول الحواريين لعيسى
يوم ... أخبار نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ... الحواريين
في المائدة إنما هي مثال جار على ... بينهما ... ونحو ذلك ... عنده
من ... ونحوه وقرأ الجمهور هل يستطيع ربك بالياء ورفع الباء من ربك
والمعنى هل يفعل ربك هذا وهل تقع منه إجابة إليه وليس هذا بشك في قدرة الله
تعالى ... إلى أن قال تسألوا ... وقرأ الكسائي هل تستطيع ربك بالتاء ونصب
الباء من ربك المعنى هل تستطيع سؤال ربك ... قراءة الكسائي وقال
قوم قال الحواريون هذه المقالة في صدر الأمر قبل علمهم بأنه يبرئ الأكمه والأبرص
ويحيي الموتى ويظهر من قوله عليه السلام اتقوا الله إن كنتم مؤمنين إنكار قولهم
وأن تحيروا الإجابة والتعرض لسخط الله ... فلما ... إلى ما ... ولما خاطبهم
عليه السلام بهذه المخاطبة ... عليهم ... العابدة
فقالوا نريد أن نأكل منها ... العالم ... فلو ... أي ... قلوبنا

بالمعاينة

بالمعاينة كأمر ما نزل من السماء بأعيننا ونعلم علم اليقين ونكون من الشاهدين أن قد
صدقتنا فلا تعترضنا الشبه التي تعرض في علم الاستدلال وهذا يؤيد أن مقالتهم
كانت بعض المؤمنين ثم ... أعلى إيمانهم وصبروا وهذا من كرم فقولهم ونكون عليها
من الشاهدين أي من الشاهدين بهذه الآية الناقلين لها إلى غيرنا القائمين بالأمر إلى
هذا الشرع بسببه وروي أن الذي نحا بهم هذا المنحى من الاقتراح هو أن عيسى قال
لهم مرة هل لكم في صيام ثلاثين يوما لله تعالى ثم إن سألتموه حاجة قضاها فلما صاموها
قالوا يا معلم الخير إن حق من عمل عملا أن يطعم فهل يستطيع ربك فأرادوا أن تكون
المائدة عيد ذلك الصوم وقوله تعالى قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من
السماء الآية أي أجابهم عيسى عليه السلام إلى ما سألوا في ... لبس جبة شعر
ورداء شعر وقام يصلي ويبكي ويدعو ... وقوله تعالى ... روي عن ابن عباس
أن المعنى تكون مجتمعا لجميعنا أولنا وآخرنا قال فأكل من المائدة حين وضعت أول الناس
كما أكل آخرهم ... وآية منك أي علامة على صدقي وإجابة الله دعوة عيسى عليه
السلام وقال إني منزلها عليكم ... عليهم ... بعد ذلك ... ومن
يكفر بعد ... الآية ... والجمهور أن العالمين في زمنهم ... الله تعالى
واختلفوا في كيفية ذلك وقال أبو عبد الرحمن السلمي نزلت المائدة خبزا وسمكا
وقال عطية المائدة سمكة فيها طعم كل الطعام وقال ابن عباس في أخوان عليهم ...
السلام خبز وسمك يأكلون منها أين ما نزلوا إذا شاءوا وقال عمار بن ياسر سألوا
سألوا عيسى مائدة يكون عليها طعام لا ينفد فقيل لهم فإنها مقيمة لكم ما لم تخبئوا
أو تخونوا فإن فعلتم عذبتم قال فما مضى يوم حتى خبأوا وخانوا ...
فمسخوا في ذلك ... وقال مجاهد ... العابدة ... لبني ...
اختلفت عليهم ... بكل طعام ... اللحم ... قصص العابدة ... اختلط
لعدم مستند وقوله تعالى وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني
وأمي إلهين من دون الله ذكر ... اختلف المفسرون في وقته وموقع هذا القول
فقال السدي وغيره لما رفع الله عيسى عليه السلام إلى السماء قالت النصارى
ما قالت وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك فسأله الله تعالى ... فقال سبحانك ... وغيره

كما قال

على هذا قوله وان تغفر لهم اي بالتوبة من الكفر لان هذا قاله وهم احياء في الدنيا
وقال ابن عباس وجمهور الناس هذا القول من الله انما هو يوم القيامة يقوله له
على رؤوس الخلائق فيرى الكفار تبريه منهم ويعلمون ان ما كانوا فيه باطل وقال على
هذا التاويل جعل الماضي في موضع المستقبل دلالة على كون الامر وثبوته وقوله
ان تعذبهم وان تغفر لهم فمعناه ان عذبت العالم كلهم فتعذبهم عبادك تصنع بحق الملك ما
تشاء لا اعتراض عليك وان تغفر لهم وسبق ذلك في علمك فلا ظلم لاهل الزلل لا معقب لحكمك
وما في ذلك قولهم فيقول عيسى هذا على جهة التسليم والتفويض مع علمه بانهم كفروا فيتم عليهم
العذاب وهذا القول عندي ارجح ويتقوى بما ياتي بعد وهو قوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم وقوله سبحانك اي تنزيها لك ان يقال هذا او ينطق به ما يكون لي ان اقول ما
ليس لي بحق اي ما ينبغي لبشر محدث ان يتلبس بالالوهية ثم قال ان كنت قلته فقد علمته
فاحاله على علمه فقد احطت بكل شيء علما واحصيت كل شيء عددا فوقف التقرير دون عيسى لتتم الحجة البالغة
وقوله ما في نفسي كنى عن النفس بالذي هو مظنة الكتم والانطواء على المعلومات والمعنى
ان الله تعالى يعلم ما في نفس عيسى ويعلم كل امره مما عسى ان لا يكون في نفسه وقوله ولا اعلم
ما في نفسك معناه ولا اعلم ما عندك من المعلومات وما اختصصت به وذكر النفس هذه المقولة
في اللسان العربي بنقيضه لا يجوز هذا ان يقول من طريق يخفى الى قوله ومكروا ومكر الله
والله يستهزئ بهم فتسمية العقوبة باسم الذنب انما قاد اليه طلب المجانسة الكلامية
اذ هي من فصاحة الكلام وبارع العبارة ثم اقر عيسى عليه السلام لله تعالى بانه تعالى علام
الغيوب اي ولا علم لي وما لي الا ما علمتني وقوله فلما توفيتني اي قبضتني بالرفع والنقلة في
في السماء والرقيب الحافظ المراعي وقوله فانك انت العزيز الحكيم في قدرتك وافعالك والمعنى
ان يكون لك في الناس معذبون تعذبهم عبادك وان يكون مغفور لهم يعني تفضلت وحكمتك تقتضي هذا
كله وقوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم فيه تخصيص هذه العبارة كل مومن بالله
وكل ما كان اتقى فهو ادخل في العبارة وجاءت هذه العبارة منبهة الى عيسى عليه السلام
في حاله وصدقه فحصل له في الموقف شرف عظيم وان كان اللفظ يعمه وسواه ثم ذكر تعالى
ما اعده لهم من جنته ورضوانه جعلنا الله منهم بمنه وسعة جوده لا رب غيره ولا موجود في الدارين
سواه وبلغ ذلك بين جعل الله تعالى ما كتبناه من هذه الاوراق نورا يسعى بين ايدينا بمنه

والحمد لله

والحمد لله كما هو اهله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما الى يوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وسلم

سورة الانعام قيل انها كلها مكية الا ايات يسيرة

قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت سورة الانعام وحولها سبعون الف ملك لهم زجل يجأرون
بالتسبيح وعن جابر بن عبد الله قال لما نزلت سورة الانعام سبح رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الافق رواه الحاكم في المستدرك على
الصحيحين وقال صحيح على شرط مسلم انتهى من السلاح قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السماوات
والارض وجعل الظلمات والنور قال علي بن عبد الرحمن البغدادي في شرح الحمد هاهنا
قال الامام الفخر لفظ الحمد مخ وفيه افضل في حق السعة وكل ذلك يدل على التعظيم والاجلال
وقال الحمد لله راس الشكر قاله سيبويه وذكر ابن العربي في احكامه عن انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما من شيء احب الى الله من الحمد ولم يبلغ الحمد لله على كل حال قال ابن العربي وفي
بعضها انما من نعمة عظيمة الا والحمد لله افضل منها قال ع وجعل هنا بمعنى خلق لا يجوز غيره
ذلك قال قتادة والسدي وجمهور المفسرين الظلمات الليل والنور النهار وقالت فرقة
الظلمات الكفر والنور الايمان قال ع هذا على جهة التشبيه صحيح وعلى ما يعهده علم
اللغة فان عنى جميع كان اخرج لفظة بني في الاية عن ظاهرها الحقيقي الى باطن لغير ضرورة
وهذا هو نحو اللحن الذي ينبغي للغير ان يعه والنور هنا للجنس وقوله تعالى
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون المعنى ان خلقه السماوات والارض وغيرهما الموجب
لحق توحيده فقد ثبت وانعامه بذلك على العباد فريته وكان
الواجب عليهم اخلاص التوحيد ثم بعد هذا كله بهم يعدلون اي يسوون
ويمثلون وعدل الشيء قرينه ومثيله والذين كفروا في هذا الموضع كل من عبد شيئا
سوى الله لا انشاء من حال النبي صلى الله عليه وسلم لا نسان الى عبدة الاوثان
من العرب لمجاورتهم له ولفظة ثم دالة على قبح فعل الكافرين لان المعنى ان خلقه السماوات والارض اي الحق
من جعل النور والظلمات من فعل الكفار وقوله تعالى هو الذي خلقكم من طين المعنى خلق ادم
من طين وقوله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده اختلف في هذين الاجلين فقال الحسن
ابن ابي الحسن وغيره اجلا اجل الانسان من وقت ولادته الى موته والاجل المسمى عنده من وقت

موته الى حشره، ووصفه بمسمى عنده اذ انفرد سبحانه بعلمه رضي الله عنه وقال ابن عباس
اجله الدنيا واجل مسمى الآخرة، وقيل غير هذا وتمترون معناه تشكون وقوله تعالى وهو الله
في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم قاعدة الكلام في هذه الآية ان حلول الله في الاماكن
مستحيل تعالى ان يحويه مكان كما تقدس ان يحده زمان بل كان قبل ان يخلق المكان والزمان
وهو الآن على ما عليه كان واذا تقرر هذا فقالت فرقة من العلماء تاويل ذلك على تقدير صفة
محذوفة من اللفظ ثابتة في المعنى كانه قال وهو الله المعبود في السموات وفي الارض وعبر
بعضهم بان قدر وهو الله المدبر للامور في السموات وفي الارض وقال الزجاج في متعلقة بما تضمنه
اسم الله من المعاني كما يقال امير المومنين الخليفة في المشرق والمغرب قال ع وهذا عندي
افضل الاقوال واكثرها احرازا لفصاحة اللفظ وجزالة المعنى وايضاحه انه اراد ان يدل على
خلقه وايثار قدرته واحاطته واستيلائه ونحو هذه الصفات فجمع هذا كله في قوله
وهو الله الذي له هذه كلها في السموات وفي الارض كانه قال وهو الله الخالق الرازق
المحيي المحيط في السموات وفي الارض كما تقول زيد السلطان في المشرق والمغرب والشام
والعراق فلو قصدت ذات زيد لقلت محالا واذا كان مقصود قولك الآمر الناهي الناقض المبرم
الذي يعزل ويولي في المشرق والمغرب فاقمت السلطان مقام هذه كان فصيحا صحيحا فكذلك في
الآية اقام لفظة الله مقام تلك الصفات المذكورة وقالت فرقة وهو الله ابتداء وخبر تم
الكلام عنده ثم استانف وتعلق قوله في السموات وفي الارض وقوله تعالى يعلم سركم
وجهركم ويعلم ما تكسبون خبر في ضمنه تحذير وزجر وتكسبون لفظ عام لجميع الاعتقادات
والاقوال والافعال وقوله تعالى وما تاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين
تضمنت هذه الآية مذمة هولاء الذين يعدلون بالله سواه بانهم يعرضون عن كل آية
وكذبوا بالحق وهو محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به قال ص من في من آية من آيات ربهم
من الاولى زائدة للاستغراق وما بعدها في موضع الفاعل بقوله تاتيهم ومن الثانية للتبعيض
اه وقوله تعالى فسوف ياتيهم انباؤا ما كانوا به يستهزءون اي هذا وعيد لهم بشر يحل
وهذه العقوبات التي توعدوا بها تعم عقوبات الدنيا كبدر وغيرها وعقوبات الآخرة
وقوله تعالى الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم هذا حض
على العبرة والقرن الامة المقترنة في مدة من الزمن واختلف

في مدة

١٥٥

في مدة القرن كم هي فالاكثر على انها مائة سنة وقيل غير هذا وقيل القرن الزمن نفسه
وهو على حذف مضاف تقديره من اهل قرن قال عياض في الاكمال واختلف في امد القرن
وذكر فيه الحربي الاختلاف من عشر سنين الى مائة سنة وعشرين ثم قال الحربي وليس
منه شيء واضح وارى القرن كل امة هلكت فلم يبق منها احد اه والصحيح في مكثهم عابر القرن
والمدة المذكورة في الحديث المومنين وتحديد المعاصرين لهم من سائر الناس والسماء هنا المطر ومدرارا بناء
تكثير ومعناه يدر عليهم بحسب المنفعة وقوله تعالى وانشانا من بعدهم قرنا آخرين انشانا اي
اخترعنا وخلقنا ونبههم من الآية ان القرن انما هو وقت ذلك الجيل ثم والآية ذاكرة الاعتبار وقوله
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس الآية لما اخبر عنهم سبحانه بانهم كذبوا بكل ما جاءهم من آية اتبع
ذلك اخبارا وفيه مبالغة والمعنى لو نزلنا يا محمد عليك كتابا اي كلاما مكتوبا في قرطاس او
في صحيفة فلمسوه بايديهم يريد انهم بالغوا في ميزه وتقليبه ليرفع كل ارتياب لعاندوا فيه
وتابعوا كفرهم وقالوا هذا سحر مبين وقوله وقالوا لولا انزل عليه ملك اي يصدق محمدا صلى الله
عليه وسلم في نبوته ثم رد الله عليهم بقوله ولو انزلنا ملكا لقضي الامر قال ابن عباس وغيره
في الكلام حذف تقديره ولو انزلنا ملكا فكذبوه لقضي الامر بعذابهم ولم ينظروا واحسبما سلف في كل
امة اقترحت آية وكذبت بعد ان اظهرها الله وقالت فرقة لقضي الامر اي لماتوا من هول رؤية الملك
في صورته ويويد هذا التاويل ما بعده من قوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا فان اهل التاويل
مجمعون ان ذلك انهم لم يكونوا يطيقون رؤية الملك في صورته فاذا فرضناهم لا يطيقون رؤية الملك
فالاولى في قوله لقضي الامر اي لماتوا لهول رؤيته ثم لا ينظرون اي لا يوخرون والمقصود هذا
المعنى الحديث الوارد على المولفين الذين حملوا على الخيل يوم بدر ... ما يكون في حديث البدء صلى الله
عليه وسلم للمشركين بصيحة حسم العادة ... وقوله تعالى ... فقال
اجريناه ... وللبسنا عليهم ما يلبسون اي لجعلناهم
وجعلنا ملتبسا ... الى ان يلبسوا به وذلك لا يحسن قال البخاري وللبسنا عليهم ما يلبسون
لشبهنا وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فلا شك
في الرسل وتعزية لنفسه على محاجة المشركين واخبار يتضمن وعيد ... والمستهزئين ...
وحاق معناه نزل واحاط وهي مخصوصة في الشر ... وقوله تعالى قل سيروا
في الارض حضهم على الاعتبار ... من مضى ممن فعل مثل فعلهم وقوله تعالى قل لمن ما في السموات

والأرض قل لله قال بعض أهل التأويل تقرير الكلام قل لمن ما في السماوات والأرض فإذا تحيروا ولم يجيبوا
قل لله والأصل من التأويل أن الله تعالى أمر نبيه عليه السلام بقطعهم بما هو الحجة والبرهان
القطعي الذي لا مرية فيه ولا عذر لأحد بعده هذا المحتفل الذي بينه وبينهم ثم نبه على إعمال جهده
عليهم فكأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم بأبين الكلام ومن العادلون بربهم لمن ما في السماوات والأرض
ثم سبقهم فقال لله أي لا مرية في هذا عندكم ولا عندي ثم أخبرهم عن الله تعالى كتب على نفسه
الرحمة معناه قضاها وأنفذها وفي هذا المعنى أحاديث صحيحة فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم
جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء
يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه ولمسلم طرق وفي كل رحمة منها
طباق ما بين السماء والأرض فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة وخرج مسلم والبخاري وغيرهما
عنه صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب
غضبي وفي لفظ سبقت غضبي إلى غير ذلك من الأحاديث في هذا الباب قال ع من لم تسعه هذه الرحمات تعم ذا
الله بفضل منه ونقص هذا الإخبار عن الله تعالى بأنه كتب الرحمة تأنيس الكفار ونفي يأسهم من رحمة
الله إذا تابوا واللام في قوله ليجمعنكم لام قسم والكلام مستأنف وهذا أظهر الأقوال وأصحها **قوله** الذين
خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون الذين رفع بالابتداء وخبره فهم لا يؤمنون **وقوله تعالى** وله ما سكن في
الليل والنهار الآية وله عطف على قوله لله وسكن هي من السكنى ونحوه أي ما ثبت وتقرر قاله
السدي وغيره وقالت فرقة هو من السكون وهو ضعيف **وقوله تعالى** قل أغير الله أتخذ وليا فاطر
السماوات والأرض الآية قال الطبري وغيره أمر عليه السلام أن يقول هذه المقالة للكفرة الذين
دعوه إلى عبادة أوثانهم فتجيء الآية على هذا جوابا لكلامهم قال ع وهذا يحتاج إلى سند والوجه
أن يقال إنه لما قرر معهم أن الله تعالى له ملك السماوات والأرض وله ما سكن في الليل والنهار أمر أن يقول
لهم على جهة التوبيخ والتوقيف أغير الله الذي هذه أفعاله أتخذ وليا المعنى أن
هذا الخطاب بمن يعلم والولي لفظ عام للمعبود وغير ذلك ثم أخذ في صفات
الله تعالى فقال فاطر بخفض الراء نعت لله عز وجل قال ع وقرأ الجمهور بالياء وضم
ابن عطية وغيره على الرفع نعت لله وأبو البقاء على الرفع بدل وكذا نصب على المدح بين الفعل
والمفعول منه اشتملت العرب بشهود على نيته نعم العلماء وفي معناه ابتدع
وخلق وأنشأ وهي أفعال اللحن نشق ومنه هذه بئر من فطرها من يسقون

ويطعم

ويطعم ولا يطعم المقصود به رزق ولا يرزق **وقوله تعالى** قل إني أمرت الآية قال ع
المفسرون المعنى أول من أسلم من هذه الأمة وبهذه الشريعة ولعصمته عصمته عليه من أنواع
المعاصي ولكنه هاهنا إنما تنبيه إلى الشرك لا المعاصي عذره واليوم العظيم هو يوم القيامة وفي
ناصح وغيره من يصرف عنه مسند إلى المفعول وهو الضمير العائد إلى من ويحتمل ضمير
العذاب المذكور ولا كنه محذوف **وقوله تعالى** وذلك إشارة إلى صرف العذاب وحصول الرحمة والفوز النجاة
من العذاب **وقوله تعالى** وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو يمسسك معناه يصيبك وينالك
والضر بضم الضاد هو أحوال الجسم وغيرها وبفتحها ضد النفع ومعنى الآية الإخبار أن الأشياء
لو شاء كلها بيد الله إن ضر فلا كاشف لضره غيره وإن أصاب بخير فكذلك الحافظ وعن ابن
عباس قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله
يحفظك احفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت
فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه
الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت
الأقلام وجفت الصحف رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية غير الترمذي زيادة
احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك
وما أصابك لم يكن ليخطئك وفي آخره واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع
العسر يسرا قال النووي هذا حديث عظيم الموقع اه من الحلية وقرأ الجمهور وأوحي إلي
هذا القرآن على بناء الفعل للفاعل ونصب القرآن وبه أوحي حيث يعود على الله **وقوله**
لأنذركم به ومن بلغ معناه على قول الجمهور ولأنذر من بلغه أي لأنذركم وأنذر من بلغه فبلغ
ضمير محذوف لأنه صلة من لطول الكلام وقالت فرقة ومن بلغ الحلم وروي في معنى هذا
التأويل لا أول أحاديث وظاهرها لا ... ضعيفة ... الطبري أنه فروي من
وجعل نفسه ... قوم من اليهود قالوا يا محمد ما نعلم مع الله إلها غيره فقال لهم لا إله
إلا الله وبذلك أمرت فنزلت لذلك والله أعلم وأمر الله سبحانه نبيه عليه السلام أن يعلن
بالتبري من شهادة الكفر والإعلان بتوحيد الله عز وجل والتبري من إشراكهم
قال الفخر ... وينبغي للتالي أن يعرف أنه المقصود بكل خطاب في القرآن
فإن سمع أمرا أو نهيا قدر أنه المأمور والمنهي وكذا إن سمع وعدا أو وعيدا وكذا ما وقع

من القصص ما نقص به الاعتبار قال تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به
فؤادك وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وقال وأوحي إلي هذا
القرآن لأنذركم به ومن بلغ قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله عز وجل
اه وقوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم قال قتادة وغيره يعرفون
محمدا عليه السلام وقوله تعالى الذين خسروا أنفسهم الآية روي أن كل عبد له منزل في الجنة
ومنزل في النار فالمؤمنون ينزلون منازل الكفار في الجنة والكافرون ينزلون منازل أهل الجنة اصل
في النار فهاهنا هي الخسارة البينة والربح للآخرين وجاء ذلك في حديث وقوله ويوم نحشرهم جميعا
ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون المعنى واذكر يوم نحشرهم وقوله ثم لم
تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين الفتنة في كلام العرب لفظة مشتركة تقال
بمعنى حب الشيء والإعجاب به وتقال بمعنى الاختبار ومن قال إن أصل الفتنة الاختبار من فتنة
الذهب في النار ثم يستعار بعد ذلك في غير ذلك وقد أخطأ لأن الاسم لا يحكم بأنه مستعار
حتى يقطع عليه باستعماله حقيقة في الموضع الذي يستعمل إليه كقولك في الوضع ولعل
الشيء يطلع هلالا في الحق وغيره والفتنة لا يستحيل أن تكون حقيقة في كل موضع قيلت
عليه وجاء في الآية معنى التعبير عنه في قوله تعالى ولا يفتنون التحريف فاتضح هذا
قال ع وعن قتادة في الفتنة هنا أي قال معذرتهم وقال الضحاك كلامهم وقيل
غير هذا وهاهنا هو في ضمن ما ذكرناه وقوله تعالى انظر كيف كذبوا على أنفسهم هذا خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم واللفظ لفظ التعجب وقال كذبوا في أمر لم يقع إذ هي حكاية عن يوم القيامة
فلا إشكال في استعمال الماضي فيه موضع المستقبل ويعرف استعمال الماضي مخففا في الفعل
وإنما قاله وهذا صحيح في الذكر وضل عنهم معناه ذهب افتراؤهم في الدنيا وكذبهم على الله
وقوله تعالى ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه الآية أكنة جمع كنان
وهو الغطاء أن يفقهوه أي يفهموه والوقر الثقل وقوله تعالى وإن يروا كل آية لا يؤمنوا
بها الرؤية هنا رؤية العين يريد كالانشقاق القمر ونحوه وقولهم إن هذا إلا أساطير الأولين
إشارة إلى القرآن وإن نافية وأساطير جمع أسطار كأقوال وأقاويل وأسطار جمع سطر وسطر
وقيل أساطير جمع أسطارة وهي الترهات وقيل جمع أسطورة كأعجوبة وأضحوكة وقيل
هو اسم جمع لا واحد له من لفظه كعباديد وشماطيط والمعنى أخبار الأولين وقصصهم وأحاديثهم
التي

التي تسطر وتحكى ولا تحقق كالتواريخ وإنما شبهها الكفار بأحاديث الطباع ومن القصد
بأقوالهم المبطلة وهم ينهون عنه قال قتادة وغيره المعنى ينهون عن القرآن وقال ابن عباس
وغيره ينهون عن النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ينهون غيرهم ويبعدون هم بأنفسهم والنأي البعد
قال ع وإن يهلكون إلا أنفسهم أي ما يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون معناه ما يعلمون علم حس
ونفي الشعور مذمة بالغة إذ البهائم تشعر وتحس فإذا قلت فلان لا يشعر فقد نفيت عنه العلم النفي الكلي
الذي يقتضي أنه لا يعلم ولا المحسوسات وقوله تعالى ولو ترى إذ وقفوا على النار الآية المخاطبة فيه للنبي
صلى الله عليه وسلم وجواب لو محذوف تقديره في آخر الآية لرأيت هولا عظيما ونحوه ووقفوا معناه حبسوا
ويحتمل قوله وقفوا على النار بمعنى دخلوها قال الطبري ويحتمل أن يكون أشرفوا عليها وعاينوها
وقولهم يا ليتنا نرد معناه إلى الدنيا وقوله تعالى بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الآية تتضمن أنهم
كانوا يخفون أمورا في الدنيا فظهرت لهم يوم القيامة أو ظهر وبال ذلك وعاقبته فحذف المضاف وأقيم
المضاف إليه مقامه وقيل إن الكفار كانوا إذا وعظهم النبي صلى الله عليه وسلم خافوا وأخفوا ذلك
الخوف لئلا يشعر بهم أتباعهم فظهر لهم ذلك يوم القيامة ويصح أن يكون مقصد الآية الإخبار عن هول
ما لقوه فعبر عن ذلك بأنهم ظهرت لهم مستوراتهم في الدنيا من معاص وغير ذلك فكيف الظن بما كانوا
يعلنون به من كفر ونحوه وينظر إلى هذا التأويل قوله تعالى في تعظيم شأن يوم القيامة يوم تبلى
السرائر وقوله ولو ردوا لعادوا إخبار عن أمر لا يكون كيف كان يوجد وهذا النوع مما استأثر الله
تعالى بعلمه فإن أعلم بشيء منه علم وإلا لم يتكلم فيه قال الواحدي هذه الآية من أظهر الدلائل
على فساد قول المعتزلة لأن الله سبحانه أخبر عن قوم جرى عليهم قضاؤه أنهم لو ردوا لعادوا
لما سبق لهم من القضاء السابق فيهم اه وقوله وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين هذا على تأويل الجمهور
ابتداء كلام وإخبار عنهم بهذه المقالة وإن نافية ومعنى الآية عنهم التكذيب بالحشر والعودة إلى
الله تعالى وقوله أليس هذا بالحق إشارة بهذا إلى البعث الذي كذبوا به في الدنيا وقولهم بلى وربنا
إيمان ولكنه حين لا ينفع وقوله فذوقوا استعارة بليغة والمعنى باشروا وما تقدم
الآية وبغتة معناه فجأة تقول بغتني الأمر أي فاجأني ومنه قول الشاعر

ولكنهم بانوا ولم أخش بغتة ... وأفظع شيء حين يفجؤك البغت

ونصبها على المصدر في موضع الحال وقولهم يا حسرتنا على ما فرطنا فيها نداء الحسرة على تعظيم الأمر
وتشنيعه وفي ضمنها معناه فهذا وقتك والضمير في قوله فيها عائد على الساعة أي في التقدمة لها قاله

الحسن ويحتمل ان يعود الضمير على الدنيا اذ المعنى يقتضيه ويجيء الضمير فيه امكن [ت] قال
عبد الحق في العاقبة لم يعرف مقدار الحياة الا الموتى لانهم قد كشف لهم الامور وانكشفت
لهم الحقائق وتبين لهم الصغار وعلموا مقدار الاعمال الصالحة ولما استبان لهم ذلك وعلموا
مقدار ما ضيعوا وفيما فرطوا فيه في لهوا ندموا واسفوا وودوا انهم الى الدنيا رجعوا فالذي عمل
صالحا ود ان لو رجع الى الدنيا ليزداد من عمله الصالح ويكثر من فعل الخير والمقصر يود ان لو رجع
ليستدرك ما فرط فيه وقد قال عليه الصلاة والسلام ما من احد يموت الا ندم قالوا وما
ندامته يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم ان لا يكون
نزع ثم ذكر العيني ... وقوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الواو واو الحال
والاوزار جمع وزر بكسر الواو وهو الثقل من الذنوب والوزر هنا تجوز وتشبيه بثقل الاحمال
ومن قال انه من الوزر وهو الجبل الذي يلجأ اليه فهو قول غير بين وقال الطبري وغيره
وهذا على جهة الحقيقة وروي في الحديث ان المؤمن يتلقاه عمله في احسن صورة واطيبها
فيسلم عليه ويقول له طالما ركبتك في الدنيا واجهدتك فاركبني اليوم قال فيحمله فتمثال العمل
وان الكافر يتلقاه عمله في اقبح صورة وانتنها فيشتمه ويقول انا عملك الخبيث طالما ركبتني
في الدنيا بشهواتك فانا اركبك اليوم قال فيحمل تمثال عمله الخبيث واوزاره على ظهره
[ت] وما جاء في الصحيح بمعنى ما ذكره الطبري كتمثيل ما جاء في مانع الزكاة وغير هذا
قال عياض وروى البخاري عن ابي هريرة ... قال اذا كان يوم القيامة بعث
الله مع كل امرئ مؤمن عمله ويبعث مع الكافر عمله فلا يرى المؤمن شيئا يروعه ولا يفزعه
يفزعه ... قال له عمله ابشر بالذي يسرك فانك لست بالذي يراد بهذا
ولا يرى الكافر شيئا يفزعه ... قال له عمله ابشر بالشر والله بالذي يسوءك
فوالله انك لانت الذي يراد بهذا وقوله تعالى وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو
الاية هذا ابتداء خبر عن حال الدنيا والمعنى انها اذا كانت فانية لا طائل لها اشبهت
اللعب واللهو الذي لا طائل له اذا تقضى وهذه الاية تتضمن الرد على قولهم ان هي الا حياتنا
الدنيا وهو المقصود بها قال عبد الحق في العاقبة اعلم رحمك الله ان حب الدنيا هو سبب
طول الامل والاكباب عليها يمنع من الفكرة في الخروج عنها والجهل بغوائلها يحمل على الارادة لها
والازدياد منها لان من احب شيئا احب الكون معه والازدياد منه ومن كان مشغوفا

بالدنيا محبا لها

الدنيا محبا لها فقد خرج عن قلبه خوفها وامال النظر في عواقبها كيف يجب مهلا رفضها او يجب مزايلتها
هذا امر في العادة بين وتاخيره قطاع عنه بل نجد من كان على هذه الصفة اعمى عن
طريق الخير اصم عن داعي الرشد واهل الخير يسمع التنزيل فيجيبه ولا يمكن نقول ام الدنيا ما
يسمع به ولا ما يدعى اليه اعماه حبه واشغاله وحرمته ... فيا ... اين يسمع فرحم الله
عبدا ... ثم قال واعلم ان اهل القبور انما يندمون على ما يتركون ويفرحون بما
يقدمون فما عليه اهل القبور يقتتل اهل الدنيا عليه يقتتلون اهـ وقوله تعالى قد
نعلم الاية تعليل اذ الكلام من الله تعالى تقتضي استمرار الفعل وقد مر في نعم العلم والحال
والاستقبال [ت] ونحو هذا للمهدوي قال ومعنى هذا المطلوع لان المراد لا انقطاع بل هذه
واستمرار ... الزمان تعولهم فلان يعطي ويمنع اهـ وقرأ الجمهور ليحزنك من
احسن وقرأ نافع ليحزنك من حزن الرجل وقرأ الباقون ... وابو عمرو وابن عامر وحمزة لا
يكذبونك بتشديد الذال وفتح الكاف وقرأ ابن عباس وعلي وقرأ نافع في امليه يكذبونك
بضم الياء وقال انهم كانوا يسمونه الامين وقرأ نافع والكسائي بسكون الكاف وتخفيف الذال
وهما قراءتان مشهورتان ... وهما بمعنى واحد فمعنى لا يكذبونك لا يعتقدون كذبك
وانهم يعلمون صدقك ولكنهم يجحدون عنادا او ظلما وهذا تأويل قتادة والسدي وغيرهما
وحكي عن طائفة من الكفار انهم كانوا يقولون انا نعلم ان محمدا صادق ولكنا اذا امنا
به فضلنا ... بيت النبوة فنحن لا نؤمن به ابدا ... وفي هذه المقالة اي
جهل ومن جهل ... واستشهد الطبري بان ابا جهل وجد النبي صلى الله عليه وسلم
حزينا فسأله ... فقال انهم لا يكذبونك بل يعلمون انك صادق ولكن
الظالمين بآيات الله يجحدون وجحد العناد جائز الوقوع بمقتضى النظر وظواهر القرآن
تعطيه ويجحدون حقيقته في كلام العرب الانكار بعد معرفة وهو ضد الاقرار وقوله
تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا الاية قال ابن جريج والضحاك عزى الله نبيه عليه
السلام بهذه الاية ثم قوى رجاءه فيما وعده من النصر بقوله ولا
مبدل لكلمات الله اي لا راد لامره وكلماته السابقة بما يكون فكان المعنى فاصبر
كما صبروا وانتظر ما يأتي وثق بهذا الخبر فانه لا مبدل له وقوله تعالى وان كان كبر عليك
اعراضهم الاية فيها الزام الحجة للنبي صلى الله عليه وسلم وتقسيم الاحوال عليه حتى يتبين

ان لا وجه لهذا الضيق والمعنى ان كنت تعظم تكذيبهم وكبر بهم على نفسك وقلقت والحت ف
فان كنت تقدر على دخول سرب في اعماق الارض او على ارتقاء سلم في السماء فافعل اي وشأنك
تفاده على شيء من هذا او ما ترك من الذل او الضيق واحتمال المشقة ولو شاء الله لجمعهم
على الهدى فلا تكونن من الجاهلين في ان تأسف وتحزن على امر اراده الله وامضاه وروى
الدارقطني في سننه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اصاب احدكم هم او حزن فليقل
سبع مرات الله الله ربي لا اشرك به شيئا اهـ من الكوكب الدري وقاربهم جهالة اى بعلامة
وقال مكي والمهدوي الخطاب بقوله فلا تكونن من الجاهلين للنبي صلى الله عليه وسلم
والمراد امته وهذا ضعيف لا يقتضيه اللفظ ت وما قاله ع فيه عندي نظر لان هذا الشأن
يتناول اخراج اللفظ عن ظاهره لموجب على ان ابا محمد مكيا رحمه الله نقل هذا القول عن
غيره نقلا ولفظه فلا تكونن من الجاهلين اى ممن لا يعلم ان الله لو شاء لجمع على الهدى جميع
خلقه وقيل معنى الخطاب بالامر لمحمد صلى الله عليه وسلم والمعنى فلا تكونوا من الجاهلين اهـ
ومثله في الغير وان كان اصله من الهداية وقوله تعالى انما يستجيب الذين يسمعون هذا من
النمط المتقدم في التسلية اى لا تحفل بمن اعرض فانما يستجيب لك لداعي الايمان الذين يفهمون
الآيات ويتلقون البراهين بالقبول فعبر عن ذلك كله بيسمعون اذ هو طريق العلم
وهذه اللفظة يستعملها الصوفية رضي الله عنهم اذا بلغت الموعظة من احد مبلغا شافيا
قالوا سمع ثم قال الله تعالى والموتى يعني الكفار اذ هم بمنزلة الموتى فعبر عنهم بضد ما عبر عن
المؤمنين وبالصفة التي تشبه حالهم في العمى عن نور الله والصمم عن وعي كلماته قاله مجاهد
والحسن وقتادة ويبعثهم الله تعالى يحتمل معنيين قال الحسن يبعثهم بان يؤمنوا حين يوفقهم وقراءة
الحسن ثم اليه ترجعون بالتاء من فوق فتناسب ذلك وقال مجاهد وقتادة والموتى
يريد الكفار يبعثهم الله اى يحشرهم يوم القيامة ثم اليه اى الى سطوته وعقابه يرجعون
وقوله تعالى وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه لولا تحضيض بمعنى هلا ومعنى الآية
هلا نزل على محمد بيان واضح كالذي يشتهونه او كنز او غير ذلك مما تشتطه العرب المعوقة في
فلهذا امر عليه السلام بان يعلمهم بان الله عز وجل قادر على ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون
انها لو نزلت ولم يؤمنوا لعوجلوا بالعذاب ويحتمل ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله انما جعل
ذلك الآيات بقدر ما فيه صلاح للخلق واستقامة لمقصدي فهم وفطن ذلك وقوله تعالى وما من

دابة

وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم المعنى في هذه الآية التنبيه
على آيات الله الموجودة في انواع مخلوقاته المنصوبة لمن يعتبر وعنى كل ما يدب والطير ويدخل
في هذا جميع الحيوان وهي امم اي جماعات مماثلة للناس في الخلق والرزق والحياة والموت
والحشر ويحتمل ان تريد بالمماثلة في كونها امما لا غير ذلك ان الغائبين في هذه الآية بان
تكون المماثلة في اوصاف غير كونها امما قال الطبري وغيره والمماثلة في انها يتشكل
بالاعمال وتتناسب ويتعلم بعضها من بعض على ما روي في الاحاديث اي فاذا كان هذا
يفعل بالبهائم فانتم احرى اذ انتم مكلفون عقلاء وروى ابو ذر انه انتطحت عنزان
بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتعلمون فيما انتطحتا فقلنا لا قال فان الله يعلم ذلك
وسيقضي بينهما وقال مكي المماثلة في انها تعرف الله وتعبده وقوله بجناحيه تاكيد
وبيان وازالة للاستعارة اذ يستعمل الطيران في هذا المعنى اذ يقال طائر السعد والنحس
وقال تعالى الزمناه طائره في عنقه ويقال طار لفلان طائر كذا اي سهمه في المقتسمات
فقوله تعالى يطير بجناحيه اخراج للطائر عن هذا كله وقوله ما فرطنا في الكتاب من شيء
التفريط التقصير في الشيء مع القدرة على ترك التقصير قال ابو حيان اصل فرط ان يتعدى
بفي ثم ضمن معنى اغفلنا فيتعدى الى مفعول به وهو هنا الكتاب فيكون من شيء في موضع
المفعول به اهـ والكتاب القرآن وهو الذي يقتضيه نظام المعنى في هذه الآية وقيل
اللوح المحفوظ ومن شيء على هذا القول عام في جميع الاشياء وعلى القول بانه القرآن
خاص ويحشرون قالت فرقة من العلماء حشر البهائم بعثها واحتجوا بالاحاديث المضمنة
ان الله تعالى يقتص للجماء من القرناء ومن قال انما هي كناية عن العدل وليست بحقيقة
فهو قول مردود ينحو الى القول بالرموز ونحوها وقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم
في الظلمات الآية كانه قال وما من دابة ولا طائر ولا شيء الا وفيه آية منصوبة
دالة على وحدانية الله تعالى ولكن الذين كذبوا بآياتنا صم بكم لا يتلقون ذلك ولا يقبلونه
وظاهر الآية انه يعم كل مكذب وقال النقاش نزلت في بني عبد الدار وقال ع ثم تشبيه على
سواهم وقوله في الظلمات يريد ظلمة الكفر وفي الظلمات اصول عمارة واقبح واوقع في النفس
قال ابو حيان في الظلمات خبر مبتدأ محذوف اي هم في الظلمات او صفة لبكم اي كائنون في
الظلمات او حال من الضمير المقدر في الخبر اي ضالون في الظلمات اهـ وقوله تعالى قل ارايتكم

قل أرأيتكم أي أخبروني احتجاج على الكفار بما لا بد لكل من شاكّ والمعنى أرأيتكم إذا خفتم
عذاب الله أو خفتم هلاكا أو خفتم الساعة أتدعون أصنامكم وتلجأون إليها في كشف ذلك إن
كنتم صادقين في قولكم إنها آلهة بل إنما تدعون الله الخالق الرازق فيكشف ما خفتموه إن شاء
وتنسون أصنامكم أي تتركونهم فعبّر عن الترك بالنسيان ووجهه أن الذي هو مع الشرك ذهول
وإغفال فكيف يجعل الكفار من هذه حالهم في الشدائد وسائر الأوقات وقوله تعالى ولقد أرسلنا
إلى أمم من قبلك فأخذناهم في الكلام حذف تقديره فكذبوا فأخذناهم أي قابلناهم بالبأساء
والبأساء المصائب في الأموال والضراء في الأبدان هذا قول الأكثر وقيل قد يوضع
كل واحد بدل الآخر والتضرع التذلل والاستكانة ومعنى الآية توعد الكفار وضرب المثل
لهم ولولا تحضيض وهي التي تلي الفعل بمعنى هلا وهذا على جهة المعاتبة لمذنب غائب
وإظهار سوء فعله مع تحسر ما عليه ... أي مع تحسس ما باعتبار حال البشر وقوله تعالى
فلما نسوا ما ذكروا به الآية عبّر عن الترك بالنسيان وفتحنا عليهم أبواب كل شيء أي من
النعم الدنيوية بعد الذي أصابهم من البأساء والضراء ... معناه ... وعجبوا
وظنوا أن ذلك لا يبيد ... قال علي رضي الله عنه وهو استدراج من الله تعالى وقد
روي عن بعض العلماء رحم الله عبدا تدبر هذه الآية حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم
بغتة وروى عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا رأيت الله تعالى يعطي
العباد ما يشاؤون على معاصيهم فإنما ذلك استدراج منه ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به الآية
كلها وأخذناهم في هذا الموضع معناه استأصلناهم بغتة أي فجأة والمبلس الحزين البائس
اليائس من الخير الذي لا يحير جوابا لشدة ما نزل به من سوء الحال وقوله تعالى فقطع
دابر القوم الذين ظلموا الآية الدابر آخر القوم الذي يأتي من خلفهم وهو كناية عن استئصال
شأفتهم ومحو آثارهم كأنهم وردوا العذاب حتى ورد آخرهم الذي دبرهم وحسن الحمد عقب هذه
الآية لجميل الأفعال المتقدمة في أن أرسل سبحانه الرسل وأخذ بالبأساء والضراء
لينقطع ... وأحل بهم ... الطغاة ... قوله أي نفسه وتعليم
على المؤمنين بحسن الحمد عقب هذه الأفعال ... أنه ينبغي أن يحمد على كل فعل وكل مقالة هو المحمود على
كل حال ... وقوله تعالى قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم الآية أخذ
معناه ذهب والضمير في به عائد على المأخوذ ويصدفون معناه يعرضون وينفرون ومنه قول الشاعر

إذا ذكرن حديثا

إذا ذكرن حديثا قلن أحسنه وهن عن كل سوء يتقى صدف وقوله تعالى قل أرأيتكم إن أتاكم
عذاب الله بغتة الآية وعيد وتهديد قال ع والأرأيتم ورأيتكم عند سيبويه تتعدى ...
ولا يلزم تعديها إلى مفعولين وقوله بغتة معناه لم يتقدم عندكم منه علم وجهرة معناه تبدو لكم
مخايله ومبادئه ثم تتوالى حتى تحل قال الحسن بن أبي الحسن بغتة ليلا وجهرة نهارا وقال
مجاهد بغتة فجأة آمنين وجهرة وهم ينظرون قال أبو حيان هل يهلك ... ومعناه
هنا النفي أي ما يهلك ولذلك دخلت إلا على ما بعدها اهـ وقوله تعالى وما نرسل المرسلين
إلا مبشرين أي بالجنة ... فمن آمن ... معنى الجملة أي
أرسلناهم للتبشير والإنذار ... من سلك طريق الشيطان فمن آمن وأصلح أي امتثل
الطاعة ... وقوله تعالى قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول
لكم إني ملك هذه الآية رد على القائلين لولا أنزل عليه آية من ربه والطالبين
أن يكون ملكا أو يكون له جنة أو كنز ونحو هذا والمعنى إنما أنا بشر ونذير وإنما أتبع ما
يوحى إلي وهو القرآن وسائر ما يأتيه من الله تعالى أي وفي ذلك عبر وآيات لمن تأمل
وقوله تعالى قل هل يستوي الأعمى والبصير أي هل يستوي المؤمن المفكر في الآيات مع الكافر
المعرض عن النظر أفلا تتفكرون وجاء الأمر بالتفكر في عبارة العرض والتحضيض وقوله تعالى
وأنذر به أي وأنذر بالقرآن الذين هم مظنة الإيمان وأهل للانتفاع والضمير في به عائد
على ما يوحى وقوله تعالى ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ... من الله تعالى على صفة
الحال يوم الحشر قال الطبري قوله لعلهم يتقون قال ابن عباس معناه وأنذرهم لكي يخافوا
في الدنيا وينتهوا عن الكفر والمعاصي اهـ وقوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي المراد بالذين ضعفة المؤمنين في ذلك الوقت في أمور الدنيا كبلال وصهيب وعمار وخباب
وصبيح وذي الشمالين والمقداد ونحوهم وسبب الآية أن بعض أشراف الكفار قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم نحن لشرفنا وأقدارنا لا يمكننا أن نختلط بهؤلاء فلو طردتهم لاتبعناك
وورد في ذلك حديث عن ابن مسعود ... واختلف في ... يدعون ربهم
... بالغداة والعشي قال الحسن ... المراد به صلاة مكة التي كانت مرتين
في اليوم بكرة وعشيا وقيل قوله بالغداة والعشي عبارة عن استمرار الفعل وأن الزمان معمور
به والمراد على هذا التأويل قيل الصلوات الخمس قاله ابن عباس وغيره وقيل الدعاء

وذكر الله والملائكة على وجهه وقيل القرآن وتعليمه قاله أبو جعفر وقيل العبادة فالمراد
الفرائض وقوله تعالى يريدون وجهه ع قال الغزالي أي في الجواهر النية والعمل فيهما تمام
العبادة والنية أشرف جزء من العبادة لأنها عمل القلب ومعنى النية إرادة وجه الله تعالى
بالعمل قال الثعلبي ولا قضي للذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ومعنى إخلاصها
تصفيتها عن الشوائب ثم قال الغزالي أي والداعي فقط النية وأنه لكل حر فيه المقصود
واجتهدوا أن تستكثروا من النية في جميع أعمالكم حتى تنوي بعمل واحد نيات كثيرة ولو صدقت
رغبتك هديت الطريق وبشراك اه وقوله تعالى ما عليك من حسابهم من شيء قال الحسن والجمهور
أي من حساب أعمالهم والمعنى أنك لم تكلف شيئا غير دعائهم وقوله فتطردهم هو جواب النفي
في قوله ما عليك وقوله فتكون جواب النهي في قوله ولا تطرد وفتنا بعضهم ببعض أي ابتلينا
ليقولوا معناه ليصير بحكم الله المقدر أمرهم إلى أن يقولوا على جهة الاستخفاف والهزء
أهؤلاء من الله عليهم من بيننا … واللام في ليقولوا لام الصيرورة … وقوله تعالى
أليس الله بأعلم بالشاكرين أي بالمستحقين … والله أعلم بمن
يشكر نعمه وقوله تعالى وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم الآية
قال جمهور المفسرين هؤلاء هم الذين نهى الله عن طردهم وشفع ذلك بأن أمر بعد ذلك
أن يسلم النبي صلى الله عليه وسلم ويؤنسهم قال عكرمة … لقيهم وإذا جاءك الذين
يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم سلام
عليكم ونفعل … وإذا أراد أن يقوم … فإن الله تعالى … مع
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية فكان … الذي …
… سلام عليكم … الفقراء … أو واجب عليها
والمعنى أمنة لكم من عذاب الله في الدنيا والآخرة … وهو في معنى
الدعاء قال … وقوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة النفس هاهنا بمعنى الذات
والحقيقة لا بمعنى الجسم والله تعالى ليس كمثله شيء … ع قال ابن العربي في أحكامه
أي في تفسير الأفعال … قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة قال
علماؤنا كتب معناه أوجب … فإن النبي صلى الله عليه وسلم
أن الله تعالى خلق القلم فقال له اكتب فكتب ما يكون إلى يوم القيامة اه وفي …

وابن عامر

وابن عامر أنه بفتح الهمزة في الأولى والثانية وأنه في الأولى بدل من الرحمة وأنه الثانية
خبر ابتداء مضمر تقديره فأمره أنه غفور هذا مذهب سيبويه وقرأ ابن كثير وأبو
عمرو وحمزة والكسائي إنه بكسر الهمزة في الأولى والثانية وقرأ نافع بفتح الأولى
وكسر الثانية والجهالة في هذا الموضع تعم التي تضاد العلم والتي تشبه بها وذلك أن
المتعمد لفعل الشيء الذي قد نهي عنه تسمى معصيته تلك جهالة قال مجاهد من الجهالة
أنه لا يعلم حلالا من حرام ومن جهالته أتى … ع أي تجاهلوا ومن الجهالة التي
تضاد العلم قوله صلى الله عليه وسلم في استعاذته أو أجهل أو يجهل علي ومنه قول
الشاعر ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا قال الفخر قال الحسن
كل من عمل معصية فهو جاهل وقيل المعنى أنه جاهل بمقدار ما فاته من الثواب وما
استحقه من العقاب ع وأيضا فهو جاهل بمقدار من عصاه اه … بقوله
وكذلك نفصل الآيات أي مثل ما تقدم من النهي عن طرد المؤمنين وبيان فساد منزع المعارضين
لذلك وتفصيل الآيات تبيينها وشرحها وإظهارها ع ومما يناسب هذا المحل ذكر
شيء مما ورد في فضل المصافحة وقد أسند أبو عمر في التمهيد عن عبد الرحمن بن …
عن أبيه وعلقمة أنهما قالا من تمام التحية المصافحة وروى مالك في الموطأ عن عطاء
الخراساني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصافحوا يذهب الغل وتهادوا
تحابوا وتذهب الشحناء قال أبو عمر في التمهيد هذا الحديث يتصل من وجوه شتى
حسان كلها ثم أسند أبو عمر من طريق أبي داود … عن البراء قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن
يتفرقا ثم أسند أبو عمر عن البراء بن عازب قال لقيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأخذ بيدي فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت لأحسب أن المصافحة
للعجم فقال نحن أحق بالمصافحة منهم ما من مسلمين يلتقيان فيأخذ أحدهما بيد صاحبه
مودة بينهما ونصيحة إلا ألقيت ذنوبهما بينهما وأسند أبو عمر عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقى المسلمان فتصافحا أنزل
الله عليهما مائة رحمة تسعون منها للذي بدأ بالمصافحة وعشرة للذي صوفح وكان
أحبهما إلى الله أحسنهما بشرا بصاحبه اه وقد ذكرنا طرفا من آداب المصافحة في غير هذا

الموضع فيقع فيه واعمل عليه في شيء فان العلم انما هو للعمل وبالله تعالى التوفيق وخص
سبيل المجرمين لانه الذي اهتم به وما تقدم من الاقوال وهو الذي في هذا الموضع لانه والله اعلم رد
عليهم وابطال مذهبهم ببيان سبيلهم يقتضي سبيل المؤمنين ونافع وابن كثير وابن عامر ان قوله المجرمين مفعول به لا يكون
الا في الضعيف وقوله تعالى قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع
اهواءكم فلا ينبغي امر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام ان يجاهر بالنهي عن معاهم فيه
وتدعون معناه تعبدون ويحتمل ان يريد تدعون في اموركم وذلك من معنى العبادة
واعتقادهم الاصنام والهتهم وقوله تعالى قل اني على بينة من ربي المعنى قل اني على امر بين
وكذبتم به الضمير في به عائد على بين او على الرب وقيل على القرآن وهو جلي وقال
بعض المفسرين الضمير في به عائد على ما والمراد به لا يزال المعنى حسنه على ما قال بعض
المفسرين وقيل المراد به العذاب وهذا يتجه من وجهين احدهما من جهة المعنى وذلك
ان قوله وكذبتم به يقتضي انكم وافعلكم ما تستعجلون به العذاب لانه ليس عندي والاخر
من جهة الاستعجال الذي لم يأت به الا في العذاب وانما لفظه احدهم كلا يدرك فلم يكن
باستعجال وقوله ان الحكم الا لله اي القضاء والانفاذ ويقص الحق اي يجيء به والمعنى
يقص القصص الحق وفي الخبرة والكسائي ويقضي الحق اي ينفذه وقوله تعالى
قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم المعنى لو كان عندي لا انفذته
المعنى حسنه والعذاب على التأويل الاخر لقضي الامر اي لوقع الانفصال وتم التنازع لكونه
المعنى حسنه اولى والعذاب بحسب التأويلين وقيل المعنى اقامة القيامة وقوله والله
اعلم بالظالمين يتضمن الوعيد والتهديد وقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها
الا هو مفاتح جمع مفتح وهذه استعارة عن التوصل الى الغيوب كما يتوصل في الشاهد بالمفتاح
الى المغيب ولو كان جمع مفتاح لقال مفاتيح ويظهر ايضا ان مفاتح جمع مفتح بفتح الميم اي مواقع
تؤتى عن المخبرات ويؤيد هذا قول السدي وغيره مفاتح الغيب خزائن الغيب واما مفتح
بالكسر فهو بمعنى مفتاح قال الزهراوي ومفتح افصح وقال ابن عباس وغيره الاشارة
بمفاتح الغيب هي الى الخمسة التي في اخر لقمان ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم
ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم
خبير لانها وقوله تعالى من ورقة اي من ورق النبات ولا حبة في ظلمات الارض

في بطن الارض

في بطن الارض قال النقاش وحكى بعض الناس عن جعفر بن محمد قولا ان الورقة يراد بها السقط
من اولاد بني ادم والحبة يراد بها الذي ليس بسقط والرطب يراد به الحي واليابس يراد به
الميت وهذا قول جار على طريقة الرموز ولا يصح عن جعفر بن محمد ولا ينبغي ان يلتفت اليه وقوله
الا في كتاب مبين قيل يعني اللوح المحفوظ ووجه الفائدة فيه امتحان ما يكتبه الحفظة
وذلك انه روي ان الحفظة يرفعون ما كتبوه ويعارضونه بهذا الكتاب المحفوظ الذي ليقع
عند ما كتبوه وقيل المراد بقوله الا في كتاب مبين وهو علم الله تعالى المحيط بكل شيء
قال المعنى وهذا هو الاصح ويجوز ان يعلم الله تعالى ما ذكر من الورقة والحبة تنبيها
للمكلفين على امر الحساب قال مكي قال عبد الله بن الحارث ما في الارض شجرة ولا مغرز ابرة
الا عليها ملك موكل يأتي الله بعلمها يبسها اذا يبست ورطوبتها اذا رطبت وقيل المعنى في
كتبها انه لتعظيم الامر ومعناه اعلموا ان هذا الامر الذي ليس فيه ثواب ولا عقاب مكتوب فكيف
ما فيه ثواب او عقاب من الصالحين وقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما
جرحتم بالنهار اي ما كسبتم بالنهار ويحتمل ان يكون في جرحتم هنا من الجرح كان الذنب جرح في
الدين والعرب تقول جرح اللسان كجرح اليد ويبعثكم فيه والضمير في فيه
عائد على النهار قاله مجاهد وغيره ويحتمل ان يعود الضمير على التوفي اي يوقظكم في التوفي
اي في خلاله وتظل عبيده قاله عبد الله بن كثير وليقضى اجل مسمى المراد به اجال بني ادم
ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم اي يعلمكم اعلام توقيف ومحاسبة وفي هذه الاية ايضاح
الايات المنصوبة للذهن وفيها ضرب مثال للبعث من القبور لان هذا ايضا امر فيه بعث على
نحو ما وقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده القاهر ان اخذ صفة فعل اي مظهر القهر
بالصواعق والرياح والعذاب فيصح ان تجعل فوق ظرفية للجهة لان هذه الاشياء
انما تعمل من العلو من فوقهم وان اخذ القاهر صفة ذات بمعنى القدرة والاستيلاء في
فوق لا يجوز ان تكون للجهة وانما هي لعلو القدر والشان على حد ما تقول الياقوت فوق الحرير
ولا جهة فوق الحديد ويرسل عليكم حفظة معناه يبثهم فيكم وحفظة جمع حافظ والمراد بذلك
الملائكة الموكلون بكتب الاعمال وروي انهم الملائكة الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم
يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار وقاله السدي وقتادة وقال بعض
المفسرين حفظة يحفظون الانسان من كل شيء حتى يأتي اجله والاول اظهر وفي اخر

يعني بني ادم

وحرف توقيته وقوله تعالى رسلنا يريد به على ما ذكر ابن عباس وجميع أهل التأويل
ملائكة مقترنين بملك الموت يعاونونه ويأتمرون له ثم ردوا أي رد العباد إلى الله
تعالى مولاهم وقوله الحق نعت لمولاهم ومعناه الذي ليس بباطل ولا مجاز ألا له الحكم
كلام مضمنه التنبيه وهز النفوس وهو أسرع الحاسبين قيل لعلي رضي الله عنه كيف
يحاسب الله العباد في يوم واحد فقال كما يرزقهم في الدنيا في يوم واحد وقوله تعالى قل من
ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية الآية هذا تماد في توبيخ العادلين بالله
الأوثان وتركهم عبادة الرحمن الذي ينجي من المهلكات ويلجأ إليه في الشدائد ودفع المهلكات
وظلمات البر والبحر يراد به شدائدهما فهو لفظ عام يستغرق ما كان من الشدائد بظلمة
حقيقة وما كان بغير ظلمة والعرب تقول عام أسود ويوم مظلم ويوم ذو كواكب يريدون به الشدة
قال قتادة وغيره المعنى من كرب البر والبحر وتدعونه في موضع الحال والتضرع صفة
بادية على الإنسان وخفية معناه الاختفاء وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وخفية بكسر الخاء
وقرأ الأعمش وخيفة من الخوف وقوله تعالى قل الله ينجيكم منها الآية سوق في الحجة إلى
الجواب أي لا محيص عنه ومن يجيب أولا على أي لتنبيههم بالعموم الذي في الظلمات ثم أنتم أي
ثم بعد معرفتكم بهذا وتحققكم له أنتم تشركون وقوله تعالى قل هو القادر على أن
يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم الآية هذا إخبار يتضمن الوعيد والأظهر
من نسق الآيات أن هذا الخطاب للكفار الذين تقدم ذكرهم وهو مذهب الطبري وقال
أبي بن كعب وجماعة هو للمؤمنين وهم المراد وهذا الاختلاف إنما هو بحسب ما يظهر من
أن الآية تتناول معانيها المشركين والمؤمنين وفي البخاري وغيره من حديث جابر وغيره
أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من
فوقكم قال أعوذ بوجهك فلما نزلت أو من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك فلما نزلت أو يلبسكم
شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال هذه أهون أو أيسر واحتج بهذا الحديث من قال إنها
في المؤمنين قال الطبري وغير ممتنع أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم تعوذ لأمته
من هذه الأشياء التي توعد بها الكفار وهون الثالثة لأنها بالمعنى هي التي دعا بها فمنع
حسب حديث الموطأ وغيره ومن فوقكم ومن تحت أرجلكم لفظ عام للمنطبقين على الإنسان
وقال السدي عن أبي مالك من فوقكم الرجم ومن تحت أرجلكم الخسف وقاله سعيد بن جبير

ومجاهد

ومجاهد وقوله تعالى أو يلبسكم شيعا معناه يخلطكم شيعا أي فرقا والبأس القتل وما
أشبهه من المكاره وقوله تعالى انظر كيف نصرف الآيات استفهام وإن كان لفظه لفظ
تعجيب للنبي صلى الله عليه وسلم ومضمنه أن هذه الآيات والدلائل إنما هي لاستجلاب
عرفانهم والفقه الفهم وقوله تعالى وكذب به قومك وهو الحق الضمير في به عائد على
القرآن الذي جاء فيه تصريف الآيات قاله السدي وهذا هو الظاهر ويحتمل أن
يعود الضمير على الوعيد الذي تضمنته الآية ونحا إليه الطبري وقوله قل لست عليكم
بوكيل معناه لست بمدفوع إلى أخذكم بالإيمان والهدى وهذا كان قبل نزول آية
الجهاد والأمر بالقتال ثم نسخ وقوله تعالى لكل نبإ مستقر أي غاية يعرف عندها
صدقه من كذبه وسوف تعلمون تهديد محض ووعيد وقوله تعالى وإذا رأيت الذين يخوضون
في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره هذا خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم والمؤمنون داخلون في الخطاب معه هذا هو الصحيح لأن علة النهي وهي سماع الخوض
في آيات الله تشملهم وإياه وأمر الله النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أن ينافروا الكفار
بالقيام عنهم إذا استهزؤوا وخاضوا ليتأدبوا بذلك ويدعوا الخوض والاستهزاء قال ع ويدل
على دخول المؤمنين مع النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا
سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا
مثلهم والخوض أصله في الماء ثم يستعمل بعد في غمرات الأشياء التي هي مجاهل تشبيها
بغمرات الماء وإما ينسينك الشيطان إما شرط وتلزمها النون الثقيلة في الفعل في الأغلب وقرأ
ابن عباس وابن عامر وحده ينسينك بتشديد السين وفتح النون والمعنى واحد إلا أن
التشديد أكثر مبالغة والذكرى والذكر واحد في المعنى ووصفهم بالظالمين متمكن لأنهم وضعوا
الشيء في غير موضعه واعترض في هذه الآية بمعنى المعاد ففيه حقيقته كما في
والكل وجوهه وبين ذلك الحكم فلا تقعد وقوله تعالى وما على الذين يتقون من حسابهم
من شيء روي أنه لما نزلت فلا تقعد معهم قال المؤمنون إذا كنا لا نقرب المشركين ولا
نسمع أقوالهم فلا يمكننا الطواف ولا قضاء عبادة في الحرم فنزلت لذلك وما على الذين آمنوا
قال ع فالإباحة في هذا هي في القدر الذي يحتاج إليه من التصرف بين المشركين في
عبادة ونحوها وقيل إن هذه الآية الأخيرة نسخت إباحة بوجه وإنما معناها

تنفعوا معهم ولا تغضبوا لهم حتى تسمعوا استهزاءهم وخوضهم وليس يضركم غير القعود
معهم عليكم شيئا من حسابهم وانما هو ذكرى لكم ويحتمل المعنى لهم ولكن ذكرى لهم
لعلهم اذا جانبتموهم يتقون فلا يعودون الى الاستهزاء ويحتمل المعنى ولكن ذكروهم
ذكرى وينبغي للمومن ان يستعمل حكم هذه الاية مع الملحدين واهل الجدال والخوض
فيه وحكى الطبري عن ابي جعفر انه قال لا تجالسوا اهل الخصومات فانهم الذين
يخوضون في ايات الله وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انا زعيم ببيت في ربض
الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا
وببيت في اعلا الجنة لمن حسن خلقه خرجه ابو داوود اهـ من الكوكب الدري وقد ذكرنا
هذا الحديث من غير طريق ابي داوود فانظره ان شئت في هذا وقوله تعالى وذر الذين
اتخذوا دينهم لعبا ولهوا الاية هذا امر بالمتاركة وكان ذلك بحسب قلة المسلمين يومئذ
قال قتادة ثم نسخ ذلك وما جرى مجراه بالقتال وقال مجاهد الاية انما هي للتهديد
والوعيد فهي كقوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا وليس فيها نسخ لانها متضمنة خبرا
وهو التهديد ومعنى غرتهم الحيوة الدنيا اي خدعتهم من الدنيا وزهوها لا اطماع بها تحصيل
فاغتروا واتبعوا اللهو واهملوا الاخرة وطمعهم ذلك فيما لم يتحصل من رحمته واعلم ان اعقل العقلاء
مومن مقبل على اخرته قد جعل الموت نصب عينيه ولم يلتفت الى زخارف الدنيا كما اغتر
الحمقاء بل جعل همه واحدا هم المعاد وما هو صائر اليه وقد روى الترمذي مسندا
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله هم
الدنيا ومن تشعبت به الهموم هموم الدنيا لم يبال الله في اي اوديتها هلك اهـ
من الكوكب الدري وقوله تعالى وذكر به اي بالقرءان وفعل التذكير به عائد على الدين
ان تبسل في موضع المفعول اي لئلا تبسل ومعناه تسلم قاله الحسن وعكرمة وقال
قتادة وعكرمة تحبس وترتهن وقال ابن عباس تفضح وقال ابن زيد تجزى وهذه كلها
متقاربة بالمعنى ومنه قول الشنفرى هنالك لا ارجو حياة تسرني سمير الليالي مبسلا بالجرائر
وقوله تعالى وان تعدل كل عدل الاية وان تعط كل فدية وان عظمت فتجعلها عدلا
لها لا يقبل منها وقال ابو عبيدة وان تعدل هو من العدل الذي هو الفداء والمجود ردة الطبري
بالاجماع على ان توبة الكافر مقبولة قال ع ولا يلزم هذا الرد لان الامر انما هو

يوم القيامة ولا تقبل فيه توبة ولا عمل قال ع واجل من هذا ان يحمل كلام ابي عبيدة
على معنى انه لا يقبل منه عدل لانه لا يقبل الشيء الا بما لابد منه وهو الايمان وابسلوا معناه اسلموا بما
اجترحوا من الكفر والحميم الماء الحار ومنه الحمام والحمة وقوله تعالى قل اندعوا من دون
الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا المعنى قل في احتجاجك بالتوبيخ والتقريع اندعوا من دون الله
والدعاء يعم العبادة وغيرها لان من جعل شيئا موضع دعائه فاياه يعبد وعليه
يتكل وما لا ينفعنا ولا يضرنا فانه يعني الاصنام ونرد على اعقابنا تشبيه بمشي القهقرى
وهي المشية الدنية فاستعمل المثل لما فيه رجوع من خير الى شر وقوله تعالى كالذي
استهوته الشياطين في الارض في الكلام حذف تقديره ردا كالذي واستهوته بمعنى
استدعته هويه واماتته وهو بمعنى انصرف فسياق هذا المثل كانه قال ايصلح
ان نكون بعد الهدى نعبد الاصنام فيكون ذلك منا ارتدادا على العقب فنكون كرجل
على طريق واضح فاستهوته عنه الشياطين فخرج عنه الى دعوتهم فبقي حائرا
وقوله اصحاب يدعونه الى الهدى يريد على الطريق الذي خرج منه فيشبه بالمثال على هذا الاية
المومنون الذين يدعون من ارتد الى الرجوع الى الهدى وهذا تاويل مجاهد وابن عباس
والتنا من لا يتأتى بمعنى الجن وقول من قال ان المراد بالذي في هذه الاية عبد الرحمان
ابن ابي بكر وبالاصحاب ابواه قول ضعيف يرده قول عائشة في الصحيح ما انزل الله فينا شيئا من
القرءان الا براءتي ... في توقفه الغاراد يعني الصاحب وقوله ولا ياتل
اولوا الفضل منكم الاية في شان ابي بكر ومسطح قال ع حدثني ابي رضي الله عنه قال
سمعت الفقيه الامام ابا عبد الله المعروف بالنحوي المجاور بمكة يقول من نازع احدا من
الملحدين فانما ينبغي ان يرد عليه بالقرءان والحديث فيكون كمن يدعو الى الهدى بقوله
ائتنا ومن يناظرهم بالجدل ويحلق عليهم به وكانه بعد من الطريق الواضح الذي يدعو هذا
الزائغ فهو يخاف عليه ان يضل قال ع وهذا انتزاع حسن جدا ولا ياتي بين وقوله
تعالى وهو الذي خلق السموات والارض بالحق اي لم يخلقهما باطلا بغير معنى بل لمعان
مفيدة وحقائق بينة وقوله تعالى ويوم يقول يوم نصب على الضمير وتقدير الكلام واذكر
الخلق والاعادة يوم ويحتمل مع هذا ان يكون معطوفا واذكر الاعادة يوم يقول
الله للاجساد كوني معادة وقوله تعالى يوم ينفخ في الصور الجمهور ان الصور هو القرن

الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم انه ينفخ فيه للصعق ثم للبعث وبالجملة فالاية تبين
وقوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه ءازر اتتخذ اصناما ءالهة اني اراك وقومك في ضلال مبين قال
الطبري يعني بذلك نبيئنا محمدا صلى الله عليه وسلم على الاحتجاج بابراهيم في محاجته قومه اذ كانوا اهل
اصنام وكان قوم النبي صلى الله عليه وسلم اهل اصنام وقوله اصناما ءالهة مفعولان وذكر ان
ءازر ابا ابراهيم كان نجارا محسنا ومهندسا وكان نمرود يتعلق بالهندسة والنجوم فحظي عنده
وازر الله وكان على خطة عمل الاصنام تعمل بامره وتدبيره ويطبع هو في الصنم بختم معلوم
عنده وحينئذ يعبده الملوك فلما نشا ابراهيم ابنه على الصفة التي قالت بعد كان ابوه يكلفه
بيعها فكان ابراهيم ينادي عليها من يشتري ما يضره ولا ينفعه ويستخف بها ويجعلها
في الماء منكوسة ويقول لها اشربي فلما اشتهر امره بذلك واخذ في الدعاء الى الله تعالى
وجل قال لابيه هذه المقالة وابين في هذا الموضع ما يشبه ذلك من الفاظ [illegible] والبعض ومبين
بمعنى ظاهر واضح وقوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض الاية الاية
المتقدمة تقضي بهداية ابراهيم عليه السلام والاشارة بذلك هي الى تلك الهداية
اي وكما هديناه الى الدعاء الى الله تعالى وانكار الكفر اريناه ملكوت السموات والارض
ونري لفظها لفظ استقبال ومعناها المضي وهذه الروية قيل هي رؤية البصر وروي في ذلك
ان الله عز وجل فرج لابراهيم عليه السلام السموات والارض حتى راى ببصره الملكوت
الاعلى والاسفل وهذا هو قول مجاهد قال تفرجت له السموات والارض فراى مكانه في
الجنة وبه قال سعيد بن جبير وسلمان الفارسي وقيل هي رؤية بصر في ظاهر الملكوت وقع
له معها من الاعتبار ورؤية القلب ما لم يقع لاحد من اهل زمانه الذين بعث اليهم قاله ابن عباس
وغيره وقيل هي رؤية قلب راى بها ملكوت السموات والارض بفكرته ونظره وملكوت بناء
مبالغة وهي بمعنى الملك والرحموت تقول العرب ملكوت اليمن ملكه والواو في وليكون متعلقة
بفعل مؤخر تقديره وليكون من الموقنين اريناه والموقن العالم بالشيء علما لا يمكن ان يطرا
له فيه شك وروي عن ابن عباس في تفسير وليكون من الموقنين قال جلى له الامور سرها
وعلانيتها فلم يخف عليه شيء من اعمال الخلائق فلما جعل يلعن اصحاب الذنوب قال
الله انك لا تستطيع هذا فرده لا يرى اعمالهم وقوله تعالى فلما جن عليه الليل راى كوكبا
الاية جن الليل ستر وغطى بظلامه ومذهب ابن عباس واكثر الناس الى هذه القصة

وقعت

١٦٥

وقعت في حال صباه وقبل البلوغ والتكليف ويحتمل ان تكون وقعت له بعد بلوغه وكونه
مكلفا وحكى الطبري هذا عن فرقة وقالت انه استفهم قومه على جهة التوقيف والتوبيخ
اي اهذا ربي وحكي ان النمرود جبار ذلك الزمان راى ما يقتضي ان مولودا يولد في سنة
كذا يعظم امره يكون هلاك الملك على يديه فجعل يتبع الحبالى ويوكل بهن حراسا فمن وضعت انثى تركها
ومن وضعت ذكرا حمل الى الملك فذبحه وان ام ابراهيم حملت وكانت شابة قوية فسترت
حملها فلما قربت ولادتها بعثت ابا ابراهيم الى سفر وتحيلت الى مضيه اليه ثم خرجت هي
الى غار فولدت فيه ابراهيم وتركته في الغار وكانت تتفقده فوجدته يتغذى بان يمص
اصابعه فيخرج له منها عسل وسمن ونحو هذا وحكي بل كان يغذوه ملك وحكي بل كانت
امه تاتيه فترضعه بالليل في الابان اليسير حتى خرج ابراهيم والله اعلم اي ذلك كان فشب ابراهيم اضعاف
ما يشب غيره والملك في خلال ذلك يحس بولادته ويشدد في طلبه فمكث في الغار عشرة
اعوام وقيل خمس عشرة سنة وانه نظر اول ما عقل من الغار فراى الكوكب وجرت قصة
الاية والله اعلم فان قلنا بانه وقعت له القصة في الغار في حال الصبوة وعدم التكليف على ما
ذهب اليه بعض المفسرين ويحتمله اللفظ فهذا ينقسم على وجهين اما ان يجعل قوله هذا ربي
تصميما واعتقادا وهذا باطل لان التصميم على الكفر لم يقع من الانبياء عليهم الصلاة والسلام
واما ان يجعله تعريضا للنظر والاستدلال كانه قال اهذا المنير البهي ربي ان عضد ذلك
الدلائل وان قلنا ان القصة وقعت له في حال كبره وهو مكلف فلا يجوز ان يقول هذا مصمما ولا
معرضا للنظر لانها رتبة جهل او شك وهو عليه الصلاة والسلام منزه معصوم من ذلك كله
فلم يبق الا ان يقوله على جهة التقرير لقومه والتوبيخ لهم واقامة الحجة عليهم في عبادة
الاصنام كانه قال اهذا المنير ربي وهو يريد على زعمكم كما قال الله تعالى اين شركائي اي على
زعمكم ثم عرض ابراهيم عليهم من حركة الكوكب وافوله امارة الحدوث وانه لا يصلح ان يكون
ربا ثم في اخر اعظم منه واحرى كذلك في القمر ثم في الشمس كذلك وكانه يقول فاذا بان في هذه
المنيرات الرفيعة انها لا تصلح للربوبية فاصنامكم التي هي خشب وحجارة احرى ان
يتبين ذلك فيها ويعضد عندي هذا التاويل قوله اني بريء مما تشركون [illegible]
هذا الترتيب يعطي في الشعر قال وذهب [illegible] من العلماء والمفسرين الى ان
ابراهيم انما قال ذلك مستهزئا لقومه ومنبها لهم عليهم قال ع ومثل لهم بهذه الامور لانهم

كانوا اصحاب علم بالنجوم ونظر في الافلاك وهذا الامر كله انما وقع في ليلة واحدة ورءى
الكوكب وهي الزهرة في قول قتادة وقال السدي هو المشتري جانحا الى الغرب و بازغا
اول بزوغ القمر وهو اول الطلوع فسرى الليل اجمع فلما بزغت الشمس زال ضوء القمر قبلها
لانتشار ضوء الصباح وخفي نوره ودنا ايضا من مغربه فسمي ذلك افولا لقربه منه
لا بقول القائل على تجوز في التسمية وهذا الذي تيسر بسبقهم في الدلالة انما يستقيم من
النصف الى ليلة عشرين وليس يتم في ليلة واحدة كما اجمع اهل التفسير الا في هذه
الليالي وبزاد بزغ التجوز في افول القمر وافل في كلام العرب معناه ذهب غاب وقيل معناه
ذهب وهذا خلاف في عبارة فقط والقمر في هذه كانوا راوا اول الطلوع وما في كون هذا
الذي نيف في ليلة من التجوز في افول القمر بان اقوام لو فرضهم مقيمين لكان ذلك بعد بزوغ
الشمس وجميع ما قلناه يعطيه الاعتبار وقوله بازغة معناه بين نشوء وهذا الذي يرجح
قول من قال ان القصة في حال الصبي والقوم الضالون هنا عبدة المخلوقات كالاصنام
وغيرها ولما افلت الشمس لم يبق شيء يمثل لهم فظهرت حجته وقوي بذلك على منابذتهم
والتبري من الشرك وقوله اني بريء مما تشركون يؤيد قول من قال ان القصة في حال
الكبر والتكليف وجهت وجهي اي اقبلت بقصدي وعبادتي وتوحيدي وايماني للذي
فطر السماوات والارض اي اخترعهما وحنيفا اي مستقيما والحنف الميل وكانت ... قال
عن كل جهة الى القوام وقوله تعالى وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله اي اتراجعوني
في الحجة في توحيد الله وقد هداني اي ارشدني الى معرفته وتوحيده ولا اخاف ما
تشركون به الضمير في به يعود على الله تعالى والمعنى ولا اخاف الاصنام التي تشركونها
بالله في الربوبية ويحتمل ان يعود على ما والمعنى ولا اخاف ما تشركون بسببه وقوله الا ان
يشاء ربي شيئا استثناء ليس من الاول وشيئا منصوب بيشاء ولما كانت قوة الكلام
انه لا يخاف ضررا استثنى مشيئة ربه تعالى في ان يريده بضرر وعلما نصب على التمييز وهو
مصدر بمعنى الفاعل كما تقول العرب تصبب زيد عرقا المعنى تصبب عرق زيد وكذلك المعنى
هنا وسع علم ربي كل شيء افلا تتذكرون توقيف وتنبيه واظهار لموضع التقصير منهم
وقوله وكيف اخاف ما اشركتم الاية الى تعلمون هي كلها من قول ابراهيم عليه السلام
لقومه وهي حجته القاطعة لهم والمعنى وكيف اخاف اصنامكم وهي لا تضر ... اذ ...

ولا تخافون

ولا تخافون انكم اشركتم بالله عز وجل وقد اتخذتم كثيرا بعد الربوبية ما لم ينزل به عليكم سلطانا فالسلطان
الحجة ثم استفهم على جهة التقرير واي الفريقين احق بالامن من قال ابو حيان وكيف
استفهام معناه التعجب والانكار وقوله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الاية
قال ابن اسحاق وابن زيد وغيرهما هذا قول من الله عز وجل ابتداء حكم فصل عام لوقت
محاجة ابراهيم وغيره ولكل مؤمن تقدم او تاخر قال ع هذا هو البين الفصيح الذي يرتبط
به معنى الاية ويحسن رصفه وهو خبر من الله عز وجل ويلبسوا معناه يخلطوا والظلم
في هذا الموضع الشرك تظاهرت بذلك الاحاديث الصحيحة وفي قراءة مجاهد ولم يلبسوا
ايمانهم بشرك وهم مهتدون اي راشدون وقوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على
قومه وتلك اشارة الى هذه الحجة المتقدمة وقوله تعالى نرفع درجات من نشاء الدرجات
اصلها في الاجسام ثم تستعمل في المراتب والمنازل المعنوية وقوله تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب
الاية ووهبنا عطف على اتيناها واسحاق ابنه من سارة ويعقوب هو ابن اسحاق وقوله تعالى
ومن ذريته المعنى وهدينا من ذريته والضمير في ذريته قال الزجاج جائز ان يعود على
ابراهيم ويعترض هذا بذكر لوط عليه السلام اذ ليس هو من ذرية ابراهيم بل هو ابن اخيه
وقيل ابن اخته ويتخرج ذلك عندي بان الخال ابا وقيل يعود الضمير على نوح وهذا هو
الجيد وقصة داوود يحتمل ان يكون وهبنا ويحتمل ان يكون هدينا وكذلك نجزي المحسنين وعد من
الله عز وجل لمن احسن في عبادته وفي غيبه الاحسان وفي هذه الاية ان عيسى عليه السلام
من ذرية نوح او ابراهيم بحسب الاختلاف في عود الضمير من ذريته وهو ابن ابنته وبهذا
يستدل في الاحباس على ان ولد البنت من الذرية ويونس هو ابن متى وكلا فضلنا على العالمين
معناه عالمي زمانهم وقوله تعالى ومن اباءهم وذرياتهم المعنى وهدينا من اباءهم وذرياتهم
واخوانهم جماعات فمن للتبعيض والمراد من امن منهم نبيا كان او غير نبي واجتبيناهم اي تخيرناهم
وهديناهم ارشدناهم الى الايمان والفوز برضى الله عز وجل والزلفة كالانبياء ويطلق على جميع
البشر ذريته كانهم ابناء وقوله تعالى ذلك هدى الله الاية ذلك اشارة الى النعمة في قوله
واجتبيناهم واولئك اشارة الى من تقدم ذكره والكتاب يراد به الصحف والتوراة والانجيل
والزبور وقوله تعالى فان يكفر بها هؤلاء اشارة الى كفار قريش والى كل كافر في ذلك العصر
قاله ابن عباس وغيره وقوله فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين يعني مؤمنوا اهل المدينة

قاله ابن عباس وغيره والاية على هذا التأويل وان كان المخصص بها هذين الصنفين فهي
تعم الكفرة والمومنين الى يوم القيامة وقال الحسن وغيره المراد بالقوم من تقدم ذكره من الانبياء
والمومنين وقال ابو رجاء المراد الملائكة ت ويحتمل ان يكون المراد الجميع وقوله تعالى اولئك الذين
هدى الله فبهداهم اقتده الظاهر في الاشارة باولئك الى المذكورين قبل من الانبياء ومن معهم
من المومنين المهتدين ومعنى الاقتداء اتباع الاثار في القول والسمت وانما يصح اقتداؤه صلى الله عليه
وسلم بجميعهم في العقود والايمان والتوحيد الذي ليس بينهم فيه اختلاف واما اعمال الشرائع فمختلفة
وقد قال عز وجل لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا واعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم هو وغيره
مخاطبه بشرع من قبله في العقود والايمان والتوحيد لان شرعه عنا بينا ان الكفار الذين كانوا
قبل النبي صلى الله عليه وسلم كابويه وغيرهم في النار ولا يدخل الله تعالى احدا النار الا بعد ان بين لهم ما
كلفهم وذلك في قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وغير ذلك وقول من كان يرى من المتكلمين
العقل الذي لا يوجب ولا يكلف وانما يوجبه الشرع فالوجه في هذا ان يقال ان ادم عليه السلام
لم يبعثه دعا الى توحيد الله عز وجل دعاء عاما واستمر ذلك على العالم فواجب على كل ادمي ان
يبحث على الشرع الامر بتوحيد الله عز وجل وينظر في الادلة المنصوبة على ذلك بحسب ايجاب
الشرع النظر فيها ويؤمن ولا يعبد غير الله فمن ضاع ولم يجد سبيلا الى العلم بشرع الامر بتوحيد
الله وهو مع ذلك لم يكفر ولا عبد صنما بل تخلى فاولئك اهل الفترة الذين اطلق عليهم اهل
العلم انهم في الجنة وهم بمنزلة الاطفال والمجانين ومن قصر في النظر والبحث وعبد صنما او غيره
وكفر فهذا تارك للواجب عليه مستوجب العقاب بالنار فالنبي صلى الله عليه وسلم قبل
مبعثه ومن كان معه من الناس وقبله مخاطبون على السنة الانبياء قبل بالتوحيد
وغير مخاطبين بفروع شرائعهم اذ هي مختلفة وان لم يرعهم الله فيه قال الفخر واحتج
العلماء بهذه الاية على ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من جميع الانبياء عليهم السلام
وتقريره انا بينا ان خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم ثم انه تعالى لما
ذكر الكل امر محمدا عليه السلام ان يجمع من خصال الطاعة والعبودية ولا خلاف ان الجميع
كل الصفات التي كانت متفرقة فيهم باجمعهم ولما امره الله تعالى بذلك امتنع ان يقال
انه قصر في تحصيلها فثبت انه حصلها ومتى كان الامر كذلك ثبت انه اجتمع فيه من
خصال الخير ما كان فيهم متفرقا باجمعهم ومتى كان الامر كذلك وجب ان يقال انه افضلهم

بكليتهم

بكليتهم والله اعلم اهـ وقرا حمزة والكسائي فبهداهم اقتد بحذف الهاء في الوصل واثباتها
في الوقف وهذا هو القياس لانها يشبهها بالف الوصل في انها تقطع في الابتداء وتسقط في
الوصل وقوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الاية قل لهولاء الكفرة المعاندين لا اسئلكم
على دعائي اياكم بالقران اي الى عبادة الله اجرا ان هو الا موعظة وذكرى ودعاء لجميع
العالمين وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره الاية قال ابن عباس هذه الاية نزلت في بني
اسرائيل قال النقاش وهي اية مدنية وقيل المراد رجل مخصوص منهم يقال له مالك بن
الصيف قاله ابن جبير وقيل فنحاص قاله السدي وقدروا هو من توفية القدر والمنزلة اه
وتعليله بقولهم ما انزل الله يقتضي بانهم جهلوا ولم يعرفوا الله حق معرفته اذ احالوا عليه
بعثة الرسل قال الهروي قال ابن عباس ما قدروا الله اي ما عظموا الله حق تعظيمه وقال
الاخفش ما عرفوه حق معرفته وقال ابو العالية ما وصفوه حق قدرته وعظمته وهذه
المعاني كلها صحيحة اهـ وروي ان مالك بن الصيف كان سمينا فجاء يخاصم النبي صلى الله
عليه وسلم بزعمه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي انزل التوراة على
موسى اتجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فغضب وقال والله ما انزل الله على بشر من شيء فقال الله تعالى
الاية نزلت انكارا عليه بسياق الكفر نعم ولو لم يقل الخصوم لما كان قوله تعالى قل من انزل
الكتاب الذي جاء به موسى نورا ابطالا لقولهم ونقضا عليهم اهـ وقوله تعالى قل من انزل
الكتاب يعني التوراة وفي التيسير جمع في قراطيس اي بطائق واوراق وتوبيخهم بذلك في الاخفاء
هو على اخفائهم امر محمد صلى الله عليه وسلم وجميع ما عليهم فيه حجة وقوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا
انتم ولا اباؤكم يحتمل وجهين احدهما ان يقصد به الامتنان عليهم وعلى ابائهم والوجه الثاني
ان يكون المقصود ذمهم اي وعلمتم انتم واباؤكم ما لم تعلموا فما انتفعتم به لعمى اضلالكم
وضلالكم ثم امره سبحانه بالمبادرة الى موضع الحجة اي قل الله هو الذي انزل الكتاب
على موسى ثم امره سبحانه بترك من كفر واعرض وهذه اية منسوخة بايات القتال
ان تؤولت موادعة ويحتمل انها غير منسوخة ان جعلت تتضمن تهديدا ووعيدا مجردا عن موادعة
وقوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك الاية هذه اشارة الى القران وقوله مصدق الذي
بين يديه يعني التوراة والانجيل لان ما تقدم فهو بين يدي ما تاخر وام القرى مكة ثم انظر
تمامه وتعلى بمرح قوم ومعهم اهـ عنهم انهم يومنون بالاخرة والبعث والنشور ويومنون

بالغداة ويصرفون بالعشي فقد ينوي سبحانه مدحهم بأنهم يحافظون على صلاتهم التي هي
ذاهرة العبادة وإمام الطاعة وإذا انضاف الصلاة إلى ضميرهم ثم تكتب دأبا بالألف وما ذكت في
المصحف بواو لأن الأشتغال إلى ضميرهم وقد جاءت آثار عظيمة في ثواب من حافظ على صلاته وفي فضل
المشي لها ففي سنن أبي داود عن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بشر المشائين في الظلم
إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة وروى أبو داود أيضا بسنده عن سعيد بن المسيب
قال حضر رجلا من الأنصار الموت فقال إني محدثكم حديثا ما أحدثكموه إلا احتسابا سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء ثم خرج إلى الصلاة
لم يرفع قدمه اليمنى إلا كتب الله له حسنة ولم يضع قدمه اليسرى إلا حط الله عز وجل
عنه سيئة فليقرب أو ليبعد فإن أتى المسجد فصلى في جماعة غفر له فإن أتى المسجد وقد
صلوا بعضا وبقي بعض صلى ما أدرك وأتم ما بقي كان كذلك فإن أتى المسجد وقد صلوا فأتم
الصلاة كان كذلك وأخرج أبو داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من توضأ فأحسن وضوءه ثم راح فوجد الناس قد صلوا أعطاه الله عز وجل أجر من صلاها
وحضرها لا ينقص ذلك من أجورهم اهـ وقوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله
كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله هذه الألفاظ
عامة فكل من واقع شيئا مما يدخل تحت هذه الألفاظ فهو داخل في الظلم الذي قد عظمه
الله عز وجل وقال قتادة وغيره المراد بهذه الآية مسيلمة والأسود العنسي وعبد الله بن
أبي سرح وقيل نزلت في النضر بن الحارث وبالجملة فالآية تتناول من تعرض شيئا من
معانيها إلى يوم القيامة كطليحة الأسدي والمختار بن أبي عبيد وسواهما وقوله عز وجل
ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت الآية جواب لو محذوف تقديره لرأيت عجبا أو هولا
ونحو هذا وحذف هذا الجواب أبلغ في نفس السامع والظالمون لفظ عام في أنواع الظلم
الذي هو الكفر والغمرات جمع غمرة وهي المصيبة المذهلة وهي مشبهة بغمرة الماء والملائكة
يريد ملائكة قبض الروح وباسطوا أيديهم كناية عن مدهم إليهم بالمكروه وهذا المكروه
هو كما قال أوائل العذاب وأماراته وقال ابن عباس يضربون وجوههم وأدبارهم
وقوله تعالى أخرجوا أنفسكم حكاية لما تقوله الملائكة والتقدير يقولون أخرجوا أنفسكم
وذلك على جهة الإهانة وإدخال الرعب عليهم ويحتمل أخرجوا أنفسكم من هذه المصائب

والمحن

والمعنى أن كان ما تجمعون حطام الدنيا وفي ذلك توبيخ وتوقيف على سؤالهم بعلمهم القبيح
والآية وبين ذلك قوله هو الصحيح وقد سند أبو عمر في التمهيد عن ابن وضاح قال حدثنا أبو بكر بن
أبي شيبة ثم ذكر بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الملائكة تحضره فإذا كان
الرجل الصالح قالت أخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أخرجي حميدة وأبشري
بروح وريحان ورب غير غضبان قال فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء
فيفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد
الطيب أدخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا تزال يقال لها ذلك حتى
ينتهى بها إلى السماء يعني السابعة وإذا كان الرجل السوء وحضرته الملائكة عند موته
قالت أخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا تزال يقال لها ذلك
حتى تخرج وذكر الحديث اهـ والهون الهوان وقوله تعالى بما كنتم تقولون على الله غير الحق
كناية عن كل نوع من أنواع الكفر ولكنه يظهر منهم الانغماس فيه ذكره وقوله تعالى ولقد جئتمونا
فرادى كما خلقناكم أول مرة الآية هذه حكاية عما يقال لهم بعد قبض أرواحهم واعلم
أنه داخل أن هذه الآية التي بعد ونحوها من الآي وإن كان مساقها في الكفار فللمومن
المومن فيها معتبر ومزدجر وقد قيل إن النعيم في المزاملة وقد روى ابن المبارك في رقائقه
رفعه بسنده عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من أحد يموت إلا
ندم قال وما ندمه يا رسول الله قال إن كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد وإن كان
مسيئا ندم أن لا يكون نزع اهـ وكما خلقناكم أول مرة تشبيه ما أي فرادى لا مال ولا أهل وقيل الخلقة
وخولناكم معناه أعطيناكم ووراء ظهوركم إشارة إلى الدنيا لأنهم
يتركون ذلك موجودا وقوله وما نرى معكم شفعاءكم توقيف على الخطإ في عبادة
الأصنام واعتقادهم أنها تشفع وتقرب إلى الله زلفى قال أبو حيان وما نرى لفظه
لفظ مستقبل وهو حكاية حال اهـ وقرأ نافع والكسائي بينكم بالنصب على الظرف
والتقدير لقد تقطع الاتصال والارتباط بينكم ونحو هذا وهذا وجه واضح وعليه
فسره الناس مجاهد وغيره وفي إحدى المصاحف بينكم بالرفع وفي ابن مسعود وغيره
لقد تقطع ما بينكم وضل معناه تلف وذهب وما كنتم تزعمون يريد دعواهم أنها تشفع
وأنها تشارك الله في الألوهية تعالى الله عن قولهم وقوله تعالى إن الله فالق الحب

والنوى هذا ابتداء تنبيه على العبرة والنظر ونقل المعنى بل فعله لأن المعنى أن الله
تعالى فالق الحب والنوى لا هذه الأصنام قال قتادة وغيره هذه إشارة إلى فعل
الله تعالى في أن يشق جميع الحب عن جميع النبات الذي يكون منه ويشق النوى عن جميع
الأشجار الكائنة منه وقوله يخرج الحي من الميت الآية قال ابن عباس وغيره هذه إشارة
إلى إخراج الإنسان الحي من النطفة الميتة وإخراج النطفة الميتة من الإنسان الحي
وكذلك سائر الحيوان من الطير وغيره وهذا القول أرجح ما قيل هنا وقوله ذلكم الله
ابتداء وخبر مضمنه التنبيه فأنى تؤفكون أي تصرفون وتصدون وفالق الإصباح أي شاقه
ومظهره والفلق الصبح وحسبانا جمع حساب أي يجريان بحساب هذا قول ابن عباس
وغيره وقال مجاهد في صحيح البخاري المراد بحسبان كحسبان الرحى وهو الدولاب والعود
الذي عليه دورانه وقوله الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر الآية ففي
هذه المخاطبة تعم المؤمنين والكافرين فالحجة بها على الكافرين قائمة والعبرة بها للمؤمنين
ممكنة وقوله وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة يريد آدم عليه السلام فمستقر
ومستودع اختلف المتأولون في معنى هذا الاستقرار والاستيداع فقال الجمهور
مستقر في الرحم ومستودع في ظهور الآباء حتى يقضي الله بخروجه قال ابن عون
مشيت إلى منزل إبراهيم النخعي وهو مريض فقالوا قد توفي فأخبرني بعضهم أن عبد
الرحمن بن الأسود سأله عن مستقر ومستودع فقال مستقر في الرحم ومستودع
في الصلب وقال ابن عباس المستقر في الأرض والمستودع عند الرحمن وقال ابن جبير
المستودع في الصلب والمستقر في الآخرة قال الفخر والمنقول عن ابن عباس في أكثر الصلب
الروايات أن المستقر هو الأرحام والمستودع الأصلاب ثم قرأ ونقر في الأرحام ما
نشاء ومما يدل على قوة هذا القول أن النطفة لا تبقى في صلب الأب زمانا طويلا
والجنين في رحم الأم يبقى زمانا طويلا ولما كان المكث في الرحم أكثر مما في الصلب كان
حمل الاستقرار على المكث في الرحم أولى انتهى قال ع والذي يقتضيه النظر أن ابن آدم هو
مستودع في ظهر أبيه وليس بمستقر فيه استقرارا مطلقا لأنه ينتقل لا محالة ثم ينتقل
إلى الرحم ثم ينتقل إلى الدنيا ثم ينتقل إلى القبر ثم ينتقل إلى المحشر ثم ينتقل إلى الجنة
أو النار فيستقر في أحدهما استقرارا مطلقا وليس فيها مستودع لأنه لا نقلة له بعدها

في كل
دخزو

١٦٩

في كل رتبة متوسطة بين هذين الطرفين فبين مستقر بالإضافة إلى ما قبله ومستودع
بالإضافة إلى التي بعده لأن لفظ الوديعة يقتضي فيها نقلة ولا بد وقوله تعالى وهو الذي
أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء الآية السماء في هذا الموضع السحاب وكل ما أظلك
فهو سماء وقوله نبات كل شيء قيل معناه مما ينبت وقال الطبري المراد بكل شيء هو كل ما
ينمو من جميع الحيوان والنبات والمعادن وغير ذلك لأن ذلك كله يتغذى وينمو بنزول
الماء من السماء والضمير في منه يعود على النبات وفي الثاني يعود على الخضر وخضرا بمعنى
أخضر ومنه قوله عليه السلام الدنيا خضرة حلوة بمعنى خضراء وكأن خضر إنما يأتي
أبدا بمعنى النضارة وليس للون فيه مدخل وأخضر إنما هو مختص باللون وهو في النضارة مجاز وحبا
متراكبا يعم جميع السنابل وكل ما يتشكل كالصنوبر والرمان وغير ذلك قوله ومن النخل
تقديره ويخرج من النخل والطلع أول ما يخرج من النخل بأكمامه وقنوان جمع قنو وهو العذق
بكسر العين وهي الكبائس والعرجون عوده الذي فيه يتشكل الثمر ودانية معناه قريبة
من المتناول قاله ابن عباس وغيره وقرأ الجمهور وجنات بالنصب عطفا على قوله نباتا
وروي عن عاصم وجنات بالرفع على تقدير ولهم جنات أو نحو هذا والزيتون والرمان بالنصب
إجماعا عطفا على قوله حبا ومشتبها وغير متشابه قال قتادة معناه يتشابه في الورق
ويتباين في الثمر وقال الطبري جائز أن يتشابه في الثمر ويتباين في الطعم ويحتمل أن يريد
يتشابه في الطعم ويتباين في المنظر وهذه الأحوال موجودة في الاعتبار في أنواع الثمرات
وقوله انظروا إلى ثمره الآية هو نص تنبيه عليه وفيه قدرة والثمر في اللغة جنى الشجر وما يطلع
وإن سمي الشجر ثمارا فبتجوز وقرأ الجمهور الثمر بفتح الثاء والميم وينعه وهو مصدر ينع
يينع إذا نضج وبالضم قرأ ابن عباس وقرأ ابن محيصن ويانعه وإذا ظهر أقال الفخر
وقدم سبحانه الزرع لأنه غذاء والثمار فواكه وإنما قدم الغذاء على الفواكه لأن الثمر يحتاج
الغذاء بالنسبة إلى الحي انتهى وقوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن جعلوا بمعنى صيروا و
الجن مفعول وشركاء مفعول ثان قال ص وجعلوا لله شركاء الجن جعلوا بمعنى صيروا
والجمهور على نصب الجن وقال ابن عطية وغيره هو مفعول أول بجعلوا وشركاء الثاني
وجوزوا فيه أن يكون بدلا من شركاء ولله في موضع المفعول الثاني وشركاء الأول
ورده أبو حيان بأن البدل لا يصح أن يحل محل المبدل منه إذ لو قلت وجعلوا لله الجن لم يصح

بغير علم ونفى له البدل ان يكون على نسبة فهم ارادوا العامل على دلالة بنين اومجهول الحامل في العبرانية
على قول وهذا الاية كما ذكرنا وفيه ذكر الهلال وما قاله ابو حيان غيري كلاهم وفي ذكر
الصغار فيس ذكر وهذه الاية منقسمة الى العادلين بالله والقائلين ان الجن تعلم الغيب
العابدين للجن وكافة لمواليهم من العرب تجعل الالهة وتستعين بجن الوادي في اسفارهم ونحوه
هذا واما الذين خرقوا البنين فاليهود في ذكر عزير والنصارى في ذكر المسيح واما الحي والبنات
فالعرب الذين قالوا الملائكة بنات الله تعالى الله عن قولهم وكان الجميع الضمير في جعلوا وخرقوا الجميع
الكفار فعل بعضهم هذا وبعضهم هذا بنحو هذا فسر السدي وابن زيد وفي الجمهور وخلقهم
جعله الاول على معنى وهو خلقهم وفي مصحف ابن مسعود وهو خلقهم والضمير في خلقهم يحتمل العودة
على الجاعلين ويحتمل على المجعولين وفي الشجرة سوى نابع فوانخ فيها الراي يعني اختلفوا
وافتروا وفي نافع وخرقوا بتشديد الراء اي على المبالغة وقوله تعالى بديع على نفي على
فيه نفي الجهالة وافترائهم الباطل على عيسى وبالرفع معناه ننزه عن وصفهم الباسر المستحيل
عليه تبارك وتعالى وبديع يعني مبدع وانى بمعنى كيف وابن جني استعمل في معنى التوقيف
والتعجب وهذه الاية رد على الكفار بقياس الغائب على الشاهد وقوله وخلق كل شيء
لفظ عام لكل ما يجوز ان يدخل تحته ولا يجوز ان تدخل تحته صفات الله تعالى وكلامه فليس
هو عموما مخصصا على ما ذهب اليه قوم لان العموم المخصص هو ان يتناول العموم شيئا ثم يخرج
التخصيص وهذا لم يتناول قط هذه التي ذكرنا وانما هذه الصفة قول الانسان قتلت كل
فارس وافحمت كل خصم فلم يدخل القائل قط في هذا العموم الظاهر من لفظه واما قوله وهو
بكل شيء عليم فهو عموم على الاطلاق لانه سبحانه يعلم كل شيء لا رب غيره وقوله
لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار لا بحجة اجمع اهل السنة على ان الله تعالى يرى يوم القيامة يراه المومنون
والوجه ان يبين جوازه اولا عقلا ثم يستند الى ورود الشرع بوقوع ذلك الجائز واختصار تبيين
ذلك ان يعتبر بعلمنا بالله عز وجل فمن حيث جاز ان نعلمه لا في مكان ولا متحيزا ولا مقابلا ولم
يتعلق علمنا باكثر من الوجود جاز ان نراه غير مقابل ولا محاذيا ولا مكيفا ولا محدودا وكان
الامام ابو عبد الله النحوي يقول مسالة العلم حلقة لحوا المعتزلة ثم ورود الشرع بذلك كقوله
عز وجل وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وتعديته النظر بالى انما هو في كلام العرب
لمعنى الروية لا لمعنى الانتظار على ما ذهب اليه المعتزلة ومنه قول النبي صلى الله عليه
وسلم

دسلم فيما صح عنه وتواتر وكثر نقله انكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر ونحوه
من الاحاديث الصحيحة على اختلاف الفاظه واستحال المعتزلة الروية بارائهم المردودة وتمسكوا
بقوله تعالى لا تدركه الابصار وانفصل اهل السنة عن تمسكهم بان الاية مخصوصة في الدنيا
وروية الاخرة ثابتة باخبارها وايضا فان نفي الادراك لا يقتضي نفي الروية ونقول
انه عز وجل يرى ولا تدركه الابصار ولا تدركه ذاته لا بصر ولا احاطة بالشيء والوصول
الى اعماقه وحوزه من جميع جهاته وذلك كله محال في اوصاف الله عز وجل والروية لا تفتقر
الى ان يحيط الرائي بالمرئي ويبلغ غايته وعلى هذا التاويل يبنى ان العكس في قوله تعالى
وهو يدرك الابصار ويحسن معناه ونحو هذا روي عن ابن عباس وقتادة وعطية العوفي
في فوايد الروية والادراك واللطيف المتلطف في خلقه واختراعه والعطاء جمع بصيرة
وكانه قال قد جاءكم في القران والايات طرق ابصار الحق والبصيرة للقلب مستعارة
من ابصار العين والبصيرة ايضا هي المعتقد وقوله تعالى فمن ابصر ومن عمي مستعارة فيهم
الهدى ومن ضل وقوله وما انا عليكم بحفيظ كان في اول الامر وقبل ظهور الاسلام ثم بعد ذلك
كان صلى الله عليه وسلم حفيظا على العالم واخذا لهم بالاسلام او السيف وقوله وكذلك نصرف
الايات اي نرددها ونوضحها وفي الجمهور وليقولوا درست بكسر اللام على انها لام كي وهي
على هذا لام الصيرورة اي لما صار امرهم الى ذلك وقرا نافع وغيره درست اي يا محمد درست
في الكتب القديمة ما تجيئنا به وقرا ابن كثير وغيره دارست اي دارست غيرك وقال اهل درست
وفي ابن عامر درست بتشديد الفعل ولكنه يبني للفاعل اي انشات وابليت وعفت عليها
اسيار عهدها حتى بليت تقوسيهم واللام في قوله ليقولوا وفي قوله ولنبينه متعلقان بفعل
متاخر تقديره صرفناها وذهب بعض الكوفيين الى ان لا مضمرة بعد ان المقدرة في قوله
وليقولوا فتقدير الكلام عندهم لان لا يقولوا درست كما اضمر وها في قوله يبين الله لكم
ان تضلوا قال ع وهذا قلق ولا يجيز البصريون اضمار لا في موضع من المواضع ولا كفه
حسرا من جهة المعنى اذ لا يعطى ان لا درست ودرست ابدا صلى الله عليه وسلم فيما لا
وقوله تعالى اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو لا اية هذه الاية فيها موادعة
وهي منسوخة وقوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فالاية مخاطبة للمومنين
والنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس وسببها ان كفار قريش قالوا لابي طالب اما ان

يعني في قوله لصاحبه عن سب آلهتنا والغض منها وأما أن نسب إلهك ونهجوه فنزلت الآية وحكمها
على كل حال باق في الأمة فلا يحل لمسلم أن يتعرض إلى ما يؤدي إلى سب الإسلام أو النبي صلى
الله عليه وسلم أو الله تعالى عز وجل وعبر عن الأصنام بالذين وهي لا تعقل وذلك على معتقد الكفرة
فيها وفي هذه الآية ضرب من الموادعة وعدوا مصدر من اعتدى وبغير علم بيان لمعنى
الاعتداء وقوله تعالى كذلك زينا لكل أمة عملهم إشارة إلى ما زين لهؤلاء من التمسك
بأصنامهم وتزيين الله عمل الأمم هو ما يخلقه ويخترعه في النفوس من المحبة للخير والشر وتزيين
الشيطان هو ما يقذفه في النفوس من الوسوسة وخطرات السوء وقوله ثم إلى ربهم مرجعهم
الآية تتضمن وعدا جميلا للمحسنين ووعيدا ثقيلا للمسيئين وقوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم
لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها اللام في قوله لئن موطئة للقسم وأما المتلقية للقسم فهي ليؤمنن
بها [illegible] ويحكى أن الكفار لما نزلت إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت
أعناقهم لها خاضعين أقسموا حينئذ أنها إن نزلت آمنوا فنزلت هذه الآية ويحكى أنهم اقترحوا
أن يعود الصفا ذهبا وأقسموا على ذلك فقام النبي صلى الله عليه وسلم يدعو في ذلك فجاءه
جبريل فقال إن شئت أصبح ذهبا فإن لم يؤمنوا هلكوا عن آخرهم معاجلة كما فعل بالأمم
الماضية وإن شئت أخرتهم حتى يتوب تائبهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل حتى يتوب
تائبهم ونزلت الآية وقال ابن العربي وقوله جهد أيمانهم يعني غاية أيمانهم التي بلغها علمهم
وانتهت إليها قدرتهم من الأحكام ثم قال تعالى قل لهم يا محمد على جهة الرد والتخطئة إنما الآيات
عند الله وليست عندي فتقترح علي ثم قال وما يشعركم قال مجاهد وابن زيد المخاطب بهذا
الكفار وقال الفراء وغيره المخاطب به المؤمنون وما يشعركم معناه وما يعلمكم وما يدريكم
وفي آخر الكلام [illegible] على القطع واستئناف الإخبار عنهم أنهم لا يؤمنون إن جاءت
وهي قراءة ابن عامر وحمزة فيستغرق المخاطبة أولا للمؤمنين أو للكفار ومن فتح الألف وهي
قراءة نافع وغيره فيحتمل أن يخاطب أولا المؤمنين ويحتمل أن يخاطب بقوله وما
يشعركم الكفار ثم يستأنف الإخبار عنهم للمؤمنين وفي قراءة نافع وغيره أنها بمعنى لعلها
فيصير [illegible] في قوله لا يؤمنون كما [illegible] في قوله تعالى وحرام على قرية أهلكناها
أنهم لا يرجعون [illegible] زائدة
للكفار [illegible] وضعفه الزجاج وغيره زائدة ومنهم من جعل أن بمعنى لعل

وحكاه سيبويه

وحكاه سيبويه عن الخليل وهذه الأقوال [illegible] ولا يحتاج معه إلى تقدير زائدة وحكى الكسائي
أن في بعض المصاحف [illegible] ورجح أبو علي أن تكون لا زائدة وبسط
شواهده في ذلك وقوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم
يعمهون المعنى على ما قاله مجاهد وغيره ونقلب أفئدتهم وأبصارهم في النار وفي لهيبها [illegible]
الآخرة لما لم يؤمنوا في الدنيا ثم استأنف على هذا ونذرهم في الدنيا في طغيانهم يعمهون وقالت فرقة
إنما المراد بالتقليب التحويل عن الحق والهدى والترك في الضلالة والكفر ومعنى الآية
أن هؤلاء الذين أقسموا أنهم يؤمنون إن جاءتهم آية نحن نقلب أفئدتهم وأبصارهم
أن لو جاءتهم فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا أول مرة بما دعوا إليه من عبادة الله عز وجل
فأخبر الله تعالى على هذا التأويل بصورة فعله معهم وقالت فرقة قوله كما في
هذه الآية إنما هي بمعنى المجازاة أي لما لم يؤمنوا أول مرة نجازيهم بأن نقلب أفئدتهم
عن الهدى ونطبع على قلوبهم فكأنه قال ونحن نقلب أفئدتهم وأبصارهم جزاء لما لم يؤمنوا
أول مرة بما دعوا إليه من الشرع والضمير في به يحتمل أن يعود على الله عز وجل أو على
القرآن أو على النبي صلى الله عليه وسلم ونذرهم معناه نتركهم والطغيان التخبط
في الشر والإفراط فيما يتناوله المرء ويعمهون معناه يترددون في حيرتهم وقوله تعالى
ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى الآية المعنى سبحانه وتعالى أنه لو أنزل
ما اقترحوه من إنزال الملائكة وإحياء سلفهم حسبما اقترحه بعضهم أن يحشر
قصي وغيره فيخبر بصدق محمد صلى الله عليه وسلم أو يحشر عليهم كل شيء قبلا ما آمنوا
إلا بالمشيئة واللطف الذي يخلقه ويخترعه سبحانه في نفس من يشاء لا رب غيره
وفي قراءة نافع وغيره قبلا معناه مواجهة ومعاينة قاله ابن عباس وغيره ونصبه
على الحال وقال المبرد معناه ناحية كما تقول لي قبل فلان دين فالع فنصبه على
هذا هو على الظرف وفي قراءة حمزة وغيره قبلا بضم القاف والباء واختلف في معناه
فقال بعضهم هو بمعنى قبلا بكسر القاف أي مواجهة كما تقول قبل ودبر وقال الزجاج
والفراء هو جمع قبيل وهو الكفيل أي وحشرنا عليهم كل شيء كفلاء بصدق محمد صلى الله
عليه وسلم وقال مجاهد وغيره هو جمع قبيل أي صنفا صنفا ونوعا نوعا والنصب في هذا
كله على الحال وقوله ولكن أكثرهم يجهلون أي يجهلون في اعتقادهم أن الآية تقتضي إيمانهم

ولكن ينقطع اللجاج أي لا قول لأحد فكان فيهم من يعتقد أن الآية لو جاءته لم يؤمن إلا أن يشاء
الله منهم ذلك ه وقال مكي ولكن أكثرهم يجهلون أي في هذا الفعل وهم يعلمون أنه نبي صـ
ـادق فيما جاءهم به وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يراعي أبا سفيان بعد الفتح
في بدر ويطعن أبا سفيان فإذا أخذته فتنة قال في علي بحضرته نحو الله لو أسلمت العجم لهذا الأمر
ما اختلف عليه فيه اثنان فقال له صلى الله عليه وسلم أسألك بالله الذي أسلمت له أم قلت له
أبايعك على أي شيء كان فقال له أبو سفيان نظن أني كنت أقاتلك ذكرتها فيه لك والله ما شككت
في صدقك فيها وما كنت أقاتلك إلا حسدا فيك لك فالحمد لله الذي نزع ذلك من قلبي فكان النبي صلى
الله عليه وسلم يتعجب ذلك منه ويتبسم ه من الصراعة وقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا شياطين الإنس والجن الآية تقتضي تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وضرب المعذرة عليه
أي هذا الذي امتحنت به من الأعداء قد امتحن به غيرك من الأنبياء ليبتلي الله أولي
العزم منهم وشياطين الإنس والجن ... من المؤمنين ويوحي معناه يلقي في اختفاء
هو كالمناجاة والسر وزخرف القول تحسينه وتزيينه بالباطل قال عكرمة ومجاهد
والزخرف أكثر ما يستعمل في الشيء الباطل وغرورا مصدر معناه يغرون به المضلين
والضمير في فعلوه عائد على اعتقادهم العداوة ويحتمل على الوحي الذي تضمنه يوحي وقوله
تعالى فذرهم وما يفترون لفظه يقتضي الأمر بالموادعة وهو منسوخ قال قتادة كل ذر في
كتاب الله منسوخ بالقتال قوله تعالى ولتصغى معناه لتميل قال الفخر والضمير في إليه
ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة يعود على زخرف القول وكذلك في قوله وليرضوه
وليقترفوا معناه ليكتسبوا قال الزجاج وليقترفوا أي ليختلقوا ويكذبوا والأول أصح
والمعنى أي على كسر اللام في الثلاثة لام كي وعلى أنها لام كي معطوفة على غرورا وحكم الأول
من حاكم أي في صيغة الحكم من الحكام والحاكم جار على الفعل وقد يقال الحاكم ومفصلا
معناه مزال الإشكال والكتاب أولا هو القرآن وثانيا أنه جنس للتوراة والإنجيل والذين
والضمير وقوله فلا تكونن من الممترين تثبيت ومبالغة وطعن على الممترين وقد تقدم التنبيه
على أنه صلى الله عليه وسلم معصوم من الخطأ والمراد غيره ممن يمكن منه الشك وقوله
تعالى وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا الآية تمت في هذا الموضع بمعنى استمرت وصحت ولا
صدقا وعدلا أولا بتمام من نقص ومثله ما وقع في كتب السيرة من قولهم وتم حرب في إسلامه

في الحرب

في الحرب مع أبي جهل والكلمات ما أتى إلى عباده ولا مبدل لكلماته معناه في معانيها وقوله تعالى وإن تطع
أكثر من في الأرض المعنى بأنهم لما أمرتهم به ولا أبلغ ما أرسلت به فإنهم إن تطع أكثر من في
الأرض يضلوك قال ابن عباس الأرض هنا الدنيا وحكي أن سبب هذه الآية أن المشركين جادلوا
النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الذبائح وقالوا تأكل ما تقتل وتترك ما قتل الله فنزلت الآية ثم وصفهم
تعالى بأنهم إنما يتبعون الظنون ويخرصون تخرصهم والخرص الحزر وهذه الآية في
ضمنه وعيد للكافرين ووعد للمهتدين وقوله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه الآية سببها
المؤكدة الفصل بهذه الآية النهي عما ذبح للأنصاب وغيرها وعن الميتة وأنواعها ولا يقع في الآية
إلا ما ليس للمؤمن فيه التسمية أو تعمد تركها بالنسيان وقوله تعالى وما لكم ألا تأكلوا الآية ما استفهام
يقتضي التقرير وقد فصل لكم ما حرم عليكم أي فصل الحلال من الحرام وأزيل عنكم الالتباس وما في قوله إلا
ما اضطررتم إليه يراد من جميع ما حرم كالميتة وغيرها وهي في موضع نصب بالاستثناء
والاستثناء منقطع وقوله تعالى وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ... توعدهم سبحانه بقوله
إن ربك هو أعلم بالمعتدين وقوله تعالى وذروا ظاهر الإثم وباطنه لفظ عام في الظاهر والباطن
يشتمل جميع المعاصي وقال قوم الظاهر الأعمال والباطن المعتقد وهذا أيضا حسن لأنه عام
وروى ابن المبارك في رقائقه بسنده حديث أبي أمامة قال سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم
ما الإثم فقال ما حاك في صدرك فدعه وروى ابن المبارك أيضا بسنده أن رجلا قال يا رسول الله
ما يحل لي مما يحرم علي فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فردد عليه ثلاث مرات كل ذلك
يسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أين السائل فقال أنا ذا يا رسول الله فقال ما أنكر قلبك
فدعه وقد ذكرنا معناه من قبل في غير هذا الموضع فأغنى عن إعادته ثم توعد تعالى كسبة
الإثم بالجزاء على ما اكتسبوه من ذلك ولا فرق وقوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه وإنه لفسق الآية مقصد هذه النهي عن الميتة أو هي جواب أقوال المشركين كلوا
ما قتل الله ومع ذلك فلفظها يعم ما تركت التسمية عليه من ذبائح الإسلام وبهذا العموم
تعلق ابن عمر وابن سيرين والشعبي وغيرهم فقالوا ما تركت التسمية عليه لم يؤكل عمدا كان أو
نسيانا وجمهور العلماء على أنه يؤكل إن كان تركها نسيانا فأجاز الجمهور وقيل يؤكل سواء
ترك عمدا أو نسيانا قالوا إنما يكون مستقبلا وقوله تعالى وإن الشياطين ليوحون الآية قال عكرمة معناه
أنهم مردة ولا نفس من مجوس فارس وذلك أنهم كانوا يوالون في سبيل على عداوة

النبي صلى الله عليه وسلم ليوحون الى اوليائهم من فيئتهم دلوكم بقولهم تاكلون ما قتلتم ولا
تاكلون ما قتل الله فذلك من يحلها منهم هو الوحي والاولياء هم من بشر وقال ابن زيد وعبد الله
ان كثير بل الشياطين الجن والملائكة على وجوههم واوليائهم كفرة من بشر ووحيهم بالوسوسة
وعلى السنة الكهان ثم نهى تعالى عن طاعتهم بقوله بتحريم الوعيد وحرض اصحاب مثال على ان
يشبه المومن بالمشرك قال ابن العربي في قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم
سمى الله تعالى ما يقع في القلب من الالهام وحيا وهذا مما يكافئه بشرح المتصوفة وينبغي
جهال المتوسمين بالعلم ولم يعلموا ان الوحي على ثمانية اقسام وان الملائكة في جميعه جائز
في ذكر الله من احكام القران وقوله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه لما تقدم ذكر المومنين
وذكر الكافرين مثل سبحانه في الطائفتين بان شبه الذين امنوا بعد كفرهم باموات احيوا ولهذا
معنى قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما وشبه الكافرين وحيرة جهلهم بل جهلهم بقوم في
ظلمات يترددون فيها ولا يمكنهم الخروج منها ليشرح وجل الهدى بين الكافرين والبون بين
المنزلتين ونور امكن ما يقع بدلها بلى مثل ويحتمل ان يراد به النور الذي يوتاه المومن
يوم القيامة وجعلنا في هذه الاية بمعنى صيرنا فهي تتعدى الى مفعولين والاول فيها والثاني
اكابر وفي الكلام على هذا تقديم وتاخير تقديره وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها
اكابر وقوم لا يراد لعلة ... اي مواويه ان يكون المفعول الاول اكابر ومجرميها
مضاف والمفعول الثاني في قوله في كل قرية وليمكروا انصب بلام التعليل وقدر والاكابر جمع اكبر
كما قال فاضل جمع افضل قال الطبري وانما جعل المجرمين اكابر لانهم اقدر على الغرور والمكر
وزكاة الملامنون عليهم وكان كثرة المال والجاه يحملان الانسان على المكر والكفر في دعيطهم
وذلك الحفظ لانهم رايا يجمع الاخلاق الذميمة كالغدر والمكر والكذب والغش والنميمة والايمان
الكاذبة ولو لم يكن للمال والجاه سوى ان الله تعالى حكم بانه انما وصف بهذه الاوصاف الذميمة
من كان له المال والجاه لكفى به دليلا على خساسة المال والجاه اهـ وما ذكره في المال والجاه
هو الاغلب وما يشعرون اي ما يعلمون وقوله تعالى واذا جاءتهم اية اي علامة ودليل على صحة
الشرع تسلطوا وقالوا لن نومن حتى يعلو لنا البحر ويجي لنا المولى ونحو ذلك في ذلك الله
عز وجل عليهم بقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته فمن اصطفيه وانتخبه لا يمين كفى
وجعل تسلطه على الله تعالى قال المهدي قال الحسن وفي قال الوليد بن المغيرة لو كانت

النبوءة

النبوءة حقا لكنت اولى بها قال المهدي اراد كل واحد من هولاء الكفرة ان يختص بالوحي والرسالة
كما اخبر عنهم سبحانه بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى صحفا منشرة اهـ ثم توعد سبحانه بانه سيصيب
المجرمين الاكابر في الدنيا سيصيبهم صغار عند الله وذلة وقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام الاية من شرح له ونشرح جواز النبي صلى الله عليه وسلم والاية نص في ان الله يريد
هدى المومن وضلال الكافر وهذا عند جميع اهل السنة بالارادة القديمة التي هي صفة
ذاته تبارك وتعالى والهدى هنا هو خلق الايمان في القلب وشرح الصدر هو تسهيل الايمان واعداد
القلب لقبوله وتحصيله والصدر عبارة عن القلب وفي يشرح ضمير يعود على اسم الله عز وجل
بعضد اللفظ والمعنى ولا يحتمل غيره والقول بانه على المهتدي قول يتعلق عليه فرعها
القدرية في خلق الايمان وحيلة اي يقضون ضعيف والحرمة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه لما نزلت هذه الاية قالوا يا رسول الله كيف يشرح الصدر قال اذا نزل النور في القلب انشرح
له الصدر وانفسح قالوا وهل لذلك علامة يا رسول الله قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي
عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الفوت والقواعد قوله ومن يرد ان يضله بحال القول
في قوله ومن يرد الله ان يهديه وفي الحرج وغيره حرجا بفتح الراء وروي ان عمر بن الخطاب رضي
الله عنه قرا يوما بفتح الراء وقراها بعض الصحابة بكسر الراء فقال ابغوني رجلا
من كنانة ولتكن راعيا ولتكن من بني مدلج فلما جاء قال له يا فتى ما الحرجة عندكم فقال الشجرة تكون
بين الاشجار لا تصل اليها راعية ولا وحشية فقال عمر رضي الله عنه كذلك قلب المنافق لا يصل
اليه شيء من الخير وقوله تعالى كانما يصعد في السماء اي كان هذا الضيق صدره متى حاول
الايمان او فكر فيه يجد صعوبته عليه والعياذ بالله كصعوبة الصعود في السماء قال ابن
جني وغيره وفي السماء يريد من سفل الى علو وتحتمل الاية ان يكون التشبيه بالصاعد في عقبة
كؤود كانه يصعد بها في الهواء ويصعد معناه يعلو ويصعد يتكلف من ذلك ما يشق عليه وقوله
كذلك يجعل الله الرجس وكما كان الهدى من الله والضلال المراد تعالى وجل ومشيئته
كذلك يجعل الله الرجس قال اهل اللغة الرجس ياتي بمعنى العذاب وياتي بمعنى النجس وقوله تعالى
وهذا صراط ربك مستقيما الاشارة بهذا الى القران والشرع الذي جاء به نبينا محمد عليه
الصلاة والسلام قال ابن عباس وقد فصلنا معناه بينا ووضحنا وقوله تعالى لقوم يذكرون اي
المومنين والضمير في قوله لهم دار السلام عائد عليهم والسلام يتخرج اي يكون اسما من اسماء

الله عز وجل ونعيمها أن يكون مصيرهم إلى دار السلام وقوله تعالى عند ربهم في جنة دار الآخرة بعد الحشر
وهو وليهم أي ولي ذلك الإنعام عليهم وبما كانوا يعملون أي بسبب ما كانوا يعملون من الخير ويعملون من
الطاعات والبر وقوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقوله نحشرهم
جميعا العامل في إذ يوم وفي الكلام حذف تقديره نقول يا معشر الجن وقوله قد استكثرتم معناه أكثرتم ومن
لم تتركوا في إضلالهم وإغوائهم قاله ابن عباس وغيره وقال الكفار من الإنس أولياء الجن الموبخين
على جهة الاعتذار عن الجن ربنا استمتع بعضنا ببعض أي انتفع وذلك كاستعاذتهم بالجن إذا كان الرجل
إذا نزل واديا ينادي يا رب الوادي أي أستجير بك هذه الليلة من سفهاء قومك فيحفظ عنه ذلك
الوادي ونحو ذلك وبلوغ الأجل الموت هو الموت وقيل هو الحشر وقوله تعالى قال النار مثواكم الآية
إخبار من الله تعالى عما يقول لهم يوم القيامة أي كلام المنقرضين ومثوى أي موضع ثواء كمقام الذي
هو موضع الإقامة قال ابن عطية والاستثناء في قوله إلا ما شاء الله قالت فرقة ما بمعنى من فالمعنى من
من شاء الله ممن آمن في الدنيا بعد أن كان من هؤلاء الكفرة وقال الطبري إن المستثنى هي المدة التي
بين حشرهم إلى دخولهم النار وقال الطبري عن ابن عباس أنه كان يتأول في هذا الاستثناء أنه مبلغ
حال هؤلاء في علم الله أسند الطبري إليه أنه قال إن هذه الآية آية لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه
لا ينزلهم جنة ولا نارا قال ع والإجماع على أن التخليد الأبدي في الكفار ولا يصح هذا عن ابن عباس رضي
الله عنه قال ص إلا ما شاء الله قيل الاستثناء منقطع أي لكن ما شاء الله من العذاب الزائد على
النار وقيل متصل واختلفوا في تقريره فقيل هو استثناء من الأشخاص وهم
من آمن في الدنيا ورد بأنه يختلف زمان المستثنى والمستثنى منه فيكون منقطعا
متصلا أي من شرط المتصل اتحاد زماني الخروج والمخرج منه اه وقيل غير هذا
وقوله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا قال قتادة معناه نجعل بعضهم ولي
بعض في الكفر والظلم وقال أيضا معناه نجعل بعضهم يلي بعضا في دخول النار وقال ابن زيد
معناه نسلط بعض الظالمين على بعض ونجعلهم أولياء النقمة منهم قال ع وقد جمع
هذا في استعمال الصحابة والتابعين كقول ابن الزبير حين بلغه أن عبد الملك قتل الأشدق
وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وقوله تعالى يا معشر الجن والإنس ألم
يأتكم هذا الكلام داخل في القول يوم يحشرهم قال أهل اللغة المعشر كل جماعة
أمرهم واحد وتختص بهم معاشرة ومخالطة والمعشر المعاشر أهل ومنه بعضهم من الإنس

قال

قاله ابن جريج وغيره وقال ابن عباس من الطائفتين وكان رسل الجن رسل الإنس وهم
النذر ويقصون من القصص وقوله شهدنا على أنفسنا بالكفر وقوله تعالى وغرتهم الحياة
الدنيا المتقدمة فصيحة تتضمن أن كفرهم كان بإذن الوجود لهم وهو كالتغرير الذي لا يوقع
غافل ويحتمل تجريمهم يعني أشبعتهم وأطعمتهم فجعلوا بها كما يقال على الطائر فيحمد وقوله
تعالى وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين الجمع بين هذه الآية وغيرها من الآي التي تقتضي إنكار
المشركين للإشراك هو أنها جاءت في طوائف وأنها أزمان طائفة وأحرى في مواطن شتى وقوله
تعالى ذلك أن لم يكن ربك أي ذلك الفعل والمراد أهل القرى وبظلم يحتمل معنيين
أحدهما أنه لم يكن سبحانه ليهلكهم دون نذارة فيكون ظلما لهم والله ليس بظلام للعبيد والثاني
أن الله عز وجل لم يهلكهم بظلم وقع منهم دون أن ينذرهم وهذا هو البين القوي وذكر الطبري
رحمه الله التأويلين وقوله تعالى ولكل درجات مما عملوا الآية إخبار من الله تعالى أن في
المؤمنين في الآخرة درجات من التفاضل بحسب أعمالهم وتفضل الله عليهم ولكل واحد
بما يعطى غاية الرضى والمشركين كون لهم دركات من العذاب ق وظاهر الآية أن الجن يثابون
وينالون الدرجات والدركات وفي صحيح البخاري باب ذكر الجن وثوابهم وعقابهم لقوله
تعالى يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم الآية إلى قوله وما ربك بغافل عما يعملون قال الداودي
قال الضحاك من الجن من يدخل الجنة ويأكل ويشرب اه وقوله تعالى وربك الغني ذو الرحمة إن
يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء الآية مضمنة وعيدا وتخويفا من بطش الله عز
وجل في التعجيل بذلك وإنما في الإمهال ومرور الجديدين فذلك عادة سبحانه في الخلق بإذن
خلق واستخلاف آخرين وقوله تعالى إن ما توعدون لآت هو من الوعيد يعني بيته وما أنتم
بمعجزين أي وما أنتم بناجين من عذابه ثم أمر تعالى نبيه عليه السلام أن
يتوعدهم بقوله اعملوا أي فستعرفون عاقبة أعمالكم الخاسرة وصيغة افعل هنا التي بمعنى
الوعيد والتهديد وعلى مكانتكم معناه على حالكم وطريقتكم وعاقبة الدار مآل الآخرة
ويحتمل مآل الدنيا بالنصر والظهور وفي الآية إعلام بغيب وقوله تعالى وجعلوا لله مما
ذرأ يعني مشركي العرب الذين تقدم الرد عليهم من أول السورة وذرأ معناه خلق وأنشأ وبث
وسبب نزول هذه الآية أن العرب كانت تجعل من غلاتها وزروعها وثمارها وأنعامها
جزءا تسميه لله تعالى وجزءا تسميه لأصنامها وكانت عادتها التحفي والاهتبال بنصيب

لما ضاع الذي منه بنصيب الله اذ كانوا يعتقدون ان الاصنام فقرا وليس ذلك بالله عز وجل
وكذا نوا اذا جمع الزرع يهب الريح يحمله من الذي لله الى الذي للشركاء ردوه واذا حملته من
الذي لشركائهم الى الذي لله تركوه واذا لم يصيبوا لهم نصيب شركائهم شيا قالوا ان الله غني عن هذا فقد
فيجعلون نصيب الله تعالى لذلك قال هذا المعنى ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم انهم كانوا
يفعلون هذا ونحوه من العدل الخبيث وكذلك في الانعام كانوا اذا اصابتهم السنة اكلوا نصيب الله
وتحاموا نصيب شركائهم وقوله تعالى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم الكفين
هنا يراد به كل من كان يعين منهم في الوأد والشركاء هنا الشياطين الذين يامرون بذلك الذين يزينون
لهم والحاملون عليه ايضا من بني ادم ومقصد الاية الذم والانحاء على فعلتهم وليردوهم معناه
ليهلكوهم من الردى وليلبسوا معناه ليخلطوا وقوله عز وجل وتعالى ولو شاء الله ما فعلوه يقتضي
ان لا يقع شي الا بمشيئة الله عز وجل وفيه رد على من قال بان المرء يخلق افعاله وقوله فذرهم وما
يفترون وقوله تعالى وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها
الاية تعديد لما شرعوه من التحريم والتحليل وهو من جهة الغي كذبا منهم على الله عز وجل وحجر معناه
التحجير وهو المنع والتحريم وانعام لا يذكرون اسم الله عليها قال جماعة من المفسرين انهم كانوا
يسنون في انعام ما ان لا يحج عليها وكانت لا تركب في كل وجه لا في الحج وقالت فرقة بل ذلك في الذبائح
جعلوا لالهتهم نصيبا منها لا يذكرون اسم الله على ذبحها وقوله تعالى وقالوا ما في بطون هذه الانعام
خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا الاية كان من مذاهبهم فيما روى ابن عباس في بعض الانعام ان يحرموا
لبنها على نسائهم ويخصصونه لذكورهم فان وضعت ذكرا وقالت جماعة النساء التي هي محرمة ان تكون
ازواجا قال مجاهد هو قوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء كان من سنتهم ان ما خرج من الجنين حيا
من تلك الانعام الموقوفة فهو حلال للرجال والنساء جميعا وكذلك ما مات من الانعام الموقوفة
نفسها ثم اعقب تعالى وعيدهم على ما وصفوا من الكذب والفرية وقوله تعالى قد خسر الذين قتلوا اولادهم
سفها بغير علم الاية نص التشنيع بسوء فعلهم والتعجيب من سوء حالهم فيما ذكر قال عكرمة
وكان الوأد في ربيعة ومضر قال ع وكان جمهور العرب لا يئدون ثم ان فاعليه كان منهم من يئد
خوف العيلة والاقتار وكان منهم من يئد غيرة مخافة السباء وفضلوا اخبار عنهم بالجيبة
وما كانوا يدينون به هذه الوأدة ويحتمل ان يريد وما كانوا قبل ذلك لانهم في هذه الوأدة مهتدين
ولكنهم زادوا بها رذيلة الوأد ضلالا وقوله تعالى وهو الذي انشا جنات معروشات وغير معروشات

رساية

رساية تنبيه على مواضع الاعتبار وانشا معناه خلق واخترع ومعروشات قال ابن عباس
ذلك في ثمر العنب منه ما عرش وسمك ومنه ما لم يعرش ومتشابها يريد في المنظر وغير متشابه
في الطعم قاله ابن جريج وغيره وقوله كلوا من ثمره نهي في لا اباحة وقوله واتوا حقه يوم
حصاده قال ابن عباس وجماعة هي في الزكاة المفروضة قال ع وهذا القول معترض بان السورة
مكية وبان هذه لا زكاة فيها ذكر من الرمان وما في معناه وحكى الزجاج ان هذه الاية قيل فيها
انها نزلت بالمدينة وقال مجاهد وغيره بل قوله واتوا حقه يوم حصاده ندب الى اعطاء حقوق
من المال غير الزكاة والسنة ان يعطي الرجل من زرعه عند الحصاد وعند الدرس وعند
ذكر سببه في السير رواه ... وكان اخرج من ذلك الزكاة وقالت طائفة هذا حكم صدر من
المسلمين حتى نزلت الزكاة المعينة وصفة فنسختها قال ع والنسخ غير متوجه في هذه الاية
ولا تعارض بينها وبين اية الزكاة بل تنبني هذه على الندب وتلك على الفرض وقوله تعالى ولا
تسرفوا فيه النهي عن الاسراف اما للناس عن التنعم مراد به لا تأخذ الشي الى
من الحق واما للولاة عن التسلط على الناس والاذاية لهم وكل قد قيل في تاويل
الاية وقوله تعالى ومن الانعام حمولة وفرشا حمولة عطف على جنات معروشات والمعنى
وانشا من الانعام حمولة والحمولة ما يحمل الاثقال من الابل والبقر عند من اجاز ان يحمل
عليها والفرش ما لا يحمل اثقالا كالغنم وصغار البقر والابل هذا هو المروي عن ابن عباس وابن
مسعود والحسن وغيرهم والامر بالاكل في الاية يعني الانعام وقوله كلوا مما رزقكم الله نص في
اباحة وازالة ما سنه الكفار من البحيرة والسائبة وغير ذلك ثم تابع النهي عن تلك السنن
الاوكد بقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان وهو جمع خطوة اي لا تمشوا في طرقه
وقرأ الجماعة خطوات من الخطو والمشي الاثر واه وقوله تعالى ثمانية ازواج الاية نصبه
وقيل على البدل من ما في قوله كلوا مما رزقكم الله وقيل على الحال وقيل على البدل من قوله حمولة
وفرشا وهذا اصوب الاقوال واجراها على معنى الاية والزوج الذكر والانثى وح لانثى كل منهما
زوج صاحبه وهي اربعة انواع فتجي منها ثمانية ازواج والضان جمع ضائنة وضان وقوله تعالى
قل الذكرين حرم الاية هذا تقسيم على الكفار حتى يتبين كذبهم على الشارع لانه ان كان حرم الذكرين
فيلزم ان يحرم جميع الذكور وان حرم الانثيين فيلزم ان يحرم جميع الاناث وما اشتملت عليه ارحام الانثيين
فيلزم ان يحرم الجميع وانهم لم يلتزموا شيا من هذا بوجه هذا الذي فيه هذه السنن لا تقع

وتوبيخ انه تعالى لم يحرم د قوله نبئوني اي اخبروني بعلم اي من جهة نبوة او كتاب من كتب الله
ان كنتم صادقين وان شئتم ما وجوابه نبئوني وقوله تعالى ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين
حرم الآية القول في هذه الآية في المعنى وفي ترتيب التوبيخ كما تقدم وكانه قال انتم الذين تدعون ان
الله حرم خصايص من هذه الانعام لا يخلو تحريمه من ان يكون في الذكرين او في الانثيين او فيما اشتملت
عليه ارحام الانثيين لكنه لم يحرم لا هذا ولا هذا ولا الانثيين لانه لم يقع تحريم قال الطبري والطحاوي عندي
ان هذه الآية لا يتعلق بها على سبيل الاحتجاج على بطلان قولهم بل هي استفهام على سبيل الانكار
وحاصل الكلام انه لا يعقل فرق بين نبوة احد من الانبياء وكيف تثبتون هذه الاحكام
المتفاوتة انتهى وقوله تعالى أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا استفهام على جهة التوبيخ
وتهكم لهم على جمع شهيد وبلغه دراية بين وقوله تعالى قل لا اجد في ما اوحي الي محرما
على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير الآية نبه بهذه الآية لم يكن
في الشرع بعد ذلك الوقت شيء محرم غير هذه ثم نزلت سورة المائدة بالمدينة
وزيد في المحرمات كالخمر وكاكل كل ذي ناب من السباع معاوردت به السنة قال ع ولفظة التحريم
اذا وردت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها صالحة ان تنتهي بالشيء المذكور غاية المنع
والحظر وصالحة بحسب اللغة ان تقف دون الحظر في حيز الكراهة ونحوها فما اقترن به التحليل
من الصحابة المتاولين واجمع عليه الكل منهم ولم تضطرب فيه الفاظ الاحاديث وامضاه الناس
وجب بالشرع ان يكون تحريمه قد وصل الى غاية الحظر والمنع ولحق بالخنزير والميتة وهذه
صفة تحريم الخمر وما اقترنت به قرينة اضطراب الفاظ الحديث واختلفت الامة فيه مع
علمهم باحاديث كقوله عليه السلام كل ذي ناب من السباع حرام وقد روي عنه نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن اكل كل ذي ناب من السباع ثم اختلفت الصحابة ومن بعدهم في تحريم
ذلك فجاز لهذه الوجوه لمن ينظر ان يحمل لفظ التحريم على المنع الذي هو الكراهة ونحوها
وما اقترنت به قرينة التاويل كتحريمه عليه السلام لحوم الحمر الانسية فتاول بعض
الصحابة الحاضرين ذلك لانها لم تخمس وتاول بعضهم ان ذلك ليلا تفنى حمولة الناس وتاول
بعضهم التحريم المحض وثبت في الامة الاختلاف في لحمها فجائز لمن ينظر من العلماء ان يحمل لفظ
التحريم بحسب اجتهاده وقياسه على الكراهة او نحوها وبالغ في هذه الآية يبين وقوله تعالى وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية هذا خبر من الله تعالى يتضمن تكذيب اليهود في قولهم ان الله
لم يحرم

لم يحرم عليهم شيئا وانما هم قوم حرموا على انفسهم ما حرموه اتباعا لاسرائيل في نفسه وكل ذي ظفر في اللغة ما ليس بمنشق الاصابع كالابل والنعام
والاوز ونحوه من الحيوان الذي هو غير منفرج الاصابع ولم ظفر واخبر فالمعنى في هذه
الآية تحريم الشحوم عليهم وفي الثرب وشحم الكلى وما كان شحما خالصا خارجا عن الاستثناء الذي في
الآية واختلف في تحريم ذلك على المسلمين من ذبائحهم فعن مالك في العتبية شحومهم من غير تحريم وقوله
تعالى الا ما حملت ظهورهما يريد ما اختلط باللحم في الظهر والاجناب ونحوه قال السدي وابو صالح الالية
مما حملت ظهورهما والحوايا ما تحوي في البطن واستدار وهي المصارين والحشوة ونحوها وقال ابن عباس
وغيره هي المباعر وقوله تعالى او ما اختلط بعظم يريد في سائر الشخص وقوله تعالى ذلك جزيناهم ببغيهم
يقتضي ان هذا التحريم انما كان عقوبة لهم على بغيهم واستعصائهم على انبيائهم وقوله تعالى وانا لصادقون
اخبار يتضمن التعريض بكذبهم في قولهم ما حرم الله علينا شيئا وقوله تعالى فان كذبوك اي فيما اخبرت به
ان الله حرمه عليهم فقل ربكم ذو رحمة واسعة اي من امهاله اياكم بعاجلة العقوبة مع شدة
جرمكم ولكن لا تغتروا بسعة رحمته فان له باسا لا يرد عن القوم المجرمين اهل الزيغ والانحراف
وهذه الآية وما جانسها من الآيات مكية من نوع حكمها قبل آية القتال ثم اخبر تعالى نبيه
عليه السلام بان المشركين سيحتجون لتصويب ما هم عليه من شركهم وتحريمهم لما حرموا
لا يشاء لو شاء الله فعلى حجتهم ونفي في حالهم وانه لو شاء غير ذلك لما كانوا على تلك
الحال ولا حجة لهم فيما ذكروه لانه سبحانه شاء ما هم عليه واخبر عنهم بالكفر وبين لهم على
احتجاجهم ان يكون كفرهم بمشيئته وكل حادث صوابا اذ كل لو شاء الله لم يكن وفي الكلام حذف ليس عليه
تناسق الكلام كانه قال سيقول المشركون كذا وكذا وليس في ذلك حجة لهم ولا شيء يقتضي تكذيبهم
وكذلك كذب الذين من قبلهم بنحو هذه الشبهة من ظنهم ان ترك الله تعالى اياهم دليل على
رضاه بحالهم وفي قوله حتى ذاقوا باسنا وعيد بين وقوله تعالى قل هل عندكم من علم
اي من قبل الله قل فلله الحجة البالغة يريد البالغة غاية المقصود في ما الذي يحتج به ثم اعلم
سبحانه انه لو شاء لهدى العالم باسره وهلم معناه هاتوا وهي حرف متصرفة وقد يكون بمعنى
اقبل فلا تتعدى وبعض العرب يجعلها اسم فعل كي ويرلحي وبعضهم يجعلها فعلا ومعنى الآية
قل هاتوا شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم ما زعمتم تحريمه فان شهدوا اي فان افترى
لهم احد او زور شهادة او خبر عن نبوة ونحو ذلك فتجنب انت ذلك ولا تشهد معهم وهذه
الآية التي وما بعدها من نوع ما تقدم من ان المخاطبة له صلى الله عليه وسلم والمراد غيره

معنى يكون غيري ذالك مفعولا وجاء بهم يعدلون اي يجعلون له عدلا اي مثيلا ويسوونه به تعالى الله عن
قولهم وقوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا هذه الاية امر الله تعالى
لنبيه عليه السلام ان يدعو جميع الخلق الى سماع تلاوة ما حرم الله بشرع الاسلام المبعوث
به الى الاسود والاحمر وما نصب بقوله اتل وهو بمعنى الذي وان في قوله الا تشركوا في موضع
رفع التفسير [illegible] وقال كعب الاحبار هذه الايات هي مفتتح التوراة بسم الله
الرحمن الرحيم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى اخر الايات وقال ابن عباس هذه الايات هي المحكمات
المذكورة في ال عمران اجتمعت عليها شرائع الخلق ولم تنسخ قط في ملة وقد قيل انها العشر كلمات
التي انزلت على موسى والاملاق الفقر وعدم المال قاله ابن عباس وغيره قال القشيري خوف الفقر
في بقية الكلام وحسن [illegible] من التجسيم وقوله تعالى ولا تقربوا
مال اليتيم الا بالتي هي احسن قال مجاهد التي هي احسن التجارة فيه [illegible] والقيام بالامور
وحسن النظر فيه وليس هذا الاية [illegible] يكون فيه معنى الشرع
[illegible] وقوله تعالى واوفوا الكيل والميزان اي [illegible] وقوله تعالى لا نكلف نفسا الا
وسعها يقتضي ان هذه الاوامر انما هي فيما يقع تحت قدرة البشر من التحفظ والتحري وقوله تعالى
واذا قلتم فاعدلوا يتضمن الشهادات والاحكام والتوسط بين الناس وغير ذالك ولو كان ميل
الحق على قرابته وقوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه الاشارة بهذا هي الى
الشرع الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقال الطبري الاشارة هي الى هذه
الوصايا التي تقدمت من قوله قل تعالوا وقال ابن مسعود [illegible] الصراط
مستقيما [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
الجادة [illegible] وقال [illegible] خط لنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط عن يمين ذالك وعن شماله خطوطا وقال
هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرأ هذه الاية قال ع وهذه السبل تعم اهل
الاهواء والبدع والشذوذ في الفروع وغير ذالك من اهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام
هذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد [illegible] ومن حيث كانت [illegible] الاول
لم يقع فيها عاقل [illegible] وقد يقع فيها
من العقلاء من لم يتق [illegible] الجادة الكاملة [illegible] التقوى وقوله تعالى

ثم اتينا

ثم اتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن ثم في هذه الاية اقوال [illegible] ترتيب القول
الذي امر به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كانه قال ثم مما وصيناه [illegible] اتينا موسى الكتاب ويدعو الى
ذالك ان موسى عليه السلام متقدم بالزمان على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وتلاوة ما حرم
الله والكتاب التوراة وتماما مصدر وقوله تعالى على الذي احسن مختلف في معناه فقالت فرقة الذي
بمعنى الذين واحسن فعل ماض صلة الذين وكان الكلام واتينا موسى الكتاب تفضلا على المحسنين من اهل
ملته واتماما للنعمة عليهم وهذا تاويل مجاهد ويؤيده ما في مصحف ابن مسعود تماما على الذين احسنوا
وقالت فرقة المعنى تماما على ما احسن هو من عبادة ربه يعني موسى عليه السلام وهذا
تاويل الربيع وقتادة وقالت فرقة المعنى تماما على الذي احسن الله فيه الى عباده من النبوة [illegible]
وسائر النعم وبلقاء ربهم اي بالبعث وقوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا
لعلكم ترحمون هذه اشارة الى القران ومبارك وصف بما فيه من التوسعة وانواع الخير [illegible]
ومعناه [illegible] والبركة الزيادة والنمو فاتبعوه دعاء الى الدين واتقوا امر بالتقوى
العامة في جميع الاشياء [illegible] قوله لعلكم ترحمون وان في قوله ان تقولوا في موضع نصب واكثر
فيه [illegible] ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى
باجماع المتاولين [illegible] ومعنى الاية [illegible]
[illegible] فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى [illegible] فمن اظلم ممن كذب بايات
الله وصدف عنها [illegible] سنجزي الذين يصدفون وقوله
تعالى هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة [illegible]
الذين [illegible] وقوله تعالى او ياتي
ربك قال الطبري [illegible] يوم القيامة [illegible] قتادة وجماعة من المتاولين وقال
الزجاج [illegible] قال ع [illegible]
[illegible] من الاخرة [illegible]
[illegible] على المجاز [illegible]
[illegible]
[illegible]
هذا [illegible] وقوله تعالى او ياتي بعض ايات

١٧٧

ربك قال مجاهد وغيره وهي اشارة الى طلوع الشمس من مغربها بل لعل الآية التي بعدها
قال ع ويحتمل ان يريد سبحانه بقوله او ياتي بعض آيات ربك جميع ما يقطع بوقوعه من اشراط الساعة
ثم خصص سبحانه بعد ذلك بوقوعه بقوله يوم ياتي بعض آيات ربك الآية التي ترفع التوبة معها
وقد بينت الاحاديث الصحيحة في البخاري ومسلم انها طلوع الشمس من مغربها ومقتضى الآية
تهديد للكفار باحوال لا يخلون منها وقوله او كسبت في ايمانها خيرا اي من جميع اعمال البر
وهذا الفصل هو لعموم عصاة المومنين كما ان قوله لم تكن آمنت من قبل هو للكافرين
بالآية المشار اليها تقطع توبة الصنفين قال الداودي قوله تعالى او كسبت في ايمانها
خيرا اي ان النفس المومنة التي ارتكبت الكبائر لا تقبل منها التوبة يومئذ وتكون في
مشيئة الله تعالى كانها لم تتب وفي صحيح مسلم عن عائشة اذا خرجت اول الآيات طرحت الاقلام وحبست
الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال اهـ وقوله تعالى قل انتظروا انا منتظرون اي فيه تضمن
الوعيد وقوله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء قال ابن عباس
وغيره المراد بالذين اليهود والنصارى اي فرقوا دين ابراهيم ووصفهم بالشيع اذ كل طائفة
منهم لها فرق واختلاف وهي آية حض للمومنين على الائتلاف وترك الاختلاف وقال ابو
الاحوص وام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم الآية في اهل البدع والاهواء والفتن ومن
جرى مجراهم من امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اي فرقوا دين الاسلام وفي الحديث والصحابي فارقوا
ومعناه تركوا وقوله تعالى لست منهم في شيء اي لا تشفع لهم ولا لهم بك تعلق وهذا على
الاطلاق في الكفار وعلى جهة المبالغة في العصاة وقوله تعالى انما امرهم الى الله الآية
وعيد محض وقال السدي هذه الآية لم يومر فيها بقتال فهي منسوخة بالقتال قال ع الآية
خبر لا يدخلها النسخ ولكنها تضمنت بالمعنى امرا بموادعة فيشبه ان يقال ان النسخ وقع في
ذلك المعنى الذي قد تقرر نسخه في آيات وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
الآية قال ابن مسعود وغيره الحسنة هنا لا اله الا الله والسيئة الكفر قال ع
وهذه هي الغاية من الطرفين وقالت فرقة ذلك لفظ عام في جميع الحسنات والسيئات وهو
الظاهر وتقدير الآية من جاء بالحسنة فله ثواب عشر امثالها وقرأ يعقوب وغيره وله
عشر بالتنوين امثالها بالرفع وقوله تعالى قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم
دينا قيما ملة ابراهيم الآية في غاية الوضوح والبيان وقيما نعت للدين ومعناه مستقيما

دما

وملة بدل من دينا وقوله قل ان صلاتي ونسكي الآية امر من الله عز وجل لنبيه عليه السلام
ان يعلن بان مقصده في صلاته وطاعته من ذبيحة وغيرها وتصرفه مدة حياته وحاله من
اخلاص وايمان عند مماته انما هو لله عز وجل وارادة وجهه وطلب رضاه وفي اعلان النبي صلى
الله عليه وسلم بهذه المقالة ما يلزم المومن من التاسي به حتى يلتزم في جميع اعماله
قصد وجه الله عز وجل ويحتمل ان يريد بهذه المقالة ان صلاته ونسكه وحياته ومماته
بيد الله عز وجل وانه يصرفه في جميع ذلك كيف يشاء سبحانه ويكون قوله وبذلك امرت على
هذا التاويل راجعا الى قوله لا شريك له فقط او راجعا الى القول الاول وعلى التاويل الاول
يرجع الى جميع ذلك اي ما ذكر من صلاة وغيرها وقالت فرقة النسك في هذه الآية الذبائح
قال ع ويحسن تخصيص الذبيحة بالذكر في هذه الآية انها نازلة قد تقدم ذكرها والجدال فيها
في السورة وقالت فرقة النسك في هذه الآية جميع اعمال الطاعات من قولك نسك فلان
فهو ناسك اذا تعبد وقرأ السبعة سوى نافع ومحياي بفتح الياء وقرأ نافع وحده
ومحياي بسكون الياء قال ابو حيان وفيه جمع بين ساكنين وسوغ ذلك ما في الالف من
المد القائم مقام الحركة اهـ وقوله وانا اول المسلمين اي من هذه الامة وقوله تعالى قل اغير
الله ابغي ربا وهو رب كل شيء الآية حكى النقاش انه روي ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه
وسلم ارجع يا محمد الى ديننا واعبد الهتنا واترك ما انت عليه ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها في دنياك
واخراك فنزلت هذه الآية وهي استفهام يقتضي التوبيخ لهم وابغي معناه اطلب وكأنه قال افيحسن
عندكم ان اطلب الها غير الله الذي هو رب كل شيء وما ذكرتم من كفالتكم باطل ليس الامر كما تظنون
بل لا تكسب كل نفس من الشر والاثم الا عليها ولا تزر وازرة اي لا تحمل حاملة حمل اخرى وثقلها
والوزر اصله الثقل ثم استعمل في الاثم لانه ثقل ... ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم وعيد
وقوله تعالى فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اي في امري في قول بعضكم هو ساحر وقول بعضكم
هو شاعر الى غير ذلك قاله بعض المتاولين وهذا التاويل يحسن في هذا الموضع وان
كان اللفظ يعم جميع انواع الاختلاف من الاديان والملل والمذاهب وغير ذلك وخلائف
جمع خليفة اي يخلف بعضكم بعضا ... من ان خليفة لمن مضى وهذا يتصور في جميع الامم
وسائر اصناف الناس ولكنه يحسن في امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان يسمى اهلها
بخلائف لانها آخر الامم وليس لهم من يخلفهم اذ هم آخر الامم وعليهم تقوم الساعة وروى

الحسن بن ابي الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يؤتون يستجيرون لهنتم حتى لهم والجي مولاه على الله عز
وجل ويروى انهم اخرون والجي مولاه على الله عز وجل وقوله ورفع بعضكم فوق بعض درجات اي هم
على في المال والقوة والجاه وجودة النفس وذكاء وعقل ذلك وكل ذلك انما هو ليبتلي
الله عز وجل الخلق فيرى المحسن من المسيء ولما اخبر الله سبحانه بهذا ووسع للناس ميدان
العمل وحضهم لما نعم عليهم تسابق الى الخير وتوعد وعد تخويفا منه وترجية فقال ان ربك سريع
العقاب لما جا خرا فبه المرتبة واما بعقاب الاخرة وحسن ان يوصف عقاب الاخرة بسريع لما كان
متحققا مضمون الاتيان والوقوع وكل ما هو ات قريب وانه لغفور رحيم ترجية لمن اذنب واراد التوبة
وهذا في كتاب الله كثير اقتران الوعيد بالوعد لطفا من الله تعالى بعباده اللهم اجعلنا ممن شملته
رحمتك وعمه لطفك بجودك واحسانك ومن كلام الشيخ الولي العارف بالله ابي الحسن الشاذلي رحمه
الله قال من اراد ان لا يضره ذنب فليقل اللهم اني اعوذ بك من عذابك يوم تبعث عبادك واعوذ بك من
عاجل العذاب ومن سوء الحساب فانك سريع الحساب وانك لغفور رحيم ربي اني ظلمت نفسي ظلما
كثيرا فاغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

انتهى تفسير الشيخ العالم العلامة القدوة الفهامة ....

عبد الرحمان الثعالبي من تفسير ربع الفقه بحمد الله

وحسن عونه وتليه الربع الثاني ان شاء

الله بحمد الله وحسن عونه ولا حول

ولا قوة الا بالله العلي

العظيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد وعلى اله وصحبه وازواجه وذريته وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم سورة الاعراف
هي مكية كلها

Copyright © King Saud University